الشيخ حسين كوراني

مناهل الرجاء

أعمال شهر رمضان




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مناهل الرجاء

أعمال شهر رمضان

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

مناهل الرجاء

أعمال شهر رمضان

الشيخ حسين كوراني



للطباعة والنشر والتوزيع



تمهيد

بعد أن وفق الله تعالى لنشر الجزءين الأول والثاني من «مناهل الرجاء» في أعمال شهر رجب وشهر شعبان، هذا هوالجزء الثالث، وهو في أعمال شهر رمضان المبارك.

وقد ذكرت في مقدمة الكتاب الأول أن هذه الأحاديث حول أعمال الأشهر الثلاثة كان قد تم تقديمها بهذا الإسم «**مناهل الرجاء**» في برنامج يومي عبر «إذاعة النور» صوت المقاومة الإسلامية في لبنان، عام ١٤١٢ للهجرة الموافق لعام ١٩٩٢ للميلاد.

وعند إعادة النظر فيها لتقديمها للطبع، لم يطرأ تعديل على المنهج الذي اعتمد فيها، والذي كان يهدف أصلاً إلى نشر ثقافة المستحبات باعتبارها ركناً رئيساً في ثقافة النص المعصوم، ثقافة الحكم الشرعي.

ويقع حديث «ثقافة الحكم الشرعي» في سياقه الطبيعي: معرفة الإسلام كما هو، فليس هذا الحديث إذاً ردة فعل على ظاهرة ثقافية تعيشها الأمة جراء الغارة عليها، إلا أن هذه الظاهرة المترامية الأطراف تحولت إلى إشكالية كبيرة ينبغي التعامل معها، وقد وصلت من الخطورة إلى حيث أنها تحتم اعتماد منهج خاص في تناول المستحبات.

ولهذا وذاك كان لا بد من الإشارة إلى هذه الإشكالية والمنهج المتناسب معها.

* الإشكالية

لاشك أن الخطر الأبرز الذي يواجه الثقافة الإسلامية، هو هذا الفصام الثقافي الذي يحمل على الإيمان ببعض الكتاب والكفر العملي بالبعض الآخر، والذي تجسد في تغييب «المستحب، والمكروه» عن عملية التربية الإسلامية، وأدى بالتالي إلى إضعاف حضور الواجب والحرام، وعدم رعاية حدود المباح، الأمر الذي جعل الكثير مما يقدم باسم الثقافة والفكر الإسلاميين، متفلتاً من الضوابط الشرعية، وهو ما يعني بالتحديد انطلاق حركة الفكر والثقافة خارج حدود القانون «حدود الله» بكل ما يحمله ذلك من متاهات ويجره من كوارث.

إن الثقافة الإسلامية ثقافة القانون، فليس الحكم الشرعي إلا «القانون» الإلهي الذي يعبر عنه بالشريعة أو الفقة، أو الرسالة العملية.

والمحور في ذلك كله **«حدود الله»** التي لا يتم الإلتزام بها إلا بثقافة القانون، كما لا يتم تجاوزها وتعدِّيها إلا نتيجة وجود خلل في هذه الثقافة.

ولئن كان القانون في النتيجة هو الإلزام والمنع، إلا أن احترام القانون ثمرة ثقافة لا يمكن لها أن تقتصر على عنصري الإلزام والمنع، أو الحرام والواجب، بل يجب أن تعالج مكامن ميل النفس إلى التفلت من الضوابط، وتأخذ بيدها برفق إلى القناعة التامة بضرورة احترام القانون.

ويتوقف ذلك على عنصرين:

١ ـ توسعة دائرة كل من الإلزام والمنع، مع التفريق بين دائرة الخطر، ودائرة الإقتراب من الخطر.

٢ ـ بناء الشخصية على قاعدة عدم الإقتراب من مواطن الخطر، بما يشمل أي لون من ألوان الإقتراب منه.

ولنأخذ مثالاً على ذلك حفظ حق الغير في التملك.

يلزم القانون باحترام ملكيته، ويمنع من التعدي عليها. ولكن لا يمكن التأسيس لثقافة جادة في باب احترام ملكية الغير مالم تتوسع دائرة هذا الإحترام، فيتربى كل فرد على أن المطلوب منه أن يؤثر الغير، وأن لا يقوم بأي عمل يحول بينه وبين تملك شيء يريد بالطرق المشروعة أن يتملكه، وأن منافسته على ذلك تخضع لضوابط تختلف بحسب الحالات، وهي تشمل «المنع» من منافسته عند تقدم رغبته زمنياً في طلب التملك، المعبر عنه في الفقه الإسلامي بكراهية الدخول في السَّوم.

هكذا نكون أمام توسعة لحق التملك امتدت إلى اعتباره شريكاً في ما يملكه غيره، إلا أن هذه الشراكة رهن «إيثار» الغير. وامتدت كذلك إلى احترام حقه في ما لم يتملكه فعلاً إلا أنه يفكر بامتلاكه وقد سعى إلى ذلك قبل غيره، إلا أن هذا الإحترام رهن «كراهية» تفويت الفرصة عليه، بما يلتقي مع الإيثار المتقدم.

أما عملية بناء الشخصية بما ينسجم مع احترام القانون بأجلى صوره، فهي متعددة الأبعاد، ينبغي أن تتضافر فيها كل الجهود لتصب جميعاً في هذا الهدف المركزي.

في القانون الوضعي يجري الحديث في هذا الإطار عن دور التربية بكل مصادرها من الأسرة والمدرسة والمحيط، والثقافة والإعلام وعن الحالة الإقتصادية وسلامة نظام الإدارة والحكم.

ويمتاز القانون الإلهي مع عنايته بكل ما تقدم، بخصائص بالغة الأهمية، في مجال بناء الشخصية الملتزمة بالقانون، ومنها:

١ ـ الرادع الداخلي، الذي يرتكز إلى أن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

٢ ـ تجسم العمل ـ والنية مصدر كل عمل بما يشمل الإعتقاد والخُلق ـ وظهور الإنسان على حقيقته عند العرض على الله تعالى في يوم الحساب.

٣ ـ الوقاية من مخاطر التفلت من القانون في مسارب النفس، وعلاج الظواهر المرضية، بما يتناسب مع علم الخالق بالمخلوق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

ولنأخذ مثلاً على الوقاية، الترابط بين الإنفاق المالي ولو كان باليسير، وبين التربية على التزام الحق والدفاع عنه ولو اقتضى الأمر بذل الروح في سبيله.

إن كل عملية صدقة وإنفاق تسهم بقدر النية التي تصدر منها بالوقاية من «**شح الأنفس**» ومن «**الفرار من الزحف**» والوقوع في مغالطة «**ما لنا وللدخول بين السلاطين**».

وهذه هي الحقيقة المعبر عنها بتعابير مختلفة منها ما ورد في مستحبات شهر رمضان عن رسول الله ﷺ: «**إتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بشربة من ماء**».

و يمثل المستحب والمكروه في القانون الإلهي، توسعة دائرة الواجب الذي هو الإلزام، والحرام الذي هو المنع.

كما تمثل الرؤية التوحيدية للوجود وموقع الإنسان منه، المناخ الوحيد الأمثل لعملية التربية وبناء الشخصية التي تحترم القانون وتلتزم به جذرياً.

وتأخذ «العبادة» موقعها المشرق في منظومة الرؤية التوحيدية باعتبارها مدرسة ثقافة القانون.

وليس «المستحب» و«المكروه» إلا المدخل القانوني الحصري إلى بناء الشخصية في ضوء القانون الإلهي، لتكون قادرة على أن يبلغ احترامها لهذا القانون الحد الذي لا تفكر معه بأن تحوم حول الممنوع الذي يشمل تلقائيا ترك الواجب.

من هنا كان الإهتمام بالمستحب والمكروه عملية قانونية تُنتج بالمثابرة والمراس شخصية قانونية من الطراز الرفيع.

ولذلك كانت المستحبات سياج الواجبات، والمكروهات سياج المحرمات.

ومن هنا ـ في المقابل ـ كان عدم الإهتمام بالمستحب والمكروه، الطريق إلى ترك الواجب، والوقوع في الحرام. إن ترك الإهتمام بتطبيق القانون واحترامه، إعراض عنه ورفض تام له ولو بعد حين.

ولابدّ في هذا السياق من الإشارة إلى الغرائب التي تتضمنها روايات المستحبات خصوصاً في أعمال الأشهر الثلاثة وما يشبهها، والتي تشكل عادة رأس الجسر الذي ينفذ منه الشيطان والموسوسون إلى قلوب المعرضين عن هذه المستحبات.

لئن كان النزر القليل مما تمكن علم الطب من معرفته عن الجسد يحمل إلينا من غرائب الأمراض وتعقيدات العلاج ما يجعل فهم أكثره مقتصراً على الأخصائيين، في حين لا يملك غيرهم إلا الرجوع إليهم بمقتضى حكم العقل بالرجوع إلى المختص، فأي غرائب هي التي ينبغي توقعها في مجال النفس والروح، في الأمراض وفي سبل العلاج والنتائج على حد سواء؟

ولماذا لا نرجع إلى المختص وهو «المعصوم» لنلتزم بتعاليمه وإن كنا لا نفهمها، كما نلتزم بتعاليم الطبيب إلى حد أننا قد نخضع لعملية جراحية ونحن لا نفهم شيئاً مما يقول، إلا أن العقل يلزمنا بأن «نقلده» ونلتزم بتوجيهه.

*** المنهج**

تحتم الإشكالية المذكورة الوافدة، أن يجري التركيز في حديث «ثقافة الحكم الشرعي» على تلك المفاصل التي تُشن الحرب على هذه الثقافة من خلالها، ويجمع تلك المفاصل كلها «غير المألوف» و«المستغرب» مما تتضمنه الروايات، وهو ما يدعو إعطاء الأولوية لتثبيت حقيقتين:

١ ـ أن الإستغراب ليس مستنداً علمياً للنفي.

٢ ـ رفع الإستغراب وتقريب إمكانية وقوع المستغرب، فضلاً عن غير المألوف.

وهما أولويتان لا يغني عنهما الأصل الذي ينبغي انطلاقهما منه، وهو «صحة السند» لأن الإشكالية المذكورة لا تقنعها «العنعنات» مهما كان علوها، والحقيقة الصراح أن أصحابها لا يفرقون في هجومهم بين روايات الواجبات وبين روايات المستحبات، إلا أنهم لا يجرؤون على الأولى كجرأتهم على الثانية.

إنهم ينطلقون من تأليه «النكراء» التي يزعمون أنها العقل، لتنصيب المزاج البشري الإلتقاطي مقياساً للرفض والقبول، وربماً يعبد من دون الله تعالى.

من هنا فقد كانت الأولوية في هذه الأحاديث لمعالجة هذه الإشكالية، خصوصاً وأن المقطع الزمني الذي تم تقديمها فيه، مرحلة مابعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، حيث برز الإيمان كله إلى الكفر كله، وأصبح تقديم النص الديني أمام تحدي حسن مخاطبة الجمهور الجديد الذي دخل في دين الله أفواجاً من بوابة الإعجاب بفرادة الإسلام في مواجهة الطواغيت، والذي تمس حاجته إلى تعقل فذلكة العلاقة بين شعاري «**الموت لأمريكا**» و«**الموت لإسرائيل**» وبين «**مفاتيح الجنان**» وكتب الدعاء عموماً، بالإضافة إلى أن تقديم النص الديني في لبنان وفي إذاعة المقاومة الإسلامية يجعله في مصب الضوء بامتياز.

وقد ينفع التسجيل للمستقبل هنا أن الإشكالية التي كانت تحتم اعتماد هذا المنهج داخلية بالدرجة الأولى، فقد كان في الحالة الإسلامية ـ لا الجمهور الجديد وحسب ـ ذلك الطيف الذي لابدّ من مخاطبته بمحبة خاصة، تقتضي عناية خاصة بطريقة التقديم.

ولم يمكن الجمع بين اعتماد هذا المنهج وإيراد كل أدعية الأشهر الثلاثة، التي تضيق عنها أكثر كتب أعمالها، وهو ما جعل هذا الأكثر يكتفي بإيراد ما تيسر

ثم يُرجع في المطولات إلى «إقبال الأعمال» للسيد ابن طاوس عليه الرحمة.

وقد حرصت لدى إعادة النظر في هذه الأحاديث على إيراد أهم الأدعية، التي لم يكن يحتملها برنامج يومي.

كما عنيت باهتمام بأمرين:

١ ـ اعتماد كتاب «الإقبال» محوراً في تقديم المادة، باعتباره المرجع الأول والرئيس في هذا المجال، مع تسليط الضوء على شديد عناية السيد ابن طاوس عليه الرحمة بالسند، وشديد تواضعه العلمي واحترامه لآراء الأعلام المشهود لهم بسلامة المنهج، والذين يتصاغر أمامهم العلماء كما يعبر الإمام الخميني حول الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليهما.

٢ ـ إيراد آراء عدد من كبار العلماء، وخصوصاً الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، والشيخ الصدوق، مع تركيز خاص على آراء الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

ولقد كانت هذه «المناهل» رشحة من فيض إخلاص المجاهدين وبركات دماء الشهداء في المقاومة الإسلامية، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه ـ هذا إن كان ـ ولذلك فقد أهديتها إليهم، علَّها تُقبل بسببهم، كما جاء في «الإهداء».

اللهم إني إليك فقير، ومن عذابك بما كسبت يداي خائف مستجير.

اللهم إني أستودعك نفسي وأماناتي، ولا تضيع لديك الودائع.

وليس من صفاتك ياسيدي أن تأمر بالسؤال وتمنع العطية.

ألتمس المؤمنين الدعاء

حسين كوراني

٢ رجب ١٤٢٤ هجرية




١
شهر رمضان

* ضيافة الله
* أعمال الليلة الأولى
* اللقمة الحلال
* الأعمال العامة لليوم الأول
* الأعمال الخاصة
* دعاء اليوم الأول
* أعمال كل ليلة
* تقديم الصلاة، أو الإفطار؟
* آداب الإفطار
* ما بعد الإفطار
* صلاة كل ليلة
* ترجيح الأولى: الألف ركعة
* صلاة الليلة الثانية
* السحور
* آداب السحور
* نية الصوم
* أي صوم نريد؟




* ضيافة الله

ها نحن قد حططنا الرحال بفِناء ضيافة الرحمن الخاصة، فالحمد لله الذي بلَّغنا شهر الصيام والقيام، ونسأله سبحانه أن لا يجعل حظنا منه الجوع والعطش، فما هكذا الظن به ولا المعروف من فضله، وقد أمرنا أن نردد في رجب «**عادتك الإحسان إلى المسيئين**». وفي شعبان: «**إلهي لو أردت هواني لم تهدني**».

وهاهي بركات الشهر الكريم تتواصل، فترفع منسوب الأمل الواعد إلى أعلى مستوياته.

* ورد في خطبة رسول الله ﷺ:

أيها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة، فاسألوا ربكم أن لا يغلقها عليكم. وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربكم أن لا يفتحها عليكم. والشياطين مغلولة فاسألوا ربكم أن لا يسلطها عليكم.

هل معنى أن أبواب الجنان مفتحة أن درجة التسديد تجعل كثرة الثواب في المستوى الذي يتلازم مع ما يُعبَّر عنه مجازاً بفتح أبواب الجنان، أم أن هناك عملية فتح حقيقية لهذه الأبواب وغلق لأبواب النار؟

يظهر من الروايات وبعض كلمات العلماء الثاني ومع إمكان الحمل على الحقيقة لا يمكن أن يصار إلى المجاز.

ورد في الروايات الحديث عن فتح أبواب السماء أو أبواب الجنان إذا

أتبع المؤمن الصلاة على النبي بالصلاة على آله ﷺ[١].

كما ورد أن أبواب الجنان تفتح كل يوم في أوقات الصلاة، وقد ورد في الرواية تحديد سبب الفتح بصعود الأعمال[٢].

وقال صدر المتألهين رحمه الله تعالى:

«وإذا غُلقت أبواب النيران فُتحت أبواب الجنان، بل هي على شكل الباب الذي إذا فتح على موضع انسد عن موضع آخر، فعين غلق أبواب إحداهما عين فتح أبواب الأخرى[٣].

*** والشياطين مغلولة**

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

فصلٌ، فيما نذكره من شكر الله جل جلاله على تقييد الشياطين ومنعهم من الصائمين في شهر رمضان. إعلم ان الرواية وردت بذلك متظاهرة ومعانيها متواترة متناصرة، ونحن نذكر من طرقنا إليه ألفاظ الشيخ محمد بن يعقوب (الكليني) فإن كتبه كلها معتمد عليها، وقد روى عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: **كان رسول الله ﷺ يقبل بوجهه الى الناس فيقول: يا معشر الناس إذا طلع هلال شهر رمضان غُلَّت مردة الشياطين، وفتحت [أبواب السماء و] أبواب الجنان وأبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، واستجيب الدعاء، وكان لله فيه عند كل فطر عتقاء يعتقهم الله من النار، ومنادٍ ينادي كل ليلة: هل من سائل، هل من مستغفر، اللهم أعط كل منفق خلفا وأعط كل ممسك تَلَفاً، حتى إذا طلع هلال شوال نودي المؤمنون أن اغدوا الى جوائزكم فهو يوم الجائزة، ثم قال أبو جعفر** عليه السلام: أما والذي نفسي بيده ما هي بجائزة الدنانير والدراهم.

---

(١) إبن فهد الحلي، الرسائل العشر٤٣٨.

(٢) العلامة الحلي، منتهى المطلب (ط.ق) ١/ ٢١١.

(٣) ملا صدرا الشيرازي (صدر المتألهين) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ٥/ ٣٣١.

أضاف السيد: ورأيت حديث خطبة النبي ﷺ رواية أحمد بن محمد بن عياش في كتاب الأغسال، بنسخة تاريخ كتابتها ربيع الآخر سنة سبع وعشرين واربعمائة، يقول بأسناده إلى مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**لما كان أول ليلة من شهر رمضان قام رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد كفاكم الله عدوكم من الجن والإنس، ووعدكم الإجابة وقال ادعوني أستجب لكم، ألا وقد وكل الله سبحانه وتعالى بكل شيطان مريد سبعة من الملائكة، فليس بمحلول حتى ينقضي شهر رمضان، ألا وأبواب السماء مفتحة من أول ليلة منه الى آخر ليلة منه، ألا والدعاء فيه مقبول. حتى إذا كان أول ليلة من العشر قام فحمد الله وأثنى عليه وقال مثل ذلك ثم قام وشمَّر وشد المئزر وبرز من بيته واعتكف وأحيا الليل كله، وكان يغتسل كل ليلة منه بين العشائين**»[1].

* وتسأل: إذا كانت كل هذه المفردات قائمة في شهر الله تعالى خصوصاً أن الشياطين مغلولة فلماذا نُذنب إذاً؟

وينطلق هذا السؤال من تصور أن السبب الوحيد للذنب دائماً هو الشيطان، فإذا كانت الشياطين مغلولة فلماذا نقع في المعصية في شهر رمضان المبارك؟

وقد سأل أحدهم السيد ابن طاوس عليه الرحمة سؤالاً قريباً من هذا فقال له ما خلاصته: «أنا لا أجد اهتماماً من نفسي بالعبادة والدعاء في شهر رمضان، وتبقى حالتي الروحية التي كنت عليها قبل شهر رمضان هي نفسها في شهر رمضان والحال أن تقييد الشياطين ينبغي أن يتسبب بوضع جديد وحالة نفسية جديدة»؟

وقد أجابه السيد عليه الرحمة بإجابات عدة من جملتها قوله: «إن العبد

---

(١) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال ١/ ٧١ ـ ٧٣.

له قبل شهر رمضان ذنوب قد سوّدَت قلبه وعقله وصارت حجاباً بينه وبين الله جل جلاله فلا يُستبعد أن تكون ذنوبه السالفة كافية في استمرار غفلته فلا يؤثّر منع الشياطين عند الإنسان لعظيم مصيبته»[١].

خلاصة الجواب أن الإنسان قبل شهر رمضان المبارك إرتكب ذنوباً كثيرة، هذه الذنوب قد تكون وصلت إلى حد أنها سوّدت قلبه وعقله وأصبحت حجاباً بينه وبين الله عزّ وجلّ، وجعلته في غياهب غفلة كبيرة عن الله تعالى، ومع أن تقييد مرَدَة الشياطين يؤثر بشكل عام، إلا أن مثل هذا الغافل كلياً، يبقى يرتكب المعاصي برَخَم الذنوب التي ارتكبها. اللهم أعنّا على أنفسنا.

ونستطيع في ضوء ذلك أن ندرك أهمية الإستعداد لشهر الله تعالى قبل حلوله، وكذلك أهمية أن يبادر الإنسان في أي لحظة من لحظات الشهر المبارك ولو في آخرها إلى التوبة النصوح والتضرُّع، فيقول حاله قبل اللسان: إلهي إن لم ترحمني فمن يرحمني، إلهي من أنا حتى تغضب عليّ، ويصرّ في طلب التوبة وأن تكون هذه التوبة صادقة نصوحاً، وإن عجز حالنا عن ذلك فلا أقل من التوسل للحصول عليه.

وقد تناول آية الله التبريزي رضوان الله عليه، هذه النقطة ـ إذا كانت الشياطين تُغَلّ وتُقَيَّد فلماذا نقع في المعاصي في شهر رمضان ـ فأكد على ضرورة الإعتقاد بهذه المفردات التي وردت في الخطبة المباركة «أبواب الجنان مفتَّحة، وأبواب النيران مغلَّقة، والشياطين مغلولة» ثم قال في معرض هذا التأكيد:

«ولقد حُكِيَ عن بعضهم أنه كان لا يرى من غَلِّ الشياطين في شهر رمضان كثيرَ نفع، وكأنه صعُب عليه تصديق ذلك أو فهم المراد منه مع العلم

(١) السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال ١/ ٧٤.

أن الأثر لتقييد الشياطين محسوس في شهر رمضان وهو أمر ظاهر، لما نراه من كثرة العبادات والخيرات في شهر الله تعالى ولا يشك فيه أحد، ومن عرف حقيقة الشيطان وجِهة ارتباطه مع الإنسان ومداخِلَه، يعرف أن نفس الإمتناع عن الطعام والشراب لا سيما إذا اقترن بكفّ الإنسان عن كثرة الكلام، سببٌ لمنع تصرف الشياطين في قلب الصائم، كما أُشيرَ إلى ذلك في قولهم عليهم السلام **«ضيّقوا مجاريه بالجوع وإنه يجري في بدن الإنسان مجرى الدم»**.

ويضيف آية الله التبريزي عليه الرحمة:

«وعلى أي حال فهذا الذي نشاهده من عامة الناس من كثرة العبادات والخيرات والقربات في شهر رمضان شيءٌ لا يُنكَر، نعم ليس هذا بالنسبة إلى جميع الشياطين وبالنسبة إلى جميع المكلّفِين وهذا أمر ظاهر لأهله كما صرّح تقييده في بعض أخبار الباب بمَرَدَة الشياطين»[1].

* والخلاصة أن السيد ابن طاوس عليه الرحمة أورد الروايات المختلفة التي يؤكد بعضها أن كل الشياطين تُقيَّد في شهر رمضان، فيما يؤكد البعض الآخر أن الشياطين الكبار هي التي تُقيَّد، وهذا معنى مَرَدَة الشياطين، ورغم ذلك فإن الظاهر من كلامه أنه يتبنّى أن كل الشياطين تُقيَّد في شهر الله تعالى، أما آية الله التبريزي عليه الرحمة فظاهر كلامه أنه يرى أن المَرَدَة تُقيَّد، أي الشياطين الكبار، وهذا يعني أن الذين يشعرون بفارق أساسي في شهر رمضان هم الذين يتصدى للتأثير عليهم والوسوسة لهم الشياطين الكبار أي المَرَدَة.

ويمكن فهم هذه الحقيقة في ضوء عمل الأجهزة الأمنية في العالم، فإن كل شخص تركّز عليه أجهزة المخابرات الشيطانية بحسب حجمه، وليس من الطبيعي أن يتولى شيطان كبير في المخابرات الأمريكية أو الموساد ملفاً لشخص عادي لا يشكّل خطراً أساسياً ونوعياً على أعداء الله، أما إذا بلغ

---

(١) آية الله الملكي التبريزي، المراقبات، أعمال السنة ١٠٤ (ط: مكتبة الشفيعي، أصفهان ١٣٤٣ هجرية).

شخص مرحلة من الخطورة بحيث أن وضعه أصبح يرتبط بأمن هذه الجهة الكافرة أو تلك فإن من الطبيعي أن يتولى ملفّه شيطان كبير، وهذا هو المراد ـ بناءً على رأي آية الله التبريزي عليه الرحمة ـ من أن مَرَدَة الشياطين تتولى ملفّات المؤمنين الأساسيين، وعباد الله الصالحين، وأن الذين يُقيَّدون في شهر رمضان هم مَرَدَة الشياطين، ومعنى ذلك أن الذين يرتاحون من وساوس الشياطين في شهر رمضان، هم هؤلاء الزهاد العُبّاد، أما أنا وأمثالي فإن من يتولى الوسوسة لنا هم الأبالسة الصغار، وشياطين عاديون، وهؤلاء لا يُقيَّدون في شهر رمضان بناءً على هذا الرأي الذي يتبنّاه آية الله التبريزي عليه الرحمة.

والواقع أن ظاهر الروايات أن الشياطين كلها تُقيَّد وعندما نجد حديثاً عن تقييد المَرَدَة فهوتفصيل بعد الإجمال، يرِد في مقام بيان خصوصيات معيَّنة لا تتنافى مع كون غيرهم أيضاً يُقيَّد، وما ذكره السيد ابن طاووس عليه الرحمة وجيه، وهو أن الإنسان يصل إلى مرحلة يصبح هو شيطاناً، فحتى إذا كانت الشياطين مقيَّدة فيصبح هو يوسوس لنفسه، من قبيل أن شخصاً مثلاً وصل في ارتكاب المعاصي والحرام إلى حد أنه أصبح يجُرّ غيره إلى الحرام والمعصية، فليس بحاجة إلى أن يجُرّه أحد، إنه يمتلك من الشيطنة «الإكتفاء الذاتي» و«الإستقلال» بالشيطنة.

يستطيع الإنسان بيُسْر أن يكتشف بالتأمل في أجواء شهر رمضان المبارك، أن هناك فارقاً أساسياً، بين ما كان الناس عليه أمس قبل دخول الشهر، وبين ما هم عليه اليوم وقد حل شهر رمضان. إنك ترى الناس في وضع جديد، وحتى أولئك الذين لا يعرفون القِبلة كما يقال، ولا يهتمون بالدين والتديُّن على مدار السنة، فإنهم يقبلون على الخيرات والمبرات، ومنهم من يصلي ويصوم، ويقرأ القرآن.

يتعاظم الإهتمام بالأعمال الصالحة بشكل عام، وتبدأ تسمع من الجميع: إننا في شهر الله تعالى، وأن للشهر حرمته، ولا يمكن تفسيرذلك تفسيراً مادياً.

وفي المقابل نلمس بالوجدان أن المعاصي تُرتكب حتى في شهر الله تعالى، بل إن الصائمين أو المهتمين بشهر الله تعالى بأي درجة لا يُحصّنون منها بحيث لا تصدر منهم، وهو واضح.

ولابدّ في ضوء هذا وذاك والتأكيد النبوي على أن الشياطين مغلولة، من حمل ذلك على ما تقدم ذكره من أن الذين يقعون منا في المعاصي في شهر رمضان، فإن ذلك نتيجة عكوفهم السابق على الذنوب التي طبعت العقل والقلب والشخصية عموماً بطابعها. والله تعالى المستعان.

إن الإدمان على الذنوب يجعل صاحبه كالمدمن على المخدرات الذي لا يعني تقييد من يوسوس له أن هذا المدمن أصبح غير قادرعلى تعاطي المخدرات، بل يعني أنه قد تهيأ له مناخ مناسب للإقلاع عما أدمنه.

ويكشف التأمل في النصوص حول شهر الله تعالى أن كل العناصر التي يوفرها الله تعالى فيه تهدف إلى تأمين المناخ الأفضل للتوبة الصادقة النصوح والإقلاع عن إدمان المعاصي وأي لون من ألوان تعاطيها.

وفي هذا السياق يقع الحديث حول أن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة وأبواب النيران مغلقة والشياطين مغلولة.

*** أعمال الليلة الأولى**

تقدم الحديث بالتفصيل عن أعمال الليلة الأولى في عمل آخر يوم من شعبان، وأورده هنا بتمامه.

«أما ما يتعلق بالليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، فالمطلوب أولاً، أن نهتم قبل حلولها أو أول حلولها بالإستهلال فنكون جاهزين للإستهلال قبل غروب الشمس.

والإستهلال كما ذكرت في أول شهر رجب وأول شهر شعبان، ينبغي أن نوليه أهمية قصوى حتى في غير شهر رمضان المبارك لأننا عندما نجد عملاً

معيّناً في اليوم الفلاني من ذي القعدة أو اليوم الفلاني من محرم، فإن الدقة في الإتيان به تستدعي الإهتمام بضبط أول الشهر خصوصاً هلال شهر رمضان المبارك.

ثم إن هذه الليلة الأولى هي افتتاح هذا الموسم الإلهي، موسم شهر رمضان المبارك، وبما أن كل التركيز على شهري رجب وشعبان من أجل شهر رمضان، وها قد أطل الشهر الكريم العظيم، فكيف نستقبله؟

لقد كان كل ما تقدم من اهتمام بمراقبة النفس والعبادة، من أجل أن نرفع من مستوى تفاعلنا واستقبالنا لشهر الله تعالى.

للساعات الأولى من الضيافة ـ أي ضيافة ـ أهمية خاصة، قد تترك ظلالها على كل فترة الضيافة، وقد تتحكم بالنتائج التي تحصل منها، ولابدّ للقلب من التنبه بامتياز لهذه الخصوصية، فيغتنم فرصة مستهل ضيافة الرحمن، ويأخذ بنصيب وافر من الدعاء، لاسيما وأن أجواء شهر الله تعالى لم تلوَّث بعد بذنوبه ولا بذنوب غيره، وإن كان، فما تزال الأمور في بداياتها، وليحذر القلب من أن يكون حاله كحال من شارك في ضيافة، وعندما أزفت ساعة الدخول إلى رحاب صاحب الدعوة انشغل عنه بأمور هامشية، رغم أنه يرى الجميع منصرفين إلى السلام عليه والحديث معه، والقيام بفروض التحية والإحترام.

إذا تنبه القلب لذلك عرف أن أول ليلة من شهر رمضان جديرة بالإستعداد لها لاغتنام كل ما أمكن من لحظاتها.

في ضوء ذلك يجدر أن نأخذ نصيبنا الوافي من بركات الإقبال والتوجه في فترة استقبال الشهر الكريم.

وقد وردت لليلة الأولى التي هي مستهل هذا الموسم الإلهي ومفتتحه، أعمال خاصة، وفيها يعتق الله تعالى أعداداً كبيرة من الخلق، فهل نعمل بما يرفع من مستوى رجائنا أن تكون رقابنا من بين تلك الرقاب؟

عن الإمام الصادق عليه السلام : **«إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاعفهم، فإذا كانت الليلة التي تليها ضاعف كل ما أعتق حتى إذا كانت آخر ليلة في شهر رمضان ضاعف مثلما أعتق في كل ليلة»**[١].

و في بعض الروايات ورد أن عدد من يعتقهم الله تعالى في الليلة الأولى كبير جداً[٢] وفي الليلة الثانية يضاعف العدد، وكذلك في الليلة الثالثة، وهكذا إلى آخر ليلة من شهر رمضان فيصل العدد كما هو واضح إلى ما لا يمكن لنا تصوره.

وقد أورد الشيخ المفيد عليه الرحمة والرضوان، في أماليه ما يلي:

«وإن لله تعالى في آخر كل يوم من شهر رمضان عند الافطار ألف ألف عتيق من النار، فإذا كانت ليلة الجمعة ويوم الجمعة أعتق في كل ساعة منهما ألف ألف عتيق من النار وكلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان في آخر [يوم من] شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر إلى آخره»[٣].

عندما يهتم الإنسان بعتق رقبته من النار ويفتتح هذا الموسم الإلهي بطلب الرحمة فإنه يعبّر بذلك عن يقظة وتنبّه خاصين، وعن خروج من الغفلة، فيصبح أكثر استحقاقاً للرحمة الإلهية ويختلف حاله جذرياً عمّن يمضي هذه الليلة غافلاً عن افتتاح الموسم الإلهي الكبير، موسم الضيافة الخاصة والرحمة الأوسع، ورحم الله من بذل قصارى جهده في الدعاء لغيره، فإن في ذلك مظنة قبوله وقضاء جميع حوائجه.

وفي أدب الدخول إلى ضيافة الرحمن، قال السيد:

---

(١) الإقبال ١/٢٨ بتصرف يسير.
(٢) أنظر: علي بن بابويه، فقه الرضا عليه السلام ٢٠٥.
(٣) الشيخ المفيد، الأمالي ٢٣١.

«ويكون على الجالس (في هذه الضيافة) المخالف لصاحب الرسالة، آثار الحياء والخجالة، لأجل ما كان قد أسلف من سوء المعاملة لمالك الجلالة، وليظهرْ عليه من حسن الظن والشكر للمالك الرحيم الشفيق كيف شرَّفه بالإذن له في الدخول والجلوس مع أهل الإقبال والتوفيق إن شاء الله تعالى»[١].

أضاف السيد عليه الرحمة والرضوان:

«واعلم انني لما رأيت ان شهر رمضان أول سنة السعادات بالعبادات، وأن فيه ليلة القدر التي فيها تدبير أمور السنة وإجابة الدعوات، اقتضى ذلك أني أوَدِّع السنة الماضية وأستقبل السنة الآتية بصلاة الشكر كيف سَلَّمني من أخطار ذلك العام الماضي، وشرفني بخِلَع التراضي وأغناني عن التقاضي، وفرَّغني لاستقبال هذا العام الحاضر، ولم يمنعني من الظفر بالسعادة والعبادة فيه بمرض ولا عرض باطن ولا ظاهر. «..» ثم إنني أحضر هذا الكتاب، عمل شهر الصيام، وأُقبِّله وأجعله على رأسي وعيني، وأضمه إلى صدري وقلبي، وأراه قد وصل إليّ من مالك أمري ليفتح به علي أبواب خيري وبري ونصري، وأتلقاه بحمدي وشكري وشكر الرسول الذي كان سببا لصلاح أمري، كما اقتضى حكم الإسلام تعظيم المشاعر في البيت الحرام وتقبيلها بفم الاحترام والإكرام. «..» ثم إنني أبدأ بالفعل، فاسأل الله جل جلاله العفو عما جرى من ظلمي له وحيفي عليه، وكلما هونت به من تطهير القلب وإصلاحه لنظر الله جل جلاله إليه، والعفو عن كل جارحة أهملت شيئا من مهماتها وعباداتها والإجتهاد في التوبة النصوح من جناياتها والصدقة عن كل جارحة بما تهيأ من الصدقات، لقول الله جل جلاله: إن الحسنات يذهبن السيئات. أتصدق عن أيام السنة المستقبلة عن كل يوم وليلة برغيف، لأجل ما رويناه من فضل الصدقة وفائدته»[٢].

---

(١) الإقبال ١/ ٧٠.

(٢) المصدر ٧١.

وينبغي للمؤمن أن يعطي الأولوية المطلقة بدءاً من أول هذه الليلة، لقراءة القرآن الكريم، وذكر الله تعالى وخاصة الإستغفار، اللذين ورد الحث عليهما بعناية خاصة في جميع أوقات شهر الله تعالى.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض» فغرة الشهور شهر الله وهو شهر رمضان وقلب شهر رمضان ليلة القدر، ونزل القرآن في أول ليلة من شهر رمضان فاستقبل الشهر بالقرآن**»(١).

وعنه عليه السلام: «**قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: عليكم في شهر رمضان بكثرة الإستغفار والدعاء فأما الدعاء فيدفع به عنكم البلاء وأما الإستغفار فيمحو ذنوبكم**»(٢).

ويتضح بالتأمل في الروايات ـ وماذكره السيد ابن طاوس عليه الرحمة في تطبيقها ـ أهمية مراعاة هذا التسلسل في أعمال هذه الليلة:

١ ـ أدعية رؤية الهلال وهي كثيرة جداً وقد استظهر السيد في الإقبال في استقصائها، فلتراجع، وسيأتي بعضها.

٢ ـ الغسل. وينبغي الإتيان به مقارناً للغروب.

٣ ـ الصلاة الواجبة، وصلاة الشكر.

٤ ـ زيارة سيد الشهداء عليه السلام، والأصل الزيارة من قرب، ولا تترك الزيارة من بُعد.

٥ ـ أدعية الليلة.

٦ ـ الصلوات الخاصة.

---

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه ٢/٩٩.

(٢) الكليني، الكافي ٤/٨٨. بتصرف يسير

وفي ما يلي توضيحات حول كل منها:

*** الدعاء عند رؤية الهلال**

أول ما ينبغي أن نستقبل به هذه الليلة المباركة عند رؤية الهلال المبارك هو الدعاء، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا أهل هلال شهر رمضان استقبل القبلة ورفع يديه فقال:

«اللهم أهله علينا بالامن والايمان، والسلامة والاسلام والعافية المجللة، والرزق الواسع ودفع الأسقام، اللهم ارزقنا صيامه وقيامه وتلاوة القرآن فيه، اللهم سلمه لنا وتسلمه منا وسلمنا فيه»[1].

وفي رواية ثانية:

«اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والعافية المجللة، والرزق الواسع ودفع الأسقام، والعون على الصلاة والصيام والقيام، وتلاوة القرآن، اللهم سلّمنا لشهر رمضان وتسلَّمه منا وسلِّمنا فيه حتى ينقضي عنا شهر رمضان وقد عفوت عنا وغفرت لنا ورحمتنا»[2].

كذلك ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: كان علي عليه السلام، إذا كان بالكوفة يخرج والناس معه يتراءى هلال شهر رمضان (أي ليستهل) فإذا رآه قال: **«اللهم أهِلَّه علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام وصحة من السقم وفراغ لطاعتك من الشغل واكفِنا بالقليل من النوم، يارحيم»**[3].

وهكذا نجد أننا أمام عناوين أساسية تحدد لنا ما ينبغي لنا أن نهتم به في شهر رمضان المبارك، وهو كما يلي:

---

(١) الكليني، الكافي ٤/ ٧٠ ـ ٧١.

(٢) المحدث القمي، مفاتيح الجنان. والإقبال ١/ ٦٣.

(٣) الإقبال ١/ ٦٥ والمحدث النوري، مستدرك الوسائل ٧/ ٤٤٢ وانظر: بإضافة كلمة «يارحيم».

١ ـ القيام فيه، وعلى الأقل نهتم بالدعاء للتوفيق للقيام، وطلب ذلك من الله عزّ وجلّ، والمراد بالقيام الصلاة والتهجد.

٢ ـ الدعاء للتوفيق للصيام وهو يشمل، التوفيق لأصل الصوم، ثم لقبوله.

٣ ـ وتلاوة القرآن، فهو شهر القرآن الكريم، ومن أمضى الشهر ولم يكن له مع كتاب الله تعالى شأن خاص، فخسارته كبيرة جداً.

٤ ـ والحرص على الأمن والإيمان والسلامة، وهي مفردات متلازمة، فلا أمن ولا سلامة إلا بالإيمان.

٥ ـ وينبغي أن نقدم الدليل على صدق العزم في ما نطلب من الله عزّ وجلّ فنطلب بصدق أن نكتفي بالنوم القليل، إدراكاً لأهمية الشهر الإستثنائية، وانسجاماً مع الإعتقاد بواجب اغتنام الفرص، والتعرض للنفحات الإلهية وعدم الإعراض عنها بتقطيع الوقت بالنوم، مما تكون النتيجة معه هو النوم في شهر رمضان أكثر من أي وقت آخر، وربما كان ذلك من علامات سوء التوفيق.

إننا أمام فرصة إلهية فريدة لا يصح أن نضيع شطراً منها بالنوم الذي إن زاد على حاجة الجسم فلا داعي له إطلاقاً، فينبغي أن يعرف الصائم المقدار الضروري لجسده من النوم، ليتفرغ للعبادة.

*** الغُسل**

من مستحبات الليلة الأولى من شهر رمضان المبارك، الغُسل، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**يستحب الغسل في أول ليلة من شهر رمضان وليلة النصف منه**» وتحدد رواية وقت هذا الغسل «**أول الليل**» وفي رواية ثانية أنه «**بين صلاة المغرب والعشاء**» ولكن السيد ابن طاوس اختار أن وقته «قبل العشاء».

كما تتضمن رواية ثالثة فائدة هامة لهذا الغسل في أول ليلة من شهر رمضان، وهي أن من يصاب عادةً بالحكّة في جسده فإنه باستطاعته أن يداوي هذه الحكّة بهذا الغسل المستحب.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أحب أن لا يكون به الحكّة فليغتسل أول ليلة من شهر رمضان فإنه من اغتسل في أول ليلة منه لا يصيبه حكّة إلى شهر رمضان من قابل**»[١].

وفي رواية أخرى ذكر طريقة خاصة للغسل في هذه الليلة:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من اغتسل أول ليلة من شهر رمضان في نهر جارٍ ويصب على رأسه ثلاثين كفاً من الماء، طَهُر إلى شهر رمضان من قابل**»[٢].

*** صلاة الشكر**

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أنعم الله عزّ وجلّ عليك بنعمة فصل ركعتين، تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، وتقرأ في الثانية بفاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون، وتقول في الركعة الأولى في ركوعك وسجودك: الحمد لله، شكراً شكراً وحمداً، وتقول في الركعة الثانية في ركوعك وسجودك: الحمد لله الذي استجاب دعائي وأعطاني مسألتي**»[٣].

والنية التي تنبغي في هذه الصلاة في بداية شهر رمضان، كما تقدم في كلام السيد، شكر الله تعالى على نعمة السلامة من أخطار السنة الماضية،

---

(١) أنظر في كل ما تقدم حول الغسل: الإقبال ١/ ٥٥ والكافي ٣/ ٤٠

(٢) المصدر. وانظر في استحباب الغسل في أول ليلة: الشيخ الصدوق، من لايحضره الفقيه ١/ ٧٩ والشيخ المفيد، المقنعة ٥١ وفي توقيته: الحر العاملي، الوسائل ٣/ ٣٢٥.

(٣) المجلسي، البحار ٨٨/ ٣٨٤ نقلاً عن مصباح المتهجد ، ومكارم الأخلاق. وانظر: الشيخ المفيد، الأشراف ٢٩ ـ ٣٠، والطبرسي، مكارم الأخلاق ٣٢٧.

ونعمة التوفيق للدخول في هذه السنة الجديدة، والإذن بالمشاركة في ضيافته سبحانه، والتوفيق للصيام.

*** زيارة سيد الشهداء عليه السلام**

وقد ورد في أعمال هذه الليلة التأكيد على زيارة سيد الشهداء عليه السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: انه سئل عن زيارة أبي عبد الله عليه السلام فقيل: هل في ذلك وقت هو أفضل من وقت؟ فقال: «**زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين فان زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير ومن قلل قُلّل له، وتحروا بزيارتكم الأوقات الشريفة، فان الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته. قال: فسئل عن زيارته في شهر رمضان؟ فقال: من جاءه عليه السلام خاشعاً محتسباً مستقيلاً مستغفراً، فشهد قبره في إحدى ثلاث ليال من شهر رمضان: أول ليلة من الشهر أو ليلة النصف أو آخر ليلة منه، تساقطت عنه ذنوبه وخطاياه التي اجترحها، كما يتساقط هشيم الورق بالريح العاصف، حتى أنه يكون من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وكان له مع ذلك من الأجر مثل أجر من حج في عامه ذلك واعتمر، ويناديه ملكان يسمع نداءهما كل ذي روح الا الثقلين من الجن والإنس، يقول أحدهما: يا عبد الله طَهُرْتَ فاستأنف العمل، ويقول الآخر: يا عبد الله أحسنت فأبشر بمغفرة من الله وفضل**»[1].

والمراد في الرواية هو الزيارة من قرب أي أن يذهب الزائر إلى كربلاء، ويتشرف بزيارة الإمام عليه السلام، إلا أن الزيارة من بُعد أيضاً ذات فضل كبير فينبغي أن لا تُترك خصوصاً مع تمني الزيارة وعدم التمكن منها.

(١) المصدر ١/٤٥ ـ ٤٦.

* أدعية الليلة الأولى

وأما الأدعية التي ينبغي أن تُقرأ في هذه الليلة المباركة فلا يتّسع المقام للحديث عنها بالتفصيل إلا أني أذكر بعضها وأُشير إلى مصادر البعض الآخر.

١ ـ دعاء الإمام السجاد عليه السلام عند دخول شهر رمضان، وهو الدعاء الرابع والأربعون من أدعية الصحيفة السجادية.

واعلم أن أول كل شهر هو عند رؤية هلاله، قال السيد:

«ورأيت في كتاب صغير عندنا أوله مسألة للمفيد محمد بن محمد بن النعمان في عصمة الأنبياء عليهم السلام أنه سئل عن أول الشهر أهو الليل أم النهار، فقال: أوله الليل»[1].

٢ ـ قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة: ورويت هذا الدعاء بعدة طرق، وانما ذكر هاهنا لفظ ابن بابويه من كتاب من لا يحضره الفقيه، فقال ما هذا لفظه:

«وروي عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام فقال: أدع بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبل دخول السنة، وذكر أن من دعا به مخلصاً محتسباً لم يصبه في تلك السنة فتنة ولا آفة في دينه ودنياه وبدنه، ووقاه الله شر ما يأتي به في تلك السنة: اللهم إني أسألك باسمك الذي دان له كل شيء، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، وبعزتك التي قهرت بها كل شيء، وبعظمتك التي تواضع لها كل شيء، وبقوتك التي خضع لها كل شيء، وبجبروتك التي غلبت كل شيء، وبعلمك الذي احاط بكل شيء. يا نور يا قدوس، يا أول قبل كل شيء، ويا باقي بعد كل شيء، يا الله يا رحمن صل على محمد وآل محمد واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل النقم،

(١) الإقبال ١/١١٥.

واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء، واغفر لي الذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، وألبسني درعك الحصينة التي لا ترام، وعافني من شر ما أخاف بالليل والنهار في مستقبل سنتي هذه. اللهم رب السموات السبع، ورب الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن وربَّ العرش العظيم، ورب السبع المثاني والقرآن العظيم، ورب اسرافيل وميكائيل وجبرئيل، ورب محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين. أسألك بك وبما تسميت به، يا عظيم انت الذي تمن بالعظيم، وتدفع كل محذور، وتعطي كل جزيل، وتضاعف من الحسنات الكثير بالقليل وتفعل ما تشاء. يا قدير يا الله يا رحمن، صل على محمد وآل محمد وألبسني في مستقبل سنتي هذه سترك، واضيء وجهي بنورك، وأحبَّني بمحبتك، وبلِّغ بي رضوانك، وشريف كرائمك وجزيل عطائك، من خير ما عندك ومن خير ما أنت معطيه أحداً من خلقك سوى من لا يعدله عندك أحد في الدنيا والآخرة وألبسني مع ذلك عافيتك. يا موضع كل شكوى، ويا شاهد كل نجوى، ويا عالم كل خفية، ويا دافع ما تشاء من بلية، يا كريم العفو، يا حسن التجاوز، تَوَفَّني على ملة إبراهيم وفطرته، وعلى دين محمد ﷺ وسنته، وعلى خير الوفاة فتوفني، موالياً لأوليائك ومعادياً لأعدائك. اللهم وامنعني [في هذه السنة] من كل عملٍ أو فعل أو قول يباعدني منك، واجلبني إلى كل عمل أو فعل أو قولٍ يقربني منك في هذه السنة يا أرحم الراحمين، وامنعني من كل عمل أو فعل أو قول يكون مني أخاف سوء عاقبته وأخاف مقتك إياي عليه، حذار أن تصرف وجهك الكريم عني، فأستوجب به نقصاً من حظ لي عندك، يا رؤوف يا رحيم. اللهم اجعلني في مستقبل هذه السنة، في حفظك وجوارك وكنفك، وجللني عافيتك، وهب لي كرامتك، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. اللهم اجعلني تابعاً

لصالحي من مضى من أوليائك، وألحقني بهم، واجلعني مسلِّماً لمن قال بالصدق عليك منهم. وأعوذ بك يا إلهي أن تحيط بي خطيئتي وظلمي وإسرافي على نفسي، واتّباعي لهواي واشتغالي بشهواتي، فيحول ذلك بيني وبين رحمتك ورضوانك، فأكون منسياً عندك متعرضاً لسخطك ونقمتك. اللهم وفقني لكل عمل صالح ترضى به عني، وقَرِّبني إليك زلفى، اللهم كما كفيت نبيك محمداً صلواتك عليه وآله هول عدوه، وفرَّجت همه، وكشفت كربه، وصدَقْتَه وعدك، وأنجزت له عهدك. اللهم فبذلك فاكفني هول هذه السنة وآفاتِها، وأسقامَها وفتنها وشرورها وأحزانها، وضيق المعاش فيها، وبلِّغني برحمتك كمال العافية، بتمام دوام النعمة عندي إلى منتهى أجلي. أسألك سؤال من أساء وظلم، واستكان واعترف، أن تغفر لي ما مضى من الذنوب التي حَصَرَتْها حَفَظَتُك، وأحصاها كِرام ملائكتك عليّ، وأن تعصمني اللهم من الذنوب فيما بقي من عمري الى منتهى أجلي. يا الله يا رحمن صلِّ على محمد وأهل بيت محمد، وآتني كلما سألتك ورغبت فيه إليك، فإنك أمرتني بالدعاء وتكفلت بالإجابة، يا أرحم الراحمين»[1].

٣ ـ وقال السيد أيضاً:

«دعاء آخر وجدناه في كتاب ذُكر أنه بخط الرضي الموسوي رحمه الله، فيه أدعية، يقول فيه: ويقول عند دخول شهر رمضان: «**اللهم إن هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن، هدى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان قد حضر. يا رب أعوذ بك فيه من الشيطان الرجيم، ومن مكره وحِيَله، وخداعه وحبائله، وجنوده وخيله، ورَجِله ووساوسه، ومن الضلال بعد الهدى، ومن الكفر بعد الإيمان، ومن النفاق والرياء والجنايات، ومن شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس. اللهم وارزقني**

---

(١) الإقبال ١/ ١١٦ ـ ١١٨. مصححاً جزئياً على ما نقله عنه في البحار ٩٤/ ٣٤١ ـ ٣٤٣. وانظر: الكليني، الكافي ٤/ ٧٢.

صيامه وقيامه، والعمل فيه بطاعتك، وطاعة رسولك وأولي الأمر عليه وعليهم السلام، وما قرَّب منك، وجنبني معاصيك، وارزقني فيه التوبة والإنابة والإجابة، وأعذني فيه من الغيبة والكسل والفشل، واستجب لي فيه الدعاء، وأصحَّ لي فيه جسمي وعقلي، وفرغني فيه لطاعتك وما قرَّب منك، يا كريم يا جواد يا كريم، صل على محمد وعلى أهل بيت محمد عليه وعليهم السلام، وكذلك فافعل بنا يا ارحم الراحمين»[١].

٤ ـ دعاء الجوشن الكبير، فقد ورد الحث الشديد على قراءته في هذه الليلة، فالثواب الذي يعطاه قارئه عظيم، وختام هذا الثواب أن من دعا بهذا الدعاء ينادى: «**أُدخل الجنة بغير حساب**»[٢].

وأدعية الليلة الأولى من شهر رمضان كثيرة جداً، وردت في الكافي والبحار والوسائل، وغيرها، وقد استقصاها السيد ابن طاوس عليه الرحمة والرضوان في «إقبال الأعمال»[٣] ومن لم يتيسر له الرجوع إليه فيمكنه الرجوع إلى «مفاتيح الجنان» فقد أورد المحدث القمي شطراً منها ضمن القائمة الوافية التي أوردها لأعمال الليلة.

* الأدعية العامة للّيالي

وينبغي التنبه إلى أن ما تقدم كان حول الأدعية الخاصة بالليلة الأولى، وهناك أدعية تقرأ في كل ليلة بما يشمل الليلة الأولى، وأشهرها دعاء الإفتتاح، وينبغي البدء بأدعية الليالي، العامة في هذه الليلة فليلاحظ.

ومن الأدعية العامة في كل ليلة، هذا الدعاء:

---

(١) المصدر ١/١١٨ ـ ١١٩.

(٢) الكفعمي، (الشيخ ابراهيم، الوفاة حوالي ٩٠٠هـ) المصباح ٢٤٧ (ط: حجرية، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣م) وانظر: المجلسي، البحار ٧٨/٣٣١ والمحدث القمي، مفاتيح الجنان، ومنازل الآخرة ١٩٨ (ت: السيد ياسين الموسوي).

(٣) أنظر: الإقبال ١/٤٤ و٦٣ و٧٦ و١١٠ و١٤٥ ـ ١٤٨.

«اللهم رب شهر رمضان الذي انزلت فيه القرآن، وافترضت على عبادك فيه الصيام، صل على محمد وآل محمد وارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام، واغفر لي تلك الذنوب العظام، فإنه لا يغفرها غيرك يا رحمن يا علام».

وقد ورد في ثوابه: «من قال هذا الدعاء في كل ليلة من شهر رمضان غفرت له ذنوب اربعين سنة»[١].

*** صلاة الليلة الأولى**

ينطبق هذا العنوان على أربع صلوات:

الأولى: قال السيد في الإقبال: محمد بن أبي قرة في عمل أول يوم من شهر رمضان عن العالم صلوات الله عليه، قال: من صلى عند دخول شهر رمضان بركعتين تطوعاً قرأ في أولهما أم الكتاب وإنا فتحنا لك فتحاً مبيناً والأخرى ما أحب رفع الله عنه السوء في سنته ولم يزل في حرز الله إلى مثلها من قابل»[٢].

ومن الواضح أن تعبير «عند دخول شهر رمضان» هو من الرواية، ويتحقق ذلك بحلول أول ليلة منه كما تقدم عن الشيخ المفيد، وليس في الرواية أن الصلاة من «عمل أول يوم».

الثانية: مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، وهي أطول بكثير، وهي عبارة عن ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة الأنعام. «وقد ورد في ثوابها

---

(١) المصدر ١/ ١٤٤.

(٢) المصدر ١/ ١٩٨، وعنه: الحر العاملي، الوسائل ٨/ ٤١. وليلاحظ أن هذه الصلاة لم ترد بعنوان صلاة الليلة الأولى، بل بعنوان «عند دخول شهر رمضان» وقد نقلها السيد ابن طاوس عن كتاب ابن أبي قرة في «عمل أول يوم من شهر رمضان» إلا أن السيد ـ كما تقدم في فقرة أدعية الليلة الأولى ـ يصرح بأن أول الشهر هو أول ليلته الأولى، وعليه فيقتضي الإستظهار والإحتياط أن يؤتى بهذه الصلاة مرتين، في الليلة الأولى وفي اليوم الأول، مع إمكان الإكتفاء بالإتيان بها في الليلة الأولى. والله العالم.

كفاه الله تعالى ما يخافه من ذلك الشهر ووقاه من المخاوف والأسقام»(١)

وليست هذه الصلاة خاصة بالليلة الأولى من شهر رمضان، بل تصلى في أول ليلة من كل شهر.

الثالثة: خاصة بهذه الليلة، وهي مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر صلاة كل ليلة من ليالي شهر رمضان، وقد ورد فيها:

«من صلى في أول ليلة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وخمس عشرة مرة (قل هو الله أحد) أعطاه الله ثواب الصديقين والشهداء، وغفر له جميع ذنوبه وكان يوم القيامة من الفائزين»(٢).

الرابعة: وهي صلاة تقع ضمن ترتيب معيّن لصلوات شهر رمضان المبارك، وحصة هذه الليلة من هذا الترتيب هي عشرون ركعة، ثماني ركعات منها بعد المغرب، واثنا عشرة ركعة بعد العشاء (كل ركعتين بتسليمة) يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاث مرات أو خمس مرات أو سبع مرات أو عشر مرات، يختارالمصلي العدد الذي يناسبه.

و يأتي الحديث عنها بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

* اللقمة الحلال

وفي طليعة أولويات الإهتمام بشهر رمضان، التدقيق في المكسب والدخل المالي عموماً، حذراً من أن يكتشف الصائم متأخراً أنه كان في ضيافة الله تعالى كاللص الذي يشارك في ضيافة من سرق منه وهو يلبس من الثياب التي كانت من جملة ما سرق.

إن عدم التدقيق في الدخل المالي وسائر الممتلكات قد يجعل الصائم أيضاً يأكل طعاماً مختلطاً بالحرام الذي سُرق من الفقراء والمحتاجين!

---

(١) الإقبال ١/ ٧٥.

(٢) الحر العاملي، الوسائل ٨/ ٣٨.

من هنا كان التفكير في اللقمة الحلال التي ترافق الصوم من أوله إلى آخره، بالغ الأهمية.

نبّهَ على ذلك سيد العلماء المراقبين السيد ابن طاوس عليه الرحمة، وخلاصة ما يظهر من كلامه قدس سرُّه، أن على الصائم أن يهتم بلقمته الحلال في شهر رمضان المبارك، وقد يُظن أن هذه المسألة عادية جداً ومفروغ منها، إلا أن الحقيقة أنه ليس من السهل أن يعرف المرء أن هذه اللقمة حلال أو ليست حلالاً، لكثرة الحكّام الظَّلَمة الذين تعاقبوا واغتصبوا أموال الناس، مما أدى إلى ضياع كثير من الحقوق وهدرها، وطمس معالم إعادة الأمور إلى نصابها.

لذلك، فينبغي أن يبذل الصائم الجهد في هذا المجال ويوليه عناية خاصة، ويتعامل مع ما يملك كما أُمرنا أن نتعامل مع المال الذي نعلم أنه من مصدر حرام ولكن لا يمكننا إرجاع الحق إلى أهله لعدم معرفتهم. إن الواجب في هذه الحال تخميس المال مرتين. وبناء على ذلك فينبغي لمن يريد أن يصوم حقيقة ـ حتى إذا كان مطمئناً الإطمئنان العادي إلى لقمته الحلال ـ أن يحتاط، ويعبر السيد هنا بعبارة «الإستظهار بتخميس كل ما يتقلّب فيه» أي يحتاط الصائم فيخمّس كل ما يستعمله في شهر رمضان المبارك مرة ثانية غير الخمس العادي الذي يفترض أنه قد أداه، والسبب في هذا الإحتياط هو أنه في ضيافة الرحمن، وفي أفضل الشهور، وهو يريد أن يوفَّق للتوبة النصوح، وأن يقبله الله عزّ وجلّ، ولذلك فهو يبذل قصارى جهده من أجل أن يطمئن إلى أنه يتقلّب في حلال.

ومن الواضح أن هذا ليس واجباً، فالواجب هو إخراج الخمس مرة واحدة، إلا أنه مستوى متقدم من الإحتياط في الوصول إلى الإطمئنان باللقمة الحلال.

والفائدة العملية في هذا المجال أن يتأمل كلٌ منا في ما حوله وفي ما

يتقلّب فيه، هل يوجد شيء لم يخمّسه، هل يوجد شيء فيه شبهة، فيخرج من العهدة فيه بالطرق الشرعية المقررة.

وبديهي أن من لم يخمس أصلاً تكون فائدته العملية مما تقدم كبيرة جداً، حيث أنه أمام كلام عن خمسٍ آخر بعد الخمس الأول فما هو إذاً حال من لم يخمس أبداً؟!

إن على كل مسلم أن يسأل نفسه، كيف يصوم ويطلب من الله عزّ وجلّ أن يتقبّله وهو يتقلّب في الحرام.

ويؤكد السيد كثيراً على مسألة اللقمة الحلال بشكل خاص، وينقل الرواية التالية:

قال الراوي: قلت للإمام الهادي عليه السلام: روَينا عن آبائك أنه يأتي على الناس زمان لا يكون شيء أعز من أخ أنيس أو كسب درهم من حلال، فقال: «يا أبا محمد إن العزيز موجود ولكنك في زمان ليس فيه شيء أعسر من درهمٍ حلال أو أخٍ في الله عزّ وجلّ»[1].

وتبين الرواية مدى الجهد الذي يجب أن يبذل للإطمئنان إلى اللقمة الحلال.

* الأعمال العامة لليوم الأول

هناك مستحبات عامة لليوم الأول من كل شهر، وهي على قسمين: الأعمال العامة لليوم الأول من كل شهر، والأعمال العامة لكل يوم من شهر رمضان فتشمل اليوم الأول.

ومن القسم الأول أي العامة لكل أول شهر، أذكر ما يلي:

(١) الإقبال ١/ ٤١.

١ ـ قراءة سورة الحمد سبع مرات وذلك نافع لوجع العين[١].

٢ ـ كما ورد أنه يستحب في اليوم الأول من كل شهر أكل شيء من الجِبن، وأن له فوائد هامة[٢].

وبعد أن أورد السيد هذه الرواية في كتابه «الدروع الواقية»، قال:

«فإياك أن تستبعد مثل هذه الآثار، وقد رواها هارون بن موسى وهو من الأخيار، وكم لله جل جلاله في بلاده وعباده من الأسرار، ما لم يطلع عليه إلا من شاء من رسله وخواصه الأطهار. فيجب التسليم والرضا والقبول، ممن شهدت بوجوب تصديقه العقول»[٣].

ومن المهم التأمل في طريقة تعامل العلماء مع الأمور المستغربة، التزاماً منهم بالمنهج العقلي السليم الذي لا يعتبر الإستغراب دليلاً، ويدقق في السند ويلتزم بما ورد عن المعصوم. ولا يهم بعد ذلك ماذا تقول «روح العصر»!

٣ ـ الغسل، وقد ورد الحث عليه بطريقتين:

الغسل في ماءٍ جارٍ، ومن لم يتمكن من ذلك فليغتسل كما يمكنه، ويصب على رأسه ثلاثين كفّاً من الماء فإن ذلك يورث الأمن من جميع الآلام والأسقام في تلك السنة.

٤ ـ ضرب الوجه بكفّ من ماء الورد لينجو من المذلّة والفقر، وأن يصب شيئاً منه على رأسه ليأمن من البرسام، وهو نوع من الورم في الدماغ ينتج عنه الأرق ونوع من الجنون.

حول ما تقدم قال السيد رحمه الله تعالى:

---

(١) المحدث القمي، مفاتيح الجنان، في أعمال أوائل الشهور.

(٢) المجلسي، البحار ٣٦/ ١٠٥.

(٣) السيد ابن طاوس، الدروع الواقية ٤٢.

«عن جعفر بن محمد ـ الإمام الصادق ـ عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أنه قال: من اغتسل أول يوم من السنة، في ماء جارٍ، وصب على رأسه ثلاثين غرفة، كان دواء لسنته». وإن أول كل سنة أول يوم من شهر رمضان. وعنه عليه السلام: **«أن من ضرب وجهه بكف ماء ورد أمن ذلك اليوم من المذلة والفقر، ومن وضع على رأسه من ماء ورد، أمن تلك السنة من البرسام**[1] **فلا تدعوا ما نوصيكم به»**.

وقد علق السيد ابن طاوس على ذلك بقوله:

«لعل خاطر بعض من يقف على هذه الرواية يستبعد ما تضمنته من العناية، ويقول: كيف يقتضي ثلاثون غرفة من الماء استمرار العافية طول سنته وزوال أخطار الأدواء فاعلم أن كل مسلم فإنه يعتقد أن الله جل جلاله يعطي على الحسنة الواحدة في دار البقاء، من الخلود ودوام العافية وكمال النعماء، ما يحتمل أن يقدم لهذا العبد المغتسل في دار الفناء بعض ذلك العطاء، وهو ما ذكره من العافية والشفاء»[2].

٥ ـ صلاة أول كل شهر، قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

«كان أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام إذا دخل شهر جديد يصلي أول يوم منه ركعتين، يقرأ في أول ركعة قل هو الله أحد ثلاثين مرة بعدد أيام الشهر، وفي الركعة الثانية إنا أنزلناه في ليلة القدر مثل ذلك، ويتصدق بما يتسهل، فيشتري به سلامة ذلك الشهر كله. ووجدت هذا الحديث مروياً أيضاً عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام «..» ورأيت في غير هذه الرواية زيادة وهي: «ويستحب إذا فرغت من هذه الصلاة أن تقول:

---

(١) البرسام بالكسر علة يهذى فيها، نعوذ بالله منها وهو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ثم يتصل إلى الدماغ وقد برسم الرجل بالضم فهو مبرسم. الزبيدي، تاج العروس ٨/ ١٩٩.

(٢) الإقبال ١/ ١٩٣ ـ ١٩٤.

«بسم الله الرحمن الرحيم وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كلٌ في كتاب مبين. وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير. بسم الله الرحمن الرحيم سيجعل الله بعد عسر يسرا. ما شاء الله لا قوة الا بالله. حسبنا الله ونعم الوكيل. وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير. رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين».

أضاف: «وقد عرفت أن العترة من ذرية النبي صلوات الله عليه وآله الذين كانوا قائمين مقامه في فعاله ومقاله، قالوا: «إن ما نرويه فإنه عنه، ومأخوذ منه» فهم قدوة لمن اقتدى بفعلهم وقولهم، وهداة لمن عرف شرف محلهم، فاقْتَدِ في السلامة من خطر كل شهر كما أشار إليه مولانا محمد بن علي الجواد صلوات الله عليه»[١].

*** الصلاة بصيغة ثانية**

قال السيد: «وقد روينا أن صلاة أول كل شهر ركعتان، يقرأ في الأولى الحمد وقل هو الله أحد مرة، وفي الثانية الحمد وإنا أنزلناه، مرة. ولعل هذه الرواية الخفيفة مختصة بمن يكون وقته ضيقاً عن قراءة ثلاثين مرة في كل ركعة، أما على طريق سفر أو لأجل مرض أو غير ذلك من الأعذار»[٢].

٦ ـ الصدقة، وتحدث السيد عن أدب هذه الصدقة عن الشهر كله التي وردت في الرواية المتقدمة، فقال:

«وينبغي أن تتذكر عند صدقتك أن هذه الصدقة التي في يديك إنما هي لله جل جلاله، ومن إحسانه إليك، والذي تشتريه من السلامة هو أيضا من

---

(١) المصدر ٤٤ ـ ٤٥.
(٢) المصدر ٤٦.

ذخائره التي يملكها هو جل جلاله، وتريد أنت منه جل جلاله أن ينعم بها عليك، وأنت ملكه على اليقين لا تشك في ذلك إن كنت من العارفين، فأَحضِر بقلبك عند صلاتك وصدقتك هذه أنك تشتري ما يملكه الله جل جلاله لمن يملكه الله جل جلاله، فالمشتري ـ وهو أنت، كما قلناه ـ ملكه، والذي تشتري به السلامة ـ وهو الصدقة ـ ملكه، وأن السلامة التي تشتريها ملكه، فاحذر أن تغفل عما أشرنا إليه، فقد كررناه ليكون على خاطرك الإعتماد عليه. فإذا أديت الأمانة في صلاتك وصدقتك، وخلصت نيتك في معاملتك لله جل جلاله ومراقبتك، فكن واثقاً بالسلامة من أخطار شهرك، ومصدقا في ذلك ولاة أمرك، وحسن الظن بالله جل جلاله في صيانتك ونصرك»[١].

٧ ـ الدعاء لصاحب العصر عليه السلام

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

«ومما ينبغي أن تعرفه من سبيل أهل التوفيق وتعلمه فهو أبلغ في الظفر بالسلامة على التحقيق، وذلك أن تبدأ في قلبك عند صلاة الركعتين وعند الصدقة والدعاء بتقديم ذكر سلامة من يجب الإهتمام بسلامته قبل سلامتك، وهو الذي تعتقد أنه إمامك وسبب سعادتك في دنياك وآخرتك. واعلم أنه صلوات الله عليه غير محتاج إلى توصلك بصلاتك وصدقتك ودعائك في سلامته من شهره، لكن إذا نصرته جازاك الله جل جلاله بنصره، وجعلك في حصن حريز، قال الله جل جلاله: ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. ولأن من كمال الوفاء لنائب خاتم الانبياء، أن تقدمه قبل نفسك في كل خير تقدر عليه، ودفع كل محذور أن يصل إليه، وكذا عادة كل إنسان مع من هو أعز من نفسه عليه. ولأنك إذا استفتحت أبواب القبول، بطاعة الله جل جلاله

---

(١) المصدر ٤٥. بتصرف.

والرسول، فيرجى أن تفتح الابواب لأجلهم، فتدخل أنت نفسك في ضيافة الدخول تحت ظلهم، وعلى موائد فضلهم»[١].

وقد تحدث السيد في مكان آخر، حول الدعاء لصاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وكلامه وإن كان منصباً على كل ليلة من شهر رمضان، إلا أن الدعاء الذي سيذكره ليس خاصاً بالليلة بل يشمل كل وقت من أوقات شهر رمضان بمافيه اليوم الأول، ولكي لا تفوتنا فوائده فسأورده هنا.

قال السيد:

«فصلٌ، فيما نذكره مما يختم به كل ليلة من شهر رمضان. إعلم أن حديث كل ضيف مع صاحب ضيافته، وكل مستخفر بخفير، فحديثه مع المقصود بخفارته، وإذاكان الإنسان في شهر رمضان قد اتخذ خفيراً وحامياً كما تقدم التنبيه عليه[٢] فينبغي كل ليلة بعد فراغ عمله أن يقصد بقلبه خفيره ومضيفه، ويعرض عمله عليه، ويتوجه إلى الله جل جلاله بالحامي والخفير والمضيف، وبكل من يعز عليه، وبكل وسيلة إليه، في أن يبلغ الحامي أنه متوجه بالله جل جلاله وبكل وسيلة إليه، وفي أن يكون هو المتولي لتكميل من النقصان والوسيط بينه وبين الله جل جلاله في تسليم العمل إليه، من باب قبول أهل الإخلاص والأمان. أقول: ومن وظائف كل ليلة أن يبدأ العبد في كل دعاء مبرور، ويختم في كل عمل مشكور، بذكر من يعتقد أنه نائب الله جل جلاله في عباده وبلاده، وأنه القيِّم بما يحتاج إليه هذا الصائم، من طعامه وشرابه وغير ذلك من مراده، من سائر الأسباب التي هي متعلقة بالنائب عن

---

(١) المصدر ٤٣ ـ ٤٦. بتصرف يسير.

(٢) تقدم بيان ذلك في أعمال الثلاثين من شهر رجب، والمراد به باختصار أن لكل يوم من أيام الأسبوع خفيراً وحامياً بإذن الله تعالى فالسبت لرسول الله ﷺ والأحد للأمير عليه السلام والإثنين للحسنين عليهما السلام والثلاثاء للثلاثة بعدهما والأربعاء للأربعة بعدهم والخميس للعسكري والجمعة لصاحب العصر صلوات الله عليهم أجمعين، وينبغي استحضار الخفير على قاعدة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ...﴾.

رب الأرباب، أن يدعو له هذا الصائم بما يليق أن يدعى به لمثله، ويعتقد أن المنة لله جل جلاله ولنائبه، كيف أهَّلاه لذلك ورفعاه به في مزلته ومحله. فمن الرواية في الدعاء لمن أشرنا إليه صلوات الله عليه، ما ذكره جماعة من أصحابنا، وقد اخترنا ما ذكره ابن أبي قرة في كتابه، فقال باسناده الى علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن محمد بن عيسى بن عبيد، باسناده عن الصالحين عليهم السلام قال:

وكرّرْ في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان قائماً وقاعداً وعلى كل حال، والشهر كله، وكيف أمكنك، ومتى حضرك في دهرك، تقول بعد تمجيد الله تعالى والصلاة على النبي وآله عليهم السلام: اللهم كن لوليك، القائم بأمرك، الحجة، محمد بن الحسن المهدي، عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام، في هذه الساعة وفي كل ساعة، ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً، ودليلاً ومؤيداً، حتى تسكنه أرضك طوعاً، وتمتعه فيها طويلا وعرضا، وتجعله وذريته من الأئمة الوارثين. اللهم انصره وانتصر به، واجعل النصر منك له وعلى يده، والفتح على وجهه، ولا توجه الأمر إلى غيره، اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحدٍ من الخلق. اللهم إني أرغب إليك في دولة كريمة، تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. واجمع لنا خير الدارين، واقض عنا جميع ما تحب فيهما، واجعل لنا في ذلك الخيرة برحمتك ومَنّك في عافية، آمين رب العالمين زدنا من فضلك ويدِك المَليء، فإنَّ كلَّ مُعْطٍ يَنقُصُ من مُلكه، وعطاؤك يزيد في مُلكك»[1].

وقد أورد الشيخ الكَفْعَمي رضوان الله تعالى عليه الدعاء للإمام عليه السلام بما

---

(١) المصدر ١٩٠ ـ ١٩٢.

يتحد مع بداية ما تقدم إلا أنه مختصر، وهو المشهور المتداول، ماعدا اسم الإمام. وعدمُ ذكره عليه السلام بالإسم أكثر انسجاماً مع الروايات[١].

قال الكَفعمي:

وعنهم عليهم السلام: كرّر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء ساجداً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال، وفي الشهر كله وكيف أمكنك ومتى حضرك من دهرك، تقول بعد تمجيده تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله:

اللهم كن لوليك (الحجة بن الحسن) صلواتك عليه وعلى آبائه، في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً، وقائداً وناصراً، ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك طَوْعاً، وتمتعه فيها طويلا.

وأما الأعمال العامة لكل يوم من أيام شهر رمضان، فأذكر منها:

١ ـ الدعاء بعد كل فريضة، وقد وردت تحت هذا العنوان عدة أدعية، منها:

أ ـ ياعلي ياعظيم، ياغفور يارحيم، أنت الرب العظيم، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا شهر عظمته وكرمته وشرفته وفضلته على الشهور، وهو الشهر الذي فرضت صيامه علي، وهو شهر رمضان الذي انزلت فيه القرآن، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعلت فيه ليلة القدر وجعلتها خيرا من الف شهر. فياذا المن ولا يمن عليك، من علي بفكاك رقبتي من النار، فيمن تمن عليه، وادخلني الجنة برحمتك يا ارحم الراحمين[٢].

---

(١) الكفعمي، المصباح ٥٨٦ والبلد الأمين ٢٠٣. واللفظ هنا من الثاني ماعدا (الحجة بن الحسن)، حيث قد وردت التسمية في المصباح . وأما في البلد الأمين فقال بعد لوليك: «فلان بن فلان».

(٢) الإقبال ١/ ٧٩. قال السيد حوله: «وتدعو عقيب كل فريضة في شهر رمضان ليلا كان أو نهارا، فتقول». والكفعمي، المصباح ٦٣٠، قال: «ومن كتاب الفردوس، أنه يدعى بهذا الدعاء في كل يوم من شهر رمضان وهو..».

ب ـ **اللهم أدخل على أهل القبور السرور**. الدعاء. وقد تقدم ذكره والكلام حوله في أعمال اليوم الواحد والعشرين من شهر شعبان، في سياق «أدعية الغَيبة» وأنه في الحقيقة دعاء للإمام صاحب الزمان، لأن هذه المضامين الواردة فيه لا تتحقق إلا عند ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وينبغي التنبه بشكل خاص إلى هذا الدعاء «**اللهم أدخل على أهل القبور السرور**» والإهتمام بحفظه والمواظبة على قراءته بعد كل فريضة ومن فاته فليقرأه بنية القضاء، فقد ذكر الشهيد الأول في مجموعته التي هي بخطه أنه قد ورد في الحث عليه عن رسول الله ﷺ: **من دعا بهذا الدعاء في (شهر) رمضان بعد كل فريضة غفر الله له ذنوبه إلى يوم القيامة**»[١].

قال العلامة المجلسي:

«وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجبعي رحمه الله، نقلاً من خط الشيخ الشهيد (الأول) رحمه الله، عن النبي ﷺ: من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان بعد المكتوبة استغفرت ذنوبه إلى يوم القيامة، وهو:

«اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغن كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكس كل عريان، اللهم اقض دين كل مدين، اللهم فرج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين، اللهم اشف كل مريض، اللهم سد فقرنا بغناك، اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر، إنك على كل شئ قدير»[٢].

---

(١) المحدث الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، أعمال شهر رمضان العامة. نقلاً عن الشيخ الكفعمي. أنظر: البلد الأمين ٢٢٢ (ط: بيروت، بدون مشخصات) أدعية أيام شهر رمضان، والمصباح ٦١٧(ط: مؤسسة الأعلمي، بيروت).

(٢) المجلسي، البحار ٩٥/١٢٠ والمحدث النوري، مستدرك الوسائل ٧/٤٤٧ نقلاً عن البلد الأمين للكفعمي.

ت ـ اللهم ارزقني حج بيتك الحرام

وهو كما يلي: **اللهم ارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام ما أبقيتني، في يسر وعافية وسعة رزق، ولا تُخْلِني من تلك المواقف الكريمة والمشاهد الشريفة وزيارة قبر نبيك صلواتك عليه وآله، وفي جميع حوائج الدنيا والآخرة فكن لي. اللهم إني أسألك فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفر عنهم سيئاتهم، واجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري في طاعتك وتوسع علي رزقي وتؤدي عني أمانتي ودَيْني، آمين رب العالمين.**[١].

ث ـ اللهم إني بك ومنك أطلب حاجتي، ويعرف بدعاء الحج[٢]. وهو بتمامه:

عن الإمام الصادق عليه السلام **قال: أدع للحج في ليالي شهر رمضان بعد المغرب: اللهم بك [أتوسل] ومنك أطلب حاجتي، اللهم من طلب حاجته إلى أحد من المخلوقين، فإني لا أطلب حاجتي إلا منك، أسألك بفضلك ورضوانك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي من عامي هذا الى بيتك الحرام سبيلاً، حجة مبرورة متقبلة زاكية خالصة لك، تُقِرُّ بها عيني، وترفع بها درجتي، وترزقني أن أغض بصري، وأن أحفظ فرجي، وأن أكف عن جميع محارمك، حتى لا يكون شيء آثر عندي من طاعتك وخشيتك، والعمل بما أحببت، والترك (لما) كرهت ونهيت عنه، واجعل ذلك في يسر ويسار وعافية، وأوزعني شكر ما أنعمت به عليّ. وأسألك أن تقتل بي أعداءك**

---

(١) الإقبال ١/ ٧٩.

(٢) الكليني، الكافي ٤/ ٧٤. والسيد ابن طاوس، الإقبال ١/ ٧٨. والحر العاملي، وسائل الشيعة١٠/ ٣٢٥.

وأعداء رسولك، وأسألك أن تكرمني بهوان من شئت من خلقك، ولا تهني بكرامة أحد من أوليائك، اللهم اجعل (لي) مع الرسول سبيلا[١].

ج ـ اللهم رب شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن، وافترضت على عبادك فيه الصيام، صل على محمد وآل محمد وارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام، واغفر لي تلك الذنوب العظام، فإنه لا يغفرها غيرك يا رحمن يا علام.

وقد ورد في ثوابه: من قال هذا الدعاء في كل ليلة من شهر رمضان غفرت له ذنوب أربعين سنة[٢].

وقد أورد هذه الأدعية الأربعة المحدث القمي في مفاتيح الجنان، وزاد في آخر الثالث: حسبي الله ماشاء الله.

* الأعمال الخاصة

وأما الأعمال الخاصة باليوم الأول من شهر رمضان فهي الأدعية الخاصة بهذا اليوم،

وسأذكر منها ما يلي:

١ ـ الدعاء الأول:

ورغم التزامي بعدم إيراد الأدعية الطويلة والإكتفاء بالإرجاع إلى مصادرها، فسأورد هنا دعاء مفتتح السنة الذي ذكره السيد ابن طاوس عليه الرحمة لما يلي:

أ ـ فرادة المضمون بشكل عام، وأهمية أن تتاح للمؤمن وقفة مع النفس بين يدي الله تعالى على باب السنة الجديدة، تكون شاملة مستوعبة لكل

---

(١) الإقبال ١/ ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الإقبال ١/ ١٤٤ والكفعمي، البلد الأمين ٢٢٣.

مسارب النفس وتشعب الأهواء، ولئن كان الدعاء مضمناً لفقرات معروفة من أدعية معروفة، فإن طريقة التضمين خاصة، وفقراته الأخرى غير المضمنة أشد خصوصية كما سترى.

ب ـ أن الكتب المتداولة تخلو منه، وتكتفي بالإشارة إليه، فهو ليس في متناول أكثر المؤمنين، وحيث إنه يدعى به مرة في السنة فقد لا تحمل الإشارة على الرجوع إليه، فيفوت المؤمنين خير كثير.

وقد تحدث السيد حول هذا الدعاء فقال:

«دعاء آخر إن دعوت به أول ليلة من شهر الصيام فقدم لفظ: ليلتي هذه على يومي هذا، وإن دعوت به أول يوم من الشهر فادع باللفظة التي تأتي فيه، والذي رجح في خاطري أن الدعاء به في أول يوم منه. رويناه بأسنادنا الى أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري بأسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول عند حضور شهر رمضان:

«اللهم هذا شهر رمضان المبارك الذي أنزلت فيه القرآن وجعلته هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان قد حضر، فسلمنا فيه وسلمه لنا وتسلمه منا في يسر منك وعافية. وأسألك اللهم أن تغفر لي في شهري هذا، وترحمني فيه، وتعتق رقبتي من النار، وتعطيني فيه خير ما أعطيت أحداً من خلقك، وخير ما أنت معطيه، ولا تجعله آخر شهر رمضان صمته لك منذ أسكنتني أرضك إلى يومي هذا، واجعله عليَّ أتمه نعمة[1]، وأعمه عافية، وأوسعه رزقاً، وأجزله وأهناه. اللهم إني أعوذ بك وبوجهك الكريم وملكك العظيم أن تغرب الشمس من يومي هذا، أو ينقضي بقية هذا اليوم، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، أو يخرج هذا الشهر ولك قبلي معه[2] تبعة أو ذنب أو خطيئة،

---

(١) أي: واجعل شهر رمضان الذي أنا فيه أتم شهر رمضان عليّ نعمة، وأعمه عافية الخ.

(٢) أي: مع انقضاء بقية اليوم أو طلوع الفجر، أو خروج هذا الشهر.

تريد أن تقايسني بذلك أو تؤاخذني به، أو تقفني[1] به موقف خزي في الدنيا والآخرة، أو تعذبني به يوم ألقاك يا أرحم الراحمين. اللهم اني أدعوك لهم لا يفرجه غيرك، ولرحمة لا تُنال إلا بك، ولكربٍ لا يكشفه إلا أنت، ولرغبة لا تُبلغ إلا بك، ولحاجة لا تقضى دونك. اللهم فكما كان من شأنك ما أردتني به من مسألتك، ورحمتني به من ذكرك، فليكن من شأنك سيدي الإجابة لي فيما دعوتك والنجاة لي فيما قد فزعت إليك منه. اللهم صل على محمد وآل محمد، وافتح لي من خزائن رحمتك رحمةً لا تعذبني بعدها أبداً في الدنيا والآخرة، وارزقني من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيباً، لا تفقرني بعده إلى أحد سواك أبداً، تزيدني بذلك لك شكراً واليك فاقة وفقراً، وبك عمن سواك غنى وتعففاً. اللهم إني أعوذ بك أن تكون جزاء إحسانك الإساءة مني، اللهم إني أعوذ بك أن أُصلِح عملي فيما بيني وبين الناس، وأُفسدَه فيما بيني وبينك. اللهم إني أعوذ بك أن تَحُولَ سريرتي بيني وبينك، أو تكون مخالِفَةً لطاعتك، اللهم إني أعوذ بك أن يكون شئ من الأشياء آثرَ عندي من طاعتك، اللهم إني أعوذ بك أن أعمل من طاعتك قليلاً أو كثيراً، أريد به احداً غيرَك، أو أعملَ عملاً يخالطه رياء. اللهم إني أعوذ بك من هوىً يُردي من يَركبُه، اللهم إني أعوذ بك أن أجعل شيئاً من شكري فيما أنعمت به علي لغيرك، أطلب به رضا خلقك، اللهم إني أعوذ بك أن أتعدى حدّاً من حدودك، أتزين بذلك للناس وأركن به إلى الدنيا. اللهم إني أعوذ بعفوك من عقوبتك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بطاعتك من معصيتك، وأعوذ بك منك، جل ثناء وجهك، لا أحصي الثناء عليك ولو حرَصتُ، وأنت كما أثنيت على نفسك، سبحانك وبحمدك. اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك عندي، فأيُّما عبدٍ من عبادك، أو أمة من إمائك، كانت له قِبَلي مظلمة ظلمته إياها، في ماله أو بدنه أو عرضه (أي كرامته) لا أستطيع أداء ذلك إليه، ولا

---

(١) توقفني.

أتحللها منه، فصل على محمد وآل محمد وأَرضِه أنت عني بما شئت، وكيف شئت، وهبها لي. وما تصنع يا سيدي بعذابي وقد وسعت رحمتك كلَّ شيء، وما عليك يا رب أن تكرمني برحمتك ولا تهينني بعذابك، ولا يُنقصك يا رب أن تفعل بي ما سألتك، وأنت واجدٌ لكل شئ. اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه، ومما ضيَّعت من فرائضك وأداء حقك، من الصلاة والزكاة، والصيام والجهاد والحج والعمرة، وإسباغ الوضوء والغسل من الجنابة، وقيام الليل وكثرة الذكر، وكفارة اليمين، والإسترجاع في المصيبة، والصدود من كل شيء قصرت فيه، من فريضة أو سنة. فاني أستغفرك وأتوب إليك منه، ومما ركبت من الكبائر، وأتيت من المعاصي، وعملت من الذنوب واجترحت من السيئات، وأصبت من الشهوات، وباشرت من الخطايا، مما عملته من ذلك عمداً أو خطأ، سراً أو علانية. فإني أتوب إليك منه ومن سفك الدم وعقوق الوالدين وقطيعةالرحم، والفرار من الزحف وقذف المحصنات وأكل أموال اليتامى ظلماً، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، وأن أشتري بعهدك في نفسي ثمناً قليلا. وأكل الربا والغُلول[(١)] والسحت والسحر، والكتمان والطيَرة، والشرك والرياء والسرقة، وشرب الخمر، ونقص المكيال وبخس الميزان والشقاق النفاق، ونقض العهد والفرية والخيانة، والغدر وإخفار الذمة والحلف[(٢)]، والغِيبة والنميمة والبهتان، والهمز واللمز والتنابز بالالقاب، وأذى الجار ودخول بيت بغير إذن، والفخرِ والكبر والإشراك والإصرار والإستكبار، والمشيِ في الأرض مَرَحاَ، والجورِ في الحكم، والإعتداء في الغضب وركوب الحمية، وتعضد الظالم، وعونٍ على الإثم والعدوان، وقلة العدد في الأهل والمال والولد، وركوب الظن واتباع الهوى، والعمل بالشهوة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفساد في

---

(١) الغلول: الخيانة، ومنه ـ على رأي ـ السرقة من الغنيمة في الحرب.

(٢) نقض العهد واليمين.

الأرض، وجحود الحق والإدلاء إلى الحكام بغير الحق، والمكر والخديعة والبخل وقولٍ فيما لا أعلم، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به، والحسد والبغي والدعاء الى الفاحشة، والتمني بما فضل الله والإعجاب بالنفس والمنّ بالعطية، والإرتكاب الى الظلم[1] وجحود القرآن، وقهر اليتيم، وانتهار السائل، والحنث في الأيمان، وكلِّ يمينٍ كاذبة فاجرة، وظلمِ أحدٍ من خلقك في أموالهم وأشعارهم وأعراضهم وأبشارهم، وما رآه بصري وسمعه سمعي، ونطق به لساني، وبسطْتُ إليه يدي، ونقلت قدمي وباشره جلدي، وحدثتُ به نفسي مما هو لك معصية، وكلِّ يمين زور، ومن كل فاحشة وذنب وخطيئة عملتها في سواد الليل وبياض النهار، في ملأ أو خلاء، مما علمتُه أو لم اعلمه، ذكرته أو لم اذكره، سمعته أو لم أسمعه، عصيتك فيه ربي طرفة عين، وفيما سواها من حل أو حرام تعديت فيه أو قصرت عنه، منذ يوم خلقتني إلى أن جلست مجلسي هذا، فإني أتوب إليك منه، وأنت يا كريم تواب رحيم. اللهم يا ذا المن والفضل والمحامد التي لا تحصى، صلِّ على محمد وآل محمد واقبل توبتي، لا تردها لكثرة ذنوبي وما أسرفت على نفسي، حتى لا أرجع في ذنب تبت إليك منه، فاجعلها يا عزيز توبة نصوحاً صادقة مبرورة لديك مقبولة مرفوعة عندك، في خزائنك التي ذخرتها لأوليائك حين قبلتها منهم ورضيت بها عنهم. اللهم إنَّ هذه النفس نفس عبدك، وأسألك أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تحصّنها من الذنوب وتمنعها من الخطايا وتحرزها من السيئات، وتجعلها في حصن حصين منيع لا يصل إليها ذنب ولا خطيئة، ولا يفسدها عيب ولا معصية، حتى ألقاك يوم القيامة وأنت عني راضٍ وأنا مسرور، تغبطني ملائكتك وانبياؤك وجميع خلقك، وقد قبلتني وجعلتني طائعاً طاهراً زاكياً عندك من الصادقين.

(١) هكذا وردت العبارة أيضاً في البحار ، والظاهر أنها الإرتكان إلى الظالم.

اللهم إني أعترف لك بذنوبي فصل على محمد وآل محمد، واجعلها ذنوباً لا تُظهرها لأحد من خلقك ياغفار الذنوب يا أرحم الراحمين. سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي، فصل على محمد وآل محمد واغفر لي، إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إن كان من عطائك ومَنَّك وفضلك وفي علمك وقضائك، أن ترزقني التوبة فصلِّ على محمد وآله، واعصمني بقية عمري وأحسن معونتي في الجد والإجتهاد والمسارعة الى ما تحب وترضى، والنشاط والفرح والصحة، حتى أبلغ في عبادتك وطاعتك التي يحق لك علي رضاك. وأن ترزقني برحمتك ما أقيم به حدود دينك، وحتى أعمل في ذلك بسنن نبيك صلواتك عليه وآله، وافعلْ ذلك بجميع المؤمنين والمؤمنات في مشارق الأرض ومغاربها. اللهم إنك تشكر اليسير وتغفر الكثير، وأنت الغفور الرحيم ـ تقولها ثلاثا، ثم تقول ـ: **اللهم اقسم لي كلَّ ما تطفئ به عني نائرة كل جاهل، وتُخمِد عني شعلة كل قائل، وأعطني هدى من كل ضلالة، وغنى من كل فقر، وقوة من كل ضعف، وعزاً من كل ذل، ورفعة من كل ضعة، وأمناً من كل خوف، وعافية من كل بلاء. اللهم ارزقني عملاً يفتح لي باب كل يقين، ويقيناً يسد عني باب كل شبهة، ودعاء تبسط لي به الإجابة، وخوفاً تيسر لي به كل رحمة، وعصمة تحول بيني وبين الذنوب، برحمتك يا أرحم الراحمين.**

وتضرع الى ربك وتقول:

يا من نهاني عن المعاصي فعصيته فلم يهتك ستري عند معصيته، يا من ألبسني عافيته فعصيته فلم يسلبني عند ذلك عافية، يا من أكرمني وأسبغ عليَ نعمه فعصيته فلم يُزِلْ عني نعمته، يا من نصح لي فتركت نصيحته فلم يستدرجني عند تركي نصيحته. يا من أوصاني بوصايا كثيرة لا تحصى، إشفاقاً منه عليَّ ورحمة منه لي فتركت وصيته، يا من كتم سيئاتي وأظهر محاسني حتى كأني لم أزَل أعمل بطاعته، يا من أرضيت عباده بسخطه فلم يَكِلْني إليهم

ورزقني من سعته، يا من دعاني إلى جنته فاخترت النار فلم يمنعه ذلك أن فتح لي باب توبته. يا من أقالني عظيم العثرات وأمرني بالدعاء وضمن لي إجابته، يا من أعصيه فيسترعلي ويغضب لي إن عيرت بمعصيته. يا من نها خلقه عن انتهاك محارمي وأنا مقيم على انتهاك محارمه، يا من أفنيت ما أعطاني في معصيته فلم يحبس عني عطيته، يا من قويت على المعاصي بكفايته فلم يخذلني ولم يخرجني من كفايته. يا من بارزته بالخطايا فلم يُمَثِّل بي عند جرأتي على مبارزته، يا من أمهلني حتى استغنيت من لذاتي ثم وعدني على تركها مغفرته، يا من أدعوه وأنا على معصيته فيجيبني ويقضي حاجتي بقدرته، يا من عصيته بالليل والنهار وقد وكل بالإستغفار لي ملائكته. يا من عصيته في الشباب والمشيب وهو يتأناني ويفتح لي باب رحمته، يا من يشكر اليسير في عملي وينسى الكثير من كرامته، يا من خلَّصني بقدرته ونجاني بلطفه، يا من استدرجني حتى جانبت محبته، يا من فرض الكثير لي من إجابته على طول إساءتي وتضييعي فريضته. يا من يغفر ظلمنا وحُوبنا[1] وجرأتنا وهو لا يجور علينا في قضيته، يا من نتظالم فلا يؤاخذنا بعلمه ويمهل حتى يحضر المظلوم بينته، يا من يشرك به عبده وهو خلقه فلا يتعاظمه أن يغفر له جريرته، يا من مَنَّ علي بتوحيده وأحصى عليَّ الذنوب وأرجو أن يغفرها لي بمشيته. يا من أعذر وأنذر ثم عدت بعد الإعذار والإنذار في معصيته، يا من يعلم أن حسناتي لا تكون ثمناً لأصغر نعمه، يا من أفنيت عمري في معصيته فلم يغلق عني باب توبته. يا ويلي ما أقل حيائي، ويا سبحان هذا الرب ما أعظم هيبته، ويا ويلي ما أقطع لساني عند الإعذار، وما عذري وقد ظهرت عليَّ حجته، ها أنا ذا بائح بجرمي، مُقِرٌّ بذنوبي لربي ليرحمني ويتغمدني بمغفرته، يا من الأرضون والسموات جميعاً في قبضته، يا من استحققت عقوبته ها أنا ذا مُقِرٌّ بذنبي. يا من وسع كل شئ برحمته، ها أنا ذا عبدك الحسير الخاطئ اغفر له خطيئته، يا

---

(١) الحُوب بالضم: الإثم.

من يجيرني في محياي ومماتي، يا من هو عدتي لظلمة القبر ووحشته، يا من هو ثقتي ورجائي وعدتي لعذاب القبر وضغطته، يا من هو غياثي ومفزعي وعدتي للحساب ودقته، يا من عظم عفوه وكرم صفحه واشتدت نِقْمُته. إلهي لا تخذلني يوم القيامة، فإنك عدتي للميزان وخِفَّتِه، ها أنا ذا بائح بجرمي مقر بذنبي معترف بخطيئتي، إلهي وخالقي ومولاي صل على محمد وآل محمد واختم لي بالشهادة والرحمة. اللهم اني أسألك بكل اسم هو لك يحق عليك فيه إجابة الدعاء إذا دعيت به، وأسألك بحق كل ذي حق عليك وبحقك على جميع من دونك، أن تصلي على محمد عبدك ورسولك وآل محمد عبيدك النجباء الميامين، ومن أرادني بسوء فخذ بسمعه وبصره، ومن بين يديه ومن خلفه، وامنعه عني بحولك وقوتك إنك على كل شئ قدير. اللهم إنا نرغب اليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتُذِلُّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نشكو إليك غيبة نبينا عنا، وكثرة عدونا وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا وتظاهر الزمان علينا، فصل على محمد وآل محمد وأعنا على ذلك يا رب بفتح منك تعجله، ونصرٍ تعزه، وسلطان حق تظهره، ورحمة منك تجللناها، وعافيتك فألبسناها، برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إني لم أعمل الحسنة حتى أعطيتنيها، ولم أعمل السيئة إلا بعد أن زينها لي الشيطان الرجيم، اللهم فصل على محمد وآل محمد وعد عليَّ بعطائك، ودَاوِ دائي، فإن دائي الذنوب القبيحة، ودواءك وعد عفوك وحلاوة رحمتك. اللهم لا تهتك ستري، ولا تُبْدِ عورتي، وآمن روعتي، وأقلني عثرتي، ونفِّس كربتي، واقض عني دَيْني وأمانتي، واخْزِ عدوك وعدو آل محمد وعدوي وعدو المؤمنين، من الجن والإنس في مشارق الأرض ومغاربها. اللهم حاجتي حاجتي حاجتي التي إن أعطيتنيها لم يضرني ما منعتني، وإن منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني، وهي فكاك رقبتي من النار، فصل على محمد وآل محمد وارض عني، وارض عني، وارض عني ـ حتى ينقطع النفس ـ.

اللهم إياك تعمَّدْتُ بحاجتي وبك أنزلت مسكنتي، فَلْتسعني رحمتك، يا وهاب الجنة، يا وهاب المغفرة، لا حول ولا قوة إلا بك، أين أطلبك يا موجوداً في كل مكان في الفيافي مرة، وفي القِفَار أخرى؟ لعلك تسمع مني النداء، فقد عظم جرمي وقل حيائي، مع تقلقل قلبي وبُعد مطلبي وكثرة أهوالي. رب أيَّ أهوالي أتذكر وأيَّها انسى، فلو لم يكن إلا الموت لكفى، فكيف وما بعد الموت أعظم وأدهى. يا ثقلي ودماري وسوء سلفي وقلة نظري لنفسي، حتى متى وإلى متى أقول: لك العتبى، مرة بعد أخرى، ثم لا تجد عندي صدقا ولا وفاء.

أسألك بحق الذي كنت له أنيساً في الظلمات، وبحق الذين لم يرضوا بصيام النهار وبمكابدة الليل، حتى مضوا على الأسِنَّة قُدُماً، فخضبوا اللحى بالدماء، ورمَّلوا الوجوه بالثرى، إلا عفوت عمن ظلم وأساء. يا غوثاه يا ألله يا رباه، أعوذ بك من هوى قد غلبني، ومن عدو قد استكلب علي، ومن دنيا تزينت لي، ومن نفسٍ امارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فإن كنت سيدي قد رحمت مثلي فارحمني، وإن كنت سيدي قد قبلت مثلي فاقبلني. يا من قبل السحرة فاقبلني، يا من يغذيني بالنعم صباحا ومساءً، قد تراني فريداً وحيداً شاخصاً بصري مقلَّداً عملي، قد تبرأ جميع الخلق مني، نعم وأبي وأمي ومن كان له كدي وسعيي. إلهي فمن يقبلني ومن يسمع ندائي ومن يؤنس وحشتي ومن ينطق لساني إذا غُيِّبْتُ في الثرى وحدي ثم سألْتَني بما أنت أعلم به مني، فإن قلت: قد فعلت، فأين المهرب من عدلك، وإن قلت: لم أفعل، قلت: ألم اكن أشاهدك وأراك.

يا ألله يا كريمَ العفوِ من لي غيرك. إن سألت غيرك لم يعطني، وإن دعوت غيرك لم يجبني، رضاك يا رب قبل لقائك، رضاك يا رب قبل نزول النيران، رضاك يا رب قبل أن تغل الأيدي الى الأعناق، رضاك يا رب قبل أن انادي فلا أجاب النداء. يا أحق من تجاوز وعفى، وعزتك لا أقطع منك

الرجاء، وإن عظم جرمي وقل حيائي، فقد لزق بالقلب داء ليس له دواء، يا من لم يَلُذِ اللائذون بمثله، يا من لم يتعرض المتعرضون لأكرم منه. يا من لم تُشَدَّ الرِّحالُ إلى مثله، صلِّ على محمد وآل محمد واشغَل قلبي بعظيم شأنك، وأرسل محبتك إليه حتى ألقاك وأوداجي تشخب دماً، يا واحد يا أجود المنعمين المتكبرُ المتعال، صلِّ على محمد وآل محمد وافكك رقبتي من النار برحمتك يا ارحم الراحمين.

إلهي قلَّ شكري سيدي فلم تحرمني، وعظُمَتْ خطيئتي سيدي فلم تفضحني، ورأيتني على المعاصي سيدي فلم تمنعني ولم تهتك ستري وأمرتني سيدي بالطاعة فضيَّعتُ ما به أمرتني، فأيُّ فقير افقرُ مني؟

سيدي إن لم تغنني، فأيُّ شقيٍّ أشقى مني إن لم ترحمني. فنعم الرب انت يا سيدي ونعم المولى، وبئس العبد أنا يا سيدي وجدتني، أيْ رباه، ها أنا ذا بين يديك، معترف بذنوبي، مقرٌّ بالإساءة والظلم على نفسي، من أنا يا رب فتقصد لعذابي، أم (مَن) يدخل في مسألتك إن أنت رحمتني. اللهم إني أسألك من الدنيا ما أسد به لساني، وأحْصِنُ به فرجي، وأؤدي به عني أمانتي، وأصل به رحمي، وأتَّجِرُ به لآخرتي، ويكون لي عوناً على الحج والعمرة، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك. وعزتك يا كريم لأُلِحَّنَّ عليك، ولأطلبن إليك، ولأتضرعنَّ اليك، ولأبسطنها إليك، مع ما اقترفنا من الآثام، يا سيدي فبمن أعوذ وبمن ألوذ، كلُّ مَنْ أتيتُه في حاجة وسألته فائدة، فإليك برشدني وعليك يدلني، وفيما عندك يرغبني. فأسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر وعلي بن موسى، ومحمد بن علي وعلي بن محمد، والحسن بن علي والحجة القائم بالحق صلواتك يا رب عليهم أجمعين، وبالشأن الذي لهم عندك، فان لهم عندك شأناً من الشأن أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي (كذا وكذا. وتسأل حوائجك للدنيا والآخرة فانها تقضى ان شاء الله تعالى). ثم تقول:

اللهم ربَّنا ربَّ كل شيء، منزلَ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، فالقَ الحب والنَّوى، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها. أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شئ، وأنت الظاهر فليس دونك شيء، فصلِّ على محمد وآله واقض عني الدين وأغنني من الفقر. يا خير من عُبدِ ويا أشكر من حُمِد، ويا أحلم من قَهَر، ويا أكرم من قَدِر، ويا أسمع من نودي، ويا أقرب من نوجي، ويا آمن من استجير، ويا أرأف من استغيث، ويا أكرم من سُئل، ويا أجود من أعطى، ويا أرحم من استُرحِم، صلِّ على محمد وآل محمد وارحم قلة حيلتي، وامنن عليَّ بالجنة طَوْلاً منك، وفك رقبتي من النار تفضلا. اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء اليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أكره الأشياء إليك وهو الشرك، فصلِّ على محمد وآل محمد واكفني أمر عدوي. اللهم إن لك عدوّاً لا يألوني خَبالا، بصيراً بعيوبي حريصاً على غوايتي، يراني هو وقبيله من حيث لا أراهم، اللهم فصل على محمد وآل محمد، وأعذ من شر شياطين الجن والإنس أنفسنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا، وما أُغلقتْ عليه أبوابُنا وما أحاطت به عوراتنا[1]. اللهم وحرمني عليه كما حرمت عليه الجنة، وباعد بيني وبينه كما باعدت بين السماء والأرض، وأبعَدَ من ذلك، اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، ومن رجسه، ونصبه، وهَمزه ولَمزه ونفخه، وكيده ومكره، وسحره ونَزْغِه وفتنته وغوائله، اللهم إني أعوذ بك منهم في الدنيا والآخرة، وفي المحيا والمماة. يا مسمِّيَ نفسِه بالإسم الذي قضى أنّ حاجة من يدعوه به مقضية، أسألك به إذ لا شفيع لي عندك أوثق منه، أن تصليَ على محمد وآل محمد وأن تفعل بي (كذا وكذا وتسأل حاجتك فانها تقضى ان شاء الله تعالى). ثم تقول:

اللهم إن أدخلتني الجنة فأنت محمود، وإن عذبتني فأنت محمود، يا من هو محمود في كل خصاله، صلِّ على محمد وآل محمد وافعل بي ما تشاء

(١) العورات هنا بمعنى الثغرات التي يخشى دخول الضررمن خلالها.

وأنت محمود. إلهي أتراك معذبي وقد عفَّرتُ لك في التراب خدي، أتراك معذبي وحبك في قلبي، أما إنك إن فعلت ذلك بي جمعت بيني وبين قوم طال ما عاديتهم فيك. اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك يحق عليك فيه الإجابة للدعاء إذا دُعيتَ به، وأسألك بحق كل ذي حق عليك وبحقك على جميع من هو دونك، أن تصلي على محمد عبدك ورسولك وآله الطاهرين، ومن أرادني أو أراد احداً من إخواني بسوء، فخذ بسمعه وبصره، ومن بين يديه ومن خلفه، وامنعني منه بحولك وقوتك. اللهم ما غاب عني من أمري أو حضرني، ولم ينطق به لساني ولم تبلغه مسألتي أنت أعلم به مني، فصلِّ على محمد وآل محمد وأصلحه لي وسهِّله يا رب العالمين. ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ولا تحمل علينا إصراً[١] كما حمَلته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تُحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. ماذا عليك يا رب لو أرضيت عني كل من له قبلي تبعة، وأدخلتني الجنة برحمتك، وغفرت لي ذنوبي، فإن مغفرتك للخاطئين وأنا منهم، فاغفر لي خطائي يا رب العالمين. اللهم إنك تحلم عن المذنبين وتعفو عن الخاطئين، وأنا عبدك الخاطئ المذنب الحسير الشقي، الذي قد أفزعَتْني ذنوبي وأوبقَتْني خطاياي[٢]، ولم أجد لها ساداً ولا غافراً غيرك يا ذا الجلال والإكرام. إلهي استعبدَتْني الدنيا واستخدمَتْني، فصرت حيران بين أطباقها، فيا من أحصى القليل فشكَرَه، وتجاوز عن الكثير فغفرهُ بعد أن ستره، ضاعِفْ لي القليل في طاعتك وتقبَّله، وتجاوز عن الكثير في معصيتك فاغفره، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم، يا أرحم الراحمين. اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وأعِنّي على صلاة الليل وصيام النهار، وارزقني من الورع ما يحجزني عن معاصيك، واجعل عباداتي لك أيام حياتي، واستعملني أيام عمري بعمل ترضى

---

(١) لاتحملنا إصراً: لاتكلفنا تكليفاً شاقاً. والإصر: الذنب والثقل.

(٢) أوبقتني: أهلكتني.

به عني، وزَوِّدني من الدنيا التقوى، واجعل لي في لقائك خلفا من جميع الدنيا، واجعل ما بقي من عمري دركاً لما مضى من أجلي. أيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة، فاسمع يا سميع مدحتي، وأجب يا رحيم دعوتي، وأَقِلْ يا غفور عثرتي. فكم يا إلهي من كربة فرّجتها، وغمرة قد كشفتها، وعثرة قد أقلتها، ورحمة قد نشرتها، وحلَقة بلاء قد فككتها، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم وإني أشهدك وكفى بك شهيدا، فاشْهد لي بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت ربي، وأن محمداً رسولك نبيي، وأن الدين الذي شرعت له ديني، وأن الكتاب الذي أنزلت عليه كتابي، وأن عليّ بن أبي طالب إمامي، وأن الأئمة من آل محمد صلواتك عليه وعليهم أئمتي. اللهم إني أُشهدك وكفى بك شهيدا، فاشهد لي بأنك أنت الله المنعم عليّ لا غيرك، لك الحمد بنعمتك تتم الصالحات. لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، وتبارك الله وتعالى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، عدَدَ الشفع والوِتر، وعدد كلمات ربي الطيبات المباركات، صدق الله وبلَّغ المرسلون ونحن على ذلك من الشاهدين. اللهم صل على محمد وآل محمد واجعل النور في بصري، والنصيحة في صدري، وذكرَك بالليل والنهارعلى لساني، ومن طَيِّب رزقك الحلال غير ممنون ولا محظور فارزقني. اللهم إني أسألك خير المعيشة معيشة أقوى بها على جميع حاجاتي، وأتوسل بها في الحياة إلى آخرتي، من غير أن تُترِفَني فيها فأشقى، وأوسع عليّ من حلال رزقك، وأَفِضْ عليّ من سَيْبِ فضلك، نعمة منك سابغة وعطاءً غير ممنون، ولا تشغلني فيها عن شكر نعمتك علي بإكثارِ منها فتُلهيني عجائب بهجته، وتَفْتِنُني زهرات زينته، ولا بإقلال منها فيقصر بعملي كدّه، ويملأ صدري همه، بل أعطني من ذلك غنىً عن شرار خلقك، وبلاغاً أنال به رضوانك، يا أرحم الراحمين. اللهم إني أعوذ بك من شر الدنيا وشر أهلها وشر ما فيها، ولا

تجعل الدنيا علي سجنا، ولا تجعل فراقها لي حزنا، أَجِرْني من فتنتها، واجعل عملي فيها مقبولا، وسعيي فيها مشكورا، حتى أصل بذلك الى دار الحيوان ومساكن الأخيار. اللهم وإني أعوذ بك من أزلها[١] وزلزالها وسطوات سلطانها ومن شر شياطينها وبغي من بغى عليَّ فيها، فصل على محمد وآله واعصمني بالسكينة، وألبسني درعك الحصينة، وأجِنَّني[٢] في سترك الواقي وأصلح لي حالي، وبارك لي في أهلي وولدي ومالي. اللهم صل على محمد وآله وطهر قلبي وجسدي، وزكِّ عملي، واقبل سعيي، واجعل ما عندك خيراً لي، سيدي أنا من حُبِّك جائع لا أشبع، أنا من حبك ظمآن لا أَروى، واشوقاه إلى من يراني ولا أراه. يا حبيب من تحبب إليه، يا قرة عين من لاذ به وانقطع إليه، قد ترى وحدني من الآدميين ووحشتي، فصل على محمد وآله واغفر لي وآنس وحشتي وارحم وحدتي وغربتي. اللهم إنك عالم بحوائجي غير معلَّم، واسعٌ لها غير متكلِّف، فصل على محمد وآله وافعل بي ما انت أعلم به مني من أمر دنياي وآخرتي. اللهم عظم الذنب من عبدك فليحسن العفو عندك، يا أهل التقوى وأهل المغفرة. اللهم إن عفوك عن ذنبي وتجاوزك عن خطيئتي، وصفحك عن ظلمي، وسترك على قبيح عملي، وحلمك عن كبير جرمي، عند ما كان من خطاي وعمدي، أطمعني في أن اسألك ما لا أستوجبه منك، الذي رزقتني من رحمتك، فلم أر مولى كريما أصبر على عبدٍ لئيم منك عليَّ يا رب، إنك تدعوني فأولي عنك، وتتحبب إليَّ فأَتبغض إليك، وتتود إلي فلا أقبل منك، وكأن لي التطول عليك، ولم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان الي والتفضل علي بجودك وكرمك، فصل على محمد وآله وارحم عبدك الجاهل، وعد عليه بفضل إحسانك، إنك جواد كريم، أي جواد أي كريم.

ثم تقول:

---

(١) الأَزَل: الضِّيق والحبس.

(٢) أجِنَّني: اجعلني في جُنة وهي الوقاية.

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله بسم الله، باسم عالم الغيب، باسم من ليس في وحدانيته شك ولا ريب، باسم من لا فوت عليه ولا رغبة إلا إليه، باسم المعلوم غير المحدود والمعروف غير الموصوف، باسم من أمات وأحيا، بسم من له الآخرة والأولى، باسم العزيز الأعز، باسم الجليل الأجل. باسم المحمود غير المحدود[١] المستحق له على السراء والضراء، باسم المذكور في الشدة والرخاء، باسم المهيمن الجبار، باسم الحنّان المنان، باسم العزيز من غير تعزز والقدير من غير تقدر، باسم من لم يزل ولا يزول، باسم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم.

ثم تقول:

«اللهم صل على محمد وآله وأصلحني قبل الموت، وارحمني عند الموت، واغفر لي بعد الموت، اللهم صل على محمد وآله واحطط عنا أوزارنا بالرحمة، وارجع بمسيئنا إلى التوبة. اللهم إن ذنوبي قد كثرت وجَلَّت عن الصفة، وإنها صغيرة في جنب عفوك، فصل على محمد وآله واعف عني، اللهم إن كنتَ ابتليتني فصبِّرني والعافية (والعاقبة) أحب إلي. اللهم صل على محمد وآله وحَسِّنْ ظني بك وحَقِّقْه، وبَصِّرْ فعلي، وأعطني من عفوك بمقدار أملي ولا تجازني بسوء عملي فتهلكني، فإن كرمك يجل عن مجازاة من أذنب وقصَّر وعاند، وأتاك عائذاً بفضلك، هارباً منك إليك، متنجزاً ما وعدت من الصفح عمَّن أحسن بك ظنّا. اللهم صل على محمد وآله واغفر لي والجِلْدُ بارك (بارد)[٢] والنَّفَسُ دائر، واللسان منطلق، والصحف منشرة[٣]، والأقلام

(١) وردت هذه العبارة في الإقبال: باسم المحمود غير المحمود، إلا أنها في البحار نقلاً عن الإقبال «غير المحدود» وعلى فرض الأول فيمكن أن يكون المعنى: المستحق للحمد ولايحمده الخلق. والله العالم.

(٢) في المصدر وفي البحار وقد نقل عنه، والجلد بارك، وعلق محقق البحار باحتمال كونه والجلد بارد أي قبل دبيب الحرارة التي هي علامة الموت، وهو محتمل كما يحتمل «بارك» أي لم يتحرك وينطلق كما تبرك الناقة.

(٣) نشر الصحف المراد هنا نشرها لتكتب فيها الملائكة الحسنات والسيئات، وهو غير نشرها يوم القيامة للحساب.

جارية، والتوبة مقبولة، والتضرع مَرجوّ، قبل أن لا أقدر على استغفارك حين يفنى الأجل وينقطع العمل. اللهم صل على محمد وآله وتَوَلّنا ولا تُولِنا غيرك، أستغفرك استغفارا لا يقدر قدره ولا ينظر أمدَه إلا المستغفَر به، ولا يدري ما وراءه ولا وراء ما وراءه، والمراد به أحد سواه. اللهم إني أستغفرك لما وعدتك من نفسي ثم أخلفتك، وأستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه، وأستغفرك لكل خير أردت به وجهك ثم خالطني فيه ما ليس لك، وأستغفرك لكل نعمة أنعمت بها علي ثم قوِيتُ بها على معصيتك»[1].

٢ ـ الدعاء الثاني:

عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: إذا حضر شهر رمضان فقل: **«اللهم قد حضر شهر رمضان، وقد افترضت علينا صيامه وأنزلت فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، اللهم أعنا على صيامه، اللهم تقبله منا وسلمنا فيه وتسلمه منا في يسر منك وعافية إنك على كل شئ قدير يا أرحم الراحمين»**[2].

٣ ـ الدعاء الثالث:

وهو ما تتضمنه الرواية التي ورد فيها دعاء لكل يوم من أيام الشهر العظيم.

و سأذكرها بحوله تعالى موزعة على الأيام مع وقفة عند مضمون دعاء كل يوم.

---

(١) المصدر ١/ ١٣٧.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة١٠/ ٣٢٥.

* دعاء اليوم الأول

«اللهم اجعل صيامي فيه صيام الصائمين، وقيامي فيه قيام القائمين ونبّهني فيه عن نومة الغافلين وهب لي جرمي فيه يا إله العالمين واعفُ عني يا عافياً عن المجرمين»[(١)].

وقفة مع مضمونه:

ولدى التأمل في مضامين هذا الدعاء نجد أنه يقف بنا عند الفرق بين الظاهر والباطن، الشكل والمحتوى، وأن التفريق بينهما يكون باليقظة والخروج من الغفلة ولا يتحقق ذلك عادةً إلا إذا تخلّص الإنسان من تبعات الذنوب وخرج من حجابها وأسْرِها وهو ما يتوقف على عفوه عزّ وجلّ.

«اللهم اجعل صيامي فيه صيام الصائمين».

ما أكثر الذين يصومون إلا أن الصوم الحقيقي قليل، إلهي لا أريد أن أكون من الصائمين ظاهراً فقط، الذين ليس لهم من صومهم إلا الجوع والعطش، فاجعلني اللهم من الصائمين حقيقة، في الباطن والسريرة.

«واجعل قيامي فيه قيام القائمين».

أريد أن تكون عبادتي لك يا إلهي عبادة حقيقية، وأنى للتراب ورب الأرباب، ما أنا وما عملي.

«ونبهني فيه من نومة الغافلين».

لا يمكنني أن أحصل على صوم الصائمين وقيام القائمين إلا إذا نبَّهتني يا

---

(١) الإقبال ١/٢٣٠ والكفعمي، البلد الأمين ٢١٩ أدعية أيام شهر رمضان، والمصباح ٦١٢ ـ ٦١٣. والمجلسي، البحار ٩٥/٤ عن الإقبال. ونظراً للإختلاف بين النسخ المطبوعة من المصادر المذكورة آنفاً، فقد اعتمدت في إيراد أدعية الأيام اللفظ الذي أورده المحدث القمي في مفاتيح الجنان، وهو في دعاء اليوم الأول، مطابق لما في المصباح .

إلهي عن نومة الغافلين ولا أستحق ذلك ما دامت معاصيّ تحيط بي. إلهي فاعفُ عني حتى أستحق إيقاظك لي فيصبح قيامي قيام القائمين، ويصبح صيامي صيام الصائمين، «**وهَب لي جرمي فيه يا إله العالمين.**

«**واعفُ عني يا عافياً عن المجرمين**».

ختام هو المدخل، فبالإعتراف تبدأ التوبة، وبمقدار ما يكون تكون.

إلهي أنا مقر بذنبي، معترف بجرمي، أنا صاحب الدواهي العظمى! فاعفُ عني لتنبّهني من نومة الغافلين، لأصل إلى صيام الصائمين، وقيام القائمين، كما تحب وترضى.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «**نم نوم المعتبرين، ولا تنم نومة الغافلين، فان المعتبرين من الأكياس، ينامون استراحة، ولا ينامون استبطاراً. وانْو بنومتك تخفيف مؤنتك على الملائكه، واعتزال النفس عن شهواتها، واختبر بها نفسك، وكن ذا معرفة بانك عاجز ضعيف، لا تقدر على شيء من حركاتك وسكونك، إلا بحكم الله وتقديره، وأن النوم أخ الموت، واستدل بها على الموت، الذي لا تجد السبيل إلى الإنتباه فيه، والرجوع إلى صلاح ما فات عنك، ومن نام عن فريضة أو سنة أو نافلة فاته بسببها شيء، فذلك نوم الغافلين، وسيرة الخاسرين، وصاحبه مغبون، ومن نام بعد فرغه من أداء الفرائض والسنن والواجبات من الحقوق، فذلك نوم محمود..**»[١].

* أعمال كل ليلة

يلاحظ أن الأيام والليالي الأولى من كل شهر تحظى بوفرة في الأعمال نسبية، وطبيعي أن تكون حصة شهر الله تعالى من ذلك متميزة، وكأن المراد

---

(١) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ٥/ ١٢٣ والمجلسي، البحار ١٨٩/٧٣ كلاهما نقلاً عن: مصباح الشريعة.

من كثرة الأعمال في البداية التأسيس لما يأتي، وتصحيح المسار، وتحديد الوجهة الصحيحة، بالإضافة إلى أن هذه البدايات مناخ للبذار، وخصوصاً شهر رمضان الذي يفهم من كونه «ربيع القرآن» أنه الموسم الأفضل لكل مفردات رياض التوحيد.

وتتوزع أعمال كل ليلة من هذا الشهر العظيم على ثلاث محطات:

١ ـ الإفطار.

٢ ـ مابعده قبل النوم، لمن لم يقو على الإحياء.

٣ ـ السحر.

وتشترك ليالي الشهر كلها في أكثر الأعمال مع خصوصيات قليلة لكل منها، وكثيرة لبعضها، كما هو الحال في ليالي القدر.

وفي ما يأتي استعراض أهم الأعمال العامة لكل ليلة من شهر رمضان المبارك.

*** أولاً: الإفطار**

وهو محطة شديدة الأهمية للصائم، ولا تمتد أهميتها لفترة زمنية طويلة، فهي حركة قلب، وإرهاف إحساس، ونبل مشاعر. تماماً كما هو حال من دخل إلى ضيافة عامرة وقد نصبت المائدة. كم يستغرق من الوقت أن ينشرعلى الضيوف بسمة، ويؤدي التحية بلباقة ولياقة، ويخص صاحب الضيافة برد التحية بأدب جم، وكلمات قلب مفعمة بالشكر، لما بدر منه في حقه من تكريم لاعلاقة له بالطعام، فهو لمّا يتذوقه بعد. وكم هو الفارق بين هذا وبين من دخل إلى مثل هذه الضيافة، وكأنه لا يرى إلا الطعام. إن الفارق الزمني لا يذكر، ولكن الفارق القيمي والأخلاقي كبير، كبير.

للصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، ندرك منها هذه الفرحة التي تلامس شغاف القلوب لدى المشاركة في الضيافة العامرة، بالأدب الجم، الذي قد

يخدش بهاءه كلمة من هنا، أو إشارة من هناك. فعلى ماذا نفطر؟ وكيف سنفطر؟

في الجواب على السؤال الأول ورد ذكر الماء والتمر وغيرهما، ولكن الأهم من ذلك ما بيَّنه السيد ابن طاوس عليه الرحمة بقوله: «وكلما كان الذي يفطر عليه الإنسان أبعد من الشبهات، وأقرب إلى المراقبات كان أفضل أن يفطر به، ويجعله مطية ينهض بها في الطاعات، وكسوة لجسده يقف بها بين يدي سيده».

وفي الجواب على السؤال الثاني: ورد في آداب الإفطار استحباب أذكار مختصرة، وسورة القدر، ويمكن للصائم اختيار أحدها، كما ورد استحباب دعاء أطول من الأذكارة والسورة، والغالب الحث على الأول، إلا أن الحث على الثاني كبير جداً. وهما كما يلي:

١ ـ عن رسول الله ﷺ: **«ما من عبد يصوم ويقول عند إفطاره هذا الدعاء، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وهو: ياعظيم ياعظيم ياعظيم، أنت الله الذي لا إله إلا أنت، اغفر لي الذنب العظيم، إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت ياعظيم»**[١].

٢ ـ عن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام: أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: **«اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبله منا، ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وبقي الأجر»**[٢].

٣ ـ كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أن يفطر، قال: **«اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»**[٣].

---

(١) الكفعمي، البلد الأمين ٢٣١

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

٤ ـ عن رسول الله ﷺ: **«إن لكل صائم عند فطره دعوة مستجابة، فإذا كان في أول لقمة، فقل: بسم الله، يا واسع المغفرة، اغفر لي، فمن قالها عند إفطاره، غُفر له»**[١].

٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من قرأ «القدر» عند سحوره وعند إفطاره «. .» كان بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله»**[٢].

٦ ـ وأما الدعاء المشار إليه، فقد قال فيه السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

«ومن الدعاء المختص بالإفطار في شهر الصيام، ما رويناه بأسنادنا إلى المفضل بن عمر رحمه الله قال:

قال الصادق عليه السلام: **إن رسول الله ﷺ قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن هذا شهر رمضان قد أقبل، فاجعل دعاءك قبل فطورك، فإن جبرئيل عليه السلام جاءني فقال: يا محمد من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان قبل أن يفطر، استجاب الله تعالى دعاءه، وقبل صومه وصلاته، واستجاب له عشر دعوات، وغفر له ذنبه، وفرج همه، ونفس كربته، وقضى حوائجه، وأنجح طلبته، ورفع عمله مع أعمال النبيين والصديقين، وجاء يوم القيامة ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر، فقلت: ما هو يا جبرئيل؟ فقال: قل:**

«اللهم رب النور العظيم، ورب الكرسي الرفيع، ورب البحر المسجور، ورب الشفع الكبير، والنور العزيز، ورب التوراة والإنجيل والزبور، والفرقان العظيم. أنت إله من في السموات وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك، وأنت جبّار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك، أنت ملك من في السموات، وملك من في الأرض، لا ملك فيهما غيرك، أسألك

---

(١) المصدر ٢٣٢.

(٢) المصدر.

باسمك الكبير، ونور وجهك المنير، وبملكك القديم. يا حيُ يا قيوم، يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم، أسألك باسمك الذي أشرق به كل شيء، وباسمك الذي أشرقت به السموات والأرض، وباسمك الذي صلح به الأولون، وبه يصلح الآخرون. يا حياً قبل كل حي، ويا حيا بعد كل حي، ويا حيُ لا إله إلا أنت، صل على محمد وآل محمد، واغفر لي ذنوبي، واجعل لي من أمري يسراً وفرجاً قريباً، وثبتني على دين محمد وآل محمد، وعلى هدى محمد وآل محمد، وعلى سنة محمد وآل محمد، عليه وعليهم السلام. واجعل عملي في المرفوع المتقبل، وهب لي كما وهبت لأوليائك وأهل طاعتك، فإني مؤمن بك، ومتوكل عليك، منيبٌ إليك، مع مصيري إليك، وتجمع لي ولأهلي ولولدي الخير كله، وتصرف عني وعن ولدي وأهلي الشر كله. أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض، تعطي الخير من تشاء، وتصرفه عمن تشاء، فامنن علي برحمتك يا أرحم الراحمين»[1].

وقد أورد الشيخ الطوسي الدعاء المتقدم باختلاف خصوصاً في آخره، واختلاف في العدد، فقال رضوان الله عليه:

«ويستحب لمن صام أن يدعو بهذه الدعاء قبل إفطاره، سبع مرات: اللهم رب النور العظيم ورب الكرسي الواسع ورب العرش العظيم ورب البحر المسجور ورب الشفع والوتر، ورب التوراة والإنجيل ورب الظلمات والنور ورب الظل والحرور ورب القرآن العظيم، أنت إله من في السموات وإله من في الأرض، لا إله فيهما غيرك، وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك، وأنت خالق من في السماء وخالق من في الأرض لا خالق فيهما غيرك، وأنت ملك من في السماء وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك، أسألك باسمك الكبير ونور وجهك المنير وبملكك القديم إنك

---

(١) الإقبال ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ٢٣١ ـ ٢٣٢.

على كل شئ قدير، وباسمك الذي أشرق له نور حجبك، وباسمك الذي صلح به الأولون وبه يصلح الآخرون، يا حياً قبل كل حي، ويا حي بعد كل حي ويا محيي الموتى، يا حي لا إله إلا أنت صل على محمد وآل محمد واغفر لنا ذنوبنا واقض لنا حوائجنا واكفنا ما أهمنا من أمر الدنيا والآخرة، واجعل لنا من أمرنا يسراً وثبتنا على هدى رسولك محمد ﷺ، واجعل لنا من كل غم وهم وضيق فرجاً ومخرجاً، واجعل دعاءنا عندك في المرفوع المتقبل المرحوم، وهب لنا ما وهبت لأهل طاعتك من خلقك فإنا مؤمنون بك منيبون إليك متوكلون عليك ومصيرنا إليك. اللهم اجمع لنا الخير كله واصرف عنا الشر كله إنك أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض تعطي الخير من تشاء وتصرفه عمن تشاء. اللهم أعطنا منه وامنن علينا به يا أرحم الراحمين يا الله يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام يا الله أنت الذي ليس كمثله شئ يا أجود من سئل يا أكرم من أعطى يا أرحم من استرحم، صل على محمد وآله وارحم ضعفي وقلة حيلتي إنك ثقتي ورجائي، وامنن علي بالجنة وعافني من النار برحمتك يا أرحم الراحمين، واجمع لنا خير الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين[١].

* تقديم الصلاة، أو الإفطار؟

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة:

«**وروى زرارة وفضيل عن أبي جعفر (الإمام الباقر)** عليه السلام: **في رمضان تصلي ثم تفطر إلا أن تكون مع قوم ينتظرون الإفطار، فإن كنت معهم فلا تخالف عليهم وأفطر ثم صل وإلا فابدأ بالصلاة. قلت: ولم ذلك؟** (أي ما هو السبب في تقديم الصلاة عندما لا يكون الصائم مع قوم ينتظرون) **قال: لأنه قد حضرك فرضان الإفطار والصلاة فابدأ بأفضلهما وأفضلهما الصلاة، ثم قال: تصلي وأنت صائم، فتكتب صلاتك تلك، فتختم بالصوم أحب إلي**»[٢].

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٢٣ ـ ٦٢٤.

(٢) نفس المصدر ٦٢٦ ـ ٦٢٧.

* آداب الإفطار

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

«فصل فيما نذكره من كيفية خروج الصائم من صومه ودخوله في حكم الإفطار. إعلم أن للصائم معاملة كلف باستمرارها قبل صومه، ومع صومه، وبعد صومه، فهي مطلوبة منه قبل الإفطار، ومعه وبعده، في الليل والنهار، وهي طهارة قلبه مما يكرهه مولاه، واستعمال جوارحه فيما يقربه من رضاه، فهذا أمر مرادٌ من العبد مدة مقامه في دنياه. وأما المعاملة المختصة بزيادة شهر رمضان، فإن العبد إذا كان مع الله جل جلاله، يتصرف بأمره في الصوم والإفطار، في السر والإعلان، فصومه طاعة سعيدة، وإفطاره بأمر الله جل جلاله عبادة أيضاً جديدة. فيكون خروجه من الصوم إلى حكم الإفطار، خروجَ ممتثلٍ أمرَ الله جل جلاله، وتابع لما يريده منه من الإختيار، متشرفاً ومتلذذاً بأن سلطان الدنيا والآخرة ارتضاه أن يكون ببابه، منصرفاً إلى خدمته، منتسباً إلى دولته وسلطته، وأنه وفَّقه للقبول منه، وسلمه من خطر الإعراض عنه. وإياه وأن يعتقد أنه بدخول وقت الإفطار قد أعفي من هيبة المطالبة بطهارة الأسرار، وإصلاح الأعمال في الليل والنهار، وهو يعلم أن الله جل جلاله ما أعفاه (من الصيام) إلا لمزيد دوام إحسانه إليه، وإقباله بالرحمة عليه. وكيف يكون العبد متهاوناً باقبال مالكٍ حاضرٍ محسنٍ إليه، ويُهَوِّن من ذلك ما لم يُهَوَّن، ألم يسمع مولاه يقول: وما خلقت الجن والانس إلاليعبدون»[1].

وفي هدي ما تقدم يمكن القول:

إعلم أن الإفطار نوع إحلال بعد إحرام، وخروج من الحمى الخاص بعد الدخول فيه، وأن ما بين الإفطار والإمساك التالي، نوع تمتع بالحج، يعقبه دخول الحمى مجدداً، في موعد الإحرام التالي، وليكن ذلك نصب عيني

(١) الإقبال ١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦. بتصرف في العبارات الأخيرة.

القلب طيلة ضيافة الرحمن، واستحضره في كل ليلة عند الإفطار، فإنك بحول الله تعالى تجد بركاته عندما يحين موعد الخروج من البيت الحرام والحرم عموماً إلى عرفات ومنى ليلة العيد، وموعد العودة إلى الديار بعد السادس من شوال، وانتهاء موسم الضيافة وما يتبعها من صيام مستحب.

* مابعد الإفطار

وتتوزع أعمال مابعد الإفطار وقبل السحر عادة على أدعية الليلة عموماً وأبرزها دعاء الإفتتاح، وعلى صلاة الليلة الخاصة أو العامة أو كليهما. وسأورد في عمل كل يوم الصلاة الخاصة بكل ليلة تليه، وأما أدعية الليالي فلا يتسع المجال لذكرها لكثرتها، ويمكن لمن شمله التوفيق أن يرجع إلى ما أورده السيد في الإقبال، والشيخ الكفعمي في البلد الأمين.

ومن المفيد هنا ما يأتي من الإشارة إلى أهمية دعاء الإفتتاح، والراجح عند الفقهاء من روايات صلاة كل ليلة من ليالي شهر رمضان.

* الغسل

ولا بد من التنبيه هنا على استحباب الغسل في كل ليلة مفردة، أي الأولي، الثالثة، الخامسة، وهكذا.

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة:

وقد بينا ليالي الغسل وهي أربع ليال: ليلة سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدي وعشرين وثلاث وعشرين، وإن اغتسل ليالي الأفراد كلها وخاصة ليلة النصف، كان له فيه فضل كثير[1].

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٦.

وفي العروة الوثقى:

يستحب الغسل في ليالي الأفراد من شهر رمضان، وتمام ليالي العشر الأخيرة، ويستحب في ليلة الثالث والعشرين غسل آخر في آخر الليل، وأيضا يستحب الغسل في اليوم الأول منه، فعلى هذا الأغسال المستحبة فيه اثنان وعشرون. وقيل باستحباب الغسل في جميع لياليه حتى ليالي الأزواج، وعليه يصير(اثنان وثلاثون) ولكن لا دليل عليه، لكن الإتيان لاحتمال المطلوبية في ليالي الأزواج من العشرين الأوليين لا بأس به. والآكد منها: ليالي القدر وليلة النصف، وليلة سبعة عشر، والخمس وعشرين، والسبع وعشرين، والتسع وعشرين منه.

أضاف:

«يستحب أن يكون الغسل في الليلة الأولى واليوم الأول من شهر رمضان في الماء الجاري، كما أنه يستحب أن يصب على رأسه قبل الغسل أو بعده ثلاثين كفاً من الماء ليأمن من حكة البدن ولكن لا دخل لهذا العمل بالغسل، بل هو مستحب مستقل. (مسألة ١٦): وقت غسل الليالي تمام الليل، وإن كان الأولى الإتيان به أول الليل، بل الأولى الإتيان به قبل الغروب أو مقارناً له ليكون على غسل من أول الليل إلى آخره، نعم لا يبعد في ليالي العشر الأخيرة رجحان الإتيان به بين المغرب والعشاء لما نقل من فعل النبي ﷺ، وقد مر أن الغسل الثاني في الليلة الثالثة والعشرين في آخره.

(مسألة ١٧): إذا ترك الغسل الأول في الليلة الثالثة والعشرين في أول الليل لا يبعد كفاية الغسل الثاني عنه وإن كان الأولى الإتيان بهما آخر الليل برجاء المطلوبية، خصوصا مع الفصل بينهما، ويجوز الإتيان بغسل واحد بعنوان التداخل وقصد الأمرين»[١].

---

(١) السيد اليزدي، العروة الوثقى ٢/١٤٩ ـ ١٥٠ (ط: جديدة).

* دعاء الإفتتاح

قال الشيخ الطوسي:

دعاء كل ليلة من شهر رمضان من أول الشهر إلى آخره: «**اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمنك..**» **وأورد الدعاء بتمامه إلى «وعافية منك تلبسناها برحمتك يا أرحم الراحمين»**[١].

وقال السيد ابن طاوس:

«فصلٌ، فيما نذكره من دعاء الإفتتاح وغيره من الدعوات التي تتكرر كل ليلة إلى آخر شهر الفلاح فمن ذلك الدعاء الذي ذكره محمد بن أبي قرة بأسناده فقال: حدثني أبو الغنائم محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الحسني قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن محمد بن نصر السكوني رضي الله عنه، قال: سألت أبا بكر أحمد بن محمد بن عثمان البغدادي رحمه الله أن يخرج إلي أدعية شهر رمضان التي كان عمه أبو جعفر محمد بن عثمان بن السعيد العَمْري(السفير الثاني للإمام صاحب الزمان) رضي الله عنه وأرضاه يدعو بها، فأخرج الي دفتراً مجلداً بأحمر، فنسخت منه أدعية كثيرة وكان من جملتها: وتدعو بهذا الدعاء في كل ليلة من شهر رمضان، فإن الدعاء في هذا الشهر تسمعه الملائكة وتستغفر لصاحبه، وهو: اللهم إني أفتتح الثناء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمَنّك» وأورد الدعاء كما أورده الشيخ الطوسي عليهما الرحمة[٢].

* صلاة كل ليلة

تعددت الروايات حول صلاة كل ليلة، وما وجدته على ثلاثة أقسام هي كما يلي:

---

(١) المصدر ٥٧٧ ـ ٥٨١.

(٢) الإقبال ١٣٨/١. وانظر: الكفعمي، البلد الأمين ١٩٣ ـ ١٩٥. والمصباح ٥٧٩ ـ ٥٨٢.

١ ـ روايات صلاة الألف ركعة موزعة على الليالي. ويأتي مزيد إيضاح، وهي التي ينبغي الإهتمام بها أكثر من غيرها، لما ستعرف من رأي الفقهاء، ولأن سيد العلماء المراقبين السيد ابن طاوس قال عن الصلوات الآتية:

واعلم أنني تركت ذكر صلوات في ليالي شهر رمضان ما وثقت بطرقها ورواتها، وصُرفت عن إثباتها[١]..

٢ ـ رواية عن رسول الله ﷺ تارة[٢]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام تارة أخرى[٣] باختلاف يسير، وقد وردت فيها لكل ليلة صلاة خاصة.

٣ ـ صلاة واحدة مختصرة، يؤتى بها في كل ليلة.

قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٤].

والمراد بالتسبيحات الأربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

ويستطيع المؤمن اختيار إحدى هذه الروايات، إلا أن صلاة الألف ركعة هي الأرجح، ولذلك فسأقف عندها في ما يلي بشيء من التفصيل، ثم أعتمد

---

(١) المصدر ١/ ١١١.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٢ ـ ٥٦٤. والبلد الأمين ١٧٥. «صلوات شهر رمضان». وقال في المصدرين: «وأما صلوات ليالي شهر رمضان، فنقلتها من كتاب الأربعين حديثاً للشهيد رحمه الله، مروية عن النبي ﷺ».

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة٨/ ٣٨.

(٤) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش. وقدورد فيه: ركعتين بالحمد فيها والتوحيد ثلاثاً، وإنما عدلت عنه لما في المتن لأنه المراد وحذر التشويش على من يختار هذه الصلاة، فليلاحظ.

في عمل كل يوم وليلة ذكر هذه الصلاة ـ الألف ركعة ـ أولاً، ثم أذكر الصلاتين الثانية والثالثة، بالترتيب المذكور آنفاً، والسبب في ذكر الصلوات الثلاثة لكل ليلة، أن لا يُحرم من صلاة الليلة من لا يوفق لحصة تلك الليلة من الألف ركعة، ويكون أمام خيارين آخرين يمكنه الأخذ بأحبهما إليه، مع التنبه جيداً إلى أن الفارق بين الأولى وغيرها كبير جداً.

* ترجيح الأولى: الألف ركعة

ويرجح أغلب الفقهاء اعتماد الألف ركعة التي وردت في عدة روايات إلا أن هناك اختلافاً في عدة موارد، والنتيجة العملية أنه يمكن الإتيان بهذه الألف ركعة بإحدى طريقتين:

الأولى: عشرون ركعة في كل ليلة من أول الشهر إلى العشرين منه، وثلاثون لكل ليلة من العشرالأخيرة، وثلاثماءة يؤتى بها ليالي تسع عشرة، وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فيكون المجموع ألف ركعة.

قال الشهيدان الأول والثاني: «ثمان بعد المغرب واثنتا عشرة بعد العشاء، ويجوز العكس وفي كل ليلة من العشر الأخيرة ثلاثون ركعة: ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء. ويجوز اثنتا عشرة بعد المغرب، والباقي بعد العشاء»[١].

ويقرأ في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً، يختار المصلي بين ذلك، فقد تضمنت رواية هذه الصلاة عن الإمام الصادق قوله عليه السلام: «**تقرأ في هذه الصلوات كلها أعني صلاة شهر رمضان، الزيادة منها**[٢]**، بالحمد وقل هو الله أحد، إن شئت مرة، وإن شئت ثلاث مرات، وإن شئت خمس مرات، وإن شئت سبعاً، وإن شئت عشراً**»[٣].

---

(١) الشهيد الثاني/ شرح اللمعة الدمشقية ١/٦٩٣.

(٢) المقصود بقوله عليه السلام: الزيادة منها: الألف ركعة لأنها زيادة على النوافل اليومية الراتبة.

(٣) الإقبال ١/٥٢.

وهناك دعاء خاص بعد كل ركعتين، وهو بصيغتين: مطولة، ومختصرة.

ويأتي ذكر الدعاء المختصر، في آخر الحديث عن كيفية الصلاة.

الثانية: الصلاة في جميع الليالي كما تقدم، ويتم توزيعها بين المغرب والعشاء وبعد العشاء، ويقرأ فيها كما تقدم، ولكن لا تصلى العشرون ركعة، ولا الثلاثون في ليالي القدر أي لا تصلى عشرون ركعة ليلة تسع عشرة، ولا تصلى ثلاثون ركعة ليلة إحدى وعشرين ولا ثلاثون ليلة ثلاث وعشرين، فيكون ما نقص من الألف ثمانين ركعة، يؤتى بها كما يلي:

أ ـ تفرَّق في أربع جمع، في كل جمعة عشر ركعات، أربع منها صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وركعتان صلاة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأربع ركعات صلاة جعفر رضوان الله تعالى عليه.

ب ـ ويؤتى في ليلة آخر جمعة بعشرين ركعة صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ليلة آخر سبت منه بعشرين ركعة صلاة فاطمة عليها السلام فيكون ذلك تمام ألف ركعة[1].

---

(١) وقد أوضح الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه، توزيع هذه الثمانين ركعة في المقنعة في سياق حثه النوعي على الإهتمام بالألف ركعة، ونظراً لفائدته الجليلة، فإني أورده بتمامه.
قال الشيخ:
وأعلم أن الله جل جلاله فضل شهر رمضان على سائر الشهور لما علم من المصلحة في ذلك لخلقه، فحكم به في الكتاب المسطور، وأوجب فيه الصوم إلزاماً، وأكد فيه المحافظة على الفرائض تأكيداً، وندب فيه إلى أفعال الخير ترغيباً، وعظم رتبته، وشرفه، وأعلا شأنه، وشيد بنيانه، فخبر جل اسمه: أنه أنزل فيه القرآن العظيم، وأن فيه ليلة خير من ألف شهر للعالمين. وكان مما ندب إليه من جملة ما رغب فيه، وحث عليه، ألف ركعة يأتي بها العبد في جميعه تقرباً إليه، وهي مع ذلك جبران لما يدخل من الخلل في الفرائض عليه فافهمها أرشدك الله، وحصل علمها، واعزم على تأديتها تكن من المخلصين. إذا كان أول ليلة من الشهر، وصليت المغرب ونوافلها الأربع فقم، فصل ثماني ركعات، تقرأ في كل ركعة «فاتحة الكتاب» و«إنا أنزلناه في ليلة القدر» أو «قل هو الله أحد»، ويجزيك بدلها ما تيسر من القرآن، غير أن قراءتهما أفضل، فإذا فرغت من الثماني ركعات صرت إلى طعامك، فإذا دخل وقت العشاء الآخرة صليتها، وعقبت، ودعوت، ثم قمت، فصليت اثنتي عشرة ركعة، تقرأ فيها ما قدمنا ذكر الرغبة فيه من سورة «الإخلاص» و«إنا أنزلناه في ليلة القدر»، ويجزيك أيضا بدلاً من ذلك ما تيسر من القرآن، =

وبالإمكان الرجوع في معرفة هذه الصلوات إلى «مفاتيح الجنان» فهي مذكورة في أوائله.

= فإذا فرغت من الإثنتي عشرة ركعة كنت مكملاً بها عشرين ركعة، تأتي بها على الترتيب في كل ليلة من الشهر إلى ليلة تسع عشرة، وهى الليلة التى ضرب فيها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، وتجعل الوتيرة في عقب هذه الصلاة المذكورة، لتكون ختاماً لها. فإذا حضرت ليلة تسع عشرة فاغتسل فيها قبل مغيب الشمس، فإذا صليت المغرب ونوافلها الأربع والعشاء الآخرة فصل بعدها مائة ركعة، (و) تكثر فيها من قراءة: «إنا أنزلناه في ليلة القدر»، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، والصلاة على أمير المؤمنين وذريته الائمة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، والإبتهال في اللعنة والدعاء على ظالمهم من الخلق أجمعين، وتجتهد في الدعاء لنفسك، ولوالديك، ولإخوانك من المؤمنين، وتعقبها بالوتيرة على ما قدمناه. فإذا كانت ليلة عشرين عدت إلى الترتيب في صلاتك العشرين. فإذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وهى الليلة التى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام اغتسلت قبل مغيب الشمس كما صنعت ليلة تسع عشرة، وصليت بعد العشاء الآخرة مائة ركعة، تقرأ فيها بإحدى السورتين المقدم ذكرهما، تفصل بين كل ركعتين بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، وتكثر من الإبتهال إلى الله تعالى في تعذيب قتلة أمير المؤمنين عليه السلام وذريته الراشدين عليهم السلام، واللعنة لهم بأسمائهم، ومن أسس لهم ذلك، وفتح لهم فيه الأبواب، وسهل الطرق، ومن اتبعهم على ذلك من سائر العالمين، وتجتهد في الدعاء لنفسك، ولوالديك، ولإخوانك من المؤمنين. فإذا كانت ليلة اثنتين وعشرين صليت ثماني ركعات بعد المغرب، واثنتين وعشرين بعد العشاء الآخرة، تكملها ثلاثين ركعة. فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين اغتسلت عند مغيب الشمس، وصليت بعد العشاء الاخرة مائة ركعة، تقرأ في كل ركعة منها «فاتحة الكتاب» و«إنا أنزلناه في ليلة القدر»، وتكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وتتوب إلى الله جل اسمه من ذنوبك، وتكثر من الاستغفار، وتجتهد في الدعاء، والمسألة، وتذكر حوائجك، فإنها الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر. ثم تصلي في كل ليلة من السبع الليالي الباقية ثلاثين ركعة على ما قدمنا ترتيبه: من ثمان بين العشائين، واثنتين وعشرين بعد عشاء الآخرة، فتكمل جميع صلواتك على هذا الحساب تسع مائة وعشرين ركعة يبقى تمام الألف ثمانون ركعة. تصلي في كل يوم جمعة من الشهر عشر ركعات: أربعاً منها صلاة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام تقرأ في كل ركعة منها «الحمد» مرة واحدة و«قل هو الله أحد» خمسين مرة. وركعتين صلاة السيدة فاطمة صلوات الله عليها، تقرأ في الأولى منهما «الحمد» مرة و«إنا أنزلناه في ليلة القدر» مائة مرة، وفي الأخرى «الحمد» و«قل هو الله أحد» مائة مرة، فإذا سلمت سبحت تسبيح الزهراء عليها السلام وقد قدمنا ذكره، وهو مائة تسبيحة: منها أربع وثلاثون تكبيرة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وثلاث وثلاثون تسبيحة. وأربع ركعات صلاة جعفر بن أبي طالب عليه السلام وهى تسمى صلاة الحبوة، تقرأ في الاولى منها «الحمد» و«إذا زلزلت الارض زلزالها» وفي الثانية «الحمد» و«العاديات»، وفي الثالثة «الحمد» و«إذا جاء نصر الله» وفي الرابعة «الحمد» و«قل هو الله أحد» وتسبح، وتحمد، وتهلل، وتكبر في كل ركعة منها خمساً وسبعين مرة، تكمل بذلك في الأربع ركعات ثلاثمائة مرة، تقول في الركعة الاولى بعد القراءة وقبل الركوع في دبر السورة «سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» خمس عشرة مرة، وتقوله في الركوع عشراً، وتقوله عند قيامك من الركوع وأنت منتصب عشراً، وتقوله في السجود عشراً، وتجلس بين السجدتين فتقوله عشراً، =

وقد لخص الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه الرأيين المتقدمين، تحت عنوان: «عدد النوافل في شهر رمضان» فقال:

وعددها سوى نوافل الفرائض ألف ركعة، منها أربع مائة في عشرين ليلة بحساب كل ليلة عشرون ركعة، ثمان بين المغرب والعشاء الآخرة، واثنتا عشرة بعد العشاء الآخرة، وثلاث مائة ركعة في العشر الثاني، في كل ليلة ثلاثون ركعة منها ثمان بين العشائين واثنتان وعشرون بعد العشاء الآخرة، فذلك سبع مائة ركعة. وثلاث مائة في ثلاث ليال من جملة الشهر، ليلة تسع عشرة مائة ركعة، وليلة احدى وعشرين مائة ركعة، وليلة ثلاث وعشرين مائة ركعة، فذلك تكملة ألف ركعة في طول الشهر. وقد روي أن الليالي التي يصلي فيها المائة يسقط فيها ما يجب في غيرها من ليالي الشهر، فيسقط بحساب الثلاث ثمانون ركعة تصلى على ما جاء به الأثر في ست دفعات: في يوم كل جمعة من الشهر عشر ركعات، أربع منها صلاة أمير المؤمنين عليه السلام،

= وتسجد الثانية فتقوله فيها عشراً، وترفع رأسك منها فتجلس وتقوله عشراً، وتنهض إلى الثانية فتقرأ فيها، فإذا فرغت من القراءة صنعت مثل صنيعك في التسبيح الأول، وتشهدت، وسلمت، وتصنع في الآخرتين مثل ذلك، وتقول في السجدة الأخيرة من هذه الصلاة بعد فراغك من العشر تسبحيات: «سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان من لا ينبغى التسبيح إلا له، سبحان من أحصى كل شئ علمه، سبحان ذى المن والنعم، سبحان ذى القدرة والأمر، أللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وكلماتك التامات التى تمت صدقاً وعدلاً، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تفعل بي كذا وكذا» وتسأل حوائجك، فإذا سلمت من هذه الاربع ركعات اكملت بها مع ما تقدمها من الست ركعات في أربع جمع أربعين ركعة، تتم بها مع ما تقدم من النوافل تسع مائة وستين ركعة. فإذا كان آخر جمعة من الشهر صليت ليلة الجمعة عشرين ركعة من صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وليلة السبت عشرين ركعة من صلاة السيدة فاطمة صلوات الله عليها، فتكمل ألفاً لا شبهة فيها. واعلم أن هذه الألف ركعة هي سوى نوافلك التى تَطَوَّعُ بها في سائر الشهور من نوافل الليل والنهار، إذ هي لعظيم حرمة شهر رمضان زيادة عليها، فلا تدعن تلك لاستعمال هذه، ولا هذه لتلك، واجمع بينهما، واسأل الله تعالى المعونة والتوفيق لها، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال حين فرغ من شرح هذه الصلاة للمفضل بن عمر الجعفي (رضي الله عنه): «يا مفضل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم». ولكل ركعتين من هذه الألف ركعة دعاء مخصوص يدعى به في دبرهما، أنا ذاكر طرفاً منه يكفى المقتصر عليه في باب الاختصار». المقنعة ١٦٥ ـ ١٧٠.

وأربع صلاة جعفر بن أبي طالب، وركعتان صلاة فاطمة عليها السلام. ويصلى ليلة آخر جمعة من الشهر عشرون ركعة من صلاة أمير المؤمنين عليه السلام، وفي ليلة آخر سبت من الشهر عشرون ركعة من صلاة فاطمة عليها السلام. فذلك ثمانون ركعة بدل الثمانين الساقطة تكملة الألف ركعة[١].

وتصرح كلمات العلماء بأن بالإمكان الإختيار بين الطريقتين، وإن كان السيد ابن طاوس يرجح الثانية التي رجحها الشيخ الطوسي رحمهما الله تعالى، ولذلك قال: «إعلم أن الظاهر في العمل في ترتيب نافلة شهر رمضان هو ما قد تضمنه مصباح جدي أبي جعفر الطوسي رضوان الله جل جلاله عليه «..» وهذا الترتيب في نوافل شهر رمضان هو اختيار الشيخ المفيد في كتاب المقنعة»[٢].

وقال الشهيد الثاني: «نافلة شهر رمضان (وهي) في أشهر الروايات (ألف ركعة) موزعة على الشهر (غير الرواتب في) الليالي (العشرين) الأُوَل (عشرون كل ليلة) ثمان بعد المغرب واثنتا عشرة بعد العشاء، ويجوز العكس (وفي) كل ليلة من (العشر الأخيرة ثلاثون ركعة): ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء. ويجوز اثنتا عشرة بعد المغرب، والباقي بعد العشاء (وفي ليالي الإفراد) الثلاث: وهي التاسعة عشرة والحادية والعشرون والثالثة والعشرون (كل ليلة مائة مضافة) إلى ما عين لها سابقا، وذلك تمام الألف: خمسمائة في العشرين وخمسمائة في العشر. (ويجوز الاقتصار عليها فيفرق الثمانين) المتخلفة: وهي العشرون في التاسعة عشر، والستون في الليلتين بعدها (على الجمع) الأربع. فيصلي في يوم كل جمعة عشرا بصلاة علي، وفاطمة، وجعفر عليهم السلام. «..» وفي ليلة آخر جمعة عشرون بصلاة علي عليه السلام. وفي ليلة آخر سبت عشرون بصلاة فاطمة عليها السلام. وأطلق تفريق

---

(١) الشيخ المفيد، المقنعة ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٢) الإقبال ١/٤٦ ـ ٤٧.

الثمانين على الجُمِع مع وقوع عشرين منها ليلة السبت تغليباً، ولأنها عشية جمعة تنسب إليها في الجملة. ولو نقص الشهر سقطت وظيفة ليلة الثلاثين. ولو فات شئ منها استحب قضاؤه ولو نهاراً وفي غيره. والأفضل قبل خروجه»[١].

قال الحر العاملي: «وفي أحاديث هذه النوافل اختلاف في الكمية والكيفية وهو محمول على التخيير أو الجَمْع والتعدد»[٢].

واعلم أنه يستحب صلاة مائة ركعة غير الألف يؤتى بها في ليلة النصف من شهر رمضان. قال الشيخ المفيد عليه الرحمة: «ويستحب أن يصلى الانسان في ليلة النصف من شهر رمضان مائة ركعة زيادة على الالف، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: من صلى ليلة النصف من شهر رمضان مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة منها فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، عشر مرات أهبط الله إليه من الملائكة عشرة، يدرؤون عنه أعداءه من الجن والإنس، وأهبط إليه عند موته ثلاثين ملكاً يؤمنونه من النار»[٣].

* الدعاء بعد كل ركعتين

أورد الشيخ الطوسي، ونقل عنه السيد ابن طاوس أدعية مطولة يدعى بها بعد كل ركعتين من العشرين ومن الثلاثين، وبعد كل ركعتين من المائة التي يؤتى بها في ليالي القدر، ومن أرادها يمكنه الرجوع إلى مصباح المتهجد، أو الإقبال.

وسأكتفي هنا بذكر دعاء مختصر، يدعى به بعد كل ركعتين:

---

(١) الشهيد الثاني، شرح اللمعة الدمشقية ١/٦٩٣ ـ ٦٩٥.
(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٥/١٨٥.
(٣) الشيخ المفيد، المقنعة ١٧٠ ـ ١٧١.

عن الإمام العسكري عليه السلام: وليكن مما تدعو به كل ليلة بين كل ركعتين من نوافل شهر رمضان:

«اللهم اجعل في ما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم، أن تجعلني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، وأسألك أن تطيل عمري في طاعتك، وتوسع في رزقي يا أرحم الراحمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين»[(١)].

قال السيد ابن طاوس:

«وان كان لك عذر صالح ومانع واضح، فاعمل بالأدعية المختصرات «..» ولعلها لمن يكون له عذر عن أكثر منها من الأدعية في بعض الأزمان، أو تكون مضافة إلى غيرها من الدعاء، لقوله في الحديث: وليكن مما تدعو به»[(٢)].

* صلاة الليلة الثانية

عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومن صلى في الليلة الثانية أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر عشرين مرة غفر الله له جميع ذنوبه»[(٣)].

وقد تقدم الكلام عن الصلاة الأخرى التي يؤتى بها في كل ليلة بطريقة ثابتة.

---

(١) الكفعمي، المصباح ٥٧٩. الهامش. نقلاً عن السيد ابن طاوس. أنظر: الإقبال ١/ ٨٠.

(٢) الإقبال ١/ ٨٠.

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة٨/ ٣٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥، والمصباح ٥٦٣، وليلاحظ أن العلمين أوردا الصلوات نقلاً عن أربعين الشهيد، إلا أن الشيخ الحر ذكر أنها مروية عن أمير المؤمنين عليه السلام، بينما قال الشيخ الكفعمي في مصدريه مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يحضرني أربعون الشهيد لمراجعته، وقد التزمت بإيراد الصلوات عن رسول الله صلى الله عليه وآله، لأن مايقوله أمير المؤمنين فهو صلى الله عليه وآله مصدره.

* السحور

قد يخطر بالبال السهر إلى وقت متأخر، وتناول الطعام ثم النوم إلى الصباح، وقد يستغني البعض عن الطعام في وقت متأخر، وقد يبدأ اللجوء إلى ذلك بدعوى أنه مؤقت وطارئ، وبتكراره يزول الحاجز النفسي بين هذا الصائم والعناية بوقت السحر.

لذلك وجب التنبه إلى أن السحور غير السحر، وقد ورد الحث على كل منهما بما يناسبه، وأن الحرمان من أسحار شهر رمضان يكاد يضاهي الحرمان من الشهر كله، إلا إذا كان هناك عذر وجيه لا يحمل أدنى شائبة من التهاون بأيام الله تعالى ولياليه، وأفضل ساعاته وفيض مناجاته.

ومن الروايات حول السحور:

١ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

١ ـ تسحروا ولو بجرع الماء ألا صلوات الله على المتسحرين[١].

٢ ـ السحور بركة فلا تدع أمتي السحور..»[٢].

٣ ـ إن الله تبارك وتعالى وملائكته يصلون على المستغفرين والمتسحرين بالأسحار، فليتسحر أحدكم ولو بشربة من ماء..»[٣]

٤ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: ما من مؤمن صام فقرأ إنا أنزلناه في ليلة القدر عند سحوره وعند إفطاره، إلا كان في ما بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله. وقد تقدم ذكر الرواية في الإفطار.

(١) الشيخ المفيد، المقنعة ٣١٦.
(٢) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٢٦. بتصرف.
(٣) الإقبال ١/ ١٨٥.

* آداب السحور

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

واما آداب السحور، فمنها: أن يكون لك حال مع الله جل جلاله، تعرف بها أنه يريدك أن تتسحر، وبماذا تتسحر، ومقدار ما تتسحر به، فإن ذلك يكون من أعظم سعادتك، حيث نقلك الله جل جلاله برحمته من معاملة شهوتك وطبيعتك إلى تدبيره جل جلاله في إرادتك. ومنها: أن لا يكون لك معرفة بهذه الحال ولا تصدق بها حتى تطلبها من باب الكرم والإفضال، فلا تتسحر سحوراً يثقلك عن تمام وظائف الأسحار، وعن لطائف الطاعات في إقبال النهار[١].

ويبدو أنه رضوان الله تعالى عليه يرمز إلى مرتبة عالية يشكل المدخل إليها الحرص على أن لا يثقل السحور عن العبادة بتوجه، واللجوء إلى الله تعالى ليتفضل بما هو أهله.

* نية الصوم

قال السيد:

ويكون القصد بنية الصوم أنك تعبد الله جل جلاله بصومك واجباً لأنه أهل للعبادة، وتعتقد أنه من أعظم المنة عليك، حيث جعلك الله أهلاً لهذه السعادة، سواء قصدت بالنية الواحدة صوم الشهر كله، أو جددت كل يوم نية لصوم ذلك اليوم، ليكون أبلغ لك في الظفر بفضله، وإن تهيأ أن تكون نيتك أن تصوم عن كل ما شغل عن الله، فذلك الصوم الذي تنافس المخلصون في مثله[٢].

---

(١) المصدر ١٨٦.

(٢) الإقبال ١/١٨٧.

* أي صوم نريد؟

وتحدث السيد عليه الرحمة عن أصناف الصائمين، إلى أن قال:

«وصنف، صاموا معتقدين أن المنة لله جل جلاله عليهم في صيامهم وثبوت أقدامهم، عارفين بما في طاعته من إكرامهم وبلوغ مرامهم، فهؤلاء أهل الظفر بكمال العنايات وجلال السعادات. واعلم أن لأهل الصيام مع استمرار الساعات واختلاف الحركات والسكنات [درجات]، في أنهم ذاكرون أنهم بين يدي الله جل جلاله، وأنه مطلع عليهم، وما يلزمهم لذلك من إقبالهم عليه، ومعرفة حق إحسانه إليهم، فحالهم في الدرجات على قدر استمرار المراقبات، فهم بين متصل الإقبال مكاشف ذلك الجلال، وبين متعثرٍ بأذيال الإهمال، وناهض من تعثره بإمساك يد الرحمة له والإفضال، ولا يعلم تفصيل مقدار مراقباتهم وتكميل حالاتهم، إلا المطلع على اختلاف إرادتهم. فارحم روحك أيها العبد الضعيف الذي قد أحاط به التهديد والتخويف، وعُرض عليه التعظيم والتبجيل والتشريف»[1].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لما يحب ويرضى، بالنبي المصطفى وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.



(١) المصدر ١٨٩.




٢
شهر رمضان

* هل أيقن القلب بضيافة الله؟
* من أدب الضيافة
* دعاء اليوم الثاني
* الغسل في الليالي المفردة
* صلاة الليلة الثالثة




*** هل أيقن القلب بضيافة الله؟**

تقبَّل الله أعمالكم ووفقنا جميعاً لما يحب ويرضى بالنبي **المصطفى** وآله.

أرادنا الله عزّ وجلّ أن نصل في شهر رمضان المبارك إلى حيث لا يمكننا أن نصل بدون ضيافة الرحمن في شهر الرحمن.

من حبه لنا عزّ وجلّ أنه أتاح لنا المحطات المكانية المميزة، لكي نصل من خلالها إلى المراتب العالية، ومن حبه لنا عزّ وجلّ أنه أقام هذه المحطات الزمنية المميزة وفي طليعتها شهر رمضان المبارك، وبسط سبحانه موائد الرحمة في هذا الشهر الكريم ودعانا إلى الإستزادة من الثواب، وأن نجِدَّ السير في طريق الحصول على رضوانه تقدست أسماؤه.

إنه العليم بحالنا **ألا يعلم من خلق؟ «تعلم مافي نفسي وتخبر حاجتي وتعرف ضميري»** يعرف تقصيرنا، وأننا غرقى بحار الذنوب. يعرف غيبتنا والنميمة: وأننا نبطيء كثيراً حين يدعونا، ونضيق ذرعاً حين ندعوه ولا نلمس سرعة الإجابة. يعرف أننا لا نهتم بصلة الرحم ولا بحقوق المؤمن عموماً كما ينبغي، وأننا نقيم على التقصير، ونصر على أن نخرج أنفسنا من حده، فنقنعها أننا من خيرة عباد الله الصالحين، إن لم نكن الخيرة!

ورغم ذلك كله فإنه وهو أرحم الراحمين، يقول لنا من خلال شهر الرحمة، شهر المغفرة والرضوان ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولقد هيأ لنا تقدست آلاؤه، كل ما ينبغي من أجل أن نصل.

ترى، كيف نتعامل مع شهر الله تعالى؟

هل نتعامل مع هذه الفرصة الإلهية الفريدة بالمستوى المطلوب، هل ندرك ما معنى ضيافة الله عزّ وجلّ، وهل نبذل جهداً من أجل هذه الضيافة يتناسب مع كونها ضيافة الله تعالى؟ ألا ينبغي أن نلح على أن يقتنع القلب ويوقن بأنه ضيف الله!

بلى.. أنت أيها القلب ضيف الله تعالى، سواءً كنت كالخرقة البالية أو أشد من الحجارة قسوة، ومهما أسرفت في معاقرة الذنوب والولوغ في المعاصي.

أيها القلب، في شهر الله تعالى وضيافة الرحمن، لامجال بعدُ لتندب حظك العاثر لكثرة المعاصي، وتقول: ويلي كلما كبر سني كثرت ذنوبي.

إن المجال الذي فتحه الله تعالى أمامك على مصاريعه يستدعي منك حصر الهم وبذل الجهد في سياق: **أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضي عني شهر رمضان أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، ولك قِبَلي تبعة أو ذنب تعذبني عليه.**

يندب حظه من لا تتاح له فرصة لا يحرم من فيضها العميم إلا شقي!

أما وقد أصبحنا فيها، فلنندب حظنا على ما يضيع من لحظاتها دون أن يُستثمر في فكاك نفوسنا المرتهنة، وعتق رقابنا التي أذلتها واستعبدتها أهواؤنا والشهوات.

أيها الحبيب: إن علينا أن نبذل قصارى جهدنا في شهر رمضان المبارك من أجل الوصول إلى رضوان الله تعالى.

نحن في موسم إلهي لا نظير له على الإطلاق.

أنا المقصر أستطيع الآن أن أكون من السابقين السابقين والمقربين، شرط أن أعي الظرف الذي أنا فيه وكيف أتوجه إلى ربي عزّ وجلّ.

إذا أدركت ذلك وطرقت الباب بتواضع وإلحاح وصدق إخلاص، فإن أرحم الراحمين أكرم من أن يردَّ سائلاً وقف ببابه وقد أمرنا أن لا نردّ السائل ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

عندما نتأمل في الروايات وفي كلمات علمائنا الأعلام حول طريقة العمل في شهر الله تعالى، نجد أنفسنا أمام مستوى آخر من حمل الهم والجد في المراقبة والعبادة، يختلف عما نألفه جملةً وتفصيلاً.

ليس شهر رمضان المبارك شهر الدِّعة والإستراحة والنوم، وليس شهر السهرات التي نمضيها في اللهو والمرح وتقفية الشِّعر وما شابه. وإن من أكبر الحِيَل الشيطانية التي تنطلي على الكثيرين منا أن نلجأ إلى مثل هذه الأساليب، وإذا بشهر ضيافة الله تعالى، هو شهر العطّالين البطّالين.

شهر ينبغي فيه أن نشمّر عن ساعد الجِد ونتفرغ لعبادة الرحمن، ونتفرغ للأعمال الصالحة، وإذا بالغفلة تجعله شهر «الفزازير» والجلسات العابثة المقهقهة بصخب الحرام، وثقافتها وأجوائها التي تنتشر في كل مكان!

فكيف نتعايش مع ذلك، فضلاً عن أن نتقبله ونوغل فيه؟

أنا في ضيافة الرحمن، كيف أسمح لنفسي أن أكون كرة يتقاذفها الشيطان حيث يريد، ويقنعني ـ بحجة أني كنت صائماً ـ بأن لي ملء الحق في أن أسهر وأتندر وأهزأ كما يحلو لي، دون أن أحمل همَّ آخرتي على الإطلاق، وكأن شهر رمضان هو موسم التفنُّن في السهرات وتمضية الوقت الثمين بأبخس النتائج وأتفهها، وتقطيع أوصال المصير.

صحيح أن الترويح عن النفس أمر طبيعي ولابدّ منه ضمن الضوابط الشرعية، ومنها أنه دائماً يجب أن يُقدَّر بقدره.

لو فرضنا أن إنساناً حُكم عليه بالإعدام، وأمامه متَّسع من الوقت يستطيع أن يفعل شيئاً من أجل رفع حكم الإعدام عنه، فكيف يتصرف؟

هل ينصرف إلى مجالس اللهو والسمر والعبثية، ومشاهدة الأفلام المختلفة، أم أنه يستثمر كل لحظة من أجل إنقاذ نفسه؟

ترى، هل يمنُّ عليّ إلهي وسيدي ومولاي بعتق رقبتي من النار في هذا الشهر المبارك؟

أوليس هو هذا الهم الذي ينبغي أن يحمله كلٌ منا؟

إننا أمام فرصة، أنفاسنا فيها تسبيح ونومنا عبادة، وعملنا مقبول، من تطوّع بصلاة في هذا الشهر كتب الله له براءة من النار، وما أحوجنا إلى هذا الثواب الجزيل، وهذه البراءات من النار التي ربما تبقي لنا أعمالنا شيئاً منها، خصوصاً مجالس الغيبة وأذى المؤمنين.

إن الحاجة إذاً كبيرة، والفرصة المتاحة عظيمة، والمكتوب يقرأ من عنوانه، فهل بدأنا نتعاطى مع الشهر بما يتناسب مع فرادته؟

* من أدب الضيافة

نقرأ في دعاء الإفتتاح «**وأيقنت أنك أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة**».

ويضعنا ذلك أمام أصلين هما مقتضى العدل، لابدّ أن نبني سلوكنا على مراعاتهما.

صحيح أن الله عزّ وجلّ أرحم الراحمين وأنّنا نتوقع أن تشملنا رحمته مهما كانت ذنوبنا، إلا أن الصحيح أيضاً أن نتأمل في زوايا أنفسنا ونراقب أعمالنا حتى لا نُفاجأ عندما تأتي ملائكة ربنا لتنقلنا إلى جوار الله عزّ وجلّ، بأنا أمام عملية إلقاء القبض على مجرم مرد على الخروج على القانون، وارتكاب الفظائع والموبقات.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

فهل يصح لأيٍّ منا أن يعيش الغفلة والإهمال وينصرف عما ينبغي الإهتمام به في شهر رمضان ثم يُسلِم نفسه إلى عاقبة من هذا النوع، والعياذ بالله؟

تحدث السيد ابن طاوس عليه الرحمة حول الإهتمام بشهر الله تعالى، فقال:

«فصلٌ في ما نذكره من كيفية الدخول على كرم الله جل جلاله في حضرة ضيافته ودار كرامته التي فتحها».

وقد أورد في هذا الفصل بعض الروايات، منها:

عن الإمام الصادق عليه السلام يوصي وُلدَه: «**إذا دخل شهر رمضان فأجهدوا أنفسكم في هذا الشهر فإن فيه تُقسَم الأرزاق وتُكتَب الآجال وفيه يُكتَب وفد الله (أي الحجاج) الذين يفِدون إليه، وفيه ليلةٌ العمل فيها خير من العمل في ألف شهر**»[1].

وأول ما يلفت في هذا النص، الربط بين مستوى بذل الجهد في شهر رمضان من بدايته، وبين ليلة القدر، فهو مغاير لما ألفناه من الإهتمام بليلة القدر في أحسن الحالات، حين نصبح على مشارفها، والصحيح أنه ينبغي الإهتمام بها من أول الشهر، ولذلك يستحب للمؤمن أن يدعو باستمرار طيلة الشهر المبارك ليوفقه الله عزّ وجلّ لإدراك ليلة القدر، ويأتي حديث بالتفصيل حول ذلك إن شاء الله تعالى.

ما أريد أن أذكره هنا إجمالاً أن نحرص على طلب التوفيق لهذه الليلة، وهذا ما نجده واضحاً في بعض الأدعية الملحقة بدعاء الإفتتاح «**وليلة القدر وحج بيتك الحرام وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا**».

---

(١) **الإقبال** ١/٦٩. وانظر: الكليني، الكافي ٤/٦٦

إننا أمام حث على الإهتمام بهذه الليلة المباركة وعلى مدار الأيام والليالي قبلها، وهو يوضح تماماً مدى الجهد الذي يجب أن نبذله طيلة الشهر الكريم، ويلتقي مع ما في الرواية المتقدمة عن الإمام الصادق عليه السلام من الحث على أن نجهد أنفسنا في هذا الشهر.

فليسأل كل منا نفسه: ترى هل ينطبق عليّ أني أُجهِد نفسي حقيقةً في طاعة الله عزّ وجلّ، وعبادته؟

وليس المراد بإجهاد النفس تحميلها ما لا تطيق، بل المراد هو هذا الجهد الذي نبذله في ما نُحب عادة، من قبيل الجهد الذي يستعذبه من اقتنع بأهمية الرياضة، أو استهواه إنجاز علمي يستدعي منه سهراً ومثابرة.

هل أحرص على أن أكتفي بالمقدار الذي لا بد منه من النوم لأتفرغ في الوقت الباقي لعبادة ربي عزّ وجلّ، كما يحرص على ذلك الطالب المُجِدُّ؟

هل أتعامل مع فترة السحر على أساس أنها فرصة نادرة للعبادة، وهل ألاحظ في ما أتناول من طعام أن أتقوّى به على عبادة ربي، ولا يكون عائقاً يحول بيني وبين ذلك؟ هل أحاول استثمار الجو الروحاني الإلهي العجيب في وقت السحر، أم أني أنشغل بتناول الطعام والتوابع إلى أن يحين وقت الإمساك؟

هل أُجهد نفسي بقراءة القرآن؟ أوليس هذا الشهر المبارك شهر قراءة كتاب الله تعالى، والآية بختمة؟

وأما الأرزاق التي تُقسَّم، فليس المراد بها الأرزاق المادية فقط وإن كانت من جملتها، إلا أن التعبير عام يشمل الخشوع، الحياء، والعفة، والعلم، والورع، إلى غير ذلك، من القيم الفاضلة ومكارم الأخلاق والأفعال، فجميع ذلك هو من الأرزاق. وينبغي أن يستقر في سويداء القلب أن كل الفوائد التي تتحقق في شهر الله تعالى تأتي في صراط بلورة إنسانية الإنسان، ولا

يستفيد منها أحد سواه، فليست العبادة عبثاً واستخداماً، وإنما هي كالعلم أو العلم منها الصورة والمثال، لا يعود نفعه إلا على صاحبه والناس.

ويورد السيد ابن طاوس في الفصل المشار إليه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**عليكم في شهر رمضان بالإستغفار والدعاء أما الدعاء فيدفع عنكم البلاء وأما الإستغفار فيمحو ذنوبكم**»

بمقدار ما يكون المرء في معرض الخطر، يتعاظم مستوى حذره، وبمقدار ما يكون الخطأ في الكتابة تطول عملية المحو.

إننا مع المولى أبي الحسن عليه السلام في هذا الحديث، أمام حث على الإكثار من الإستغفار، وعلى الإكثار من الدعاء، لنشحن شهر رمضان بعبادة الله تعالى على حد تعبير حفيده سيد الساجدين عليه السلام، على ثقة بالله سبحانه ويقين بمواعيده.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد وردت هذه الآية في عداد آيات الصوم.

ويبلغ الحث على الإستزادة من بذل الجهد في شهر الله تعالى الآفاق التي لا يُدرك مداها، مع ما أورده السيد في هذا الفصل من أن رسول صلى الله عليه وآله «كان إذا دخل شهر رمضان تغيّر لونه، وكثرت صلاته، وابتهل بالدعاء، وأشفق منه».

فداك كل نفوس الخلق يا رسول الله.

كل هذه المفردات في جانب، و«أشفق منه» في جانب آخر!

وهل الإشفاق فرع المعرفة، وهيبة الضيافة.

أنى للموغل في ظلام القلب والذنب، أن يفقه حرفاً من حالات النور الأول.

أو ليس الأولى بالقلب أن ييمم وجهه شطر حالاته هو بدلاً عن هذا المرتقى الصعب؟

هل استشعرت أيها القلب ما يدعو إلى تغير اللون وكثرة الصلاة، والدعاء بابتهال وليس مجرد الدعاء؟

وهل عراك طيف من وجل، ومسحة من إشفاق؟

ولماذا كل هذه الطمأنينة التي هي والغفلة سواء؟

لو أننا في ضيافة سيد المعصومين المصطفى الحبيب ﷺ، فكيف ينبغي أن يكون أدبنا معه؟ وكيف إذاً ينبغي أن يكون أدبنا مع الله عزّ وجلّ في ضيافته؟

يمكننا أن ندرك من معاني النص المتقدم أنه كانت لشهر رمضان في نفس المصطفى ﷺ مكانة خاصة جداً، فهل أنا وأنت كذلك بما يتناسب معنا؟

وبعد أن أورد السيد الروايات المتقدمة ركز في بيان أدب الضيافة على ثلاثة محاور:

الأول: معرفة أهمية هذه الضيافة.

الثاني: معرفة حقيقة علاقة الضيف بالمضيف.

الثالث: معرفة الباب الذي يناسب الدخول منه حال الضيف.

وقال حول الأول:

«واعلم ان شهر الصيام مثل دار ضيافة فتحت للأنام، فيها من سائر أصناف الإكرام والإنعام، ومن ذخائر خلع الأمان والرضوان، وإطلاق كثير من الأسراء بالعصيان، وتواقيع بممالك وولايات ربانيات حاضرات ومستقبلات، ومراتب عاليات، ومواهب غاليات، وطيّ بساط الغضب والعتاب والعقاب،

والإقبال على صلح اهل الجفاء لرب الأرباب. فينبغي أن يكون نهوض المسلم العارف المصدق بهذه المواهب إلى دخول دار الضيافة بها على (قدر) فوائد تلك المطالب بالنشاط والإقبال والسرور وانشراح الصدور..»[١].

وبالمقارنة بين ما ذكره هنا وما تقدم منه في غيره، يتضح أن المراد لو أن ملكاً من الملوك دعا شخصاً إلى ضيافته ووضع أمامه مئات المراسيم، وقال له: خذ ما تريد من هذه المراسيم وما فيها بدءاً من أصغر مرسوم ملوكي شديد الأهمية إلى أعلى مرسوم، فكيف يتعاطى الحريص على هذه الأمور مع هذه الفرصة المتاحة؟

وها نحن في ضيافة الرحمان أمام مواهب وعطايا لا تقاس بها على الإطلاق هذه المواهب التي يمكن لأكبر حاكم أو رئيس أو ملك أن يعطيها، فهل نعرف قيمة هذه المواهب؟

باستطاعة أيٍّ منا أن يصبح من أهل التقوى، أواليقين، أو يحصل على درجة الشهادة أو علم التوحيد، إلى غير ذلك من العطايا الكبيرة والمواهب التي يمضي الإنسان عمره في الحصول عليها وقد لا يحالفه التوفيق.

باستطاعة أيٍّ منا أن يُمنح في شهر الله تعالى «**مكارم الأخلاق**» والحال أنه قد يكابد عشرين سنة أو أكثر ليتخلص من حالة أخلاقية سيئة معينة كالرياء أو الحقد أو العجب، أو استبداد الغضب به، وربما أخفق في الخلاص منها.

إن جميع هذه العطايا والمواهب في متناول الناس بيسر، ولكنها ليست مطلقة بل بشرطها وشروطها.

وتسأل: حتى العاصي يمكنه أن يحصل على هذه المواهب والعطايا الإلهية في شهر رمضان المبارك؟

(١) الإقبال ١/٦٩ ـ ٧٠.

والجواب: بلى، وبكل تأكيد، لأن شهر رمضان المبارك ليس للعُبَّاد، والزهاد، فهؤلاء هم بشكل وبآخر من الواصلين، وشهر رمضان المبارك لنا نحن الغافلين، المقصرين، والغرقى في بحار المعاصي والذنوب، لكي نصل.

إلا أن هنا شرطاً أساسياً لا بد من الإلتفات إليه وهو الموضوعية وعدم المكابرة، والإعتراف بالخطأ. وهو العنوان الثاني الذي عالجه السيد بقوله:

«وان كان قد عامل الله جل جلاله قبل الشهر المشار إليه معاملة لا يرضاها، وهو خجلان من دخول دار ضيافته والحضور بين يديه لأجل ما سلف من معاصيه (فليعلم أن) لدار هذه الضيافة أبواباً كثيرة بلسان الحال: منها باب الغفلة فلا يُلِمَّ به ولا يدخل منه، لأنه بابٌ لا يصلح الا لأهل الإهمال»[1].

يريد أنه إذا كان الصائم قد أساء إلى الله تعالى وعصاه قبل حلول هذا الشهر فليحذر أن يدخل إلى دار ضيافته عزّ وجلّ من باب الغفلة أي أن يدخل شهرَ الله تعالى والضيافةَ فيه، وهو سادر في غفلته.

إن من يلبس ثياباً ممزقة، ملطخة بأنواع اللوثات، إذا حملته الغفلة إلى مجلس رسمي حافل، ثم تنبه لذلك، فإنه سيذوب خجلاً وتغمره الفضيحة، ويود لو أن الأرض تبتلعه بمجرد أن يرى نفسه في ذاك المجلس، فيصرخ القلب بأعلى الصوت: مالذي جاء بي؟! وبهذا المنظر؟! وعلى هذه الصورة النكراء إلى هذا المجلس الحاشد!

فكيف إذا دخلتُ أنا الغريق في بحار الذنوب ـ الملطخ بالغيبة، وبعقوق الوالدين، والحقد، وحب الدنيا، وغير ذلك ـ إلى مجالس الأطهار، وشاركت في ضيافة الرحمن وأنا غافل.

---

(١) المصدر، مصححاً على نسخة دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٧ هجري شمسي ص٢٠. وليلاحظ أن في العبارة مع ذلك خللاً بحسب الظاهر، حاولت تلافيه بما بين المعقوفتين.

كذلك هو حال غفلتنا أيها العزيز التي تحملنا إلى ضيافة الرحمن فندخل من بابها!

ومن تنبَه منا واستشعر الفضيحة، وحاول أن يتدارك الأمر، فإن هذا الشعور بالفضيحة، وضرام نار الندم، قد يصل من العمق وقوة التأثير إلى حيث يكون هو التوبة الحقيقية النصوح التي لا تضاهى.

أما من دخل إلى ضيافة الرحمان وهو غافل، وأقام على ذلك، فسيكون مصداق من دخل من باب الغفلة كما يعبر السيد، وسينقضي الشهر ولا تكون حصيلته منه إلا الجرأة على ربه والمزيد من تراكمات الغفلة.

إذاً من أين ندخل نحن أصحاب المعاصي إلى ضيافة الرحمن؟

هذا هو العنوان الثالث الذي يقول فيه السيد عليه الرحمة:

«وإنما (ينبغي لمثله أن) يدخل من الباب الذي دخل منه قوم إدريس، وقوم يونس عليهما السلام، ومن كان على مثل سوء أعمالهم وظفروا منه بآمالهم، ويدخل من الباب الذي دخل منه اعظم المذنبين ابليس، قال جل جلاله: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، فدخل عليه جل جلاله من باب تحريم الأياس والقنوط من رحمته وقال: اجعلني من المنظرين، فظفر منه جل جلاله بقضاء حاجته وإجابة مسألته».

وقصتا قوم إدريس ويونس عليهما السلام متشابهتان، يجمعهما الدخول من باب الأمل برحمة الله تعالى واليقين بعدم استحقاق الرحمة، بل باستحقاق العذاب[١].

وأما إبليس فقد علم أن الله عزّ وجلّ قد طرده، ومع ذلك طلب منه سبحانه أن يُنظِره إلى يوم الوقت المعلوم، فأنظره الله تعالى.

---

(١) أنظر في قصة قوم إدريس عليه السلام: الطباطبائي، تفسير الميزان ١٤/٦٦ ـ ٦٨. وقصة قوم يونس عليه السلام معروفة.

فينبغي للعاصي، صاحب الدواهي العظمى، الذي طالت إقامته على التمرد، أن يدخل من باب الأمل برحمة الله تعالى، ويكون لسان حاله:

إلهي وسيدي، أنا لا أستحق، أعرف نفسي، وأني عاهدتك ربِّ مرة بعد أخرى فلم تجد عندي صدقاً ولا وفاءً، إلا أنك أكرم الأكرمين.

وهكذا يتضح أن خلاصة آداب الضيافة هي عدم المكابرة، وترك العناد، واعتماد الموضوعية بأجلى صورها، والواقعية بأبهى تجلياتها الممكنة من هذا الآبق الذي طال توثبه على المحارم، وتعديه حدود الله تعالى.

ويختم السيد ابن طاووس عليه الرحمة بقوله:

«ويدخل أهل العصيان من كل باب دخل منه عاص، انصلحت بالدخول منه حاله وتلقاه فيه سعوده وإقباله، ويجلس على بساط الرحمة التي أجلس عليه سحرة فرعون لما حضروا لمحاربة رب الأرباب، فظفروا منه جل جلاله بما لم يكن في الحساب من سعادة دار الثواب. ويكون على الجالس المخالف لصاحب الرسالة آثار الحياء والخجالة، لأجل ما كان قد أسلف من سوء المعاملة لمالك الجلالة، وليظهرْ عليه من حسن الظن والشكر للمالك الرحيم الشفيق كيف شرَّفه بالإذن له في الدخول والجلوس مع أهل الإقبال والتوفيق إن شاء الله تعالى»[١].

والنتيجة هي أن علينا في هذا الشهر المبارك أن ندرك أننا أمام فرصة لا تعوَّض فنبذل كل ما نستطيع من أجل الوصول إلى رضوان الله عزّ وجلّ، ويتوقف ذلك على أن يدرك كلٌ منا ولو إجمالاً حقيقة طاعته لله سبحانه، وأن نعترف بمعاصينا ونلجأ إلى ربنا عزّ وجلّ ولسان الحال: «إلهي وقف السائلون ببابك. مسكينك بفِنائك. عُبَيدك بفِنائك. عادتك الإحسان إلى المسيئين، وسبيلك الإبقاء على المعتدين».

---

(١) الإقبال ١/ ٧٠.

* دعاء اليوم الثاني

اللهم قربني فيه إلى مرضاتك، وجنبني فيه من سخطك ونقماتك، ووفقني فيه لقراءة آياتك. برحمتك يا أرحم الراحمين.

بين القرب إلى الله تعالى والقرب إلى مرضاته، أبعد مما بين السماء والأرض، إلا أنه الخطوة الأولى في الإتجاه الصحيح المؤدي إلى القرب وما بعده من مراتب الولي ومقعد الصدق والدرع الحصين.

بل بين الرضا والقرب منه فرق أدب المعترف بذنبه، المنيب على خجل مما كسبت يداه واقترف القلب.

وهذا الطلب ينسجم مع أن الضيف ما يزال في يومه الثاني، ويتماهى مع مطلب اليوم الأول، فيأتي مترتباً عليه.

ولا يجتمع القرب من الرضا مع الإقامة على المعصية، لذلك كان ذلك مقترناً بطلب التوفيق لتركها لتجنب السخط والنقمات.

والمدخل إلى ذلك: قراءة آيات الله. وكيف يكون للمسلم مع القرآن الكريم حديث ذو شجون إلا بتوفيق أرحم الراحمين. اللهم ارزقنا.

* الغسل في الليالي المفردة

ورد في المصادر المختلفة استحباب الغسل في شهر رمضان في كل ليلة من الليالي المفردة، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، ومن المناسب التأكيد عليه في هذه الليلة. قال السيد: «الليلة الثالثة (. .) وفيها يستحب الغسل، على مقتضى الرواية التي تضمنت أن في كل ليلة مفردة من جميع الشهر يستحب الغسل»[١].

---

(١) الإقبال ٣/ ٢٥١.

* صلاة الليلة الثالثة

تقدم أني سألتزم بذكر ثلاث صلوات لكل ليلة، يمكن اختيار إحداها مع الإنتباه إلى أهمية ترجيح الأولى.

١ ـ صلاة كل ليلة من هذه الليالي إلى ليلة العشرين من شهر رمضان هي عشرون ركعة، ثمان منها بعد المغرب والباقي بعد العشاء، في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاث أو خمس أو سبع أو عشر مرات.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى في الليلة الثالثة من شهر رمضان عشر ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وخمسين مرة قل هو الله أحد ناداه منادٍ من قبل الله عزّ وجلّ: ألا إن فلان بن فلان من عتقاء الله من النار، وفتحت له أبواب السماوات، ومن قام تلك الليلة فأحياها غفر الله له»[1].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب..»[2].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة٨/٣٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٣

شهر رمضان

* معنى الضيافة
* من آداب الضيافة ـ ٢

١ ـ وداع سنة واستقبال أخرى

٢ ـ شريط السنة الماضية

٣ ـ علامة حب الله تعالى

* دعاء اليوم الثالث
* صلاة الليلة الرابعة




* معنى الضيافة

ما معنى أننا في شهر رمضان المبارك في ضيافة الله عزّ وجلّ، وهل هناك وقت لسنا فيه في ضيافة الله سبحانه وتعالى؟

أولسنا دائماً في ضيافة ربنا نتقلب على موائده ونتنعَّم بعطاياه، نتنفس من هوائه، وتستمر حياتنا ببعض فيضه؟

نعم نحن دائماً في ضيافة الرحمن عزّ وجلّ إلا أننا في شهر رمضان المبارك في ضيافة خاصة.

أرأيت لو أن شخصاً له عدة أولاد بنى لكلٍ منهم بيتاً وهو ينفق عليهم باستمرار، فهم في ضيافته دائماً إلا أنه في فترة ما أراد أن يكونوا ضيوفه بشكل خاص، وهم في بيوتهم يريد أن يتحفهم بتحف خاصة بطعام من نوع خاص، يريد أن يرفع وتيرة عنايته بهم إلى مستوى لم يصلوا إليه من قبل.

أرأيت لو أن شخصاً حلَّ ضيفاً على صاحب قصر فأفرد له جناحاً نزل الضيف فيه، إلا أنه في يوم من الأيام ـ ورغم أنه ضيفه ـ أراد أن يستضيفه في طابق آخر وفي جوٍ آخر، ألا تكون هذه أيضاً ضيافة رغم أنه كان سابقاً في ضيافته. إنها الضيافة المميزة، وكذلك هي ضيافة الرحمن لنا في شهره العظيم.

إننا دائماً في ضيافة ربنا عزّ وجلّ إلا أننا في هذا الشهر في وضع مميز.

يرفع الله تعالى مستوى الزمان في هذا الشهر فإذا به أفضل الأزمنة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، لياليه أفضل الليالي، ساعاته أفضل الساعات.

ويرفع الله تعالى في هذا الشهر مستوى المكان، فإذا كل الأمكنة هي ظرف مكان لضيافة الرحمن، تمتد عليها موائد هذه الضيافة الإلهية.

ويرفع الله سبحانه مستوى الإنسان، فإذا باستطاعة كل فرد أن يصل في هذا الشهر إلى ما لم يكن باستطاعته أن يصل إليه من قبل، لقد فتح أمامنا عزّ وجلّ سبل الجنة، والشياطين مغلولة وأبواب النيران مغلقة، ومنحنا الثواب الجزيل الذي لا نطمع به في غير شهر الله تعالى.

فكيف نتعامل مع هذه الضيافة؟

* من أدب الضيافة ـ ٢

بيّنت في الحديث السابق أن من واجبنا أن ندرك تقصيرنا، ونبذل قصارى جهدنا، وأذكر هنا ما يرتبط بحقيقة التعامل مع هذا الشهر المبارك، وهذه الضيافة الإلهية.

تقدم حديث السيد ابن طاوس عليه الرحمة عن طريقته في استقبال شهر رمضان المبارك، ولم يسمح المجال هناك بالوقوف عند بعض الدروس منه.

يقول السيد: «واعلم أني لما رأيت شهر رمضان أول سنة السعادات بالعبادات وأن فيه ليلة القدر التي فيها تدبير أمور السنة وإجابة الدعوات اقتضى ذلك»، ثم يذكر ما كان يقوم به في استقبال شهر رمضان المبارك، وهو كما يلي:

١ ـ وداع سنة واستقبال أخرى

«أودّع السنة الماضية وأستقبل السنة الآتية بصلاة الشكر، كيف سلّمني من أخطار ذلك العام الماضي وشرّفني بخِلَع التراضي وأغناني عن التقاضي».

يبدو أن السيد رحمه الله يريد أن يتنبه الصائم إلى فضل الله عزّ وجلّ عليه وأنه رضي عنه وأغناه عن الإقتصاص منه والمؤاخذة بذنوبه، والدليل هو

أنه يستقبل سنة جديدة وهو سالم من آثار القصاص، فينبغي أن يقول: لله تعالى الحمد على ذلك وعلى أنه «فرّغني لاستقبال هذا العام الحاضر، ولم يمنعني من الظفر بالسعادة والعبادة فيه بمرض ولا عرض باطن ولا ظاهر».

ويتضح المراد بوداع السنة الماضية واستقبال السنة الجديدة، بمعرفة أن هناك خلافاً حول أول السنة الهجرية وهل هو شهر محرم أو هو شهر رمضان، والخلاصة أنه لاشك في أن ما اعتمد بعد رسول الله ﷺ للتأريخ به هو أن أول السنة الهجرية هو شهر محرم، إلا أن أول السنة للعبادة والأعمال التي ورد الحث عليها على مدار السنة هو شهر رمضان المبارك[١].

٢ ـ شريط السنة الماضية

والمقصود بذلك أن يستعرض كل منا مجريات هذه السنة الماضية، فيسأل نفسه جاداً ومتأملاً: حقاً، ماذا جرى عليّ في السنة الماضية؟

تعرضتُ لأخطار ونجوت منها، والصعوبات التي واجهتها؟ والمحرمات التي ارتكبتها؟ والطاعات التي وُفّقتُ إليها، وماذا في مجال العلاقات المستجد منها والقديم، وفي باب التعامل مع الآخرين؟

وباختصار: أن يستعرض الإنسان شريط أحداث السنة الماضية، في كل ما يرتبط به شخصياً. إنها سنة تمضي من عمر الإنسان وينبغي أن تكون له وقفة عندها متأنية.

وبالمناسبة فإن السيد ابن طاوس عليه الرحمة كان يحتفل بمرور سنة ولكن لا على طريقتنا المتعارفة «عيد الميلاد» فهو لا يهتم بالسنة التي أضيفت إلى عمره بدءاً من الولادة، وإنما يهتم بكل سنة مرت وتمر بدءاً من سن التكليف، ويقول: «إن سن التكليف هو سن التشريف بالخطاب الإلهي» إن

---

(١) أنظر: الإقبال ١/٣١ ـ ٣٣.

الإنسان عندما يبلغ ويصبح مكلّفاً، يصبح مخاطَباً من قِبَل الله عزّ وجلّ بالتكاليف الشرعية، ويريد الله تعالى منه أن يلتزم بها، وهذا شرف لهذا الإنسان، ينبغي أن يتعامل معه بمنتهى الجدية والإحترام، ومن ذلك أن يحتفل بمرور عام أو أكثر على تشريفه بالخطاب بالتكليف الإلهي.

وقد مر بيان كيفية صلاة الشكر في حديث اليوم الأول.

وبديهي أن هذا النوع من التعاطي، سيترك آثاره الوافرة على كل أبعاد الشخصية، وسيحدد له بكل جد ومسؤولية، كيف يستقبل هذه السنة القادمة؟

وأول ما يستقبلَ به السنة أن يصلي صلاة الشكر، إنه يريد أن يشكر الله تعالى لأنه أبقاه ووفّقه للتوبة من المعاصي التي وقع فيها، كما وفّقه للطاعات، أو ـ إن كان لم يوفق لذلك ـ يشكره لأنه أبقاه حيّاً ليكون باستطاعته أن يتوب.

ولك أن تقدِّر الفوارق الضوئية بين سنة هذا مستهلها والإفتتاح، وبين تهافت أجوائنا في «عيد الميلاد» ومبتذلاته والكوارث التربوية التي ترافقه وتسري على متن ضحالة الإنبهار إلى أوساط هي في الأصل في موقع النقيض لها.

٣ ـ علامة حب الله تعالى

يقول السيد عليه الرحمة: «ثم إنني أحضر هذا الكتاب عمل شهر الصيام ـ يقصد كتاب الإقبال، وباستطاعة أيٍ منا أن يستبدله بكتاب أعمال شهر رمضان المبارك أو كتاب دعاء عام من قبيل مفاتيح الجنان ـ وأُقَبِّله وأجعله على رأسي وعيني وأضمُّه إلى صدري وأراه قد وصل إليّ من مالك أمري».

وتسأل: ولماذا لا يصنع ذلك بكتاب الله تعالى، أو ليس أولى من كتاب دعاء؟

والجواب: لغة الحب لا تحاكيها اللغات، أرأيت لو أنك قلت لأم تشم قطعة قماش من قميص ابنها الشهيد، وتقبلها وتضعها على عينيها وتضمها إلى

صدرها: لماذا لا تقبلين القرآن الكريم؟ كم تكون حاجتك إلى أن تذوب خجلاً لفرط ماخانك من إرهاف الحس؟

كذلك هو حال من يسأل: لماذا كتاب الدعاء، وليس القرآن الكريم.

وهل لكل أسفار الدنيا وكتبها قيمة إلا في خط القرآن الكريم وهديه، وهل الأم التي تصنع ما تقدم بأثر ابنها إلا تلك الخاشعة في محراب حديث القرآن الكريم عن الشهداء الأحياء.

أو ليس علامة حب الله حب ذكر الله تعالى؟

صحيح أن الكتاب في الظاهر لمؤلفه فلان، إلا أن كل ما في هذا الكتاب يريد أن يبلغني عن ربي عزّ وجلّ، ويريد أن يبيّن لي ما بلّغه عنه المصطفى الحبيب ﷺ وما بلّغه أهل البيت عليهم السلام.

من هنا فإن مضامين كتب الأعمال والأدعية مقدسة، وإذا كنت حقيقةً أبني علاقتي مع ربي عزّ وجلّ على أساس الحب فإن هذه المضامين هي رسائل لي من ربي جل جلاله.

أليس هذا مراد سيد العلماء المراقبين حين يقول: «وأجعله على رأسي وعيني وأضمُّه إلى صدري وقلبي وأراه قد وصل إليّ من مالك أمري».

أما مظاهر الكثرة فقد تلاشت، ولا يرى هذا السيد العابد إلا مبدأ الوحدة: التوحيد. «وصل إليّ من مالك أمري ليفتح عليّ أبواب خيري وبرّي ونصري، وأتلقّاه بحمدي وشكري» فأشكر الله عزّ وجلّ وأحمده على هذه النعمة كما أشكر رسول الله ﷺ: «وشكرِ الرسول الذي كان سبب صلاح أمري».

ولا يقْدم السيد على هذا العمل أي تقبيل كتاب الدعاء، إلا بعد ملاحظة مشروعية ذلك، فقد قال في توجيه ما يفعل: «كما اقتضى حكم الإسلام العظيم تعظيم المشاعر في البيت الحرام وتقبيلها بِفَم الإحترام والإكرام».

ومن الواضح أن المخزون الوجداني الذي يصدر هذا التصرف منه، مخزون عظيم، وهوثمرة علاقة حب بالله تعالى سرت إلى حب أحكامه سبحانه، ثم إن هذا المخزون يتعاظم بهذا النوع من التعامل مع الأحكام الشرعية، أي أن يقبل الكتاب الذي تضمنها فهي أوامر صادرة من الله عزّ وجلّ، وهي رسائل موجهة منه سبحانه وتعالى، ومن شأن ذلك المزيد من تعزيز حب امتثال أوامر الله تعالى في النفس، وعقد القلب على تطبيق كل حركة وسكنة مع ما يريده الله تعالى ولو على سبيل الإستحباب أو الكراهية

يضيف السيد ما حاصله:

«. . ثم إنني أبدأ بالفعل، فأسأل الله جل جلاله العفو عما جرى من ظلمي وكل ما تساهلت به في مجال تطهير القلب وإصلاحه، وأطلب من الله عزّ وجلّ العفو عن كل جارحة أهملت شيئاً من مهماتها وعباداتها، وأطلب من الله عزّ وجلّ المغفرة، وأجتهد في التوبة النصوح من جناياتها، كما أبادر إلى الصدقة عن كل يوم وليلة برغيف لأجل ما رويناه من فضل الصدقة وفائدتها. . »[١].

وتلخص هذه الفقرة كل ما ينبغي أن يبدأ به المراقب لنفسه، بل وما يجدر به أن يكون عليه، فهي توضح لنا أن علينا أن نعترف بظلمنا، بذنوبنا، ونفكر طويلاً بكل ما تساهلنا به في مجال تطهير القلب وإصلاحه، فنستعرض ذنوب القلب، ثم ذنوب الجوارح، ذنباً ذنباً، ثم نجتهد في التوبة النصوح إلى الله عزّ وجلّ، ونعزز قبول هذه التوبة بالصدقة التي تدفع البلاء، وتطفيء غضب الرب، فنتصدق عن كل يوم وليلة برغيف.

وظاهر النص الحث على الصدقة في أول شهر رمضان المبارك عن السنة القادمة كلها، عن كل يوم وليلة برغيف، ومن لا يستطيع أن يدفع ذلك في

(١) الإقبال ١/ ٧٠ ـ ٧١ بتصرف.

وقت واحد فباستطاعته أن يجزّئه، كما أن من استطاع أن تكون صدقته أكبر كأن يدفع عن كل يوم وليلة وجبة طعام فليغتنم.

ثم إن النقطة المركزية في ذلك حالة القلب في مجال الإعتراف بالخطأ وطلب الصفح، فلو أن شخصاً أساء إليك وقيل لك أنه جاء يعتذر، وعندما دخل عليك، لم تر في وجهه سيماء الإعتذار ولا شيئاً من علاماته، فما هو إحساسك؟ وما هي ردة فعلك؟

والأشد من ذلك أن ترى عليه علامات الإقامة على التعالي والإصرار!

قد تسمع منه أحياناً كلام الإعتذار إلا أنك تقرأ في وجهه أنه لا يريد ذلك إطلاقاً. إن هناك معادلة معيّنة دفعته مرغماً على المجيء إليك، فيحاول أن يقول: إذا كنت قد فُهمت أني مخطيء فأنا أعتذر أو ما شابه!

أيها الحبيب: يجب أن ننتبه جيداً، فلا يجدنا ربنا عزّ وجلّ في شهر رمضان المبارك نتصرف بهذه الطريقة، إن المهم أن نتأدب بأدب الإسلام الذي علّمنا إياه المصطفى ﷺ وأهل البيت جميعاً عليهم السلام، ومنهم الإمام السجاد عليه السلام في دعاء السحر، أن يقول أحدنا بوضوح وصراحة دون أدنى إبهام: «أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيده اجترى، أنا الذي عصيت جبار السما، أنا الذي أمرتني فعصيت، ونهيتني فما ارعويت»، مطلوب أن نجسد الإعتراف الحقيقي بالمعصية والجرأة والتمرد، وبمقدار عمق هذا الإعتراف، يكون الأمل بالإستجابة والقبول أكبر.

إنك عندما تلمس المصداقية والوضوح من شخص يريد أن يعتذر منك، تجد أن كل ذرة من كيانك تلح عليك أن تصفح عنه قبل أن يكمل اعتذاره، ولا تملك إلا أن تستجيب لطلبه بأفضل صورة ممكنة.

حسن الإعتذار هو المدخل إلى حسن الإجابة، فليكن لسان الحال:

أنا مخطيء أنا مذنب أنا عاصي ... هو غافر هو راحم هو عافي

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ... وستغلبَن أوصافه أوصافي

* دعاء اليوم الثالث

يرتبط بهذه المضامين دعاء اليوم الثالث من شهر رمضان المبارك الذي جاء فيه **اللهم ارزقني فيه الذهن والتنبيه وباعدني فيه من السفاهة والتمويه واجعل لي نصيباً من كل خير تنزل فيه بجودك يا أجود الأجودين.**

فرق بين أن أعترف بالحقيقة، وبين أن أظلّ سفيهاً مموّهاً أحاول أن أغطي حقيقة أمري ببرقع دين، بعمامتي أو بهذا المظهر الديني أو ذاك.

فرق بين هذا التمويه والسفه وبين الإعتراف بالحقيقة العارية الواضحة كما هي، وأصلاً بماذا يتميز الإنسان عن الحيوان؟

يتميز الإنسان بالفكر والوعي فإذا غرق الإنسان في لجج الغفلة يصبح يروح ويجيء ويأكل ويشرب كما تأكل الأنعام وتشرب وتروح وتجيء، بل يصبح أضل منها سبيلاً ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

وما هو السبب؟

لقد عمد إلى ما يميزه عن الحيوان فطمس معالمه، نقضه وهدمه، وأزال آثاره ومحاه.

وكان البدء أنه لم يُعمل عقله، وراح يفكر بغرائزه وهواه، واستحكم تحييد العقل بمقدار ما استحكمت الغفلة عنه وعن مقتضياته.

لذلك تمس الحاجة إلى التضرع إلى الله تعالى ليرزقنا الذهن والتنبيه فنخرج من غياهب الغفلة إلى نور اليقظة والوعي: اللهم ارزقني فيه الذهن والتنبيه وباعدني فيه من السفاهة والتمويه.

وهما متلازمان فمن أعطي الذهن والتنبيه فقد ابتعد عن السفاهة والتمويه.

أليس سفهاً أن يُغِذَّ الإنسان السير باختياره باتجاه الهاوية؟

أليس سفهاً أن تكون قيمة المال عند الإنسان أغلى من قيمة الثواب؟

أليس سفهاً أن يكون حرص الإنسان على رضا الناس أكثر من حرصه على رضا الله عزّ وجلّ؟

وباعدني فيه من السفاهة والتمويه.

أليس تمويهاً أن يتظاهر الإنسان بالتديُّن، يصبغ نفسه بصبغة الإيمان، وباطنه خالٍ من الإيمان، وأية خسارة فوق خسارة هذا الذي سيتساقط لونه الظاهري الذي طلا به نفسه فينكشف على حقيقته بحلول سكرات الموت؟

ياإلهي إذا رزقتني الذهن والتنبيه فقد باعدتني عن السفه والتمويه، فأغادر ظلمات الغفلة واهتماماتها، لأقيم في واحات نور العقل وقيمها الفاضلة، فينفتح القلب على آفاق الرفعة والسمو ومكارم العقائد والأخلاق والأفعال، ويحن إلى أن يرزق حبك وحب من يحبك، ويؤتى الحكمة، ويزداد علماً، ويُملأ يقيناً، وخشوعاً وحضوراً بين يديك، فيردد مع عبادك الصالحين:

واجعل لي نصيباً من كل خير تنزل فيه.

ولا يَبْلغ أحد حتى أدنى السفح فضلاً عن الذُّرى، إلا بجودك، يا أجود الأجودين.

* صلاة الليلة الرابعة

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة: وهي عشرون ركعة ثمانية منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، ومن أراد الأدعية المطولة بعد كل ركعتين فليرجع إلى الإقبال، وأما من أراد الإقتصار على الدعاء المختصر فيجده في عمل اليوم الأول من هذا الكتاب.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: **«ومن صلى في الليلة الرابعة ثماني ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر عشرين مرة رفع الله تبارك وتعالى عمله تلك الليلة كعمل سبعة أنبياء ممن بلغ رسالات ربه»**[١].

٣ ـ قال الكفعمي: **«ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك يا عظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب..»**[٢].

ومن المناسب هنا الإشارة إلى ضرورة الرجوع إلى برنامج عمل الليلة الأولى الذي تقدم بيانه، لأن أكثره مشترك بين جميع الليالي.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها إنه أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/٣٨، والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٤

شهر رمضان

* لنختبرْ ما نحن عليه
* مراتب الصوم:

صوم العوام، والخواص، وخواص الخواص

* ماذا نأكل ونشرب؟
* الذين يعلمون بأن مأكلهم حرام
* الذين يكون مأكلهم من الشبهات
* الذين يكون مأكلهم حلالاً
* دعاء اليوم الرابع
* صلاة الليلة الخامسة




* لنختبر ما نحن عليه

في ضيافة الله عزّ وجلّ ينبغي أن نحرص على الوصول إلى أفضل المستويات التي يمكن الوصول إليها في شهر الله سبحانه وتعالى.

من الطبيعي أن يحب الإنسان الخير لنفسه ويحرص على أفضل مراتب هذا الخير، وليس طبيعياً على الإطلاق أن يجرَّ الإنسان الضرر لنفسه أو يصرّ على عدم جلب النفع.

لنتصور أنفسنا وكأننا أصبحنا في آخر يوم من شهر رمضان المبارك، وهذه ليلة العيد على الأبواب ومنادي ربنا عزّ وجلّ ينادي: «هلمّوا إلى جوائزكم» ولنفكر من الآن ما هي الجوائز التي نستحقها أنذاك؟

ليفكرْ كلٌ منا فيقول: أنا، وبطريقة تعاطيَّ مع شهر الله عزّ وجلّ، أية جائزة أستحق؟ هل آتي في الرعيل الأول؟هل آتي في المبادرين؟ أم في الدرجة الثالثة أو الرابعة؟

صلاتي في شهر رمضان، أعرفها كيف هي، وأعرف حرصي على طاعة ربي عزّ وجلّ بأي درجة، سواءً كانت هذه الدرجة ضعيفة أو متوسطة أو قوية.

أعرف أيضاً حرصي على قراءة القرآن أو عدم حرصي على ذلك.

وهكذا بحيث تستوعب الأسئلة التي يطرحها كل منا على نفسه جميع المفردات التي وردت في خطبة المصطفى ﷺ حول شهر رمضان المبارك ونحن مدعوون للإهتمام بها والإستزادة منها، لنعرف من خلال هذه الأسئلة طريقة تعاملنا معها.

والنتيجة العملية هي أن يستطيع كلٌ منا أن يقدّر الدرجة التي يستحقها في مقابل ما هو عليه، أي أنه إذا استمر على الحال التي هو فيها إلى آخر الشهر الكريم فما هي حصيلته منه، وما هي الجائزة التي سيعطاها صبيحة يوم الجوائز، يوم العيد المبارك.

ولا شك أننا عندما نتصور أنفسنا من الآن، في أواخر شهر رمضان المبارك سنشعر بدافع أكبر للتعاطي الأفضل مع هذا الشهر.

* مراتب الصوم

إن المحور العمدة في ضيافة الرحمن هو الصوم، فلقد دعانا عزّ وجلّ إلى ضيافته وكرّمنا بأن جعل الضيافة معنوية، يقول بعض العلماء: «إذا زارك شخص وقدّمت إليه الطعام إلا أنك لم تحرص على الحديث في الأمور المعنوية، فأنت تهينه».

لا شك أن مما يدل على تكريم الإنسان هو التعامل مع إنسانيته، وسموّ فكره وسموّ إهتمامه.

أراد لنا الله عزّ وجلّ في ضيافته أن نسمو، ونبتعد عن الحيوانية ونحلّق في الأعالي، والصوم هو الطريق إلى هذا التحليق.

فكيف نتعامل مع الصوم؟ هل نؤديه بعض حقه، أم أننا نعمد إليه فنفرغه من محتواه؟

وتختلف حالات الصائمين من جهة تعاطيهم مع الطعام والشراب ما بين الإفطار والإمساك، ومن جهة ما يصومون عنه، ومن جهة القصد من الصيام وحقيقة النية فيه، وينبغي أن نتأمل في هذه الحالات جميعاً ليتضح كيف ينبغي أن يكون صومنا، وكيف ينبغي أن نتصرف لنحفظ الأساس في الضيافة الإلهية ونحافظ على آثاره ونتائجه.

وهذه وقفة مع الجهة الثانية، أي اختلاف حالات الصائمين في ما يصومون عنه.

* صوم العوام، وصوم الخواص، وخواص الخواص

قال آية الله التبريزي:

«مراتب الصوم ثلاثة، صوم العوام وهو بترك الطعام والشراب «. .» على ما قرَّره الفقهاء من واجباته ومحرماته، وصوم الخواص وهو ترك ذلك ـ أي ترك المفطرات حسب ما قرَّره الفقهاء ـ مع كفّ الجوارح عن مخالفات الله جل جلاله، وصوم خواص الخواص وهو ترك كل ما هو شاغل عن الله تعالى من حلال أو حرام، ولكل واحد من المرتبتين الأخيرتين أصناف كثيرة، لاسيّما الأولى ـ أي صوم الخواص فإنها الأولى من الأخيرتين ـ فإن أصنافها كثيرة لا تحصى بعدد مراتب أصحاب اليمين من المؤمنين، بل كل نفس منهم له حدٌّ خاص لا يشبه حدَّ صاحبه، ومن أهل المراتب أيضاً من يقرب عمله من عمل من هو فوقه، وإن لم يكن من مرتبته»[١].

والمراد بكلمة العوام في مصطلح صوم العوام، الذين هم أهل المعاصي، وليس المراد المتعارف بيننا من أننا نحن معاشر المشايخ أو معاشر المثقفين النخبة والباقي عوام، إن هذه الطبقية البغيضة مرفوضة في الإسلام، فالنخبة بحق والخواص هم أهل الطاعات، أهل الإستقامة على الحق وطاعة الله تعالى، والعوام هم أصحاب المعاصي.

وبناء على ذلك فإذا كان شخص من الناس بحسب الظاهر من علماء الدين، ولكنه يرتكب المعاصي فهو من العوام، وصومه صوم العوام لأن هذا الصوم يجتمع مع المعاصي التي يجتنبها الخواص الذين يهتمون بدرجة من الصوم غير اعتيادية هي ـ بالإضافة إلى اجتناب المفطرات ـ كف الجوارح عن مخالفة الله تعالى.

والفائدة العملية التي ينبغي أن يستخلصها القلب من ذلك، هي إدراك

---

(١) آية الله ملكي تبريزي، المراقبات ٩٥ (م.م) بتصرف يسير.

خطورة معصية الله تعالى في ضيافته، وأنها تُسقط صاحبها من إمكانية الوصول إلى الدرجات العالية وتجعله في عداد العوام العاصين.

ليتصور أحدنا نفسه بين يدي الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فكيف يكون مؤدباً في ضيافته هل يعصيه ويتجرأ عليه وهو ينظر إليه؟

هكذا ينبغي أن نكون في ضيافة الله عزّ وجلّ، طيلة الشهر الكريم، فإما أن أعتقد بأني في ضيافة الرحمن، وأنسجم مع هذا الإعتقاد، ويكون أدبي بمستواه، وإما أن أكون صريحاً مع نفسي، فأقول إني لا أعتقد بضيافة الرحمن والعياذ بالله، وهذا يعني وجود خلل عقائدي بنيوي يجب التصدي لعلاجه وقد يتم ذلك بسرعة من خلال التفكير بخطبة رسول الله ﷺ وهو الطبيب الدوار بطبه كما يصفه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وغالباً ما يكون السبب هو الأول، أي عدم الإنسجام مع ما نعتقده، إلا أن الإصرار على البقاء عليه خطير، ينبغي الحذر منه، فلا يفتك بالقلب مثل العلم بلا عمل.

إننا في شهر الله سبحانه أمام واجب رفع مستوى اهتمامنا بالحكم الشرعي، ورفع وتيرة اهتمامنا بمراقبة النفس، بالإلتفات إلى أننا في محضر الله عزّ وجلّ، وصحيح أننا دائماً في محضر الله سبحانه وتعالى إلا أننا في هذه الضيافة في محضر خاص ومميز، فلنخرج من صوم العوام إلى صوم الخواص الذي هو ترك المفطرات مع حفظ الجوارح من مخالفات الله جل جلاله، وهو يستدعي مزيد مراقبة لهذه الجوارح وخصوصاً اللسان والعين والأذن، بالتفصيل الذي تقدم في أواخر عمل شهر شعبان، فراجع.

وأما القسم الثالث وهو صوم خواص الخواص، فهو كما عرفت ترك كل ما هو شاغل عن الله من حلال أو حرام، أي أنه بالإضافة إلى ترك المفطرات

وحفظ الجوارح يستدعي حضور القلب دائماً، واليقظة الدائمة فالمحضر محضر الله عزّ وجلّ ولا يصح للقلب أن يشغله عن الله تعالى شاغل سواءً كان هذا الشاغل حلالاً أو حراماً، بل يبقى مع الله عزّ وجلّ، منقطعاً إليه، مقيماً على طاعته، عامراً بحبه والحنين إلى رضاه.

صحيح أن هذه المرتبة عالية جداً لسنا من أهلها، إلا أن من الصحيح أيضاً أن معرفة هذه المرتبة يجعلنا ندرك الذرى التي ينبغي أن نحرص على الوصول إليها، وبدلاً من أن يضع المؤمن سقفاً معيَّناً للصوم، ويتصور أن مجرد امتناعه عن الطعام يجعله في عداد الصائمين الذين يغدون في يوم العيد إلى جوائزهم السَنيّة والعظيمة، ـ بدلاً من ذلك ـ يدرك المؤمن عندما يسمع الحديث عن صوم خواص الخواص أن عليه أن يشمّر عن ساعد الجِد فالطريق طويل والسقف مرتفع جداً، وهو بعدُ سهل ممتنع، أو ليس من أوضح الواضحات أن على الصائم الضيف أن يتنبه إلى هذه الضيافة على الدوام؟

ثم أليس من أوضح الواضحات أن من هم كذلك في غاية الندرة؟

ولا حَلَّ إلا باليقظة والتضرع لمن يجيب دعوة الداع إذا دعاه، والتوسل إليه بمن أمر بالوقوف ببابه إن أردنا بابه، المصطفى الحبيب وآله الأطهار، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

وإذا كنت لا أستطيع ترك كل شاغل عن الله من حلال أو حرام، أي لا أستطيع أن أصوم صوم خواص الخواص فما الذي يمنعني عن صوم الخواص، أي حفظ الجوارح من مخالفات الله عزّ وجلّ؟

ما معنى أن يثبت في صحيفة أعمال الصائم أنه صائم مغتاب؟ أو صائم يؤذي المؤمنين، أو صائم سيء الخُلُق؟

لماذا لا نقرر أن يكون شهر الصوم شهراً مميزاً في محاسبة النفس، في الحرص على حُسن الخُلُق، في التفكير بكل كلمة قبل أن نقولها وبكل عمل قبل أن نُقدِم عليه؟

لماذا لا نحرص أن نكون سبباً لنشر المحبة في الأجواء التي نكون فيها في شهر رمضان المبارك؟

لماذا لا يقرر كلٌ منا أن لا يؤذي أحداً طيلة هذا الشهر على الأقل، لعلّه بذلك يوفّق لأن لا يؤذي أحداً بعد انقضائه؟

إن لشهر الله عزّ وجلّ حرمته الخاصة، فكيف أسمح لنفسي وأنا أدَّعي الصيام أن أتصرف كما لو أني لم أسمع بضيافة الله عزّ وجلّ؟

أيها العزيز، لا بد من وقفة مع النفس في هذا المجال.

* ماذا نأكل ونشرب

أما أنواع الصائمين من جهة الطعام والشراب، أي كيف يتعاملون مع الطعام والشراب مابين الإفطار والإمساك، فيوضح آية الله التبريزي عليه الرحمة أنهم على أقسام:

* القسم الأول: الذين يعلمون بأن مأكلهم حرام

قال عن هذا القسم: «منهم من يكون مأكله ومشربه من الحرام المعلوم فالأجر لمالك الطعام وله وزر ظلمه وغصبه، أو مَثله مَثَل من ركب دابة مغصوبة إلى بيت الله الحرام وطاف بالبيت على هذه الدابة المغصوبة»[1].

و يطلّ بنا هذا المفهوم على حقيقة تقدم الحديث عنها في حلقات سابقة وقف عندها سيد العلماء المراقبين السيد ابن طاوس عليه الرحمة والرضوان، وأكد عليها كثيراً وخلاصتها أن على كلٍ منا أن ينظر في ما يتقلب فيه في شهر رمضان المبارك من مأكل وملبس ومسكن وواسطة نقل، وجميع ما يستعمله.

كيف يمكن أن أكون في ضيافة الرحمن وأنا أحمل شيئاً مغصوباً،

---

(١) المصدر ٩٨.

وأتقلّب في حرام، لا بد وأن أفكر جيداً في حلّيّة ما أتقلب فيه، ولقمة الحرام هي الأخطر، فينبغي التدقيق بشكل خاص في المأكل والمشرب، وعلى هذه النقطة يؤكد آية الله التبريزي هنا، ويقسّم الناس من حيث الطعام والشراب إلى أقسام، ما تقدم هو القسم الأول: من يكون مأكله ومشربه من الحرام المعلوم فالأجر لمالك الطعام وله وزر ظلمه وغصبه.

والحل أن يبتعد عن الحرام، فإذا كان له مورد ماليٌّ آخر من الحلال، أو كان باستطاعته أن يحصل على مالٍ حلالٍ ولو بأن يقترض من أحد ريثما يتدبر أمره، فليحرص على ذلك ليكون مأكله ومشربه في شهر رمضان حلالاً.

ورغم أن دائرة الإبتلاء بذلك تبدو محدودة بحسب الظاهر، بل تكاد تكون منحصرة في من عرفوا أن المال الذي حصلوا عليه هو مال حرام لأنهم اعتمدوا في تحصيله طريقة غير مشروعة كالسرقة التي يلجأ إليها البعض بادعاء أنه يجوز لهم ذلك.

* القسم الثاني: الذين يكون مأكلهم من الشبهات

وقد قال الشيخ التبريزي فيهم:

«ومنهم من يكون مأكله من الشبهات، وهو على قسمين: قسم يكون أخْذُ هذا المشتبه الواقعي محلَّلاً له في الظاهر، وقسم لا يكون أخْذُه محلَّلاً، ولو في الظاهر، والأول يلحق في حكمه بمن يكون مأكله ومشربه من الحلال، وإن كان دونه بدرجة، والثاني بمن يأكل الحرام المعلوم وإن كان فوقه بدرجة».

ومحل الحاجة هنا من ذلك هو أن الإنسان قد لا يدقق في الحكم الشرعي لمورده المالي، فيكون فيه ما لا يجزم بحليته، فهو إذاً مال شبهة، يجب اجتنابه، لأن المؤمن لا يقدم إلا على ما يعلم أنه حلال، خصوصاً في شهر الصيام.

والنتيجة أن المطلوب التدقيق جيداً فلا تكون هناك شبهة في مصدر المأكل والمشرب، بل وكل ما نتقلب فيه كما تقدم.

والواقع أن دائرة الإبتلاء بهذا النوع أي المال الشبهة، واسعة جداً، وأكثر مما نتصور بكثير، ولابدّ للصائم من بذل الجهد بمسؤولية أمام الله تعالى، حتى لا يطعم أهله وأولاده ويأكل هو مما يكون وزراً عليه، يحاسب به يوم القيامة.

وربما أمكن تفادي ذلك باليسير من التأمل، كما أنه قد يستدعي المزيد من العناية والسؤال، وقد تقدم في حديث اليوم الأول ما ينفع فيه.

* القسم الثالث: الذين يكون مأكلهم حلالاً

وهم على أقسام، تحدث عنهم آية الله التبريزي بقوله، فقال حول القسم الأول:

«ومنهم من يكون مأكله حلالاً معلوماً ولكنه مترف في كيفية طعامه بكثرة الأنواع، ومترف في مقداره إلى حدِّ الإمتلاء، ومثله مثل خسيس الطبع الذي يشتغل في حضرة حبيبه بالإلتذاذ بما يكرهه، وحبيبه متوقع أن لا يلتذ بشيء غير قربه، فلذلك كان عبداً خسيساً لا يليق به إلا أن يُترك وما يلتذ به، وهو بأن يُعدَّ عبد بطنه أولى من أن يُعدَّ عبد ربه».

ولابدّ أولاً من توضيح أن للإنسان أن يأكل مقدار حاجة جسمه من الطعام، وقد تكون أكثر من حاجة غيره، إلا أن من الضروري التفريق بين حاجة الجسم الحقيقية وحاجته الوهمية الناشئة من الإسترسال وعدم وضع حد للجشع.

ليس المطلوب أن يأكل الصائم ما يضعفه ويمنعه من مواصلة الصيام، بل المطلوب أن لا يأكل ما لا داعي له إلا العادة، وحب الإستزادة.

وإذا لم يدقق في ذلك واسترسل مع شهوة الطعام، فهو عبد بطنه!

ما هو السبب؟

ليتصور أحدنا أنه بين يدي المهدي المنتظر وصي رسول الله ﷺ، وقد دعاه الإمام إلى ضيافته فانشغل بأنواع الطعام ولم يكن له هَمّ طيلة الضيافة إلا ذلك! فهل يليق بنا أيها العزيز أن نتصرف في ضيافة الرحمن عزّ وجلّ، وكأن شهر رمضان يتلخَّص في التفنُّن في الطعام وتناول الكميات الكبيرة منه، والتفنُّن في أنواع الحلويات، إن هذا لا يناسب شهر رمضان المبارك، ولا يناسبنا فيه.

ومن أراد أن يصوم حقيقةً فلابدّ له من أن يحفظ التناسب الممكن له بين ليله ونهاره.

وليس معنى هذا أنه لا يجوز للصائم أن يأكل شيئاً يشتهيه، بل معناه أن الأكثر سموّاً والأكثر نبلاً، هو أن يتعامل الإنسان مع الله عزّ وجلّ في شهره، وفي ضيافته بما يناسب.

وليكن ببالنا دائماً: لا يليق بمجالسة الحبيب الإنشغال بالطعام وبالبطن، والأجدر بمن هذا حاله أن يسمَّى عبد بطنه لا عبد ربه.

القسم الثاني من أقسام من يكون مأكلهم حلالاً

قال التبريزي عليه الرحمة:

«ومنهم من يكون حدُّه في الكيفية والمقدار فوق الترف فيصل إلى حد الإسراف والتبذير، وهو ملحق بمن يأكل الحرام والأجدر به أن يُعَدّ عاصياً لا مطيعاً». فبالإضافة إلى التنوع الكثير في الطعام وكثرة كميته، تصل كثرة الكمية إلى حدّ الإسراف والتبذير، وهذا في حد ذاته معصية.

القسم الثالث:

ومنهم من يكون مأكله ومتقلّبه كله من الحلال بلا ترف ولا إسراف، بل

يتواضع لله تعالى في مقدار طعامه وشرابه، فتنزل كميتهما عن الحد المحلل وغير المكروه، ويترك التلذذ بالطعام والشراب، ويقتصر في الأدام على لون واحد، أو يترك بعض اللذائذ، وبعض الزيادة.

وهؤلاء ـ أي القسم الثالث ـ على درجات، ودرجاتهم عند ربهم المراقب لحفظ مجاهداتهم ومراقباتهم محفوظة مجزيَّة مشكورة «..» ويزيدهم من فضله بغير حساب، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، بل ولاخطر على قلب بشر[١].

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أن تهذيب النفس في كل مجالاته ومنها الصوم على مراتب ينبغي التدرج فيها وعدم تكلف ما لم تبلغ الهمة التعامل معه ولو بحمل النفس على ما تكره، ويعني ذلك في باب الطعام أن يتدرج الصائم بلا تهاون في الرقي من مرتبة إلى أخرى تدرج التلميذ من صف إلى صف، ويختلف التدرج من شخص إلى آخر فلكل جسمه وحاجته، ولذلك نجد أن آية الله التبريزي رضوان الله تعالى عليه، بين أن هؤلاء على درجات، وكان قبل ذلك قد ذكر الإقتصار على أدام واحد، ثم قال: أو ترك بعض اللذائذ، فمن لم يصل إلى مرتبة الإقتصار على لون واحد، يمكنه التدرج نحو ذلك بترك بعض ما يستهويه، أو التقليل منه، شرط أن يكون هذا التدرج كما مر مرتكزاً إلى قاعدة السير النفسي باتجاه الهدف. وعلى الله قصد السبيل.

والسؤال الذي يجب أن يوجهه كلٌ منا إلى نفسه: ترى، من أي الأقسام أنا؟

هذا هو السؤال البداية والرفيق والنهاية.

أراد لنا الله عزّ وجلّ أن نحصل بالجوع على نور معيّن، وعلى صفاء باطني خاص، فتضيء قلوبنا ونفوسنا، وهذه «الحالة» هي ما يجب أن نحرص عليه أشد الحرص.

---

(١) المصدر ٩٩ بتصرف.

فإذا ارتكب الصائم المعاصي وهو «صائم» وبمجرد أن جاء وقت الإفطار اعتبر أنه قد حان وقت الإنتقام من الجوع القاتل! فلن تكون حصيلته من الصوم ما يلتقي مع هذه الحالة المتقدمة.

لا يصح أن نتعاطى مع شهر الله عزّ وجلّ على هذا الأساس.

صحيح أن للجوع وطأته إلا أن من الصحيح أيضاً أن الله عزّ وجلّ يريد لنا أن نحفظ هذا النور الإلهي الذي نحصل عليه من الجوع.

أما أن نعمد بمجرد حلول الإفطار إلى إطفاء هذا النور وإحلال الظلام محلَّه بالتخمة وتناول ألوان الحلويات إلى حد أن الإنسان لا يستطيع حراكاً ويؤخر صلاته وهو في شهر الله عزّ وجلّ، فأي تعامل مع الطعام والشراب هذا؟ !وأي صيام هذا؟! وأيّ نور حصلنا عليه من الصيام يمكننا أن نحافظ عليه؟!

ثم بالإضافة إلى التخمة في الإفطار، التخمة في السحور!

وقت السحر، هو هذا الوقت الثمين جداً حتى في غير شهر الله تعالى ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فكيف به في شهر الله عزّ وجلّ؟

هل يصح أن نخسره بأكلة؟ بتخمة؟ إذاً ما الذي سأحصل عليه خلال هذا الشهر المبارك؟

هنا أيضاً لا بد من الإشارة إلى أن إعطاء الأهمية التي لا تنبغي للطعام والمقبّلات وللحلويات، يصرف وقتاً ثميناً من الأمهات بشكل عام في أمور ينبغي أن تُصرف في العبادة، والذكر، والطاعة.

صحيح أن الطعام ينبغي أن يُعتنى به، إلا أن العناية لا تعني الترف ولا تعني الإسراف ولا التبذير، بعبارة ثانية: هناك ضرورة ويريد أن يرتاح الإنسان في بعض الأمور التي لا بد منها، أما أن يُعتبر أن الطعام هو النقطة المركزية وكأن الصيام يتلخص في تناول أنواع الطعام، فهو أمر ينبغي أن نُعيد النظر فيه.

* دعاء اليوم الرابع

اللهم قوّني فيه على إقامة أمرك، وارزقني فيه حلاوة ذكرك، وأوزعني فيه لأداء شكرك بكرمك، واحفظني فيه بحفظك وسترك. يا أبصر الناظرين.

يريد هذا الدعاء المبارك أن يُطلّ بنا على الحقائق التالية:

إلهي بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت، اللهم تمم نعمتك عليّ وقوّني في هذا اليوم لإقامة أمرك، بامتثال أوامرك ونواهيك، وأخرجني من غياهب الغفلة إلى أُنس الذكر وحلاوته، واجعلني أتذوق حلاوة حضورك عند ذكرك، واهدني لشكرك على توفيقي لطاعتك، وشكرك للسماح لي بتذوُّق حلاوة ذكرك. ومن أعظم نعمك علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، فكيف إذاً هي نعمة تذوق حلاوة الذكر! إلهي ليس ذلك بعملي بل بكرمك، فما رأيت إلا جميلاً واحفظني في يومي هذا بحفظك، أدخلني في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تريد من عبادك. إلهي تراني كما أنا يا أبصر الناظرين، فلا تفضحني بما كسبت يداي، وجلّلني بسترك، واعفُ عن تقصيري وضعفي وغلبة شقوتي، لعلي أضيف إلى حسن الظاهر حسن السريرة والباطن، إنك نِعمَ المولى ونِعمَ النصير.

* صلاة الليلة الخامسة

١ ـ وهي كصلوات الليالي المتقدمة، عبارة عن عشرين ركعة كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل منهما الحمد مرة وقل هو الله أحد إما مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً، و تُصلى هذه العشرون على الشكل التالي: ثماني ركعات بعد صلاة المغرب واثنا عشرة ركعة بعد صلاة العشاء.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: **ومن صلى في الليلة الخامسة ركعتين بمائة مرة قل هو الله أحد في كل ركعة فإذا فرغ صلى على محمد وآل محمد مائة مرة زاحمني يوم القيامة على باب الجنة**[(١)]

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٣٨/٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥.

ولعل المراد بمزاحمة المصطفى ﷺ أن من يصلي هذه الصلاة يكون من السابقين معه إلى الجنة.

٣ ـ قال الكفعمي: «**ويستحب أن يصلى في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب..**»[1].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٥

شهر رمضان

* حب الله تعالى لنا وعداوة الشيطان
* حب الأمهات فيض حب الله تعالى
* الأحكام الشرعية تفيض حباً لنا
* قضاء حوائجنا، مظهر حبه لنا
* أليست النار مظهر حب
* شهر ضيافته والحب
* دعاء اليوم الخامس
* صلاة الليلة السادسة




* حب الله تعالى لنا وعداوة الشيطان

حبُّ الله تعالى لنا لا يعادله حب على الإطلاق، **«فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبد لئيم منك عليّ يا رب، إنك تدعوني فأُوَلّي عنك وتتحبب إليّ فأتبغّض إليك، وتتودد إليّ فلا أقبل منك كأن لي التطوُّل عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إليّ والتفضل عليّ بجودك وكرمك»**[١].

كل ما بنا من نِعمَ فمنه عزّ وجلّ، يريد لنا الخير، والسموّ، وعلّيين، ونحن نُعرض عنه. كل ما نأخذه من أيٍّ كان، ونحصل عليه فهو في الحقيقة منه عزّ وجلّ. نأخذ منه ونمدح غيره، وهو مع ذلك يحبنا.

وفي المقابل عداوة الشيطان لنا لا تشبهها عداوة. عدوٌّ مبين، مُمعنٌ في العداوة، يريد لنا الإسفاف، والإنحطاط، يريد لنا النار والهاوية، ونحن نركض خلفه.

ينقل بعض العلماء أن عابداً رأى شيطاناً، كان العابد طاعناً في السن قال للشيطان: أما تتركني، ثم وضع العابد يده على لحيته وقال له: أصبحت هرماً في هذا السن ألا تتركني، قال له الشيطان: أنظر جهة يمينك، نظر فرأى وادياً سحيقاً جداً، قال له: أترى هذا الوادي؟ قال: بلى، قال: لو تمكنت منك لألقيتك في قعر الوادي وليس في قلبي أي ذرّة رحمة لك.

عندما يخبرنا ربنا عزّ وجلّ أن الشيطان عدوٌّ مبين فإن عداوته تبلغ الحدود التي لا نستطيع أن نتصورها ومع ذلك فإذا خُيّرنا بين عمل يريده الله عزّ وجلّ

---

(١) من دعاء الإفتتاح.

وعملٍ يريده الشيطان ترانا نسارع في اتّباع الهوى، أي اتّباع أوامر الشيطان ونُعرض عن طاعة الرحمن عزّ وجلّ، ونوَلّي عنها بجموح ومنتهى الرغبة.

و يرانا ربنا سبحانه وتعالى نركض خلف الشيطان وفي أوديته أودية الطيش والجهل، ونُعرض عن طاعة الرحمن ومع ذلك فهو يحبنا، بل كل ما نشعر به في الوجود من حب فهو من مظاهر حب الله تعالى لنا.

* حب الأمهات فيض حب الله تعالى

من حبّه لنا عطف علينا قلوب الأمهات، فقيّض لنا من يغمرنا بالحنان ونحن أحوج ما نكون إليه.

إن الأب والأم والدان، فلماذا نجد فيضاً من الحب والحنان من الأم لا يعادله فيض حب الأب؟ أراد الله تعالى للأم وهي المباشرة لعملية التربية بما يشمل مرحلة الجنين، أن يكون فيض حبها غامراً فكان ذلك، والحب يفيضه سبحانه على من يشاء: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾.

أي إنسان يغمر إنساناً بحب، وحنان وعطف، ويحسن إليه، أليس مصدر ذلك كله هو حب الله تعالى لنا؟

فهل نشعر بحب الله عزّ وجلّ لنا، كما نشعر بحب الأمهات؟ مع أن حب الأم ليس إلا غيضاً من فيض حب الله تعالى.

* الأحكام الشرعية تفيض حباً لنا

والأحكام الشرعية تطفح بالحب لنا.

هل ندرك ما في حرمة الغيبة من مخزون حب الله تعالى لنا؟

لو أن شخصاً أخبرك قائلاً: كنا في مجلس وأراد شخص أن يغتابك فدافع عنك فلان دفاعاً شديداً وقال: لا أرضى بأن يُذكر بسوء، ألا تشعر بحب تجاه هذا الشخص؟ ألا تشعر بأن حبه لك يستتبع تلقائياً حبك له؟

إن الله عزّ وجلّ يحرّم غيبتنا مع أنا مردنا على الجرأة عليه وقبيح العصيان، أليس في هذا التحريم فيضاً من مخزون حبه لنا؟

وكم هو مخزون حبه عزّ وجلّ الذي تجسده حرمة الأذى؟

لقد حرّم الله تعالى أذى المؤمن بشكل خاص، وأذى الإنسان، أليس في هذا مخزون حبٍ عارم؟

وكم هو مخزون حبه في سائر أحكام حفظ الكرامة والحقوق، التي تطبع الفقه الإسلامي بطابعها، فإذا هو فقه كرامة الإنسان.

* قضاء حوائجنا، مظهر حبه لنا

كم اهتم الله تعالى بقضاء حوائجنا؟ وكم أكّد على قضاء الحوائج، «من فرَّج كربة ملهوف، فرّج الله تعالى كربته» كم في ذلك من دفء الحنان؟

ولقد جعل سبحانه الجهاد في سبيلنا ومن أجلنا، لتحريرنا من الطواغيت ووضع إصرهم عنا والأغلال، جهاداً في سبيله ومن أجله، وأعطى المجاهدين ثواباً لا يقدّر، ومن استشهد في هذا الطريق، طريق الدفاع عن عباد الله فهو من أمراء الجنة!

إنه عزّ وجلّ يحبنا حباً لا نظير له على الإطلاق.

صحيح أن من واجبنا أن نحب الله تعالى، إلا أن من واجبنا أيضاً أن نعرف حبه عزّ وجلّ لنا، بل لا يمكننا أن نحبه تقدّست أسماؤه إلا إذا انطلقنا من حبه لنا، من عطفه علينا، من رحمته بنا، «**إنك تدعوني فأوَلي عنك وتتحبب إلي فأتبغض إليك وتتودد إليّ فلا أقبل منك**».

أيها العزيز: لو أننا رأينا من شخص نُحسن إليه إساءةً بعد إساءة، فواجهناه بالإحسان ثم واجهنا بالإساءة، فكم نستطيع أن نستمر في مقابلته بالإحسان وهو يقابل بالإساءة؟

قد يستطيع بعضنا أن يحتمل ذلك ممن يتعامل معه بهذه الطريقة، ويواجه إحسانه بالإساءة، عدة مرات. ثم ماذا؟ في النتيجة لا يستطيع التحمُّل.

ويرانا الله عزّ وجلّ نعصيه جهاراً نهاراً، عشرين سنة، بل ستين، وسبعين! وبمجرد أن نرجع إليه يصغي القلب إلى لغة حنان لاعهد له بها: «كنت أنتظر عودتك، وها قد رجعت فقر عيناً»!!

ألحمد لله الذي يحلم عني كأني لاذنب لي، فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي!!

ترى، ألا نستطيع من خلال ذلك أن نكتشف بيسر وبكل وضوح أن الله عزّ وجلّ لا يريد لأحد منا أن يدخل النار، ومهما كانت معاصينا فإنه عزّ وجلّ يتقبلنا إذا رجعنا إليه بصدق، وكانت توبتنا توبةً صادقة نصوحاً؟

* أليست النار مظهر حب

ثم من قال إن النار ليست مظهراً من مظاهر حب الله عزّ وجلّ لنا؟

أما التهديد بها والتخويف منها، فيشبهه ترهيب الأم لابنها من اللعب بالنار حتى لا يحترق، وبمقدار محبتها يكون الترهيب.

وأما عندما يُصرّ الإنسان على تشويه نفسه ومسخ فطرته والإمعان في الإسفاف والحيوانية، فإنه يصل إلى مرحلة يصبح فيها علاجه متوقفاً على الصهر والصقل من جديد أي متوقفاً على النار، ومن هنا فإن النار في حد ذاتها مستشفى كما يعبّر الشهيد آية الله دستغيب رضوان الله عليه، بقوله «مستشفى جهنم» ويوضح رضوان الله عليه الفكرة في مقام آخر بمثال هذا حاصله: لو أننا أحضرنا دابة ووضعناها في قصر مجهز بمختلف التجهيزات التقنية الحديثة جداً، فماذا يمكن أن تستفيد هذه الدابة من هذا القصر وتجهيزاته الحديثة وثلاجاته الممتلئة بأنواع المآكل، إن الدابة بحاجة إلى علف، وليست بحاجة إلى غرف نوم وأزرار إلكترونية، وثلاجات تستجيب لكلمة فتفتح أبوابها وتقدم ما يطلب منها!

يريد الشهيد دستغيب عليه الرحمة أن يوضح أن الإنسان بإصراره على المعاصي يصل إلى مرحلة لو أن الله تعالى أدخله الجنة فإن ذلك سيكون عذاباً له، أصبح بحيث لا يمكنه إلا أن يكون في النار، هذه النار التي احتطبها على ظهره في الدنيا قد أحاطت به في الآخرة، ومقتضى العدل أنه لا بد وأن يحيط به عمله، ويواجه الجزاء الذي هو عمله إلى أن يرجع إلى فطرته شيء من الصفاء، وإلى نفسه شيء من النور، ولولا ذلك فرحمته عزّ وجلّ في يوم القيامة كما ورد في بعض الروايات تمتد لها عنق إبليس، ومعنى ذلك أنه لا يدخل النار إلا من لا يبقى أي مجال له ليكون في غيرها.

ومظاهر حبه عزّ وجلّ لنا لا تتناهى.

* شهر ضيافته والحب

ومن حبه لنا أنه منَّ علينا بشهره، شهر رمضان.

يريد لنا أن نصل، يريد للمقصّر منا أن يصبح في الطليعة.

يريد للغارق في بحار المعاصي أن ينجو ويصل إلى شاطىء الأمن والأمان، شاطىء لا يحزنهم الفزع الأكبر.

و ليس شهر رمضان للعبّاد فقط، كما تقدم. إنه لكل الناس، بل هو للعاصين! إنه لنا كي نعود إلى ربنا ونخرج من لجج الضلال، وقد خاطبنا عزّ وجلّ في آيات الصوم بقوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

أي مخزون من الحب والحنان في هذا النداء الإلهي العظيم، إذا سألك عبادي عني فإني قريب، إذاً، عليّ أن أدعوَ والله عزّ وجلّ قريب، إلهي أنت أمرتنا بالدعاء ووعدت بالإجابة، وها نحن ندعوك.

هذا الخطاب المحبّب ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ وكأنه يقول لنا أحبكم، أريدكم، لا تيأسوا مهما كانت معاصيكم عودوا اليّ.

إذاً، كيف ينبغي أن نتعامل مع هذا الحب الإلهي العظيم لنا؟

بسط لنا موائد رحمته في شهر رمضان لكي نصل، أولا نريد أن نصل! إنه يدعونا عزّ وجلّ، يريدنا أن نصوم صوماً حقيقياً، أن نُحسّن أخلاقنا، أن نكفَّ أذانا، أن نكثر من تلاوة كتابه، يريدنا أن نكثر من الصدقة، من فعل الخير، من إكرام اليتيم. هذا شهر الرحمة والمغفرة. يريدنا أن نكثر من الإستغفار خصوصاً في أوقات الصلاة، وأن ندعو ونطلب منه عزّ وجلّ كل ما نريد ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

* دعاء اليوم الخامس

«اللهم اجعلني فيه من المستغفرين، واجعلني فيه من عبادك الصالحين القانتين، واجعلني فيه من أوليائك المقرّبين برأفتك يا أرحم الراحمين».

أنا العاصي الغارق في المآثم يسمح لي ربي بحبه لي، برأفته بي أن أدعوه وكأني لا ذنب لي، ويسمح لي بل يحب لي أن أطلب منه الدرجات العلى، إنه يقول لي: أُطلب أن أجعلك من الصالحين، من القانتين، أُطلب أن أجعلك من أوليائي المقرّبين. إلهي أُدرِك خطورة ذنبي فأحاول أن أستغفر، وأتوب وأطلب منك الصفح والمغفرة فيزيّن لي الشيطان حب المعاصي فإذا باستغفاري شكل بلا محتوى، و قشر بلا لب.

سيدي، إجعلني في هذا اليوم من المستغفرين بحقٍّ، الذين تغفر لهم وتغمرهم بوابل رحمتك، ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ واجعل ذلك التوفيق يا إلهي محطة على طريق الوصول إلى ذرى عبادك الصالحين القانتين واللحاق بموكبهم موكب النور، لأصِل عبر براق الصلاح إلى حرم الولاية فأصبح من أوليائك، وهنيئاً لأصحاب النعيم نعيمهم **«من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي».**

سيدي، تُرى تَمُنُّ على هذه الذرّة التائهة في عالم الوجود بدفء حنان وفيْض رحمة فأصبح برأفتك من أوليائك، تبلسم جراح قلبي وتنقذني من بيداء التيه والضلال والضياع، يا قابل السحرة اقبلني بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها برحمتك يا أرحم الراحمين.

*** صلاة الليلة السادسة**

١ ـ عشرون ركعة، في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاث أو خمس أو سبع أو عشر، ثماني ركعات منها بعد صلاة المغرب واثنا عشرة ركعة بعد صلاة العشاء.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى في الليلة السادسة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد وتبارك الذي بيده الملك، فكأنما صادف ليلة القدر[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى بالنبي المصطفى وآله.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/٣٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٦

شهر رمضان

* هل كان استعدادنا مناسباً
* من دخل ضيافة بما لا يناسب
* بالتوبة يتحقق الإستعداد والتناسب
* دعاء اليوم السادس
* صلاة الليلة السابعة




* هل كان استعدادنا مناسباً

تناولت في الحديث السابق جوانب من حب الله تعالى لنا وأنه عزّ وجلّ لشدة حبه لعباده بسط لنا موائد ضيافته في شهر رمضان المبارك.

ماذا تعني ضيافة الله عزّ وجلّ؟

أضيف هنا أن ضيافة الله تعالى لنا تكشف عن تكريمنا، فكل ضيافةٍ تكشف عادةً عن تكريم صاحب الدعوة لضيوفه، أي أنه عادةً يحترمهم ولذلك دعاهم، فإذا شاهد الضيف من مظاهر الإحترام والحب والتقدير ما لا يتصور وعرف سلامة النية يكتشف من خلال ذلك مدى الحب للضيوف عند من دعاهم.

وهاقد دعينا إلى ضيافة الرحمن، وها نحن أيضاً أمام مظاهر تكريم للصائم لا تضاهى. الشياطين مغلولة، وأبواب الجنان مفتَّحة، وأبواب النيران مغلَّقة، أنفاسنا تسبيح، ونومنا عبادة، عملنا مقبول، ودعاؤنا مستجاب، وفي كل ليلة يمُنُّ الله تعالى على أعداد كبيرة جداً بالرحمة والمغفرة.

كان المطلوب أن ندرك أهمية هذه الضيافة قبل حلولها، فنستعد لها كما ينبغي، ونحرص على تناسبٍ بيننا وبينها، وبعبارة أوضح أن نكون في أجواء الضيافة ملتزمين بالآداب التي تقتضيها هذه الضيافة.

وبما أن الإستعداد لكل أمر يكون بحسب أهميته، فإن الإستعداد لضيافة الله عزّ وجلّ ينبغي أن يكون مميزاً.

أما وقد أصبحنا في شهر ضيافة الرحمن، فلم يعُد المجال الآن التأكيد

على الإستعداد للدخول في الضيافة الإلهية وإنما ينبغي أن ينصَبَّ الحديث عن الإنسان في ضيافة الرحمن عزّ وجلّ، خصوصاً وأن بالإمكان تدارك مافات.

لقد أصبحنا الآن ـ شئنا أم أبَينا، رغبنا أم لم نرغب ـ في ضيافة الله عزّ وجلّ.

وإذا كنا لم نستعد قبل دخول شهر رمضان المبارك لاستقباله، فهل يصح أن نبقى في غفلة، أم أنّ من واجبنا أن ندرك أهمية ضيافة أرحم الراحمين، ونبحث عن مدى التناسب بيننا وبين هذه الضيافة؟

* من دخل ضيافة بما لا يناسب

لو أن شخصاً مدعوّاً إلى ضيافةٍ مّا، على درجة عالية من الأهمية، من حيث أعداد المدعوّين، ونوعيتهم، والموضوع الذي هو محور الدعوة، وقد غفل هذا المدعو عن الإستعداد المناسب لهذه الضيافة، أولم يستعد لها أصلاً، فلم يرتدِ الثياب المناسبة، وعندما ذهب دون الإستعداد اللازم ظَلَّ سادراً في غفلته إلى أن دخلت أولى لحظات الفترة الرئيسة في موعد هذه الضيافة، وسلطت الأضواء الكاشفة، وبدأ البث الفضائي، وسلطت عشرات الكاميرات على المدعوين، وما زالت الغفلة تسيطر عليه بشكل أو بآخر.

وفجأة وقع نظره في مرآة فاكتشف أثناء هذا الحفل النوعي أن على ثيابه بقعاً من الزيت، أو أنه ملطّخ بالأدران والأوساخ، أو أن ثيابه رديئة، ووضعه الظاهري سيء جداً، لا يناسب هذا المكان على الإطلاق. فكيف يتصرف هذا الغافل، والحفل قد بدأ وهو منه في الصميم؟

كما تُقدر له أن يتصرف، فهكذا ينبغي أن نتصرف أنا وأنت وأمثالنا عندما نجد أنفسنا في ضيافة الرحمن عزّ وجلّ وقد غمرتنا الغفلة فلم نستعد لهذه الضيافة قبل حلولها، ومرّت علينا أيام وليالٍ من هذا الشهر المبارك ولما ننتبه بعدُ إلى آداب هذه الضيافة الإلهية.

ينبغي أن تنظر بنور الإيمان ونور الحقيقة، لنرى في مرآة الحقيقة باطننا، ونتصرف كما يحكم به الأدب والعقل والحكمة على هذا الذي اكتشف ظاهره المشين في هذا الحفل النوعي.

أيها الحبيب: إن الضيافة الإلهية على علاقة بالباطن، والأدران الناتجة عن الذنوب هي عبارة عن تشويهات للنفس تظهر في الضيافة الإلهية كما تظهر التشويهات في الثياب في الضيافة العادية.

هذا الإنسان الذي اكتشف أنه يرتدي ثياباً لا تناسب هذا الحفل، ملطّخة ببقع الزيت أو ما شابه، أمام حالتين:

١ ـ أن يشعر بالخجل والفضيحة، فينسلّ لُواذاً إلى أقرب مكان ليغيِّر ثيابه ويرتدي غيرها.

٢ ـ أن يشعر بالخجل والفضيحة، ولكنه عاجز عن تغيير ظاهره، لعذرٍ ما، فهو مثلاً غريب، ولا يمكنه أن يأخذ من أحد ما يستر به سوأته.

٣ ـ أن لا يشعر بشيء من الخجل.. ولا يرمش له جفن، ويبقى مصراً على تصدر الضيافة وكأن شيئاً لم يكن!!

فحذار يا قلب أن تكون حالتك هي الثالثة!

ثم لو فرضنا أن لهذا الإنسان الذي يكتشف أن ثيابه لا تناسب هذا المكان، عذراً من الأعذار كما تقدم، فهو لا يحتقر الموجودين بإصراره على تلطيخهم بفجاجته، وازدرائه العملي لمناقبيتهم، ولا يهين صاحب البيت والضيافة بتصدر دعوته، بل يلجأ إلى زاوية ينزوي فيها، مستشعراً الخجل منسجماً مع هذه الفضيحة، فلعل يداً من الغيب تمتد إليه تبلسم جراح قلبه وثيابه.

* بالتوبة يتحقق الإستعداد والتناسب

ياقلب:

إذا كان لهذا عذر من الأعذار، فما هو عذر من يكتشف في ضيافة الله تعالى، التي يشترك بها النبيّون والأوصياء وخيرة عباد الله الصالحين وسائر من دعاهم الله عزّ وجلّ، أن غفلته قد حملته إليها مشوّه النفس والفطرة، صفر اليدين من لباس التقوى، خالي الوفاض من مكارم الأخلاق؟!!

ثم هاهي صورة باطنه تظهر في مرآة الحقيقة، على ما هو عليه! يحمل أطناناً من الحقد، وأطناناً من الغيبة، وسوء الظن، وأطناناً من الجشع وحب المال وحب الجاه!! كيف يمكنه أن يرضى بهذه الحقيقة الشوهاء، حقيقته، في هذا المحضر العظيم ولا يذوب خجلاً، ويود لو تُسوّى به الأرض؟!

وهل يُعقل أن يبقى في هذه الضيافة على ما هو عليه؟!

وكيف لا يبذل المستحيل لتغيير هذا الوضع؟!

صحيح أن ظاهره ظاهر الإيمان، ولكن في هذا المحفل الإلهي لا قيمة للظاهر، فالمدار هو الباطن، ولا يستطيع أن يقول: لا أريد أن أشارك في هذه الدعوة، لأني أعرف نفسي، عاصياً متمرداً، فلست أهلاً للمشاركة في هذه الضيافة الإلهية، لا نستطيع نحن العصاة أن نقول ذلك لأنها تحل علينا حيث نحن، وندخلها كما مر شئنا أم أبينا، وها نحن فيها!!

إن الله عزّ وجلّ يعلم حقيقة أمرنا، ومع ذلك دعانا، لقد أبى كرمه أن لا تشمل ضيافته كل الخلق!

ولم يترك مجالاً للعصاة ليحملهم سوء السريرة، وطول التوثب على حدوده، على عدم المشاركة، فصاغ الدعوة ونصب الموائد ووزع الضيافة بحيث تدخل كل بيت ويدخلها كل قلب، فإذا هو في عداد المدعوين.

بل إنه سبحانه إنما دعانا، لأنه يعلم تقصيرنا، وفرط العصيان، ويعلم ضعفنا، وغلبة الشقوة والشهوات، ويريد لنا أن نصل.

من أجل ذلك دعانا، لأنه يريدنا، ولأنه يحبنا، و يريد لنا أن نسمو وأن نغادر الإسفاف ونقلع عن الركض الأرعن إلى مهاوي الردى.

يريدنا أن نبتعد عن الحيوانية ونحلّق في مدارج الكمال الإنساني!!

كلٌّ منا إذاً، مدعوٌّ إلى هذه الضيافة انسجم معها أم لم ينسجم، إلا أنّ من لم يحرص على الإنسجام معها، ولم يحاول أن يتكيّف معها وانقضى شهر رمضان المبارك ولم يغفر الله تعالى له، فقد فاتته فرصة العمر، وأصر على أن يبقى كما كان شقياً، ينتظر شهر الضيافة القادم أو يشترك في موقف الحجيج بعرفة.

فما هو المطلوب؟

المطلوب أن يُدرِك الغافل حقيقة أمره ويتحرك نحو الإنسجام مع هذه الضيافة حتى لا يبقى نشازاً غريباً عنها، كالضيف الذي يرتدي ثياباً ملفتة عجيبة في جو «رسمي» شديد الخصوصية، ألا يبقى وجوداً نشازاً؟ فحتى لا أبقى أنا العاصي، صاحب هذا المنظر الباطني المرعب نشازاً في هذه الضيافة الإلهية، ينبغي أن أتحرك، وأبادر، أن أعمل شيئاً؟

والسؤال هنا: ماذا بوسع الغافل أن يفعل؟ وكيف يمكنه أن يخرج مما هو فيه؟

والجواب: عندما يلتفت إلى أنه في ضيافة الرحمن وأنه ليس منسجماً مع جو الضيافة الإلهية، فينبغي أن يشعر بالخجل، وينبغي أن يحمله هذا الخجل على دراسة تقصيره، تماماً كما يحدث للإنسان الذي يلتفت إلى أنه في حفلٍ يرتدي ثياباً مشينة، إنه أولاً، يلتفت إلى وضعه بشكل إجمالي، ثم يدقق ليرى **ما هي الأخطاء في وضعه**، كذلك بالنسبة للغافل في هذه الضيافة الإلهية، **فعندما يلتفت إجمالاً إلى وضعه** وأنه ليس كما ينبغي، يجب عليه أن يدرس

أخطاءه، أن يتناول نفسه فيضعها على طاولة البحث والتشريح والدراسة بدقة ليعرف من أين أُتِي، ويعرف نقصه، والخلل في قناعاته وأعماله، ويعرف أخلاقه السيئة.

ثم يجدد التوبة إلى الله عزّ وجلّ.

ولكن، أي توبة؟ هل المراد كلمات «أستغفر الله وأتوب إليه» والبقاء على ما هو عليه؟ وهل هذا إلا إصرار على الذنب بل عين الإستهزاء بالله عزّ وجلّ؟

إن المطلوب منا أيها الحبيب أن تكون التوبة حارّة، فاعلة، من الأعماق، أرأيت إلى الأم المفجوعة بولدها، هل تحتاج إلى من يعلمها كيف تندب، وتلطم، وتتفجّع على ابنها، أم أنها من شدة اضطرام نار الحزن في أعماقها تصبح معلِّمة لغيرها في باب التفجُّع والندب واللطم. من يغضب تظهر عليه آثار الغضب. بمقدار غضبه يكون التعبير عنه، ويصل به أحياناً إلى حد أنه يلطم على رأسه. من يتأثر بشيء يظهر عليه ما يدل على ذلك، وقد يبلغ تأثره حداً يدعوه إلى العمل بما يعبِّر عنه بكل وضوح.

والتوبة التي أنا بصدد الكلام عنها وياليت أني أكون بصددها، من هذا النوع ليست عبارة عن كلمات «أستغفر الله ربي وأتوب إليه» فقط، بل أن يطول الندم على ما فرّطنا في جنب الله، فنقول من أعماق الأعماق، بل تقول شغاف القلب:

«ويلي كلما طال عمري زادت معاصي، ويلي كلما كبُر سنّي كثرت ذنوبي، فكم أتوب وكم أعود، أمَا آن لي أن أستحي من ربي».

التوبة التي أنا بصدد بيانها هي التعبيرعن الندم بفعلٍ نفعله، ببكاء، بتنهُّد، بحرقة من الأعماق، بالكآبة التي تعلو الوجه، بالهمّ الذي يحمله التائب.

بمقدار ما تكون نار الحزن مضطرمة في القلب وبين الأضلع والحنايا، بمقدار ما تكون هذه التوبة صادقة، وبمقدار ما تستطيل ألسنة هذا اللهب المتصاعدة والمتطايرة شرراً، بمقدار ما تكون قدرتها على تطهير القلب من أدران المعاصي، وإحراق آثارها وإزالة الرَّين، وإزالة الطبع، وإعادة صقل هذه النفس وصياغتها من جديد، لترجع نقية بيضاء كما أرادها الله عزّ وجلّ وكما خلقها.

ببساطة، ليسأل أحدنا نفسه، هل أريد أن أتوب؟

إن الحريص على التوبة لابدّ وأن تظهر عليه آثار التوبة، فالمهموم يظهر عليه الهم، والمَدين يفكر بالدَّين، والمريض يتذكر مرضه دائماً، فإذا كنت مطمئناً، مرتاحاً، فرحاً، وكأنه ليس هناك شيء بتاتاً، أعصي الله عزّ وجلّ جهاراً نهاراً ولا يرمش لي جفن على الإطلاق، لا أجد حاجة حتى للدعاء، في حين أن رسول الله ﷺ كان دائماً يدعو الله عزّ وجلّ، فمعنى ذلك أن هناك خللاً بنيوياً مرعباً.

ذات مرة سمعت أم سلمة رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «ولا تكِلني إلى نفسي طرفة عين أبداً» فبكت أم سلمة، قال ﷺ: ما يبكيكِ؟ قالت يا رسول الله أنت تقول ذلك؟ قال ﷺ ولم لا؟ وهذا ابن متّى - النبي يونس - **وكَله الله إلى نفسه طرفة عين فكان من أمره ما كان**[(١)].

أي معادلة هذه التي نحن عليها: رسول الله ﷺ مشفق وَجِل، ونحن مطمئنون ونشعر أننا قمنا بما علينا، في غفلة عما يجب!

لنفسي ولجميع الأعزاء أقول: نحن مدعوون إلى التوبة الصادقة النصوح في شهر رمضان المبارك ولنثق أن ربنا نِعمَ الرب، يبلغ قبوله التوبة إلى حيث يبدل السيئات حسنات ولديه المزيد، ورضوان من الله أكبر.

---

(١) المجلسي، البحار ١٦/٢١٧ و١٤/٣٨٤ بتصرف.

*** بيعة الإمام الرضا عليه السلام**

قال الشيخ المفيد:

«وفي السادس منه أنزل الله التوراة على موسى بن عمران عليه السلام. وفيه من سنة احدى ومئتين للهجرة كانت البيعة لسيدنا أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام. وهو يوم شريف يتجدد فيه سرور المؤمنين، ويستحب فيه الصدقة والمبرة للمساكين، والإكثار لشكر الله عز اسمه على ما أظهر فيه من حق آل محمد عليهم السلام، وإرغام المنافقين»[1].

وقال السيد ابن طاوس:

«وروي أنه يصلي يوم السادس من شهر رمضان ركعتين، كل ركعة بالحمد مرة وبسورة الإخلاص خمساً وعشرين مرة، لأجل ما ظهر من حقوق مولانا الرضا عليه السلام فيه. وذكر المفيد في التواريخ الشرعية أن اليوم السادس من شهر رمضان كانت مبايعة المأمون لمولانا الرضا عليه السلام فيه»[2].

*** دعاء اليوم السادس**

اللهم لا تخذلني فيه لتعرض معصيتك، ولا تضربني بسياط نقمتك، وزحزحني فيه من موجبات سخطك، بمَنِّك وأياديك. يا منتهى رغبة الراغبين[3].

أرأيت إلى المحب الذي أساء إلى حبيبه، ثم عادت الأمور بينهما إلى مجاريها، كيف يحرص على رضا الحبيب، ويحاذر أن يسيء إليه فيعكر صفو الوئام؟

---

(١) الشيخ المفيد، مسارُ الشيعة٢٢.

(٢) الإقبال ٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٣) المحدث القمي، مفاتيح الجنان. أدعية أيام شهر رمضان. وانظر: الكفعمي، البلد الأمين ٢١٩ ـ ٢٢٠. واللفظ للأول.

إلهي، تبت عليّ، فشملتني ببرد عفوك ورأفتك، فأتمم نعمتك عليّ، وسددني فلا أعصي.

ما أقل حيائي ياإلهي إن عصيتك، وأنت تتحبب إليّ!

وأنى لي بالطاعة إلا بالتسديد. اللهم فلا تخذلني، ولا تكلني إلى نفسي فأرتكس في مهاوي ما يسخطك عليّ.

إن من أعرضت عنه لَلمعاقبُ الطريد، فلا تؤدبني بعقوبتك ولا تضربني بسياط نقمتك.

سيدي، ما أسعد من وفقته لطاعتك فوفقني، وما أشقى من استحق إعراضك فعصاك، فجَنِّبني، وزحزحني عن موجبات سخطك.

يانعم المولى، لا يملك العبد لنفسه مع مولاه نفعاً ولاضراً، أنت أملي، وفي ماعندك رغبتي، يا منتهى رغبة الراغبين.

* صلاة الليلة السابعة

تقدمت الإشارة إلى أني أورد لكل ليلة ثلاث صلوات ليختار الراغب أيها أراد.

١ ـ صلاة عشرين ركعة من أصل الألف، بالحمد مرة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً. يؤتي بثماني ركعات منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى في الليلة السابعة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث عشرة مرة بنى الله له في جنة عدن قصري ذهب وكان في أمان الله تعالى إلى شهر رمضان مثله[1].

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٣٨ ـ ٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥ وفي الثاني «بني له قصر من ذهب».

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمدمرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[١].

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لمراضيه، بالحبيب المصطفى وآله المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٧

شهـر رمضـان

* هل نحب الله تعالى
* الرصيد كبير، فاين الرعاية
* أشدُّ حباً لله
* القلب حرم الله
* نتائج حديث الحب
* الحب أفضل من الخوف
* الحب لا يلغي الخوف
* وهل الدين إلا الحب؟
* دعاء اليوم السابع
* صلاة الليلة الثامنة




* هل نحب الله تعالى

في بعض الحلقات المتقدمة كان حديث عن حب الله عزّ وجلّ لنا وأنه سبحانه من حبه لنا عطف علينا قلوب الأمهات، ومن حبه لنا أنه حدّد الأحكام الشرعية التي تحفظ كرامتنا، ومن حبه لنا عزّ وجلّ مَنَّ علينا بشهره شهر رمضان لكي نصل إلى رضوانه. إلى غير ذلك من الأمور التي تقدمت.

وحب الله عزّ وجلّ لنا، منطَلَق لتفكيرنا بحبنا لله سبحانه وتعالى.

عندما نلقي نظرة على أدعية شهر رمضان المبارك ـ خصوصا دعائي الإفتتاح والسحر ـ نجد أنها تركّز على زرع حب الله في نفوسنا، أي حبنا له تعالى، وتنمية هذا الحب.

وهذه بعض النماذج:

١ ـ من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك».

٢ ـ «الحمد لله الذي وكلني إليه فأكرمني ولم يكلني إلى الناس فيهينوني والحمد لله الذي تحبَّب إليّ وهو غني عني والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي، فرَبي أحمد شيء عندي وأحقُّ بحمدي».

٣ ـ «عليك يا واحدي عَكَفتُ همتي وفيما عندك انبسطت رغبتي ولك خالص رجائي وخوفي وبك أنِسَت محبتي وإليك ألقيتُ بيدي».

٤ ـ «فصرتُ أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً لا خائفاً ولا وجلاً أو الحمد لله على حلمه بعد علمه، والحمد لله على عفوه بعد قدرته والحمد لله على طول أناته في غضبه وهو القادر على ما يريد».

٥ ـ والمضامين في هذا المجال كثيرة جداً، ودعاء الإفتتاح زاخر بمعانٍ من شأنها أن تنمّي حب العبد لسيده، «فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبد لئيم منك عليّ يا رب إنك تدعوني فأُوَلّي عنك وتتحبّب إليّ فأتبغّض إليك».

وتريد هذه المضامين بشكل عام أن تنقلنا إلى حبنا لله عزّ وجلّ من خلال التأكيد على حب الله عزّ وجلّ لنا، لنتعامل مع ربنا سبحانه وتعالى على أساس الحب.

أي أن علينا بعد الإعتقاد، أن نحب ربنا سبحانه وتعالى.

لا يصح أن نكتفي بالإعتقاد بالله عزّ وجلّ فقط مع أنه واجب، وإنما يجب أن نهتم بأن تصبح العلاقة بيننا وبينه تقدّست أسماؤه علاقة حب.

قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

والآية الكريمة واضحة الدلالة على أنه يجب أن يكون حبُّنا لله عزّ وجلّ وحبُّنا لرسول الله ﷺ وحبُّنا للجهاد في سبيل الله تعالى أكثر من حبنا لآبائنا وأبنائنا وإخواننا وأزواجنا وعشيرتنا وأموالنا وتجارتنا ومساكننا التي تعجبنا.

وبديهي أن حب رسول الله حب لله تعالى سرى إلى رسوله، وكذلك هو حب الجهاد في سبيله، فالمحور هو حب الله تعالى.

وهو الذي يجب أن يكون أكثر من حبّنا لهذه القائمة كلها.

وهكذا يتضح كم نظلم أنفسنا عندما نجد أننا نعتقد بالله سبحانه وتعالى **ولا نشعر بحب له يتناسب مع هذا الإعتقاد، تضطرم عليه الحنايا والضلوع، ويعمر القلوب.**

إننا بتعبير الإمام الخميني رضوان الله عليه، لا ننقل هذا الإعتقاد بالله تعالى من العقل إلى القلب.

ويمكن أن يقال في بيان مراده: لا ينافي ذلك أن يُنقل بعضه ويترك البعض الآخر لتكون النتيجة عدم التناسب بين الإعتقاد وبين الحب.

وتلك هي النتيجة الغالبة في السائد فينا، ويكفي دليلاً عليه مدى الهوة الهائلة التي تفصل بين العقيدة والسلوك.

* الرصيد كبير، فأين الرعاية

وفي جو ضيافة الرحمن يجدر بنا أن يكون في طليعة اهتمامنا تلمس القلب جيداً ثم البحث في شغافه بتؤدة وأناة في باب حب الله تعالى.

وسنجد بالتأكيد بذرة حبه سبحانه أو غرستها، أو نجد شجرة الحب وهي مراتب ومستويات ككل الأشجار.

ومما لابدّ من ملاحظته للوصول إلى إحدى هذه النتائج أن كل حب لرسول الله ﷺ، ولأهل بيته عليهم السلام، مرتبط جذرياً بحب الله تعالى وكتابه العزيز القرآن الكريم، فالمصطفى الحبيب رسوله سبحانه، ورسالته القرآن، وآله هم أهل بيت الوحي.

بل إن كل حب لأي حكم من أحكام الله تعالى وشرعه وهداه، هو في الحقيقة فرع حب الله تعالى.

وكذلك الأمر في كل حب في قلوبنا للإسلام وجميع شعائره بلا استثناء، فإن كل حب للكعبة المقدسة، أو للبيت الحرام، أو المسجد الأقصى، والمسجد عموماً أو أداء الصلاة، أو الأذان وسائر الشعائر، يرجع في حقيقته إلى حب الله تعالى.

إذا استعرض القلب رصيده من حب الله تعالى من خلال التأمل في

المجالات المتقدمة: الرسول وأهل بيته ﷺ، وأحكام الإسلام وشعائره، فسيكتشف أنه رصيد كبير جداً، إلا أنه قد يكون مجرد بذرة حب لم تحظ بأي مستوى، أو الغرسة التي حظيت ببعض التعاهد، كما قد يكون شجرة حب الله تعالى الباسقة التي تجسدها العقائد الحق، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة.

ولكل مستوى من هذا الرصيد الكبير مسؤلياته ولوازمه، ويجمع المستويات على اختلافها: الرعاية المتناسبة مع حالة القلب في علاقة الحب بمن لاحبيب سواه على نحو الأصالة والإستقلال، جل ثناؤه، وتقدست آلاؤه.

* أشدُّ حباً لله

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ...﴾ [البقرة ١٦٥].

ولو لم يكن إلا هذه الآية، لكفى بها دليلاً على عظمة الحب الذي يجب أن يعمر قلب المؤمن لله تعالى.

والحق أن البحث عن آيات حب الله تعالى في القرآن الكريم يستدعي التنبه المنهجي إلى أن كتاب الله تعالى هو كتاب الحب، وليس فيه إلا الحب!

وتفصيل ذلك موكول إلى محله، وقد سبقت الإشارة إلى خزين الحب في آيات العذاب الشديد.

وإليك بعض حديث الحب في الروايات.

١ ـ قال الشهيد الثاني عليه الرحمة:

في أخبار داود عليه السلام يا داود: أبلغ أهل أرضي أني حبيب من أحبني، وجليس من جالسني، ومؤنس لمن أنس بذكري، وصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، ومطيعٌ لمن أطاعني، ما أحبني أحد أعلم ذلك يقيناً من

قلبه إلا قبلته لنفسي، وأحببته حباً لا يتقدمه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي، وآنسوني أؤنسكم، وأسارع إلى محبتكم[(١)].

٢ ـ وقال أيضاً:

وأوحى الله إلى بعض الصديقين أن لي عباداً من عبيدي يحبوني وأحبهم ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، فإن أخذتَ طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتُّك. قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يراعون الظِّلال بالنهار كما يراعي الشفيق غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب، فإذا جنَّهم الليل، واختلط الظلام، وفرشت الفرش، ونصبت الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إليَ أقدامهم، وافترشوا إلي وجوههم، وناجوني بكلامي وتملقوني بإنعامي، مابين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي. أول ما أعطيهم ثلاثاً، الأول: أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني كما أخبر عنهم. والثاني: لو كانت السماوات والأرضون وما فيهما من مواريثهم لاستقللتها لهم. والثالث: أُقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟[(٢)]

٣ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: حب الله نار لا يمر على شئ إلا احترق ونور الله لا يطلع على شئ إلا أضاء، وسحاب الله ما يظهر من تحته شئ إلا غطاه، وريح الله ما تهب في شئ إلا حركته، وماء الله يحيي به كل شئ،

---

(١) المجلسي البحار ٦٧/ ٢٦ نقلاً عن الشهيد الثاني، مُسكّن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد.
(٢) المصدر.

وأرض الله ينبت منها كل شيء، فمن أحب الله أعطاه كل شيء من المال والملك[١].

٤ ـ قال الصادق عليه السلام: حب الله إذا أضاء على سر عبد أخلاه عن كل شاغل. وكلُّ ذكر سوى الله ظلمة[٢] والمحب أخلص الناس سر الله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأزكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، فلو علم الخلق ما محله عند الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه[٣].

* القلب حرم الله

ولا ينبغي أن يستقر القلب على الجمع بين الحبيب والأغيار، فبمقدار هذا الجمع يكون نقص الحب عادة، أما في نوع خاص من الحب هو بالخصوص حب الله تعالى فلا يعني وجود الغير أو الأغيار نقصاً في الحب بل يعني عدم الحب مهما كان التظاهر به عريضاً، فحب الله تعالى وحب غيره كالليل والنهار لا يجتمعان.

ولا يذهبن عليك الفرق بين السقف وبين التدرج إليه. ماتقدم هو السقف والقمة، ولا ينافي ذلك أن يكشف تحسس القلب عن عدم الوصول إليه. إن المطلوب أن يكون السير باتجاه هذا الهدف، وعلى الحبيب تيسير الوصول وقصد السبيل.

ويشير إلى التدرج قول أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) المصدر ٢٣.

(٢) في هذه العبارة اضطراب في المصادر فقد وردت في البحار: وكل ذكر سوى الله عند ظلمة، بينما وردت في التحفة السنية(مخطوط) للسيد عبدالله الجزائري، معطوفة على شاغل هكذا: وكل ذكر سوى الله. وما أثبته مطابق لما في ميزان الحكمة، للريشهر ي١/٥٠٩.

(٣) المجلسي، البحار ٦٧/٢٣.

من أحب أن يعلم كيف منزلته عند الله؟ فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن كلَّ مَن خِيرَ له أمران: أمر الدنيا وأمر الاخرة، فاختار أمر الآخرة على الدنيا، فذلك الذي يحب الله، ومن اختار أمر الدنيا فذلك الذي لا منزلة لله عنده[١].

كما يشير إلى الهدف قول الإمام الصادق عليه السلام: **ألقلب حَرَمُ الله فلا تسكن حرم الله غير الله**[٢].

* نتائج حديث الحب

والنتائج التي يمكن استخلاصها من حديث الحب في النصوص، ولعل ما تقدم أضاء عليها هي كالآتي:

١ ـ أننا مدعوون إلى أن تكون علاقتنا بالله سبحانه وتعالى على قاعدة الحب.

٢ ـ ورغم أن طبيعتنا البشرية تحتم التدرج للوصول إلى أعلى مراتب حبنا له سبحانه، إلا أن الهدف أن لا نسكن في حرم الله غير الله.

٣ ـ كما أننا مدعوون إلى أن تكون علاقتنا برسول الله صلى الله عليه وآله علاقة حب وكذلك بأهل البيت عليهم السلام، أما أن العلاقة برسول الله صلى الله عليه وآله يجب أن تكون علاقة حب، فيكفي دليلاً عليها الآية المتقدمة (آية ٢٤ من سورة التوبة) فهي واضحة الدلالة على وجوب حب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأما أهل البيت عليهم السلام فيكفي قول الله تعالى ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

٤ ـ مع فارق جوهري بين حبّنا لله عزّ وجلّ وبين حبّنا لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، وهو أن الحب الأساسي والأصلي هو حب الله عزّ وجلّ،

---

(١) المصدر ٢٥.

(٢) نفس المصدر.

ولا محبوب على نحو الأصالة والإطلاق غيره سبحانه وتعالى، وكل من وما نحبه يجب أن يكون حبه متفرّعاً على هذا الحب الأساس الذي هو حبّ الله تعالى، وفي الحقيقة ليس حب رسول الله ﷺ وحب أهل البيت عليهم السلام إلا فرع ذلك الحب الأساس والأصل أي أننا نحب المصطفى الحبيب لأنه رسول الله ـ كما تقدم ـ ونحب أهل البيت عليهم السلام لأنهم أهل بيت رسول الله ﷺ وأوصياء رسول الله، **نحبهم من أجل الله لأن الله تعالى أمرنا بحبهم.**

* الحب أفضل من الخوف

ولا بد في هذا السياق من الوقوف عند الفرق بين أن نبني علاقتنا بالله عزّ وجلّ على أساس الحب وبين أن نبنيها على أساس الخوف، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «**الحب أفضل من الخوف**»[(١)] ويبدو أن السبب في ذلك هو أن من يخاف من الله عزّ وجلّ ولا يحبه فإن هذا الخوف يحمله على التملُّص قدر الإمكان من طاعة الله، وإذا لم يستطع أن يتملَّص فإنه يؤدي ما أمر الله تعالى به بتثاقل، أوبكراهية شديدة، فيصلي وكأن صلاته ولا أثقل، يصوم وكأن هذا الصوم أمر لا يطاق، لماذا؟.. لأنه إن لم يفعل ذلك فإنه سيُعَذَّب، يخاف من الله تعالى، تماماً كالتلميذ الذي يخاف من أستاذه أو من سطوة أبيه، ولا يدرس من أجل الدرس، فتكون فترة الدرس صعبة عليه وشاقة.

عندما تكون علاقتنا بالله عزّ وجلّ علاقة خوف فقط تصبح التكاليف الشرعية أثقالاً نشعر وكأننا لا طاقة لنا بها على الإطلاق، أما عندما تكون علاقتنا بالله عزّ وجلّ قائمة على أساس الحب، فإن حب الله تعالى يترجم إلى حبِ لأوامره، بل أكثر من ذلك يُصبح المستحب تلقائياً محبوباً عندنا، لأننا

---

(١) الكليني، الكافي ٨/ ١٢٩.

نصبح نحب كل ما يحبه الله تعالى فضلاً عما يوجبه، ونجتنب المحرمات بحذر شديد، بل ونجتنب المكروهات أيضاً، والسبب واضح وهوأن الحبيب تقدست أسماؤه يحب هذه المستحبات ويكره هذه المكروهات، فكيف مع العلم بأنه يحب الأمر الفلاني إلى حد إيجابه علينا وإلزامنا به، ويكره العمل الفلاني إلى حد الإلزام بتركه، والنهي عنه؟

عندما تكون علاقتنا به عزّ وجلّ مبنيةً على أساس الحب يمكننا أن نفهم ما معنى أن رسول الله ﷺ كان ينتظر وقت الصلاة بفارغ الصبر ويقول «أرحنا يا بلال»، متى يحلُّ وقت الآذان لتؤذّن ونصلي فنقف بين يدي ربنا عزّ وجلّ. ذلك لأن المصطفى يعلم أن الله عزّ وجلّ يحب الصلاة فهو يحبها إلى حد أنها قرّة عينه.

من هنا كان الحب أفضل من الخوف، وشتّان بين عبادات الخائف المرعوب الذي ينتظر الفرصة ليلفَّ ويدور ويتملّص، وبين المحبّ الذي ينتظر لحظة من الفرصة ليعبّر عن طاعته وأدبه.

* الحب لا يلغي الخوف

وطبيعي أن أوضح في هذا السياق أيضاً أن بناء العلاقة بالله عزّ وجلّ على أساس الحب لا يلغي الخوف من الله تعالى، فعندما نقول أن علاقتنا بالله سبحانه وتعالى ينبغي أن تكون علاقة حب، فليس معنى هذا أن لا نخاف منه، فالخوف من الله تعالى لا بد منه، إلا أن هناك فرقاً بين خوف المحبّ وخوف المرعوب الذي يريد أن يتخلص من طلبات هذا الطالب وأوامر هذا الآمر.

نعم، الحب لا يلغي هذا الخوف.

لنتأمل في ما يمكن تقديره من حالات سلمان الفارسي، أو المقداد أو أبي ذر أو عمار بن ياسر رضوان الله عليهم، مع رسول الله ﷺ، ألم يكن كل منهم يخاف من مخالفة رسول الله وإغضابه ﷺ، إلا أن ذلك كان عبارة

عن الخوف من المحبوب، وهو الخوف المربّي الذي يحمل صاحبه على الدقة والحذر ما لم يقع في الخطأ حتى لا يقع، ويحمله على التغيير بشوق بعد الوقوع فيه.

أما الخوف الذي لا يستند إلى الحب بل يستند إما إلى الكراهية أو إلى الشعور بثقل الطلبات ويجمعهما أنه يستند إلى عدم الشعور بالحب ـ حتى إذا كان يستند بالتحليل إلى الإعتقاد ـ فليس خوفاً مربّياً وإنما هو سوط يجلد، ومن ينهال عليه هذا السوط يتمنى أن يتخلص منه.

* وهل الدين إلا الحب؟

هكذا ندرك إجمالاً ما معنى أن الدين هو الحب كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام **«وهل الدين إلا الحب»**[1] وبديهي أن من عَمَرَ قلبه هذا المخزون الهائل من حب الله تعالى وحب المصطفى الحبيب وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم فإنه لن يتعامل مع الناس على أساس البغضاء والحقد والضغينة.

مطلوب منا أن نحب الناس، وهذه جميع الأحكام الشرعية تدعونا إلى حبهم، لا تغتب، لا تؤذِ، لا تظلم، لا تسئ الظن، أكرم، حسّن خلقك، أحسن إلى من أساء إليك، الخ ومن يلتزم بهذه الأحكام الشرعية يصبح تلقائياً محباً للناس.

أيها العزيز، إن المسلم كتلة حب، فيض حنان، يحب الخير حتى للكافرين، بل ويدعو لهم بالهداية، وقد ذكرالسيد ابن طاوس عليه الرحمة في أعمال ليلة القدر أنه كان يدعو للمؤمنين فتذكر أن الكافرين أحق بالدعاء فبدأ يدعو لهم، اللهم اهدِهم، اللهم أنقذهم من ضلالهم.

---

(١) البرقي، المحاسن٢١٧. عن الإمام الباقر عليه السلام.

و عندما يحمل المسلم السلاح في مقابل الكفر وأعوانه فلأنه يريد أن يدافع عن الحق وعن عباد الله عزّ وجلّ، ولأن النصح لم ينفع، والدعوة إلى الله عزّ وجلّ لم تؤثر.

والسؤال المركزي في ضوء ما تقدم: بما أننا مأمورون بحب الله عزّ وجلّ وحب المصطفى وحب أهل البيت وحب الناس جميعاً، وبما أن الأحكام الشرعية تدعونا إلى الحب، فلماذا لا نعيش الحب في بيوتنا؟

ترى، هل يغمر بيتي وبيتك فيض الحنان، والرأفة والرحمة والمودة؟

هل تشعر الزوجة بكرامتها؟ وهل يشعر الأولاد بحريتهم ضمن الضوابط؟

وأصلاً: هل يشعر الزوج بكرامته وأبوته؟

هل نحن من أنصار القمع والبطش والتنكيل والديكتاتورية والتجبُّر لتكون بيوتنا كذلك؟

أم أننا من أنصار الحرية والحنان وحق الإنسان في العيش الكريم؟

ولامجال لبناء بيوت محمدية تتحلى بمكارم الأخلاق، مادام الزوج متجبراً لا يخاف الله تعالى ولا يستحضره عند كل سماح ومنع، سادراً في غي سلع الجاهلية البغيضة، ومادامت الزوجة لا تفقه أن الزوج هو المدير، وتظل سادرة في غي السلع الثقافية المستوردة حول حقوق المرأة وحريتها المزعومة.

إن شهر رمضان أيها الأعزاء مناسبة للوقفة مع الذات في هذا المجال، ومحاسبة أنفسنا.

هل تعمر بيوتنا أجواء الحنان، أم عواصف الضغينة والرعب؟

إن الفرق كبير جداً بين جوَّيْن، جوٌّ زاخر بالحنان، بالعاطفة الصادقة، بالنبل، بالسموّ، وجو ملوّث موبوء، مشحون بالكراهية والحقد.

و نحن في شهر الله تعالى أمام دعوة للحنان، أن نتحنّن على الأيتام،

ونوقر الكبار، ونرحم الصغار، ونخفف عما ملكت اليمين، وأن نحسن خُلقنا، وهذه كلها مفردات تجمعها الرحمة، وهي حقيقة التدين، التي يلتقي بها المخلوق مع خط الرحمة التي بدأت مسيرة الدين على وجه الأرض من أجل تحقيق السير فيه، فيلتقي المخلوق الرحيم مع مولاه. تلتقي رحمة المؤمن مع اسم الله الرحمن الرحيم.

إن مهمة الدين صياغة القلب الذي يخفق بالحنان، فهو وحده قلبٌ قريب من الرحمن، وبمقدار الرحمة فيه يكون القرب من الله عزّ وجلّ.

فهل نقرر في شهر الله تعالى أن نحب بعضنا، أن نرحم، أن نفيض الحنان على من حولنا، ونرمي بالكراهية وسوء الخُلق والبغضاء من بيوتنا وعلاقاتنا بعيداً. اللهم وفّقنا لذلك.

* دعاء اليوم السابع

اللهم أعنّي فيه على صيامه وقيامه وجنّبني فيه من هفواته وآثامه وارزقني فيه ذكرك بدوامه بتوفيقك يا هادي المضلّين.

يلاحظ أن الروايات تحدثنا عن شخصية مستقلة لشهر رمضان المبارك ولكن يفهم من بعضها ـ كما في خطبة المصطفى ﷺ ـ التأكيد على شخصية مستقلة لكل يوم من أيام شهر رمضان وكل ليلة من ليالي شهر رمضان بل وكل ساعة من ساعات شهر رمضان.

وأدعية أيام شهر رمضان المبارك تؤكد لنا على الشخصية المستقلة لكل يوم من أيام هذا الشهر الكريم، ومن هنا نجد التركيز في دعاء كل يوم على خصوصيات تُطلب من الله عزّ وجلّ فيه.

و في دعاء يومنا هذا نجد أننا مأمورون بالطلب من الله تعالى أولاً أن يعيننا على صيامه وقيامه وهذا أمر ينبغي أن يستمر طلبه من الله تعالى طيلة الشهر كما أمرنا المصطفى ﷺ أن نطلبه من الله تعالى قبل حلول الشهر.

والأمر الثاني الذي ورد التأكيد عليه في هذا الدعاء أن يجنّبنا الله تعالى الهفوات والآثام في هذا اليوم.

والأمر الثالث أن يمُنَّ علينا عزّ وجلّ بدوام الذكر، على قاعدة **«خير الأعمال أدوَمها وإن قلّ»**.

إن ذكر الله تعالى مهم إلا أن الأهم هو دوام هذا الذكر، فيبقى الإنسان متذكراً ربه باستمرار.

والأمر الرابع التأكيد على غرار الأدعية المتقدمة أن ذلك لا يكون إلا بتوفيق الله عزّ وجلّ «بتوفيقك يا هادي المضلّين» وكأن هذه العبارة الأخيرة تريد أن تقول أن من وصل في الضلال إلى غايته فأصبح مُضِلاً فإن الله عزّ وجلّ أيضاً يهديه، وهي بمعنى: إلهي سواء كنت ضالاً فقط أو مضِلاً فأنت الآخذ بيدي فأنت أرحم الراحمين.

* صلاة الليلة الثامنة

١ ـ صلاة عشرين ركعة من الألف ركعة التي هي الأرجح عند الفقهاء بين روايات نوافل هذا الشهر الكريم، كل ركعتين بتسليمة، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد مرة أو ثلاثاً أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى الليلة الثامنة من شهر رمضان ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد عشر مرات وسبَّح ألف تسبيحة، فتحت له أبواب الجنان الثمانية يدخل من أيها شاء[1].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩.والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥.

يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[1].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبل أعمالنا جميعاً بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٨

شهـر رمضـان

* حُسن الخلُق
* الرحمة هي المدخل
* نظرة في النفس، والبيت
* دعاء اليوم الثامن
* صلاة الليلة التاسعة




* حُسن الخلُق

في خطبة المصطفى حول شهر رمضان المبارك ورد قوله ﷺ:

«من حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جواز على الصراط يوم تزلُّ فيه الأقدام».

كان محورالحديث السابق هو الرحمة، وبين الرحمة والخُلق علاقة وطيدة، إذ ينتج سوء الخُلق عادةً من قسوة القلب، التي تجعل القلب يضيق ذرعاً، وبالتالي مؤهلاً للحقد من خلال تصاعد الإستياء بسرعة قياسية ثم يصل الأمر إلى التعبير عن الإستياء بما يظهر على فلتات اللسان وقسمات الوجه، وحتى إذا لم يعبِّر الإنسان عما في داخله وغلت مراجل الحقد في قلبه فهو سيء الخُلق إلا أنه إذا سيطر على هذه الحالة فإنه يتمتع بكظم الغيظ، أي أنه يمتلك هذه القدرة الهائلة على عدم إظهار سوء الخلق.

وهذا يعني أن لحسن الخلُق مرتبتين:

الأولى: أن لا يُستفز الإنسان في باطنه، بل يكون له من الحلم وسائر الأخلاق الحسنة ما يحول بينه وبين ذلك.

الثانية: أن تعتمل في باطنه عوامل الإستثارة والإستفزاز، ولكنه يسيطر عليها فلا يدعها تتفجر لتنعكس على ظاهره، فضلاً عن أن يتصرف على أساسها، فيعامل الطرف الآخر بما ينسجم معها.

وبديهي أن حُسن الخُلُق بالمعنى الأول: أن لا يُثار في باطنه، أصعب بكثير من حُسن الخُلُق بالمعنى الثاني: أن لا يعبّر عما في داخله، أو لا

يتصرف تصرفاً سيئاً مستجيباً لما يدور في باطنه من جرّاء سوء الخلق الكامن.

إلا أن من وصل إلى حسن الخلق بهذا المعنى الثاني، أي إلى مرحلة أنه يُستثار لكنه وإن أثير في داخله إلا أنه على مستوى الخارج لا يستجيب للإثارة، بل يتماسك ويتجلّد ويكظم غيظه، فهو في مرحلة متقدمة جداً من «حُسن الخُلق» ومع أنها أقل مرتبة من الأولى، إلا أنها الطريق الحصري عادة للوصول إلى الأولى.

ولابدّ من التنبه إلى أن الهدف الذي ينبغي أن يكون نصب العين دائماً هو الأُولى، أي حسن الخلق بأعلى مراتبه، ولا يصح أن تكون صعوبته الشديدة مانعاً من الحُلُم بتحققه لأمرين:

١ ـ أن الوصول إلى أي مرتبة من الخلق الحسن، فرع الإصرار للوصول، والإلحاح في الطلب، ومن رأى الله تعالى صدقه أعطاه، ومادام هذا الوصول ليس بحولنا وقوتنا بل بحول الله سبحانه وقوته فلماذا لا نطلب مانظنه مستحيلاً؟

٢ ـ أن مجرد بقاء آثار سوء الخلق في الداخل، يهدد أي إنجاز، بمعنى أن من وصل إلى مرتبة أنه يستثار في داخله، ولكنه يكظم غيظه، فقد ينفجر هذا الغيظ بعض المرات فيبدأ يضرى في نفسه ويقوى ثم يغلبه فيصبح عاجزاً عن كظمه.

كما لابدّ من التنبه بعد ما سبق إلى أن الظاهر من حديث حسن الخلق عند كثير ممن تصدوا له وبشكل عام هو المعنى الثاني، أي السيطرة على الخارج ومنع الجوارح من الإنسياق أمام رغبة الباطن، إلا أن من الوضوح بمكان أن النصوص سواء الآيات أو الروايات تطرح المعنيين المتقدمين بشكل تراتبي، فالثاني هدف يتيح الوصول إلى الأول.

ويكفي لإثبات ذلك التأمل في النصوص التي تتحدث عن حسن

السريرة، وطهارة الباطن، وسلامة القلب، وقلع الشر من الصدر وغيرها.

والفائدة العملية هي أن نحرص في التضرع والتوسل لِيَمُنَّ الله تعالى علينا بأعلى مراتب حسن الخلق وماذلك عليه بعزيز.

* الرحمة هي المدخل

تقدمت الإشارة إلى العلاقة بين الرحمة وحسن الخلق، وهي بحاجة إلى توضيح، فليس معنى ذلك أن كل من تصدر منه الرحمة فهو يتحلى بحسن الخلق، لأن ما نشاهده وجداناً أن من الناس من يرحم ويعطف، إلا أنه سيء الخُلُق، يُستثار ويستجيب للإثارة، ويتصرف بما لا يليق ولا ينبغي.

إلا أن الفرق الجوهري بين من يمتلك الرحمة وتظهر في تصرفاته، وبين من لا يمتلكها، هوأنه مؤهل للتحلي بالخلق الحسن، لأن الرحمة تكشف عن درجة مهمة من درجات حياة القلب التي قد نعبر عنها بأنه صاحب ضمير حي.

إن وجود الرحمة في القلب بأي مرتبة كانت، يعني وجود مرتبة من لين القلب والرقة، وهي مؤشر على إمكانية الوصول إلى مكارم الأخلاق، كما هي استجابة الجسد الذي يحتمل موته لبعض الإسعافات الأولية مؤشر على إمكانية الشفاء.

ومن المجالات التي يظهر فيها تأثير الرحمة ورِقّة القلب في حُسن الخُلُق أن الإنسان الذي يمتلك مرتبة من مراتب الرحمة إذا صدر منه تصرف غير سليم يكشف عن سوء خُلُق فإنه يشعر بوخز الضمير الذي يلاحقه إلى أن يعتذر ـ وإن لم يفعل لأن رحمته لم تصل بعد إلى هذه المرتبة ـ فإن هذه المعاناة تشكّل على الأقل دافعاً يعينه في المراحل التالية من حياته على الإقتراب من حُسن الخُلُق.

من هنا كانت الرحمة المدخل إلى التخلص من سوء الخلق والوصول إلى حسن الخلق ومكارم الأخلاق المحمدية.

وبمقدار التنبه إلى هذا الترابط بين مافي القلب من رحمة، واستثماره في مجال بناء النفس، تكون النتيجة أفضل وأسرع.

والترجمة العملية لذلك هي أن ينطلق كلٌ منا من مخزون الرحمة الذي يكتشفه في قلبه للوصول إلى التحلّي بمكارم الأخلاق وذلك بالبيان التالي:

١ ـ التأمل في تعقيدات النفس: **«إلهي أشكو إليك نفساً بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك وتجعلني عندك أهون هالك كثيرة العلل، طويلة الأمل..»**[١].

٢ ـ إدراك صعوبة التخلص من الصفات الراسخة في هذه النفس والتي هي الخُلُق، فالخُلُق هو الصفة الثابتة في النفس والراسخة فيها، فإذا أراد الإنسان أن يتخلص من صفة سيئة واحدة كسوء الظن أو حب السمعة والجاه، أوالرياء، أو العُجب، أوالتكبُّر فكم يحتاج إلى بذل الجهد؟

يُنقل في هذا المجال أن تلامذة السيد بحر العلوم رضوان الله عليه رأوه ذات يوم فرحاً مسروراً، وسألوه عن السبب فقال: بعد جهد استمر عشرين سنة تمكنت هذا اليوم أن أتخلص من الرياء.

إذا كانت خصلة واحدة سيئة تحتاج إلى كل هذا الجهاد الأكبر فكيف يستطيع الإنسان أن يتخلص من سائر الصفات السيئة فيه ليصبح حسَن الخُلُق.

٣ ـ هنا يأتي دور مخزون الرحمة الصغير أو الكبير الذي يجده أحدنا في قلبه، فاستثمار هذه الرحمة هو الطريق الأقصر للوصول إلى حُسن الخُلُق، وذلك على قاعدة: من أراد أن يُرحم فليرحَم، من أراد أن يتحنّن الله عليه فليتحنّن.

٤ ـ وهذا يستدعي ممن يريد الوصول بالرحمة إلى حسن الخلق، أن يحمل همَّ تهذيب نفسه من مساويء الأخلاق، ويبحث عن مواطن الرحمة

---

(١) من مناجاة الشاكين للإمام السجاد عليه السلام.

ليرحم فلعله يُرحم، يبحث عن يتيم، أو فقير قد سحقه الفقر بكلكله وهو ممن يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، أومريض لا سبيل له إلى العلاج، فيسدي إليه يداً ويخدمه بما يستطيع ولو بالإصغاء إليه والتخفيف عنه بكلمات هي فيض خزين الرحمة في قلبه، ويكون هدفه أنه يفعل ذلك لأنه حق، ونوع من حسن الخلق وهو يرجو من كرم الله تعالى أن يخلصه من سوء الخلق ويحلي قلبه بحُسنه.

٥ ـ التأمل دائماً في مخاطر سوء الخلق ليعزز في نفسه شدة الحب للتخلص منها، وليظهر ذلك في مدى ما يستعد له من رحمة الآخرين، وليظهر أيضاً في حرارة التضرع إلى الله تعالى ليمن عليه بهذه النقلة الكبيرة من مهاوي سوء الخلق إلى قمم حسن الخلق.

٦ ـ وفي الوقت الذي يتعامل المؤمن مع مفردات سوء الخلق التي يريد الخلاص منها، فيذكر كلاً منها بخصوصه، ينبغي التركيز على الكليات والعناوين العامة من قبيل حب الدنيا، وغلبة الشقوة والهوى وغير ذلك، ولكل من الطريقتين فوائد كبيرة كما لا يخفى.

وهكذا نكون أمام منهجية استثمار الرحمة التي نكتشف بقاءها في القلب رغم كل فتك الذنوب، لنتدرج بها ومعها في مدارج الكمال.

أيها العزيز: شهر الله تعالى مناخ لتحسين الخلق فلا نجعله مناخاً لتجذير سوء الخُلُق. إن الهمّ الكبيرالذي ينبغي أن نحمله طيلة هذا الشهرالعظّيم، هو كيف يمكننا أن نتخلص من الأخلاق السيئة، وإذا لم نلتفت لذلك وأرخينا لأنفسنا العنان فإننا تلقائياً وبسبب هذه الغفلة والصوم والجوع نصبح نستثار بسرعة أكبر، فنغضب ونكثر من التصرفات المنافية، وستكون النتيجة أننا بدل أن نستثمر شهر الله تعالى ونستفيد من الصيام لتحسين الخلق فإننا سنخرج من شهر رمضان وقد تجذّر فينا سوء الخُلُق والعياذ بالله تعالى.

لذلك ينبغي الإنتباه والحذر وأن نلتزم عملياً في شهر الله تعالى بتحسين أخلاقنا ولو بحدود متدنّية، فإن أصل الإصرار على ذلك يفتح الباب أمام القلب على المراتب التالية.

أشير هنا إلى أن المصطفى ﷺ يقول: «**من حسَّن منكم في هذا الشهر خُلُقه**» وهو يشمل من لم يصبح حسَن الخُلُق مطلقاً، أي أن من تحسّنت أخلاقه نسبياً فهو أيضاً «**له جواز على الصراط**» وهذا منتهى الواقعية، بمعنى أن من لا يستطيع الوصول إلى حُسن الخُلُق التام فليحاول على الأقل أن تصبح أخلاقه أحسن مما هي عليه الآن.

* نظرة في النفس، والبيت

ويتوقف ذلك على إدراك أن من الأساسيات في هذا الشهر العمل على تحسين الخُلق.

ومن المفيد لحمل النفس على ذلك، التفكير في مضار سوء الخلق، من خلال طرح الأسئلة التالية على النفس:

أيُّ نُبلٍ في سوء الخُلُق يا ترى؟

لقد غضبت في كثير من الموارد في ما مضى، فماذا كانت النتيجة؟

ما أسوأ موقف من يغضب فيُرغي ويُزبد ثم يتبيّن أنه لم يكن على حق؟

أيهما أفضل أن يتكلم الإنسان ما يريده بطريقة هادئة وهو مسيطر على أعصابه فيشعر بالسعادة لأنه تصرف بعقل وحكمة، ويُلقّن الآخرين درساً في حُسن الخُلُق، أو أن يسمح للشيطان بأن يستفِزّه فإذا هو خفيف لا قيمة له ولا وزن، ريشة في مهب ريح الشيطان، وكرة يتقاذفها؟

ولا يمكن تصويب عملية التفكير هذه وترشيد ها بمعزل عن الإكثار من التواصل مع الروايات، خصوصاً ما كان منها منصباً على مضار سوء الخلق، من قبيل:

١ ـ «من ساء خُلُقُه عذّب نفسه».

٢ ـ «من ساء خُلُقُه مَلّه أهله».

٣ ـ «من ساء خُلُقُه أعوزه الصديق والرفيق».

٤ ـ «سوء الخُلُق نَكَد العيش وعذاب النفس».

٥ ـ «إن سوء الخُلُق لَيفسد العمل كما يُفسد الخل العسل»[١].

هل نحمل في شهر الله تعالى همَّ أن نصل إلى العيد وتوزيع الجوائز، وإذا من بين الجوائز التي حصلنا عليها جائزة مكارم الأخلاق، أو جائزة التخلص من الرياء، أو من الغضب، أو العُجْب، أو جائزة أن يكون هذا البيت محمدياً.

إن سوء الخُلُق يُسمّم جو البيت، ويجعله جحيماً لا يطاق، وقد يكون الأب وحده هو مصدر هذا الجحيم، وقد تكون الأم شريكة، وربما كان العكس.

ما ذنب الأولاد ليعيشوا في جحيم بسبب سوء أخلاق الأبوين، وهل من حق الولد على الوالد أن يحسن تسميته وليس من حقه عليه أن يحسن تربيته؟!

وأي سوء تربية يفوق أن يلقن الأبوان وهما القدوة سوء الخلق للولد؟

هل نفكر أيها الأعزاء في شهر الله تعالى أن نُطلَّ على أولادنا بروح جديدة؟

فليفكر كلّ منّا بما يعمر قلبه من الحب العارم، والحنان الطافح عندما يغيب عن أولاده أو عندما يغيب عنه أولاده، ليتصور نفسه أنه مات وبقي أولاده بعده؟

---

(١) أنظر: الريشهري، ميزان الحكمة.

يساعدنا على تحسين الخلق، أن نعَمّق حب أولادنا في نفوسنا ونعمّق فيها كذلك خطورة سوء الخُلُق خصوصاً في شهر الله تعالى.

يجب أن نربأ ببيوتنا عن أن تشعر المرأة في البيت بإهانة خصوصاً في شهر رمضان، أو أن يشعر الأولاد بأن أباهم غاضب لأنه صائم.

ويجب على المرأة أن تحفظ حرمة الأب ومكانته في نفسها وأمام أولادها.

ومن اعتبر الصوم عذراً لسوء خلقه، فليتنبه ببساطة إلى أن الآخرين أيضاً صائمون، وهذه التصرفات لا تناسب المسلم.

هذا البيت المحمدي المبارك ينبغي أن يُعطَّر بحُسن الخُلُق المحمدي لاسيما في شهر الله تعالى، ومن لم يستطع أن يكون حسَن الخُلُق دائماً فليحاول في البدء أن ينشر شذا هذه الروح المحمدية المباركة ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ولو لساعات، وهي كفيلة بالأخذ بيده وبمجامع القلب إلى أعتاب سيد المرسلين فإنه ﷺ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

*** دعاء اليوم الثامن**

«اللهم ارزقني فيه رحمة الأيتام وإطعام الطعام وإفشاء السلام وصحبة الكرام بطَوْلك يا ملجأ الآمنين».

لماذا يبدأ الدعاء بالتركيز على رحمة الأيتام؟

إن اليتيم منقطع لا ملجأ له من الناس، يقف وحيداً في مهب الأعاصير مكشوفاً، لا يُخدم عادةً لهدف مصلحي وإنما قربة إلى الله تعالى، ومن رُزِق رحمته فقد رُزِق إخلاصاً محضاً، وبهذه الرحمة المخلصة تتصل نية من خدم

اليتيم بسائر ينابيع الحب ـ وهل الدين إلا الحب ـ فيُطعم الطعام لوجه الله لا يريد جزاءً ولا شكوراً ويُفشي السلام، وينشر المحبة والأمن والإحساس بالطمأنينة في بيته وبين جيرانه ومعارفه كذلك لوجه الله فينتظم في سرب الكرام البَررة ـ شبيه الشيء منجذبٌ إليه ـ ومن رُزِق صحبة الكرام فقد أقام الجسر الذي يعبر به من سوء الخلق إلى ديار الفضائل ومكارم الأخلاق، الذي تهفو إليه نفسه ويهوى الفؤاد فيردد: إلهي مُنَّ عليّ بذلك فأنت ذو الطَّول الغني المتفضل بطَوْلك يا ملجأ الآمنين.

* صلاة الليلة التاسعة

١ ـ صلاة عشرين ركعة هي حصة كل ليلة إلى العشرين من الألف ركعة، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء، كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى في الليلة التاسعة من شهر رمضان قبل العشائين ست ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد وآية الكرسي سبع مرات وصلى على النبي خمسين مرة صعدت الملائكة بعمله كعمل الصديقين والشهداء والصالحين[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد مرة، والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٣٨/٨. والكفعمي، البلد الأنين ١٧٥.

سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[١].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٩
شهـر رمضـان

* آداب الإفطار
* سيرة المعصومين
* برمجة القلب
* تنبيهات هامة
* دعاء اليوم التاسع
* صلاة الليلة العاشرة




كل أوقات شهر الله تعالى عظيمة، ينبغي استثمارها: أيامه أفضل الأيام، لياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، إلا أن هناك محطات مميزة ينبغي أن نهتم بها بشكل خاص.

من هذه المحطات:

١ ـ أوقات الصلاة.

٢ ـ وقت الإفطار.

٣ ـ وقت السحر.

ولا تخفى عادةً أهمية المحطتين الأولى والثالثة، فالثواب الكبير على الصلاة أول وقتها أمر معروف، وتعقيبات الصلاة يحرص عليها كلٌ بحسبه، ويتخذ الإهتمام بالصلاة أول الوقت وبتعقيباتها موقعاً خاصاً في النفس في شهر رمضان، ويكفي لوضوح الحثّ على ذلك ما ورد في خطبة المصطفى ﷺ: «**وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم فإنها أفضل الساعات**».

وكذلك وقت السحر فمن الواضح أن له أهمية خاصة حتى في غير شهر رمضان، فكيف بأسحار شهر رمضان المبارك، ودعاء السحر للإمام السجاد عليه السلام، وهو الدعاء المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي، وِرْدُ الصائمين معروف ومشهور.

إلا أن أهمية المحطة الثانية أي وقت الإفطار، والدعاء فيه وأدب الإفطار عموماً ليست معروفة كما ينبغي.

ولابدّ من الإشارة إلى أن حديث اليوم الأول تضمن التأكيد على أهمية وقت الإفطار، وشطراً كبيراً من أدعيته، إلا أن الإقتصار على ذلك التأكيد قد يحرمنا من أن ننعم ببركات هذه المحطة وهو ما يستدعي تسليط الضوء عليه مجدداً للتذكير ببعض ما سبق بيانه والتنبيه على ضرورة الرجوع إليه كل فترة لأنه البرنامج العملي لكل ليلة.

وها قد مضى من الشهر العظيم ما يقرب من الثلث، فكيف تعاملنا مع محطة الإفطار؟

من المناسب لنا والمفيد، أن نلقي الآن نظرة متأملة على ذلك، فنحافظ على الإفادة من هذه الفترة الهامة، أو نعيد تصويب المسار في التعامل معها إذا لزم الأمر.

و قد يوفق الله عزّ وجلّ في ما بعد للحديث عن أهمية الصلاة في شهر رمضان المبارك، وللحديث عن أهمية أسحاره، إلا أن الوقفة هنا ستكون إن شاء الله تعالى مع آداب الإفطار.

* آداب الإفطار

والمحور الذي تتفرع عليه كل مظاهر العناية بهذه المحطة هو التالي:

صحيح أن ضغط الجوع يجعل الصائم يبادر تلقائياً إلى الإفطار ولا مانع من ذلك حتى إذا قدّم الإنسان الإفطار على الصلاة، خصوصاً إذا كان هناك من ينتظره، بل من يحب أن يكون معه على الإفطار ولو لم ينتظره، ولكن ما المانع من الإتيان بدعوات مختصرة قبل الإفطار؟ وأكثر من ذلك ما المانع أن تكون هذه الدعوات أحياناً غير مختصرة جداً، يختار لها من الليالي ما يساعده فيه ظرفه بمختلف جوانبه على تحمل تأخير إفطاره عشر دقائق مثلاً.

ومن الضروري التنبه إلى أن التغييرعلى صعيد القلب والنفس هو عادة أكبر بكثير من الزمان الذي يستغرقه التغيير في عالم الظاهر ويتم فيه، على أن

التغيير في عالم الظاهر قد يكون مدوياً تتردد أصداؤه عبر قرون ولا يستغرق من الوقت إلا دقائق وربما لحظات، فلا يصح أن يكون قصر الوقت الذي يستدعيه العمل منطلقاً للإستخفاف به، خاصة عندما يكون الحديث عن التغيير في عالم النفس.

إن لحظة التوبة الصادقة أكبر من عمر صاحبها، ولحظة تضييعها عندما تتاح هي أيضاً أكبر منه، لأن كلاً منهما يتحكم بالمصير ويحدد نتائجه بما يتطابق معه.

في هذا السياق ينبغي أن يوضع الإهتمام بلحظات الإفطار.

* سيرة المعصومين

١ ـ حول إفطار النبي ﷺ وكيف كان يدعو قبل أن يفطر، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أن النبي ﷺ كان إذا أفطر قال: «**اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّله، ذهب الظمأ وابتلّت العروق وبقي الأجر**»[١]

٢ ـ وروي أيضاً عن رسول الله ﷺ: **إن لكل صائم عند فطره دعوة مستجابة، فإذا كان في أول لقمة، فقل: بسم الله، ياواسع المغفرة، اغفر لي، فمن قالها عند إفطاره، غُفر له**[٢]

٣ ـ ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا أفطر قال: «**بسم الله، اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبّل منا إنك أنت السميع العليم**»[٣].

٤ ـ وكان الإمام الصادق عليه السلام يقول عند الإفطار في كل ليلة من شهر رمضان «**الحمد لله الذي أعاننا فصمنا ورزقنا فأفطرنا، اللهم تقبّل منا وأعِنّا عليه**

(١) الكفعمي، البلد الأمين ٢٣١.
(٢) المصدر ٢٣٢.
(٣) المصدر ٢٣١.

وسلّمنا فيه وتسلّمه منا في يسرٍ وعافية الحمد لله الذي قضى عنا يوماً من شهر رمضان»[١].

٥ ـ وفي رواية عن النبي ﷺ:

«ما من عبد يصوم ويقول عند إفطاره هذا الدعاء إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو «يا عظيم، يا عظيم، يا عظيم، أنت الله الذي لا إله إلا أنت اغفر لي الذنب العظيم إنه لا يغفر الذنب العظيم إلا أنت يا عظيم»[٢].

٦ ـ وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«من قرأ القدر عند سحوره وعند إفطاره كان بينهما كالمتشحّط بدمه في سبيل الله»[٣].

وهكذا يمكننا أن نفهم من اختلاف النصوص رغم اتفاقها في بعض المضامين أنه ليست هناك صيغة خاصة ينبغي التقيد بها، فيمكن للصائم أن يذكر الله تعالى بأيٍّ من هذه الأذكارقبل إفطاره.

أما لماذا كان لسورة القدر هذا الأثر العجيب قبل الإفطار وقبل السحور وما علاقة هذا التأثير للسورة المباركة بكَون القرآن الكريم قد نزل في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك الذي تنبع أهميته من نزول القرآن فيه لا من الصيام كما يتحدث عن هذه النقطة آية الله جوادي الآملي، وما هي خصوصية هذه السورة؟ عِلْم ذلك عند الله تعالى، إلا أن الصادقين عليهما السلام أخبرونا بذلك إجمالاً، وقد تقدم في الأحاديث السابقة أن السور القرآنية المباركة أشبه ما تكون بمفاتيح لها تأثيرها الخاص في عالم الغيب وعالم الشهادة، فللمفتاح تأثيره المرتبط به والمتوقف عليه.

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر.

٧ ـ كما ورد الحديث عن دعاء ليس مطولاً ولا هو باختصار ما تقدم، وقد أوردته في أعمال الليلة الأولى، ومن لم يستطع أن يقرأه كل ليلة، فينبغي أن لا يحرم نفسه من بركاته ولو أحياناً، فقد تضمنت روايته من الثواب ما يكفي بعضه لمزيد الإهتمام به، كما نجد في الرواية التالية:

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لعليّ عليه السلام: **«يا أبا الحسن هذا شهر رمضان قد أقبل فاجعل دعاءك قبل فطورك فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني عن الله تعالى أنه من دعا هذا الدعاء في شهر رمضان قبل أن يفطر استجاب الله له دعاءه وقبِلَ صومه وصلاته واستجاب له عشر دعوات وغفر له ذنبه وفرّج همه ونفّس كربه وقضى حوائجه وأنجح طلبته ورفع عمله مع أعمال النبيين وجاء يوم القيامة ووجهه أضوء من القمر ليلة البدر..»**.

وأول الدعاء: **«اللهم رب النور العظيم ورب الكرسي الرفيع ورب البحر المسجور..»** وهو غير دعاء العهد المعروف رغم أنه يشترك معه في بداياته.

* برمجة القلب

والنتيجة التي نخرج بها من استعراض هذه الروايات التي تحثّ على الدعاء قبل أن يفطر الصائم، أو قراءة سورة القدر، أن الصائم الذي أمضى نهاره يعزِّز البعد الروحي فيه ويُضعف البُعد الحيواني، فينمّي الروح على حساب الجسد في الحدود المسموح بها بل المطلوبة، أصبح الآن عندما حلّ وقت الإفطار أمام نمطين من التصرف، نمطٍ يكشف عن إدراكه لأهمية ماقام به، ونمط يكشف عن ضعف هذا الإدراك كثيراً أو يكشف عن عدمه، ولمصلحة الصائم أن يُلفَت إلى رفع مستوى فهمه لأهداف الصوم، كما يلفَت المسرع إلى المائدة إلى ضرورة إلقاء التحية على الموجودين لتستقر في قلبه بذرة الآداب الإجتماعية في مثل هذا الظرف وما يشبهه، أو يزول الركام عن هذه البذرة الموجودة أصلاً.

إن هذه اللحظات القليلة التي تقع بين نية الإفطار وبين تناول الطعام، فترة خصبة يمكّن استثمارها بذكر الله تعالى من برمجة القلب لينطلق في دروب الحياة في المسار الصحيح الذي يشكل الأساس فيه والمناخ والتربة إدراكُ القيم والتعامل معها بما يعنيه ذلك من إدراكٍ لإنسانية الإنسان ووعي لأهميتها وأنها أنبل من أن تطويها عجلة ضغط الجوع أو العطش، أو غلبة أي غريزة أخرى مهما كانت شديدة الوطأة.

إن هذه اللحظات القليلة التي يمضيها الصائم في الإقبال على الله عزّ وجلّ وفي التوجه إليه سبحانه، تكشف عن مضمون إنساني راقٍ، وكأنه يريد أن يقول «إلهي أريد أن أحافظ على حصيلتي الروحية من الصيام، لا أريد أن أُقبل على الطعام بجشع ناسياً لك ولذكرك، بل أقبل عليه ذاكراً، إلهي أعنّي على نفسي، واغفر لي» ومهما كان الدعاء مختصراً، فإن آثاره كبيرة، فينبغي العناية بهذا الحثّ على الدعاء قبل الإفطار والإهتمام به.

* تنبيهات هامة

١ - في تهيئة الطعام

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

إعلم أننا قد ذكرنا فيما تقدم من هذا الكتاب كيفية الإحتياط في الطعام والشراب، ونضيف إليه هنا أنه ينبغي أن يكون الطعام والشراب الذي يفطر عليه مع طهارته من الحرام والشبهات، قد تنزهت طرق تهيئته لمن يفطرعليه، من أن يكون قد اشتغل به من هيأه عن عبادة الله جل جلاله، وهي أهم منه، فربما يصير ذلك شبهة في الطعام والشراب، لكونه عُمل في وقتٍ كان الله جل جلاله كارهاً للعمل فيه، ومعرضاً عنه. وحسبك في سُقم طعام أو شرابٍ أن يكون صاحبه رب الأرباب، كارهاً لتهيئته على تلك الوجوه والأسباب، فما يؤمن المستعمل له أن يكون سقماً في القلوب والأجسام والألباب[1].

---

(١) الإقبال ١/٢٤١. بتصرف.

والمثال الذي يوضح ما أراده السيد هو أن تنشغل المرأة مثلاً بالطعام عن بعض عباداتها، كأن يصرفها إعداد طعام الإفطار عن دعاء له وقت محدد وأهمية خاصة، أو يحول إعداد طعام السحور بينها وبين صلاة الليل وما شابه.

ولكن ماقاله رضوان الله تعالى عليه يفتح باب المراقبة لاجتناب كل طعام تداخل مع إعداده أذى الآخرين، بحيث ينطبق عليه عنوان أن رب الأرباب كاره لتهيئته بهذه الوجوه والأسباب أي بهذه الطريقة، فهو حينئذ مشترك مع ما تقدم في أنه لا يؤمَنُ أن يكون مرضاً للظاهر والباطن معاً.

ومن الواضح أن هذا الباب ليس خاصاً بشهر الله تعالى، بل هو عام لكل الأوقات، إلا أن خصوصية الشهر ترفع من مستوى الحذر من أي تصرف يحمل الآخرين عبء ترك عبادة ما لأجل الطعام، أوعبء إهانة مأ، مخافة أن يتحول هذا العبء إلى مرض يفتك بروح صاحبه وجسده.

٢ ـ في نية الإفطار

ليست النية العفوية التي تصدر تلقائياً، إلا ثمرة السلوك العام لصاحبها، وليس السلوك العام إلا نتيجة النوايا غير العفوية، بل تلك التي يتم اتخاذ القرار بها، والتصرف على أساسها.

من هنا كان طبيعياً جداً أن يولى النص المعصوم أهمية قصوى لتصحيح النية عند الإفطار.

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

إعلم أن الافطار عمل يقوم به ديوان العبادة، ومطلب نتيجته السعادة، فلا بد له من قصد يليق بذلك، ومن أهم ما يقصد الصائم بافطاره، ويختم به تلك العبادة مع العالم بأسراره، هو امتثال أمر الله جل جلاله بحفظ حياته. وإذا لم يقصد بذلك حفظها طاعة لله تعالى، فكأنه قد ضيع الطعام وأتلفه، وأتلف نفسه، فتصبح الطاعات تصدر منه عن قوة لم يحسن بالنية رعايتها.

وأي كلفة أو مشقة فيما ذكرناه من صلاح النية، ليصر الصائم على اجتنابها، ويلجأ إلى الإفطار بما تقتضيه الغريزة، إلى غير ذلك من الأضرار[١].

٣ ـ ذكر الله عند تناول الطعام

وليست النية المدروسة والمستندة إلى قرار، إلا نتيجة محاولات متكررة في تصحيح النية للوصول إلى حيث تخلو النية من التكلف، وتصبح نية حقيقية خالصة من شوائب الإدعاء، وليس جهاد النفس على عظيم منزلته إلا هذه المحاولات المتكررة في تصحيح النوايا.

من هذا المنطلق ينبغي التعامل مع الحث على أمور نرى أننا نتكلف كثيراً إذا حاولنا حمل النفس عليها، من قبيل ما تقدم من أن تكون نية تناول الإفطار التقوية على طاعة الله تعالى، أو من قبيل التنبه إلى ذكر الله تعالى أثناء الطعام، فللمتندر أن يقول: نريد أن نأكل فدعوا مواعظكم جانباً!

وهو كلام طريف لكنه غير مسؤول.

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

كان رسول الله يحمد بين كل لقمتين. ثم أضاف السيد: أقول أنا: أيها المسلم المصدق بالقرآن، الممتثل لأمر الله جل جلاله، إياك أن تخالف قوله تعالى في رسوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾. اسلك سبيل هذه الآداب، فإنها براق وعطايا تُفتح لها أنوار سعادة الدنيا ويوم الحساب[٢].

وليست الأهمية في ذكر الله تعالى ـ عند الطعام ومعه ـ لحركة اللسان بل لحركة القلب التي قد تستتبع حركة اللسان وقد تنفصل عنها، إلا أن من شأن الذكر اللساني إيقاظ القلب، وقد يكون الإيقاظ مزعجاً لكن المصلحة فيه لا

---

(١) المصدر ٢٤٢ بتصرف.

(٢) المصدر ٢٤٦/١. بتصرف.

تُفَوَّت، وكما تتحمل الأم ممانعة ولدها الذي توقظه لأنه قد حان وقت ذهابه إلى المدرسة وما يرافق ذلك من نكد لا يعتبر مسوغاً لتركه يغط في نومه، فينبغي لنا أن نتحمل مضض إيقاظ القلب ليستجيب لنصيحة العقل فيكون ذاكراً على كل حال.

وقد يكون هذا المضض خروجاً على المألوف الذي قد يثير تندر البعض.

ويتضح مما تقدم أن المحورفي الذكر هو القلب، وليس الذكر اللساني إلا المفتاح.

٤ ـ عند الفراغ منه

ويلحق بذلك الذكر عند الفراغ من الطعام في شهر رمضان وغيره، إلا أن خصوصيته في ضيافة الرحمن لا تخفى. قال السيد عليه الرحمة والرضوان:

عن الأئمة عليهم السلام: «(..): **وتقول عند الفراغ من الطعام: ألحمد لله الذي أطعمني فأشبعني، وسقاني فأرواني، وصانني وحماني، ألحمد لله الذي عرَّفني البركة واليُمن بما أصبته وتركته منه..**»[1].

ويجب التأكيد على أن هذه المفردات وأمثالها في التشريع الإسلامي، إنما هي جزء من كل وحرف من القصيدة العصماء، وكما لا يصح من الناحية المنهجية دراسة كل حرف أو كلمة ولا شطر ولا أبيات وحدها لإصدار حكم على القصيدة، لا يصح منهجياً أخذ بعض التشريعات والإنطلاق منها لإصدار حكم على الشريعة كلها.

وإنما أقف عند هذه الخصوصيات لما تحمله لوثات التغريب المنتشرة

---

(١) المصدر. وانظر: المجلسي، البحار ٦٣/ ٣٨١ و٩٥/ ١٥. والطبرسي، مكارم الأخلاق ١٤٤. والمحدث النوري، مستدرك الوسائل ١٦/ ٢٨٠. وقد ورد في الجميع بلفظ واحد ومنه قوله: «تركته منه» غير أن للذكر تتمة فليلاحظ.

بيننا من طريقة التعامل مع المستحبات والمكروهات، في الوقت ذاته الذي يستبدلها فيه هؤلاء بمستحبات عندهم ومكروهات لهم في «التعقيم» الموبوء، و«آداب المائدة» ومنها ما يذهب بالعقل، و«الحفل الرسمي» القائم أصلاً على تشييء الإنسان، وغيرذلك مما يصل عندهم إلى حد القداسة.

إن على كل مؤمن أن يصغي قلبه إلى آداب الإسلام، ويصر على الإلتزام بها فهي آداب الله تعالى لعباده، وما أمس الحاجة إلى مغادرة تحييد المستحبات والمكروهات عن الواجهة ومحاصرتها في قعر الإهتمام، وزوايا حركة الحياة والسلوك.

ويتوقف الشفاء من هذا الفصام الثقافي، بالخروج من هذه اللوثة القاتلة، بل الوباء الذريع.

* دعاء اليوم التاسع

اللهم اجعل لي فيه نصيباً من رحمتك الواسعة واهدني فيه لبراهينك الساطعة وخذ بناصيتي إلى مرضاتك الجامعة بمحبتك يا أمل المشتاقين.

كأن الدعاء يريد لكلٍّ منا أن يقول «إلهي وسعت رحمتك كل شيء وأنا شيء فارحمني. اجعل لي نصيباً من رحمتك فإنها لا يُنقصها شيء، وأزِح عن بصيرتي حُجُب الذنوب وظلام المعاصي. أرِني الأمور كما هي. إلهي وإن نازعتني نفسي إلى معصيتك فكما يأخذ الأب بيد ابنه إلى الطبيب رغماً عنه حباً له، فَخُذ بناصيتي إلى مرضاتك الجامعة بحبك لي يا أمل المشتاقين.

* صلاة الليلة العاشرة

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي عشرون ركعة كل ركعتين بتسليمة، ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة، والتوحيد مرة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى الليلة العاشرة من شهر رمضان عشرين ركعة، يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد، إحدى وثلاثين مرة وسَّع الله عليه رزقه وكان من الفائزين(١).

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»(٢).

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة٨/٣٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٠

شهر رمضان

* حسن الظن بالله
* في دعاء السحر
* في الروايات
* دعاء اليوم العاشر
* صلاة الليلة الحادية عشر




* حسن الظن بالله

لدى التأمل في أدعية شهر رمضان المبارك نجد أن المفردات الأساسية التي تريدنا هذه الأدعية المباركة أن نهتم بها هي التالية:

١ ـ حب الله تعالى لنا.

٢ ـ حبنا له عزّ وجلّ.

٣ ـ حسن الظن به سبحانه وأنه واسع المغفرة.

٤ ـ النبوة والإمامة كمظهرين للولاية الإلهية وقد ورد التأكيد على ذلك بشكل خاص في دعاء الإفتتاح.

٥ ـ الدولة الكريمة التي يُعِزُّ الله تعالى بها الإسلام وأهله.

٦ ـ ليلة القدر، حج البيت الحرام، الشهادة في سبيل الله تعالى.

٧ ـ المعاد. بدءاً من سكرات الموت مروراً بالعرض على الله تعالى ثم الجنة أو النار كما ورد التأكيد على مفردات المعاد بشكل تفصيلي في دعاء السحر.

وقد تقدم الحديث عن حبه عزّ وجلّ لنا وأنه حب لا ندرك كنهه وأن كل مظاهر الحب الصادق في الدنيا من فيوضات حبّه العظيم جلّ ثناؤه.

وهنا ستكون إن شاء الله تعالى وقفة مع حسن الظن بالله عزّ وجلّ.

قال عز من قائل: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

إذاً، وبصريح القرآن الكريم هناك نوع من الظن بالله يكون سبب الهلاك، وهو سوء الظن بالله عزّ وجلّ، بدليل قوله تقدست أسماؤه:

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [الفتح: ٦].

ما المراد إجمالاً بحسن الظن بالله تعالى؟

كلٌّ منا يحمل في ذهنه عادةً، تصورات معينة عن الناس الذين يتعامل معهم، فيقول هذا كريم يلبي بسرعة، وهذا بخيل، وهذا بين وبين وهلمّ جرّاً.

فأيّ انطباع وتصور نحمله عن الله تعالى؟

هل نحسن الظن به عزّ وجلّ أم أننا لفرط معاصينا نعتبر أنه لن يغفر لنا؟

هل نشعر بنعمه؟ أم أننا لفرط غفلتنا نعتبر أن المال من فلان والشفاء من الطبيب والعلم من الأستاذ وهكذا، فنركض خلف الكثرة، وتعمينا حجبها فلا ندرك حقيقة التوحيد؟

هل نحسن الظن به عزّ وجلّ وأنه يعطينا إذا احتجنا ولا يتركنا؟

هل نحسن الظن به عزّ وجلّ أنه يرحمنا إذا عصينا، ويغفر لنا ذنوبنا مهما كانت؟

هل نعتقد حقاً بأن ذنوبنا مهما عظمت فإنها دون عظمته، وأن طلباتنا مهما كثرت فإنها قليل من كثير وأنها عليه سهل يسير؟

* في دعاء السحر

ورد في دعاء السحر:

١ ـ بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني إليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت، الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، الحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني.

إلهي أعظم النعم عليّ نعمة معرفتك، وأنا لم أصل إلى معرفتك بنفسي وإنما أنت أوصلتني ولو أردت هواني لم تهدني، أنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدرِ ما أنت، إلهي كلما احتجتك أجِدك سريعاً في الإجابة، وكلما أمرتني تجِدني بطيئاً إلا أنك مع ذلك تظلُّ تغمرني بعطفك وحنانك أسألك فتعطيني، وتستقرضني حين تحثُّني على العطاء والإنفاق، أوالقرض، وحين تريدني أن أكون بارّاً متسامحاً أعفو وأصفح. تستقرضني لأعطي من المال ومن الخُلُق الحسن فيغلب عليّ البخل إلا أن ذلك لا يمنعك من مراصلة عطائي.

٢ ـ والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري.

أرأيت ملكاً يستطيع الفقير أن يناديه كلما كانت له إليه حاجة، إن ملك الملوك عزّ وجلّ قريب من عباده، كيف أن الأم من فرط حبها لابنها تجيبه كلما ناداها ومهما كانت أعمالها، إن حنان الله عزّ وجلّ وحبه لنا أكبر من حب الأم بكثير، بل إن حب الأم كما تقدم تماوج من فيض حبه عزّ وجلّ.

إن هذه المعاني وأمثالها في دعاء السحر وفي دعاء الإفتتاح تريد أن تعزّز فينا حسن الظن بالله عزّ وجلّ حتى لا نحمل في ذهننا تصور أن الله تعالى بعيد عنا، لا يهتم بنا لا باستجابة أدعيتنا ولا بطلباتنا.

ليس من حسن الظن أن نحمل مثل هذه التصورات بل ينبغي أن نعيش بعمق أنه قريب منا، وأنه تعالى أمل الآملين، وملاذ اللائذين.

٣ ـ وأنا يا سيدي عائذ بفضلك هارب منك إليك متنجّزٌ ما وعدت من الصفح عمن أحسن بك ظناً.

إلهي من لي غيرك. جئتك مستجيراً بك من النار فأجرني، مستعيذاً بك فأعذني. إلهي لا أحمل إلا حسن ظني بك، لا أتكل على عملي إلا أنك أرحم الراحمين، أكرم الأكرمين، كل زادي هو حُسن ظني بك وسوء ظني بنفسي.

٤ ـ أفَتراك يا ربي تُخلِف ظنونا أو تخيّب آمالنا، كلا يا كريم فليس هذا ظننا بك ولا هذا فيك طمعنا، يا رب إن لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً إن لنا فيك رجاءً عظيماً عصيناك ونحن نرجو أن تستر علينا، ودعوناك ونحن نرجو أن تستجيب لنا فحقّق رجاءنا مولانا فقد علمنا ما نستوجب بأعمالنا ولكن علمك فينا وعلمنا بأنك لا تصرفنا عنك وإن كنا غير مستوجبين لرحمتك فأنت أهل أن تجود علينا وعلى المذنبين بفضل سعتك.

من الواضح أن حسن الظن بالله عزّ وجلّ هو المناخ الملائم لاستجابة الدعاء، ومن الواضح أن سوء الظن بالله عزّ وجلّ حجاب يجعل الإنسان غير قادر على الدعاء بحق، يجعله لا يستطيع أن يطلب من الله عزّ وجلّ طلباً حقيقياً. إن طلب الإنسان السيء الظن بالله عزّ وجلّ كالطلب من شخص تعلم مسبقاً أنه لن يُلبّي طلبك، مما يجعل طلبك منه شكليا، فهو شبه طلب. إنه طلب اليائس.

* في الروايات

١ ـ عن رسول الله ﷺ: **«والذي لا إله إلا هو لا يَحسُن ظنُّ عبدٍ بالله إلا كان الله عند حسن ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون المؤمن قد أحسن الظن به ثم يُخلِف ظنّه ورجاه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»**[١].

وهكذا نكون قد كونّا فكرة مجملة عن خطورة سوء الظن، وأهمية حسن الظن، فإذا أردنا أن نعرف ما هو حسن الظن بشكل دقيق نجد ما يلي:

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك.**

---

(١) **أنظر فيه وما بعده:** الريشهري، ميزان الحكمة.

حُسن الظن بالله عزّ وجلّ إذاً، أن ينحصر الرجاء به، أي أن نوقن بأن كل شيء هو منه سبحانه وتعالى.

بديهي أن من حسن ظنه بشخص، فهو يلجأ إليه، وكلما كان حُسن الظن به أقوى كان اللجوء إليه أكثر.

وعلى هذه القاعدة فلا ينبغي اللجوء إلا إلى الله تعالى، لكن ذلك يتوقف على أن نحسن الظن به وحده دون سواه.

ويقترن الحديث عن حسن الظن بالله في هذه الرواية بالحديث عن مخافة الذنب، وهي مفصل شديد الحساسية في باب حسن الظن وسوئه، والمراد أن من يحسن الظن بالله عزّ وجلّ ويصل به ذلك إلى حدٍّ عدم الخوف مطلقاً من ذنوبه، فهو أقرب إلى الأمن من عذاب الله عزّ وجلّ، بل والتجرؤ على الله تعالى، لأن حسن الظن المطلوب هو أن يخاف الإنسان من ذنوبه فيلجأ إلى الله عزّ وجلّ ويحسن الظن به لا أن لا يخاف من ذنوبه نهائياً ويعتبر أنه بمنأى من العذاب وفي مأمن منه.

ونجد توضيح ذلك في الرواية التالية:

٣ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يَحسُن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله عزّ وجلّ**».

بمقدار ما نخاف الله تعالى يكون حسن الظن به، أخاف ربي عندما أعيش حقيقة التوحيد وأُدرك أنه لا يحق لي أن أتجرأ عليه عزّ وجلّ فأعيش بذلك خطورة المعصية، وأعيش من خلال ذلك عجزي وضعفي فأُدرك أنه لا ملجأ من الله عزّ وجلّ إلا إليه وأُدرك رحمته الواسعة، عندها سيكون حسن ظني بربي سبحانه وتعالى كبيراً وبشكل تلقائي.

والنتيجة العملية أن يفكر كلٌّ منا في ظنه بالله عزّ وجلّ، هل أنا حَسَن

الظن بربي أم أني والعياذ بالله سيء الظن؟ وأن يرفع كلٌّ منا من مستوى حسن ظنه به، فهو أرحم الراحمين، تمتد رحمته يوم القيامة كما ورد في الروايات، لتتسع لأصناف من الخلائق كان إبليس يعتبرهم من جنده، وعندئذٍ يطمع هو في أن تشمله رحمة الله سبحانه وتعالى!

* دعاء اليوم العاشر

اللهم اجعلني فيه من المتوكلين عليك واجعلني فيه من الفائزين لديك واجعلني فيه من المقربين إليك بإحسانك يا غاية الطالبين.

اللهم ارزقني يقيناً ثمرته التوكل عليك وأتمم نعمتك عليّ بتمام اليقين والتوكل وهما أساس كل عمل صالح لأكون من الفائزين لديك المبادرين المقربين إليك وأنّى لي بذلك يا إلهي إلا بإحسانك، أن تأخذ بيدي رغم أني لا أستحق فأصل إلى حِماك وأكون في درعك الحصينة يا غاية الطالبين.

* صلاة الليلة الحادية عشر

١ ـ مواصلة صلاة الألف ركعة

تصلي عشرين ركعة كل ركعتين بتسليمة، ثماني ركعات بعد المغرب، والباقي بعد العشاء وتقرأ في كل ركعة الحمد مرة، والتوحيد مرة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ومن صلى ليلة إحدى عشرة من شهر رمضان ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإنا أعطيناك الكوثر عشرين مرة لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وإن جهد الشيطان جهده[١].

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[1].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١١
شهـر رمضـان

* ليلة القدر
* معرفة ليلة القدر
* صلاة لمعرفة ليلة القدر
* رؤية ليلة القدر
* دعاء اليوم الحادي عشر
* صلاة الليلة الثانية عشر




* ليلة القدر

شهر رمضان المبارك شهر الثورة في الذات باتجاه المصالحة مع الكون والإنسجام مع تسبيح الموجودات جميعها لله الواحد القهار.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويمكن لهذه المصالحة رغم صعوبتها أن تتم في لحظة من لحظات ليلة القدر.

وما أدراك ما ليلة القدر.

ولست هنا بصدد الحديث عن عظمة هذه الليلة المباركة ولا عن خصوصياتها، فربما يوفق الله سبحانه وتعالى للحديث عن ذلك على أبواب ليالي القدر، وإنما أنا هنا بصدد الحديث عن الإهتمام لإدراك ليلة القدر.

عندما نتأمل مضامين أدعية شهر رمضان المبارك نجد تركيزاً على ليلة القدر يلح علينا بشكل أو بآخر أن ننتبه إلى أهمية هذه الليلة المباركة.

ورد في الأدعية الملحقة بدعاء الإفتتاح وليلة القدر: وحج بيتك الحرام وقتلاً في سبيلك فوفق لنا، كما ورد في مختلف الأدعية الحديث عن ليلة القدر تارةً بلهجة الدعاء والتوسل للتوفيق لها ولإدراكها، وتارةً بلهجة واجعل في ما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وفي ما تفرق من الأمر الحكيم في ليلة القدر من القضاء الذي لا يُرَدّ ولا يبدَّل...».

* معرفة ليلة القدر

ماذا تريد هذه المضامين المباركة للأدعية المباركة حول ليلة القدر أن تقول لنا؟

لدى الرجوع إلى كلمات العلماء الأعلام في هذا المجال نجد بوضوح أن من أمهات المطالب التي ينبغي على الصائم باستمرار من أول شهر رمضان أن يركز عليها هو أن يُوفَّق لليلة القدر.

ما المراد بالتوفيق لليلة القدر؟ هل المراد أن يوفق الإنسان للدعاء فيها؟

هذا مطلوب طبعاً إلا أن السيد ابن طاوس وكذلك آية الله التبريزي عليهما الرحمة يؤكدان على أهمية أن يدعو الصائم باستمرار طيلة شهر رمضان المبارك أن يُعرّفه الله تعالى ليلة القدر، فيُوفّق حينئذٍ لإحيائها والدعاء فيها.

معرفة ليلة القدر إذاً، همٌّ ينبغي أن يحمله الصائم طيلة أيام شهر رمضان المبارك قبل ليالي القدر، فيكون هاجس القلب ووِرْدُ لسان الحال: إلهي عرّفني ليلة القدر في أية ليلة هي؟

قد يتصور البعض أن هذا الطلب غريب.

وعن هذه النقطة بالذات يتحدث السيد ابن طاوس عليه الرحمة فيُبيّن ضرورة أن يطلب الصائم أن يعرّفه الله عزّ وجلّ ليلة القدر ويقول:

«إن طلب معرفة ليلة القدر من مهمات ذوي العبادات حيث لم أجد في المعقولات والمنقولات ما يمنع من طلب معرفتها والظفر بما فيها من السعادات، ولقد قلت لبعض من حدثته من الأعيان لماذا لا تطلبون من أول شهر رمضان بالدعاء أن يعرّفكم الله جل جلاله بليلة القدر فإنه تقدست أسماؤه قد جعلكم أهلاً لمعرفته ومعرفة رسوله ومعرفة خاصته، وليست ليلة القدر أعظم من ذلك، فلم نجد له عذراً إلا اتّباع العادة في أنهم ما وجدوا من يهتم بهذا المطلب الجليل فقلّدوهم ومضوا على ذلك السبيل».

حقاً، لماذا لا ندعو الله طيلة الأيام والليالي المباركة من هذا الشهر المبارك قبل ليالي القدر أن يعرّفنا ليلة القدر؟

سيأتي في كلمات السيد ابن طاوس عليه الرحمة وغيره من العلماء أن هذا الأمر طبيعي وأن من الناس من يعرّفهم الله عزّ وجلّ ليلة القدر بطرق مختلفة، فيعرف أحدهم أن ليلة القدر هي الليلة الفلانية فيوفَّق للدعاء فيها ولإحيائها ويكون موقناً أنها ليلة القدر.

ترى هل هذا الأمر عادي لا ينبغي الإهتمام به؟

يذكر السيد عليه الرحمة أنه أورد لمن خاطبه من أهل زمانه مثالاً هو الآتي:

لو أن شخصاً صادقاً يُقطع بصحة كلامه أخبر شخصاً فقيراً مسحوقاً أن في هذه الأرض مساحة ثلاثين ذراع، وفي ذراع من هذه الثلاثين ذراع كنز إذا أمكن الوصول إليه فإنه يغني كل فقير وأنت ستخرج من الفقر بمجرد أن تحصل على هذا الكنز.

فكيف يتصرف هذا الفقير مع هذه المعلومة؟

ألا يطوف البلدان ليسأل أهل الخبرة؟ ألا يبحث في هذا الثلاثين ذراع بحثاً مضنياً؟

إذاً لماذا لا نتعامل مع ليلة القدر كما يتعامل هذا الفقير مع هذه الثلاثين ذراع، ثلاثون ليلة، وليلة منها هي ليلة القدرولا نهتم بمعرفتها!!

كيف نرضى أن يأتي شهر الله تعالى ويمضي ونحن لسنا مستنفرين لمعرفة هذه الليلة المباركة؟

أين حُسن الظن بربنا عزّ وجلّ؟ لماذا لا نثق بأننا إذا كنا صادقين في طلب معرفة هذه الليلة فإنه عزّ وجلّ أكرم الأكرمين، ولن يردّ سائلاً وقف

ببابه، وهو يريد أن يوفّق لدعائه وعبادته في ليلة مباركة هي خير من ألف شهر.

كيف يردّنا عزّ وجلّ؟

الواقع أن غفلتنا كبيرة جداً، وجزى الله سيد المراقبين السيد ابن طاوس عن المسلمين جميعاً خير الجزاء لتنبيهنا إلى هذه الحقيقة.

وأذكر هنا كلاماً لآية الله التبريزي في كتاب المراقبات، حيث يقول عليه الرحمة: ثم إن من أهم الدعاء في شهر رمضان أن يكثر الإنسان دعاء التوفيق للعبادة في ليلة القدر وليلة الفطر من أول الشهر إلى وقت حضورها.

أي أن يظل الصائم يطلب من الله عزّ وجلّ من أول شهر رمضان المبارك إلى ليلة القدر أن يوَفّق لليلة القدر، ويستمر بطلب التوفيق لليلة الفطر ليلة العيد لأنها غاية في الأهمية إلى أن تحل هذه الليلة.

يضيف: فإن صدق في الدعاء فلن يردّ الكريم تعالى دعاءه، وسيفوز بهذا الأمر العظيم الذي ينبغي للمؤمن بالقرآن الكريم أن يجهد سنة كاملة بالإحياء والعبادات لتحصيله، كيف وقد صرّح القرآن بأنها خير من ألف شهر وألف شهر أكثر من ثمانين سنة، فمن عمل سنة ثم حصل على ثواب ثمانين سنة فهو من الرابحين الفائزين فضلاً عما إذا حصل على ذلك بأقل من شهر.

يريد عليه الرحمة: لو أن أحدنا تعب سنة من أجل أن يعرف ليلة القدر ويوفّق للعبادة فيها ثم وُفّق لها فإنه من الرابحين فكيف إذا بذل جهداً طيلة أقل من شهر ووفّق لهذه الليلة المباركة.

ثم يقول رضوان الله تعالى عليه: ومن لم يجد في نفسه اهتماماً بإدراك ليلة القدر ولو بهذا المقدار القليل فهو مريض الإيمان فليعالج إيمانه. ونظيرها في لزوم الإهتمام ليلة الفطر ويومه لأنه روي عن السجاد عليه السلام أنه كان يقول: **«ليس ذلك دون ليلة القدر»** ثم يرجع إلى التأكيد على الإهتمام بليلة القدر

فيقول: **وذوو الهمم العالية يبذلون قُصارى جهدهم ليكشف لهم في هذه الليلة عما تنزَّل من السماء إلى الأرض من الملائكة والتقديرات**[١].

* صلاة لإدراك ليلة القدر

إذا وجدنا في أنفسنا اهتماماً بمعرفة ليلة القدر فهناك صلاة ذكرها السيد ابن طاوس عليه الرحمة وذكرها كذلك آية الله التبريزي نقلاً عن السيد وهي كما يلي:

روي عن عبد الله بن عباس انه قال: يا رسول الله طوبى لمن رأى ليلة القدر، فقال له: يا بن عباس ألا اعلمك صلاة إذا صليتها رأيت بها ليلة القدر، كل ليلة عشرين مرة وأفضل، فقال: علمني صلى الله عليك، فقال له: تصلي أربع ركعات في تسليمة واحدة ويكون بعد العشاء الأولى وتكون قبل الوتر، في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وقل يا ايها الكافرون ثلاث مرات، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، وفي الثانية فاتحة الكتاب، وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات، وقل هو الله أحد ثلاث مرات، وفي الثالثة والرابعة مثل ذلك، فإذا سلمت تقول ثلاث عشر مرة: أستغفرالله. فوحق من بعثني بالحق نبياً من صلى هذه الصلاة وسبَّح في آخرها ثلاث عشر مرة، واستغفر الله، فانه يرى ليلة القدر كلما صلى بهذه الصلاة ويوم القيامة يشفع في سبعمأة الف من أمتي، وغفر الله له ولوالديه إن شاء الله تعالى[٢].

وقبل أن أذكر تعقيب السيد رحمه الله على هذه الرواية أذكر ما علق به عليها آية الله التبريزي حيث قال:

«وقد روى لدرك فضيلة ليلة القدر في الإقبال رواية، وهي وإن لم يثبت اعتبارها إلا أنها من أجل عظمة أمرها، ينبغي أن يُعمل بها رجاءً لصحتها وثبوتها في الواقع».

---

(١) المراقبات ١٣٦ (م.م).

(٢) الإقبال ١/١٥٣ ـ ١٥٤.

ثم أورد الرواية وعقب بقوله:

«أقول: لم يُعلم المراد من الرواية صريحاً، ويمكن أن يكون المراد أنه يحصل له من الثواب ما يعادل أفضل من لذة رؤية ليلة القدر عشرين مرة»[1].

وأما السيد عليه الرحمة فقد أكَّد بعد ذكر هذه الرواية أنك إذا كنت تريد أن تصلي هذه الصلاة فصَلِّها ولكن لا تقتصر عليها في طلب معرفة ليلة القدر، بل تضرّع وادعُ الله عزّ وجلّ ليعرفك إياها، ثم أكّد على طلب معرفتها وأن لا يحول الإستبعاد دون ذلك، فقال: .

إعلم أن الله جل جلاله قادر أن يُعرّف بليلة القدر من يشاء كما يشاء وبما يشاء فلا تلزم هذه العلامة من التعريف، واطلب زيادة الكشف من المالك الرحيم الرؤوف اللطيف فإنني - يضيف السيد - عرفت وتحققت من بعض من أدركته أنه كان يعرف ليلة القدر كل سنة على اليقين «. .» وهي رحمة أدركتْه من رب العالمين، وليست بأعظم من رحمة الله جل جلاله بمعرفة ذاته المقدسة وصفاته المنزهة، ومعرفة سيد المرسلين وخواص عترته الطاهرين، وإياك أن تكذّب بما لم تُحط به علماً من فضل الله جل جلاله العظيم، فتكون كما قال الله جل جلاله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١]، فكل المعلومات لم تكن محيطاً بها ثم علمت بعد الإستبعاد لها. ولو قال لك قائل: إنه رأى تراباً يمشي على الأرض باختياره، ويحيط بعلوم كثيرة في أسراره، ويغلب من هو أقوى منه مثل السبع والفيل، والأمور التي يتمكن منها ابن آدم في اقتداره، كنت قد استبعدت هذا القول من قائله، وتطلعت إلى تحقيقه ودلائله، فإذا قال لك: هذا التراب الذي أشرت إليه هو أنت على اليقين، فإنك تعلم أنك من تراب وتعود الى تراب، وإنما صرت كما أنت بقدرة رب العالمين، فذلك الذي أقدرك مع استبعاداتك هو الذي يقدر غيرك على ما لم تحط به علماً بفطنتك[2].

---

(١) المراقبات ١٣٧(م.م).

(٢) الإقبال ١٥٤.

يريد رضوان الله تعالى عليه التأكيد على أمرين:

الأول: أن معرفتك بذلك دون معرفتك بالله سبحانه وتعالى، والله عزّ وجلّ قد سمح لك بمعرفته فلماذا لا يمُنُّ عليك بتعريفك ليلة القدر؟

الثاني: أن الإستبعاد الذي هو الإستغراب لا يصلح دليلاً تستند إليه فتنفي ما تستبعده، فلا تستند إلى استبعاد أن تعرف ليلة القدر فتحرم نفسك من بركاتها.

اللهم وفقنا لمعرفة ليلة القدر بالزهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها.

* رؤية ليلة القدر

ما تقدم كان الهدف منه معرفة ليلة القدر على وجه التحديد، وهناك عنوان آخر يتداول على الألسن وربما لا يعرف الكثيرون أنه يمكن أن يحصل وهو «رؤية ليلة القدر».

وقد تقدم ذكره عابراً في كلام آية الله الملكي التبريزي، الذي طرح السؤال عن إمكانية رؤية ليلة القدر وأجاب عليه فقال:

«فإن قلت: مامعنى رؤية ليلة القدر؟

«قلت: رؤية ليلة القدر كما أشرنا إليه سابقاً عبارة عن كشف ما يقع فيها من نزول الأمر إلى الأرض كما يُكشف لإمام العصر عليه السلام في «تلك» الليلة».

أضاف آية الله الملكي: وإن أردت لهذا الإجمال توضيحاً فاعلم أن لله تعالى بين عالمي الأرواح والأجسام عالماً يسمى عالم المثال والبرزخ، وهو عالم بين العالَمَيْن، ليس مُضيَّقاً مظلماً مثل عالم الأجسام، ولا واسعاً نَيِّراً مثل عالم الأرواح، لأن عالم الأرواح مجرد عن كدر المادة وضِيق الصورة والمقدار. وعالم الأجسام مقيد بالمادة والصورة. وعالم المثال مجرد عن المادة ومقيد بالصورة والمقدار، وهو مشتمل على عوالم كثيرة. وكلُّ موجود

في عالم الأجسام فله في هذه العوالم المثالية صوَرٌ مختلفة غيرُ هذه الصورة التي (هي له) في عالم الأجسام. وكل مافي هذا العالم إنما يوجد بعد وجوده في العالميْن الأوَّلين بنحوِ وجودٍ يليق بهما، بل كل موجود في العالم إنما ينزل إليه من خزائن الله التي أشير في القرآن إليها بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾. وكل جسم وجسماني في هذا العالم إنما ينزل عليه من عالم المثال بتوسط ملائكة الله تعالى.

والذي تدل عليه الأخبار أن أحكام كل سنة من تقدير أرزاق موجودات هذا العالم وآجالها ينزل إلى الأرض في ليلة القدر، وينكشف ذلك في هذه الليلة لمن هو خليفة الله في الأرض، ويسمى انكشاف نزول الأمر له بتوسط الملائكة «رؤية ليلة القدر». ولذة هذا الكشف ومشاهدة نزول الأمر والملائكة إنما يعرفهما أهلهما، ولعل ذلك من قبيل ما أري لإبراهيم الخليل من ملكوت السماوات والأرض.

أضاف آية الله الملكي: ولكل إنسان نصيب كامل من هذه العوالم مخصوص به، وأغلب الناس غافلون عن عوالمهم المثالية، وغافلون عن غفلتهم أيضاً، وكذلك عن عوالمهم الروحانية إلا من مَنَّ الله عليه بمعرفة النفس، ومعرفةُ عالم المثال في طريق معرفة النفس، لأن حقيقة النفس من عالم الأرواح، فمن كُشف له حجاب المادة عن وجه روحه ونفسه، ورأى نفسه مجردة عنها في عالم المثال، يسهل له الإنتقال إلى حقيقة روحه المجردة عن الصورة أيضاً، وهذه المعرفة للنفس هي المراد من قوله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ولا يعرف وجه ارتباط معرفة النفس بمعرفة الرب إلا من وُفِّق لهذه المعرفة. وهذا المقدار من البيان كافٍ في مانحن بصدده من تعريف ما يزول به الإنكار والإستبعاد لدرك حقيقة ليلة القدر للعاملين العابدين لأجل تحصيل الشوق اللازم للوصول»[١].

---

(١) المراقبات ١٣٧ ـ ١٣٩ بتصرف يسير.

ومن الواضح لدى التأمل في كلامه رضوان الله تعالى عليه أن ما ينكشف لصاحب الأمر عليه صلوات الرحمن هو التجلي الأتم الخاص به، إلا أن لكل من وصل إلى مرتبة إمكانية ذلك الإنكشاف له، مرتبة تناسبه من «رؤية ليلة القدر»، الأمر الذي يعني بوضوح أن باستطاعة المؤمن أن يرى ليلة القدر بحسبه، وهذا هو السبب في تطرق آية الله الملكي إلى هذا الموضوع كما صرح به في آخر كلامه المتقدم.

* دعاء اليوم الحادي عشر

اللهم حبّب إلي فيه الإحسان وكرّه إلي فيه العصيان وحرّم عليّ فيه السخط والنيران بعونك يا عون المستغيثين.

الإحسان جعْل الشيء حسناً ومن أصاب يقال له أحسنت لأنه جعل ما فعله حسناً، وأوضح مصاديق الصواب الإنسجام مع الحق وطاعة الله تعالى وقد ورد: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

فالمحسن بهذا المعنى لا يخطيء، لأنه عُصِم من الذنوب بحسبه.

اللهم حبّب إليّ في يومي هذا الإحسان وكرّه إليّ فيه التمرد عليك فما رأيت منك إلا جميلاً وما رأيتَ مني جميلاً، تتحبّب إليّ فأتبغّض إليك.

خُذ بيدي يا دليل المتحيرين، وجنّبني أن أفعل ما أستحق به سخطك والنيران، إلهي هل تمنّ على هذا الغريق فتنتشله من لجج البُعد ومرارته إلى أنس القرب وحلاوته تكرماً منك بعونك. أغثني، يا غياث المستغيثين.

* صلاة الليلة الثانية عشر

١ ـ مواصلة صلاة الألف ركعة

تصلي عشرين ركعة كل ركعتين بتسليمة، ثماني ركعات بعد المغرب، والباقي بعد العشاء وتقرأ في كل ركعة الحمد مرة، والتوحيد مرة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة اثنتي عشرة من شهر رمضان ثماني ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة، وإنا أنزلناه ثلاثين مرة أعطاه الله ثواب الشاكرين وكان يوم القيامة من الفائزين[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٢

شهر رمضان

* وحج بيتك الحرام
* حقيقة الحج
* الضيافة الأخص
* في الروايات
* يوم المؤاخاة
* دعاء اليوم الثاني عشر
* صلاة الليلة الثالثة عشر
* صلاة الليالي البيض




* وحج بيتك الحرام

من المضامين التي تتكرر في أدعية شهر رمضان المبارك طلب التوفيق لحج بيت الله الحرام.

وهذه بعض النماذج:

١ ـ نجد مثلاً في دعاء ملحق بدعاء الإفتتاح:

اللهم إني أسألك أن تجعل في ما تقضي وتقدّر من الأمر المحتوم في الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يُردّ ولا يبدّل أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم المشكور سعيهم المغفور ذنوبهم المكَفَّر عنهم سيئاتهم.

٢ ـ ونجد في دعاء آخر: **اللهم إني بك ومنك أطلب حاجتي ومن طلب حاجة من الناس فإني لا أطلب حاجتي إلا منك وحدك لا شريك لك وأسألك بفضلك ورضوانك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي في عامي هذا إلى بيتك الحرام سبيلاً، حجة مبرورة متقبّلة زاكية خالصة لك تقرّ بها عيني وترفع بها درجتي.**

٣ ـ كذلك نجد في دعاء آخر «**اللهم ارزقني حج بيتك الحرام في عامي هذا وفي كل عام ما أبقيتني في يسر منك وعافية وسعة رزق ولا تُخْلِني من تلك المواقف الكريمة والمشاهد الشريفة**» إلى آخر ما في الدعاء وفيه مزيد من التأكيد على حج بيت الله الحرام.

٤ ـ ويضاف إلى ما تقدم جميع ما ورد في الروايات من أن وفد الله **عزّ وجلّ** يُكتب في ليلة القدر أي تتحدد أسماء الذين يفدون على بيت الله **عزّ وجلّ**، في ليلة القدر.

* حقيقة الحج

و تكشف هذه المضامين جميعها عن أهمية خاصة للحج وأن موقعه من منظومة الرؤية التوحيدية للكون في البعدين النظري والعملي أكبر بكثير مما هو السائد بيننا، وهو ما يلح بوقفة على أعتاب الحج بهدف إعادة النظر وتصويب النظرة والتعامل.

يمثل الحج في الحقيقة دورة تدريبية في المجالات التالية:

١ ـ تجذير التوحيد وتعزيزه في نفس الحاج. وتصب في هذا الهدف كل مناسك الحج، ومنها ما يأتي ذكره، لتكون النتيجة أن الهدف المركزي للحج هو هذا الهدف بالذات.

٢ ـ الإرتباط برسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام من خلال زيارة قبر المصطفى الحبيب ﷺ وتجديد البيعة معه، وإعلان اتباعه كما أمر من خلال طاعة أهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

٣ ـ كذلك نجد أن العلاقة بين الحج والمعاد حاضرة بقوةً، فمنظر الحجاج بثياب الإحرام يذكر تلقائياً بتلك الصورة التي يختزنها المسلم في ذهنه عن يوم المحشر، وكما ينفصل الراحل إلى المعاد عن كل شيء، يترك الحاج الدنيا وما فيها ويتوجه إلى الله عزّ وجلّ، وكما هي أرض المحشر ساحة الطاعة بلا معصية، فإن الحاج يلتزم بأوامر الله تعالى دون أي تردد. يؤمر فيطيع. هنا ينبغي أن تُحرم وهنا تلبي. لا يجوز أن تستظل. هنا جاء دور الطواف وهنا السعي. وهكذا.

يرى نفسه ممتثلاً لأوامر الرحمن وقد ترك كل ما يربطه بالدنيا حتى ثيابه التي اعتاد عليها وهو يقول لبيك اللهم لبيك، ولعل القلب يردد:

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

٤ ـ والحج دورة تدريبية على الولاء لله عزّ وجلّ، ورفض الشرك وازدواجية الولاء، فهو تعبير عن رفض الشيطان ومعسكر الشيطان، ومغادرة اتباع خطوات الشيطان إلى حد رجمه، والخضوع المطلق للرحمن.

ولعل مما يسهم كثيراً في رسم ملامح الصورة السائدة بيننا للحج والتي تتناقض مع هذه المعاني العظيمة والواضحة، هو أننا في الغالب على الأقل نحج ولا تظهر فينا آثار إدراك هذه الحقائق والتفاعل معها، فنكوّن عن الحج تصوراً لا ينسجم معه من قريب ولا بعيد.

والفرق كبير جداً بين الحج المقبول وغير المقبول، والحجُّ القيمة الهامة والأساسية، هو الحج المقبول فلذلك نجد التأكيد واضحاً في الأدعية على حقيقة «**أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم المشكور سعيهم المغفور ذنوبهم المكفّر عن سيئاتهم**».

وطيلة شهر رمضان المبارك يرافقنا الدعاء الدائم الحضور ليوفقنا الله تعالى لنكون من الوافدين عليه المقبولين لديه، وفي ليلة القدر يبرز الدعاء إلى الله تعالى ليكتبنا في هذه الليلة في عداد الوافدين عليه المبرور حجهم.

* الضيافة الأخص

ويطرح ذلك سؤالاً وجيهاً عن مدى كون شهر رمضان موسم إعداد لموسم الحج، وضيافة خاصة يتم من خلالها توجيه الدعوة إلى ضيافة أخص.

إن الروايات التي تتحدث عن أن وفد الله عزّ وجلّ يُحدد، وتكتب أسماء أعضاء هذا الوفد في ليلة القدر، تدلنا بوضوح على ما تقدم.

وليس معنى هذا أن كل من يذهب إلى مكة في موسم الحج يقبل عمله، فإن تحديد المقبولين يتم في نفس الوقت الذي تسجل فيه الأسماء بما لا ينافي العدل واستناداً إلى علم من هو بكل شيء عليم، ولذلك فقد يكتب في عداد وفد الحج من يخرج من الشهر دون فائدة تذكر، ثم يتوب توبة صادقة فترفعه حركة قلبه إلى طلائع الوافدين.

ثم إن من يحج ولا يقبل حجه قد يكون ذلك المرحلة الأولى الضرورية له ليقبل في موسم حج آخر.

والفائدة العملية الجوهرية مما سبق هي أن يدرك القلب من أول ليلة من رجب أننا أمام تهيئة للضيافة الإلهية الأخص في الحرم الإلهي ومركزِه: البيت الحرام، وأن أعمال رجب وشعبان وشهر رمضان خطوات جادة في هذا الطريق.

* في الروايات

١ ـ ورد أن إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام، أذّن في الناس بالحج فقال أيها الناس إني إبراهيم خليل الله إن الله أمركم أن تحجوا البيت فحِجّوه فأجابه من يحج إلى يوم القيامة وكان أول من أجابه أهل اليمن[١].

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: «.. وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعته في إتيانه فحثّهم على تعظيمه وزيارته وقد جعله محل الأنبياء وقبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق تؤدي إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال[٢].

٣ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام: علة الحج الوفادة إلى الله عزّ وجلّ وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل وما فيه من استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها عن اللذات والشهوات، ومنفعة من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، ممن يحج وممن لا يحج، من تاجر وجالب وبائع ومشتر وكاسب ومسكين، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الإجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم[٣].

(١) مروي عن أحد الصادقين عليهما السلام. أنظر: الريشهري، ميزان الحكمة.
(٢) المصدر. نقلاً عن أمالي الصدوق وتوحيده.
(٣) المصدر.

إن كل صائم، بل وكل مسلم مدعو إلى أن يطلب من الله تعالى أن يوفقه لحج بيته الحرام، ويتأكد هذا المعنى عندما نتأمل الروايات ونجد الفضل الكبير والثواب الجزيل للحجاج، إلا أن هناك لبعض الأعزاء خصوصية في هذا المجال، ولأجلهم كان هذا الحديث في الواقع، وأقصد الأخوة والأخوات الذين استطاعوا الحج فوجب عليهم إلا أنهم لم يحجّوا، وكثير من هؤلاء الأعزاء يصومون ويصلّون ويخافون الله عزّ وجلّ إلا أنهم يقعون في التسويف والمماطلة في موضوع الحج.

هناك رواية مخيفة تدل بوضوح أن من استطاع أن يحج ولم يحج لا يموت مسلماً.

أليس من الضروري إذاً أن يحرص كل مسلم استطاع أن يحج بيت الله الحرام على أداء هذا التكليف؟

و من كان من هؤلاء الأعزاء يتصور أن وضعه صعب، وظروفه لا تطاق، ولن يستطيع أن يحج، فعليه أن يتذكر جيداً ويدرك بوضوح أن النتيجة المُرة التي يصل إليها إذا مات لا قدّر الله قبل أن يحج هي أخطر من ذلك بكثير، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من مات ولم يحج حجة الإسلام ولم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق الحج من أجله أو سلطان يمنعه فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً**»[1].

وأذكر في هذا المجال قصة ينقلها الشهيد دستغيب رضوان الله تعالى عليه تشرح لنا هذه الرواية.

يقول الشهيد دستغيب في كتاب القصص العجيبة ما حاصله، كان هناك شخص يقيم مجالس عزاء سيد الشهداء عليه السلام كل ليلة جمعة في مسجد قريب

(١) المصدر. وانظر: الأحسائي، عوالي اللئالي ٣/ ١٥٠ والحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة ٢/ ١٧٥. وليس فيهما: «إن شاء». والمجلسي، البحار ٩٦/ ٢٠ واللفظ له.

من بيته وربما كان هو الذي بنى هذا المسجد، وقد جرت العادة أن يقدم بعد المجلس طعاماً لكل الحاضرين.

وذات يوم مرض واشتد مرضه، وأشرف على الموت، فقال لأولاده: انقلوني إلى المسجد. أريد أن أموت فيه.

وتم نقله إليه، ودخل في أشد مراحل النزع واشتد بكاؤهم، ولكن فجأة تغير الوضع. فتح عينيه وعاد تدريجياً إلى وضعه الطبيعي! قال: انقلوني إلى البيت.

ثم بعد أشهر جاء موسم الحج فأخذ يستعد لحج بيت الله الحرام وعندما حان موعد السفر كان أولاده معه يودعونه، وفيما كانوا ينتظرون القافلة قال لهم: لم تسألوني ما الذي حدث معي، عندما كنت في المسجد،

وكدت أموت ثم رجعت إلى الوضع الطبيعي وبشكل غير اعتيادي.

وقال: وأنا في سكرات الموت وجدت نفسي في مكان تفوح منه رائحة كريهة ليس لها نظير من روائح الدنيا الكريهة، وإذا بقائل يقول: هذه محلة اليهود!هذا مكان اليهود!أنت استطعت الحج ولم تحج وستموت يهودياً!

يضيف: وفعلاً كنت قد استطعت الحج ولم أحج، ولكني أمام هول ما رأيت صرخت قائلاً: إذاً أين بكائي على سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام؟

وجاء الأمر من سيد الشهداء ليُمهل هذا الشخص سنة فيرجع إلى الدنيا ليحج.

قال لأولاده: لذلك أنا ذاهب الآن إلى الحج، وسأموت بعد مضي سنة من ذلك التاريخ.

وبعد أن رجع، لم يعش طويلاً، فقد كانت وفاته في نفس الموعد من السنة القادمة.

أيها الأعزاء من استطاع الحج ولم يحج، فيجب أن يحرص على أداء الحج في هذه السنة.

اللهم اجعلنا من حجاج بيتك الحرام المبرور حجهم المشكور سعيهم المغفور ذنوبهم المكفّر عن سيئاتهم.

* يوم المؤاخاة

قال الشيخ المفيد: «وفي اليوم الثاني عشر نزل الإنجيل على عيسى بن مريم عليه السلام. ويوم المؤاخاة الذي آخى فيه النبي صلى الله عليه وآله بين صحبه، وآخى بينه وبين علي صلوات الله عليهما»[1].

* دعاء اليوم الثاني عشر

اللهم زيّن لي فيه الستر والعفاف واسترني فيه بلباس القنوع والكفاف وحلّني فيه بحليّ الفضل والإنصاف بعصمتك يا عصمة الخائفين.

إلهي من زيّنت له الستر والعفاف لم يعصك، ومن سترته بلباس القناعة فأخرجت حب الدنيا من قلبه لم يفتضح ومن حلّيته بحليّ الفضل والإنصاف سمى ولم يجد منك بدلاً، واستحق أن يكون في عصمتك فاعصمني فإني خائف وحق لمن طال إحسانك إليه وتمرده، ونعمك ونكرانه، وإمهالك واغتراره، أن يخاف، أستعيذ بك يا إلهي فأعذني وأستجير بك من النار فأجِرني يا عصمة الخائفين.

* صلاة الليلة الثالثة عشر

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة الموزعة على عشرين من أفضل الليالي، وهي عشرون ركعة تقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً، بالترتيب المتقدم، ولا تنس الدعاء بعد

(١) الشيخ المفيد، مسار الشيعة ٢٢.

كل ركعتين ولو بالدعاء المختصر، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في عمل أول ليلة ضمن أعمال اليوم الأول.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة ثلاث عشرة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمساً وعشربن مرة قل هو الله أحد جاء يوم القيامة على الصراط كالبرق الخاطف[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

* صلاة الليالي البيض

هذه الليلة القادمة هي الثالثة عشر من شهر رمضان المبارك، فهي أول الليالي البيض. ومن الواضح أن للأيام البيض والليالي البيض أهمية خاصة.

والأعمال الخاصة بالليلة الثالثة عشر كما يلي:

أولاً: الغسل وهو مستحب في كل ليلة مفردة من شهر رمضان المبارك.

ثانياً: صلاة أربع ركعات كل ركعتين بتسليمة، نقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمساً وعشرين مرة.. إذاً الأمر الثاني المستحب في هذه الليلة بعد الغسل هو صلاة أربع ركعات نقرأ فيها الحمد مرة وقل هو الله أحد خمساً وعشرين مرة.

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.

ثالثاً: صلاة تقدم الحديث عنها في الليالي البيض من شهر رجب وفي الليالي البيض من شهر شعبان، وهي مروية عن الإمام الصادق عليه السلام، وخلاصة الرواية ـ وقد تقدم ذكرها ـ أن الله عزّ وجلّ أعطى هذه الأمة ثلاثة أشهر لم يعطِ أمة من الأمم مثلها هي رجب وشعبان وشهر رمضان المبارك وأعطى هذه الأمة ثلاث ليالي لم يعطِ أمة من الأمم مثلها وهي الليالي البيض من هذه الأشهر وأعطى الله عزّ وجلّ هذه الأمة ثلاث سور لم يعطِ أمة من الأمم مثلها هي سورة يس وسورة تبارك وسورة قل هو الله أحد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام فمن جمع بين هذه الثلاثة فقد جمع له خير كثير. وعندما سُئل عليه السلام: كيف يُجمع بين هذه الثلاثات أوضح في الجواب: تصلي كل ليلة من هذه الليالي البيض في كل شهر من هذه الأشهر صلاة تقرأ فيها هذه السور الثلاث، ثم بين ما حاصله:

تصلي ليلة الثالث عشر ركعتين، وليلة الرابع عشر أربع ركعات، وليلة الخامس عشر ست ركعات، وتأتي الإشارة إلى هاتين الصلاتين في الليلتين القادمتين إن شاء الله تعالى.

صلاة هذه الليلة إذاً، عبارة عن ركعتين تقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة يس وسورة تبارك وسورة قل هو الله أحد كل سورة منها مرة.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله صلوات اله تعالى عليهم أجمعين.






١٣
شهـر رمضـان

* وقتلاً في سبيلك
* فوق كل بِر
* الفصل الدخيل
* في الروايات
* هل الشهادة أمنيتنا
* موقع الجهاد من التدين
* أذى المجاهدين!
* دعاء اليوم الثالث عشر
* دعاء المجير
* صلاة الليلة الرابعة عشر
* صلاة الليالي البيض




* وقتلاً في سبيلك

من المحاورالتي ورد التأكيد عليها في مضامين أدعية شهر رمضان المبارك، محور القتل في سبيل الله عزّ وجلّ، أي أن يتمنى المؤمن الشهادة في سبيل الله، ويدعو الله سبحانه وتعالى طيلة هذا الشهر المبارك أن يمنّ عليه بالشهادة في سبيله.

يردد الصائم في كل ليلة عادة «**وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا**» باختلاف الصِيَغ: «**وقتلاً في سبيلك مع وليك فوفّق لنا**» أو «**تحت راية نبيك**» كما سيأتي في نص آخر.

وفي الدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام حول شهر رمضان المبارك «**وأن تجعل اسمي في السعداء وروحي مع الشهداء وإحساني في علّيين**».

وفي دعاء مروي عن الإمام الصادق عليه السلام «**وأسألك أن تجعل وفاتي قتلاً في سبيلك تحت راية نبيك مع أوليائك وأسألك أن تقتل بي أعداءك وأعداء رسولك**».

هكذا نجد أننا أمام تأكيد في شهر الله تعالى على طلب الشهادة، وأن تكون هذه الشهادة قتلاً في سبيل الله عزّ وجلّ.

* فوق كل بِر

ونرجع إلى النصوص حول الشهادة والجهاد فنجد أن موقع القتل في سبيل الله يحتل القمة: «**فوق كل برٍّ برّ حتى يُقتَل المرء في سبيل الله فإذا قُتل في سبيل الله عزّ وجلّ فليس فوقه بر**» كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وتُظهر سيرة المصطفى الحبيب ﷺ بوضوح أن الذين تربّوا على يديه والذين أصبحوا مضرب المثل في العبادة، والزهد، والورع، والتقوى، كان كلٌ منهم يحنُّ إلى الشهادة، ويعتبر أنه لم يحصل على ما يريد لأنه لم يستشهد بعد.

الشهادة إذاً أمنية العابدين وغاية آمال العارفين، يُمضي العالم بالله عمره يحِنّ إلى الشهادة، إلى لقاء الله تعالى مخضّباً بدمه كأن العابد يريد من خلال التأكيد على الشهادة أن يقول: «إلهي ما رأيت منك إلا جميلاً، غمرتني بحبك، يا من هو أرأف بي من أمي وأبي، إلهي لا أملك ما أواجه به كرمك وأشكر به نعمك، كلُّ ما لدي وهو منك، نفسي، روحي، جسدي، أريد أن أقدّم ذلك في طريقك، يا حبيب قلوب الصادقين.

أريد أن أعبّر عن خروجي من ذاتي إلى رحاب حبك بتشظّي الجسد في سبيلك وانطلاقة الروح إليك.

وقد تقدم حديث حارثة الشاب الذي كان بعد صلاة الصبح يغفو ويفيق، ومادار بينه وبين رسول الله ﷺ وقوله فيه: «هذا رجل نوَّر الله في قلبه اليقين، يا حارثة إلزم ما أنت عليه».

وماذا قال حارثة، ماذا طلب من المصطفى، وقد واتته الفرصة؟ قال: «يا رسول الله أُدعُ الله تعالى لي بالشهادة»!

وفعلاً بعد مدة كانت غزوة، وخرج حارثة فيمن خرج وكان أحد الشهداء رضوان الله تعالى عليه وعليهم.

لم يكتفِ حارثة بشهادة المصطفى ﷺ بأنه من أهل اليقين وإنما أراد أن يتوّج ما وصل إليه بتاج الشهادة: القتل في سبيل الله تعالى، بل لأجل ذلك كانت شهادة المصطفى له.

* الفصل الدخيل

ترى كيف تبدلَت المفاهيم فإذا بنا أمام فهم يفصل بين التديُّن والشهادة؟

كيف تبدلَت المفاهيم فإذا بأتباع المصطفى الحبيب ﷺ الذي أمضى حياته الطاهرة ينتقل من خندق إلى خندق ومن موقع إلى موقع، يتصور الكثير منهم، ـ من أتباعه ـ أن بالإمكان أن يكون الشخص مؤمناً دون أن يحمل هَمّ الجهاد ودون أن يعيش بعمق حلم الشهادة.

كيف تبدلَت المفاهيم فأصبحنا أمام إسلام منزوع الفتيل لا يفكر صاحبه بجهاد بل وأحياناً ـ والعياذ بالله ـ يحارب المجاهدين؟!

من أين جاءنا ذلك؟

لست أدري!

إذا كنا في أدعيتنا في شهر الله تعالى نجد بوضوح أن نؤكد على طلب الشهادة «وقتلاً في سبيلك فوفّق لنا» هل يمكن أن نتصور عبادة، وبناءً للنفس، أو ورعاً، وزهداً، بدون الحرص على قمة الإيمان وتاج الإيمان أي الشهادة؟

* في الروايات

١ ـ عن الحبيب المصطفى ﷺ: **«أشرف الموت قتل الشهادة»**.

٢ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام **«كل ذنب يكفِّره القتل في سبيل الله إلا الدَّين فإنه لا كفارة له إلا أداؤه أو يعفو الذي له الحق»**[١].

٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **«من قُتل في سبيل الله لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته»**.

أوليس أهم آمال المؤمن أن ينجو في يوم المحشر، عند العرض على الله عزّ وجلّ، وأن تثقل موازينه، ولا يحاسب، ولا يوقفه الله تعالى على سيئاته؟

---

(١) أنظر فيه وما بعده: الريشهري، ميزان الحكمة «الشهادة».

أوليس الطريق الأقصر إلى ذلك هو الشهادة؟ فلماذا لا نتمنى الشهادة إذاً، مع أن النصوص تلح علينا بذلك.

٤ ـ قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام **للأشتر: «وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة»**.

٥ ـ ودعا عليه السلام لهاشم المرقال **«اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك والموافقة لنبيك»**.

والنصوص في هذا المجال كثيرة.

كما ينبغي أن يكون واضحاً أن كل الأحكام الشرعية تصب في بحر الجهاد والشهادة بمعنى أن كل هذه الأحكام تربي الشخصية المسلمة لتكون الشخصية المجاهدة، فعندما نجد حثّاً على الإنفاق، أوالإيثار، أو التسامح، فإن ذلك كله يصب في بناء الشخصية الإسلامية بناءً متماسكاً قوياً قادراً على التضحية والعطاء ليصل إلى أعلى مراتبهما وهو الشهادة في سبيل الله عزّ وجلّ.

* هل الشهادة أمنيتنا

ما أحوجنا إلى هذه الروح، روح طلب الشهادة وحب الإستشهاد، روح «وقتلاً في سبيلك».

ما أحوجنا إلى ذلك باستمرار، وما أحوجنا إليه بشكل خاص الآن، في هذه المرحلة بالذات حيث يصر الشيطان الأكبر على الهيمنة والتصرف مع جميع الشعوب على طريقة الأشقياء و«القبضايات» الذين يفرضون «الخوّات» في هذا الموقف للسيارات أو في هذا الشارع أو ذاك.

ما أحوجنا إلى روح الشهادة ونحن نجد أن العدو الصهيوني يتحدث عن مشروع إسرائيل الكبرى ولا يرمش له جفن، ويتحدث عن ذلك حتى في أجواء ما يسمى بمفاوضات الصلح.

ما أحوجنا إلى أن نحمل هذه الروح المحمدية الكربلائية المضحية فننطلق كالسكة المحمّاة وكالسيف القاطع في مواجهة الأعداء، لنلقّنهم دروساً جديدة لا تُنسى.

أيها الأعزاء، إن محمدياً واحداً يحمل روح الجهاد والشهادة قادر بعون الله تعالى على أن يذل أمريكا ويذل الكيان الصهيوني.

المهم أن تبقى جذوة الجهاد فينا متّقِدة.

ما دمنا نحمل هذه الروح البدرية الكربلائية فإن المستقبل يحمل لنا كل خير ولن يرى الأعداء منا إلا ما يسوؤهم بإذن الله.

هكذا نكون أوفياء لدماء شهدائنا الأبرار، وخصوصاً شهيدنا الغالي صاحب القلب الحنون أبي ياسر السيد عباس رضوان الله تعالى عليه وعلى حرمه الطاهرة وولدهما العزيز حسين.

هكذا نؤدي الأمانة التي ائتُمِنّا عليها ونلقى الله عزّ وجلّ وهو عنا راضٍ.

ينبغي أن تكون الشهادة أمنية كلٍ منا، فليسأل كل واحد نفسه أيها الأعزاء، هل أنا حريص على الشهادة حقاً؟ هل أسعى حثيثاً لألقى الله عزّ وجلّ مخضباً بدم الشهادة؟

بمقدار ما نحب الشهادة في سبيله بمقدار ما يكون قربنا منه ونكون في درعه الحصينة التي يجعل فيها من يشاء.

* موقع الجهاد من التدين

بطبيعة الحال ليس المجاهدون الذين يقتحمون ساحات الجهاد بحثاً عن الشهادة معنيين بهذا الحديث، وإنما هو حديث لي ولأمثالي.

ومن هنا فمن الضروري أن نقف عند أهمية الجهاد، كيف يمكن للإنسان أن يستشهد إذا لم يكن الدافع في نفسه للجهاد قوياً؟

وعلى طريقة إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون، ينبغي أن نردد: ربح المجاهدون، وفاز الإستشهاديون.

نعم ربح المجاهدون، وفاز الشهداء، ولكن المشكلة هي في نفسي ونفسك نحن الذين لا نحرص على الجهاد.

وهذه بعض الروايات في ذلك:

١ ـ ورد عن رسول الله ﷺ **«من لقي الله بغير أثر من جهاد لقي الله وفيه ثلمة»**[١].

أي أن الذي لا يخرج مجاهداً في سبيل الله عزّ وجلّ، ولا يصيبه شيء في طريق الجهاد في سبيل الله، يلقي الله تعالى وفيه ثلمة، أي أنه يكون ناقصاً.

٢ ـ وعنه ﷺ: **«للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلدون بسيوفهم والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم، فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه، إن الله أعز أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها»**.

٣ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين وكلٌ آتيه منيته كما كتب الله له فطوبى للمجاهدين في سبيل الله والمقتولين في سبيله»**.

* أذى المجاهدين!

أيها الأعزاء إن كنا لا نجاهد في سبيل الله تعالى فما بالنا نؤذي المجاهدين.

---

(١) أنظر فيه وما بعده: الريشهري، ميزان الحكمة «الجهاد».

ورد عن رسول الله ﷺ: **«من اغتاب غازياً أو آذاه أو خلفه بأهله بخلافة سوء نُصِب له يوم القيامة علم فيستفرغ بحسناته (أي تستوفى كل حسناته حتى لا تبقى له حسنة واحدة) ويُركس في النار»**(١).

وعنه ﷺ: **«إتقوا أذى المجاهدين في سبيل الله فإن الله يغضب لهم كما يغضب للرسل ويستجيب لهم كما يستجيب لهم»**.

اللهم وفقنا للجهاد في سبيلك وخدمة المجاهدين.

* دعاء اليوم الثالث عشر

اللهم طهرني فيه من الدنس والأقذار وصبّرني فيه على كائنات الأقدار ووفقني فيه للتقى وصحبة الأبرار بعونك يا قرة عين المساكين.

يريد الدعاء لكلٍ منا أن يقول:

إلهي خلقتني بشراً سوياً طاهراً من الدنس وحببت إلي الصراط المستقيم، ركَزتَ في فطرتي حب أحسن تقويم، وهديتني إلى حبك وحب الطاهرين محمد المصطفى وآله، فلم أقابل الحب بالحب، والنعمة بالشكر، وطالت على الخطايا الإقامة، فشوّهتُ فطرتي ودنّستُ نفسي، وها أنا عبدك الآبق أعود إليك منكسراً مستقيلاً أحمل أوزاري على ظهري فطهرني يا إلهي من دنسها والأقذار ومنّ عليّ بصبر من عندك أواجه به الشدائد حتى لا يستزلني بها الشيطان فأعود إلى التمرد والعصيان، وأتمّ نعمتك عليّ بتوفيقي للإستقامة وصحبة أوليائك الأبرار، مسكين أنا يا إلهي بما جنته يداي، فتصدق على هذا المسكين بعونك لتقرعينه. يا قرّة عين المساكين.

---

(١) أنظر: الكليني، الكافي ٥/ ٨ المحدث النوري، مستدرك الوسائل ١١/ ٣٣. والقطب الراوندي، النوادر ١٤١ ـ ١٤٢. والمجلسي، البحار ٩٧/ ٥٠ باختلاف في «فيستفرغ» وفي كثير منها فيستغرق.

* دعاء المجير

يستحب قراءة هذا الدعاء في الأيام البيض من شهر رمضان، وقد ورد أن ثوابه عظيم، وأنه لقضاء الحوائج، وظاهر النص حوله أن يقرأ في الأيام البيض الثلاثة، ولو مرة واحدة، وبديهي أن من زاد فقد ربح، لاسيما من كانت له حاجة يلح في قضائها.

قال المحدث القمي عليه الرحمة والرضوان:

«وهو دعاء رفيع الشأن مروي عن النبي ﷺ، نزل به جبرئيل على النبي ﷺ، وهو يصلي في مقام إبراهيم، ذكرالكفعمي هذا الدعاء في كتابيه البلد الأمين، والمصباح، وأشار في الهامش إلى ماله من الفضل، ومن جملتها أن من دعا به في الأيام البيض من شهر رمضان، غُفرت ذنوبه ولو كانت عدد قطر المطر، وورق الشجر، ورمل البر، ويجدي في شفاء المريض، وقضاء الدين، والغِنى من الفقر، ويفرّج الغم، ويكشف الكرب، وهو هذا الدعاء[١]: **سبحانك يا الله، تعاليت يا رحمن، أجِرنا من النار يا مجير. .**» وأَوْرد الدعاء بتمامه.

وقد اقتصر الشيخ الكفعمي في البلد الأمين على إيراد الدعاء بعد أن قال: دعاء المجير وهو مروي عن النبي ﷺ[٢].

أما في المصباح فقال:

هذا الدعاء يسمى دعاء المجير، رفيع الشأن عظيم المنزلة، وله نُسَخٌ كثيرة أَكْمَلُها ما رقمناه، ثم أورد ما نقله عنه المحدث ملخصاً، إلى أن قال: وهو مكتوب على حجرات الجنة، ومن حافظ على قراءته أمِن من كل آفة، وكان رفيقك (يا رسول الله. المتحدث جبرئيل عليه السلام) في الجنة، وحُشر

(١) المحدث القمي، مفاتيح الجنان، الدعاء الرابع بعد دعاء كميل.
(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٣٦٢ ـ ٣٦٤.

ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن صام ثلاثاً وقرأ«ه» سبعاً ونام على ظهره رآك في نومه، إلى قوله: وثواب قاريه لا يُحصى «...» ثم ذكر بعض آثاره وهي التي نقلها عنه المحدث القمي، إلى قوله: ومن ضاع له شيء، أو سُرق فليصلِّ أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد إحدى عشر مرة، ثم يقرأ الدعاء ويضعه تحت رأسه فإنه تعالى يرد عليه ما ذهب له، ولو قُرِيء بإخلاص على ميِّت لعاش...»[1].

* صلاة الليلة الرابعة عشر

١ ـ حصة هذه الليلة من الصلاة الأهم، الألف ركعة، وهي عبارة عن عشرين ركعة، ثمان منها بعد المغرب، واثنا عشرة ركعة بعد العشاء، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة، والتوحيد مرة أو ثلاثاً، أو خمساً، أو سبعاً، أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة أربع عشرة من شهر رمضان ست ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإذا زلزلت ثلاثين مرة هوَّن الله عليه سكرات الموت ومنكراً ونكيراً[2].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثاً، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[3].

---

(١) الكفعمي، المصباح ٢٦٨ ـ ٢٦٩ الهامش.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٣٩/٨. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٣) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.

* صلاة الليالي البيض

لهذه الليلة صلاة ثانية باعتبارها من الليالي البيض، وهي عبارة عن أربع ركعات كل اثنتين بتسليمة، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة وسورة ياسين مرة وسورة تبارك مرة وسورة قل هو الله أحد مرة.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يتقبل أعمالنا ويوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.






١٤
شهر رمضان

* ولادة الإمام الحسن عليه السلام
* عشية استشهاد الأمير عليه السلام
* حراجة الظرف
* تجرُّع الغصص
* ملامح من سيرته عليه السلام
* أجواء الشهادة
* دعاء اليوم الرابع عشر
* أعمال الليلة الخامسة عشر




* ولادة الإمام الحسن(ع)

واسطة العقد من شهر رمضان المبارك ذكرى ولادة الإمام الحسن صلوات الله وسلامه عليه، فإلى المولى صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه، نرفع آيات التهاني.

والكريم المستجار المُلتجا غير محتاج إلى بسط السؤال[1]

وحب المولى أبي محمد الإمام الحسن عليه السلام من الأمور التي أجمع عليها المسلمون، شأنه في ذلك شأن أبيه وأمه وأخيه، وأهل البيت جميعاً عليهم السلام، وقد صرّح بذلك القرآن الكريم ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

كما طال تأكيد المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله على ذلك، بحيث إنا عندما نستعرض سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله نجد أنه كان قد وضع ضمن أولوياته التأكيد على عظمة أهل البيت عليهم السلام ووجوب حبهم واتّباعهم والإقتداء بهم.

نجد في هذا المضمار تأكيداً مركزاً جداً على أمير المؤمنين عليه السلام بخصوصه، وعلى الزهراء عليها السلام بخصوصها، وعلى الحسنين معاً وعلى كلٍ منهما على حدة، إلى جانب التأكيد على أهل البيت عامةً دون تحديد.

وبالإضافة إلى التأكيد بالقول الذي كان يصدر عنه صلى الله عليه وآله باستمرار، فطالما رأى المسلمون أعمال رسول الله صلى الله عليه وآله التي تدل على تكريم أهل البيت والروايات كثيرة جداً ومستفيضة لدى المسلمين جميعاً حول تكريم

(١) من قصيدة للشيخ البهائي في مدح الإمام المهدي عليه السلام، وردت بتمامها في أعمال شهر شعبان.

رسول الله ﷺ للحسنين وحُنوّه عليهما بالإضافة إلى الوصية بهما والتأكيد على عظيم منزلتهما عند الله تعالى.

من هنا كان من الطبيعي أن يُجمع المسلمون على أن الإمام الحسن عليه السلام كان خليفة رسول الله ﷺ، حتى الذين قد يبدو منهم تأييدٌ مًا لمعاوية فإنهم لا يخالفون إجماع المسلمين حول شرعية خلافة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، كما أن من الدين عند الجميع أن تكون علاقة المسلمين بالإمام الحسن عليه السلام علاقة حب ومودة.

* ولد عليه السلام في ليلة الخامس عشر من شهر رمضان في السنة الثالثة للهجرة، وهناك رأي في أن ولادته كانت في السنة الثانية.

أمضى الإمام الحسن عليه السلام مع جده المصطفى ﷺ حوالي سبع سنوات ومع أمه الزهراء حوالي سبع سنوات وأشهر، وبقي بعد أمير المؤمنين عليه السلام في حدود عشر سنوات.

* عشية استشهاد الأمير(ع)

تولى الإمام الحسن عليه السلام خلافة رسول الله ﷺ في ظروف بالغة التعقيد، كانت المعركة التي دارت بين أمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية قد حُسِمت لصالح معاوية منذ أن وضعت حرب صفين أوزارها، وكان الضعف في معسكر أمير المؤمنين عليه السلام قد حسم المعركة سلفاً، ورغم أن المخلصين من جيش أبي الحسن عليه السلام كادوا يقتلون معاوية ولكن في اللحظات الأخيرة الحاسمة تدخّل الأشعث بن قيس وأضرابه من شيوخ العشائر في الكوفة الذين كانوا في الواقع من المنافقين إلى جانب أعداد كبيرة من القرّاء الذين صاروا هم الخوارج في ما بعد. تدخّل هؤلاء ليحسموا نتيجة المعركة بالطريقة التي نعرف.

وضعت الحرب أوزارها وكانت مسألة التحكيم ثم كان من خداع

عمرو بن العاص والأشعث ما كان، وفي ما كان يستعد أمير المؤمنين عليه السلام لمعاودة الكرّة والقضاء على محاولات التحريف للإسلام ومصدرها، تحركت فتنة الخوارج ثم استشهد أمير المؤمنين عليه السلام.

وبويع الإمام الحسن عليه السلام بالخلافة في هذه الظروف المعقّدة.

وإذا أردنا أن نعرف الظروف السياسية التي عاشها الإمام المجتبى عليه السلام فيجب أن نستحضر المحاولات التي كان يبذلها أمير المؤمنين عليه السلام لإصلاح الوضع داخل الكوفة، ثم اضطراره إلى السكوت، والجهود المضنية التي كان يضطر لبذلها عندما كان يريد استنفار أهل الكوفة للحرب.

من الواضحات التي أصبحت معروفة لدى الجميع أن الإمام عليه السلام كان يصعد المنبر فيحرّض على الجهاد وبتحريضٍ من نوع نهج البلاغة، أو يكتب الخطبة فيلقيها أحد عنه كما هو الحال في خطبة الجهاد التي ألقاها الشهيد الكربلائي سعد مولى أمير المؤمنين عليه السلام، وبمجرد أن ينزل عن المنبر، أو ينتهي الخطيب مما كتب الأمير عليه السلام، يجدهم قد جلسوا حلقات حلقات ولا كأن هناك حديثاً عن الجهاد.

إذا استنفرهم عليه السلام في الصيف تذرّعوا بالحر وإذا استنفرهم في الشتاء تعلّلوا بالبرد.

لأهل الكوفة قال عليه السلام: «**ملأتم قلبي قيحاً**» **ولأهل الكوفة قال** عليه السلام: «**أما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وإبطائكم عن حقي. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا. وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا. أشهود كغُيّاب وعبيد كأرباب؟ أتلو عليكم الحِكَم فتنفرون منها. وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها. وأحثكم على جهاد أهل البغي**

فما آتي على آخر القول حتى أراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم. أُقَوِّمُكم غدوة وترجعون إلي عشية كظهر «الحنية» عجز المقوِّم وأعضل المقوَّم، أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه. وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم. يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنتين: صم ذوو أسماع، وبُكْمٌ ذوو كلام، وعُمي ذوو أبصار. لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء. تربت أيديكم. يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر»[١].

طالما تمنى عليه السلام فراقهم موضحاً أنه لولا حبه للشهادة لمضى عنهم وما طلبهم ما اختلف جنوب وشمال[٢].

كان أهل الكوفة قد ركنوا إلى الدنيا وأصبح لا يحركهم إلا المال وقد عرف معاوية كيف يضرب على هذا الوتر وكان أبو الحسن عليه السلام يعرف ذلك إلا أنه كان المخطط المبدئي الذي يحمل لواء التشريع الذي أرسى دعائمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي صفين يقول الإمام عليه السلام وقد دخل في هذا المعسكر طمع من معاوية[٣] وكان هذا الطمع موجوداً حتى عندما كانوا في الكوفة، فكانت أموال معاوية مهوى أفئدتهم، وقد ذكر عليه السلام أسماء عدد من وصفهم بأنهم باعوا الآخرة بالدنيا[٤] وكان داخل الكوفة عدد كبير من المتظاهرين بالإسلام، إلا

---

(١) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة ١/١٨٩. (عبده.ط: دار المعرفة، بيروت)
(٢) المصدر ١/ ٢٣٣.
(٣) إبن قتيبة، الإمامة والسياسة ١/ ١٣٤ (تحقيق الشيري).
(٤) المصدر.

أنهم كانوا طليعة المنافقين، وفي الرعيل الأول من هؤلاء يأتي الأشعث بن قيس الذي عُرف عنه أنه لا يرى شراً إلا ويدخل فيه كما وصفه أبو بكر بعد أن زوجه أخته أم فروة، وقد كان دور الأشعث بن قيس في صفين مفصلياً باتجاه إفراغ الحرب من محتواها وإتاحة الفرصة لمعاوية للقيام بمناورة ماعرف بالتحكيم.

ذات مرة أراد أمير المؤمنين عليه السلام أن يعزل الأشعث بن قيس من رئاسة كندة، ونصب بدلاً منه حسان بن مخدوج إلا أن كندة لم تطع الإمام واضطر عليه السلام أن يعيد الأمر إلى ما كان[١].

ما أريد بيانه هو أن وضع الكوفة السياسي كان في زمن أمير المؤمنين عليه السلام غاية في التعقيد وكانت شخصية الإمام علي عليه السلام، هي التي تفرض مساراً معيناً يؤجل إعلان الإنهيار.

ترى ماذا سيواجه الإمام الحسن عليه السلام بمجرد تولّيه الخلافة؟

أليس من الطبيعي أن كل مراكز الثقل السياسي التي كان معاوية قد اشتراها والتي كانت قد ضاقت ذرعاً بمبدئية علي أمير المؤمنين عليه السلام التي هي استمرار لمبدئية المصطفى صلى الله عليه وآله - أليس من الطبيعي - أن تتحرك مراكز الثقل السياسي هذه لتثبيط الناس عن الإمام الحسن عليه السلام؟

من هنا قلت أن المعركة كانت قد حُسِمت في صفين عند رفع المصاحف، وكانت شخصية أمير المؤمنين عليه السلام تمنع من إعلان الإنهيار الكبير الذي كاد أن يقع في صفين، حيث كادت النتيجة تبلغ أن يرجع أمير المؤمنين عليه السلام ومعه - ربما - عدد قليل من الناس يشكّلون مجموعة صغيرة، وفي المقابل «الأمة» المجمعة على الباطل أو معاوية لافرق.

---

(١) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين ١٣٧.

أصبح غاية هم الإمام أبي الحسن عليه السلام أن يحول دون ذلك ويُبقي خطين ولو في الظاهر وكان صلوات الله عليه يتحيّن الفرصة لتغيير المعادلة إلا أنه استشهد قبل ذلك وتولى الإمام الحسن عليه السلام الخلافة.

ولا يمكن إطلاقاً فصل الأحداث بعد بيعة الإمام الحسن عليه السلام عن مسارها في زمن الأمير عليه السلام، ومن المفيد جداً التأمل في النصوص التي تتحدث عن عشية استشهاد أبي الحسن صلوات الله عليهما، وسأكتفي هنا بأحدها.

أورد الشيخ الطوسي في أماليه، الآتي:

لما وجه معاوية بن أبي سفيان، سفيان بن عوف الغامدي إلى الانبار للغارة «..» استنفر أمير المؤمنين عليه السلام الناس وقد كانوا تقاعدوا عنه، واجتمعوا على خذلانه، وأمر مناديه في الناس فاجتمعوا، **فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أما بعد: أيها الناس، فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر في العرب من الأنصار، وما كانوا يوم عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله، أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات الله إلا قبيلتين صغير مولدهما، ما هما بأقدم العرب ميلاداً، ولا بأكثره عدداً، فلما آووا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأصحابَه، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم القبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجردوا للدين، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل، وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحَزَن وأهل السهل قناة الدين والصبر تحت حماس الجلاد، حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وآله العرب، فرأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب.** فقام إليه رجل آدم طوال فقال: ما أنت كمحمد، ولا نحن كأولئك الذين ذكرت، فلا تكلفنا ما لا طاقة لنا به. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أحسن مسمعا تحسن إجابة، ثكلتكم**

الثواكل ما تزيدونني إلا غمًا، هل أخبرتكم أني مثل محمد ﷺ، وأنكم مثل أنصاره، وإنما ضربت لكم مثلاً، وأنا أرجو أن تَأَسَّوْا بهم. ثم قام رجل آخر فقال: ما أحوج أمير المؤمنين ومن معه إلى أصحاب النهروان! ثم تكلم الناس من كل ناحية ولغطوا، فقام رجل فقال بأعلى صوته: استبان فقْدُ الأشتر، على أهل العراق، لو كان حياً لقل اللغط، ولعلم كل امرئ ما يقول: فقال لهم أمير المؤمنين صلوت الله عليه: **هبلتكم الهوابل، لأنا أوجب عليكم حقاً من الاشتر، وهل للأشتر عليكم من الحق إلا حق المسلم على المسلم**؟ وغضب، فنزل. فقام حجر بن عدي وسعد بن قيس، فقالا: لا يسوؤك الله يا أمير المؤمنين، مرنا بأمرك نتبعه، فوالله العظيم ما يعظم جزعنا على أموالنا أن تفرق، ولا على عشائرنا أن تقتل في طاعتك، فقال لهم: **تجهزوا للسير إلى عدونا. ثم دخل منزله عليه السلام، ودخل عليه وجوه أصحابه، فقال لهم: أشيروا عليَّ برجل صليب ناصح يحشر الناس من السواد؟ فقال سعد بن قيس: عليك يا أمير المؤمنين بالناصح الاريب الشجاع الصليب معقل بن قيس التميمي، قال: نعم، ثم دعاه فوجهه وسار، ولم يعد حتى أصيب أمير المؤمنين عليه السلام**[1].

* حراجة الظرف

وإذا أردنا أن نجري قراءة في الوضع السياسي بعد شهادة الأمير، وحتى لو صرفنا النظر عن عصمة الإمام الحسن عليه السلام، لإثبات أن التحليل الموضوعي يقودنا إلى فرادة موقفه عليه صلوات الرحمن، فسنجد التالي:

كانت الأعباء التي واجهت الإمام المجتبى عليه السلام بمستوى استحالة أن يتم انتزاع موقف من «الأمة» أفضل مما كان، ويسلط ما تقدم الضوء على بعض ملامح ذلك.

---

(١) الشيخ الطوسي، الأمالي ١٧٤ ـ ١٧٥.

لم يكن من السهل أبداً أن يستنفر الإمام الحسن عليه السلام جيشاً من الكوفة التي كان يصعب جداً على أمير المؤمنين عليه السلام أن يستنفر جيشاً منها، من هنا فإن الإمام الحسن عليه السلام قد بذل جهداً جباراً وأثبت كفاءةً منقطعة النظير، فلم يسمح بانهيار الوضع في الكوفة بمجرد شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ومنع مراكز الثقل السياسي وهي فاعلة أن تفرض موقفها وتوجه مسار الأمور في الكوفة، وإنما واجه ذلك كله ووظّف أجواء التعاطف مع شهادة المولى أبي الحسن عليه السلام وسار باتجاه المواجهة مع باطل معاوية وبقي مصرّاً على هذا الطريق رغم كل الإحباط الذي رآه من حوله.

كان يرسل جيشاً بقيادة من يختاره من بين أفضل الموجودين، وبعد أيام يأتيه الخبر أنه لحق بمعاوية، ويرسل الثاني ويأتيه الخبر كذلك، ويرسل ابن عم أبيه عبيدالله بن العباس فيشتريه معاوية رغم هول مابينهما، وقد جرت بعض المحاولات لاغتياله عليه السلام، ويبدو ـ والله العالم ـ أن سوء العاقبة قد تسلل إلى الدائرة الخاصة التي يفترض فيها أنها عصية على معاوية، بحيث أن المختار يقترح على عمه الوالي من قبل الإمام الحسن عليه السلام أن يسلم الإمام إلى معاوية.

وصحيح أن الفاصل الزمني بين اقتراح المختار هذا وبين ثورته في الطلب بدم الإمام الحسين عليه السلام، كان كفيلاً بإحداث مثل هذا التغيير في شخصيته، إلا أن دلالة هذا الإقتراح مدوية.

هذه الظروف هي التي ينبغي أن تُدرس جيداً عند مقاربة ما سمي صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، فلقد بقي عليه السلام مصِرّاً على مواجهة الباطل إلى أن لم يعد ممكناً أن يواجَه هذا الباطل إلا بالشروط التي اشترطها سلام الله عليه على معاوية، لتحقيق أمرين:

الأول: عدم إعطائه أي شبهة شرعية، ولو تلك الناشئة من عدم وجود من يشترط عليه شيئاً.

الثاني: تسجيل موقف واضح أمام الناس في عصره والأجيال القادمة أن وصول معاوية إلى موقع الحاكم حالة استثنائية فرضها تخاذل الناس، وليس له أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده.

والحقيقة الصراح هي أن الإمام الحسن عليه السلام لم يصالح معاوية، وإنما كشف استباحة حب الدنيا للأمة بقيادة الشيطان ومعاوية.

والذي سوغ له عدم اعتماد الخيار الإستشهادي، هو أن غمرات موجة الباطل كانت من الضراوة إلى الحد الذي تذهب فيه شهادة الإمام ومن يقف معه هدراً، دون أن تقوى على إحداث تغيير في وجدان الأمة المريض والمندفع بضراوة في متاهات الإنحراف.

وبكلمة: لقد سوّغ له ذلك ما سوَّغ لأبيه من قبل أن يصبر، فيقول: «**فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجىً، أرى تراثي نهبا..**».

* تجرُّع الغصص

سئل الإمام الحسن عليه السلام ذات مرة: ما العقل؟ فقال عليه السلام: «تجرُّع الغصص ومداراة الرجال»[١].

كانت كل الفترة التي أمضاها مع أبيه وبعده بالخصوص، مرحلة تجرُّع الغصص، ولقد جرّبنا وتذوّقنا شيئاً من هذه الغصص إثر القرار ٥٩٨ الصادر عن الأمم المتحدة بإعلان وقف الحرب بين العراق وإيران، والذي وصفه الإمام الخميني بأنه أشد من تجرع السم ـ ولا قياس ـ ومن هنا يمكننا أن نقدّر أيّ غصص تجرّعها المولى الحبيب الإمام المجتبى عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى أنه ورد في بعض الروايات أن سيرة الإمام الحسن عليه السلام رحمة للأمة، كما أن سيرة الإمام الحسين رحمة للأمة، فالأمة

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار ٣٦١.

بحاجة إلى النهج المحمدي الذي يفترض الإقتداء حيناً بسيرة الإمام الحسن عليه السلام وحيناً آخر بسيرة الإمام الحسين عليه السلام، وتقع سيرتهما معاً عليهما صوات الرحمن في منهج واحد، ولذلك صالح الإمام الحسين عندما صالح أخوه وسيده وإمامه الإمام الحسن عليه السلام. وعندما طلب أهل الكوفة من الإمام الحسين عليه السلام في زمن معاوية أن يثور على معاوية رفض عليه السلام، ولو أن الإمام الحسن عليه السلام كان موجوداً حين بويع يزيد لكان موقفه بالتأكيد نفس موقف أبي عبد الله الإمام الحسين عليه السلام، إنهما مشكاة واحدة.

إن صلح الإمام الحسن عليه السلام كجهاد الإمام الحسين عليه السلام، وكربلاء الإمام الحسين عليه السلام كصلح الإمام الحسن من حيث الإلتزام بما هو مصلحة الإسلام والمسيرة المؤمنة، ولعلّ الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي تقرن بين الحسنين تريدنا أن نفهم ذلك بعمق «إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا».

* ملامح من سيرته(ع)

١ ـ «ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله ما بلغ الحسن ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي»[(١)].

٢ ـ عرف عنه عليه السلام أنه كان كثير المشي إلى بيت الله تعالى.. قال عليه السلام: «إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته»، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى بيت الله، وفي رواية أخرى «ولقد حجّ الحسن بن علي خمسةً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب تقاد معه»[(٢)].

٣ ـ كان عليه السلام إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه فقيل له في ذلك

---

(١) إبن شهراشوب، المناقب ٤/٧.

(٢) الاربلي، كشف الغمة ٢/١٧٨.

فقال: «حق على من وقف بين يدي رب العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله»[١].

٤ ـ وكان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه وقال: «**إلهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم**»[٢].

٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام: **إن الحسن بن علي عليه السلام كان أعبد الناس في زمانه، وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً، وكان إذا ذكر الموت بكى وإذا ذكر القبر بكى وإذا ذكر البعث أو النشور أو الممر على الصراط بكى «..» وكان إذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه عزّ وجلّ، وكان إذا ذكر الجنة أو النار اضطرب اضطراب السليم وسأل الله الجنة، وتعوّذ به من النار**[٣].

٦ ـ **وإذا قرأ في القرآن الكريم قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا» قال «لبيك اللهم لبيك»**[٤].

* أجواء الشهادة

١ ـ دخل عليه جنادة ابن أبي أمية في مرض شهادته فقال له: «ياابن رسول الله عِظني: فقال عليه السلام: «..**استعد لسفرك، وحصِّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك، ولا تحملْ هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلا كنت فيه خازناً لغيرك. واعلم أن في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك،**

(١) ابن شهراشوب، المناقب ٣/ ١٨٠.

(٢) المصدر. والنمازي، مستدرك سفينة البحار ٢/ ٣٠٤.

(٣) أنظر: المجلسي، البحار ٤٣/ ٣٣١وابن فهد الحلي، عدة الداعي ١٣٩.

(٤) المجلسي، البحار ٤٣/ ٣٣١.

فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فان العتاب يسير. واعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت منه معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك وإن صلت شد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدَّها، وإن بدت عنك ثلمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك وإن نزلت إحدى الملمات به ساءك[1]. من لا تأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك. قال: ثم انقطع نفسه واصفر لونه، حتى خشيت عليه، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكب عليه حتى قبل رأسه وبين عينيه، ثم قعد عنده فتسارا جميعاً، فقال أبو الأسود: إنا لله إن الحسن قد نعيت إليه نفسه. وقد أوصى إلى الحسين عليه السلام وتوفي يوم الخميس في آخر صفر سنة خمسين من الهجرة، وله سبعة وأربعون سنة ودفن بالبقيع[2].

٢ ـ وكان سبب مفارقة أبي محمد الحسن عليه السلام دار الدنيا وانتقاله إلى دار الكرامة على ما وردت به الأخبار أن معاوية بذل لجعدة بنت محمد بن الأشعث زوجة أبي محمد عليه السلام عشرة آلاف دينار وإقطاعات كثيرة من شِعب سورا، وسواد الكوفة، وحمل إليها سماً فجعلته في طعام فلما وضعته بين يديه قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله على لقاء محمد سيد المرسلين، وأبي سيد الوصيين، وأمي سيدة نساء العالمين، وعمي جعفر الطيار في الجنة، وحمزة سيد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين[3].

---

(١) يمكن توجيه ماذكر كما هو، ويحتمل كونه: وإن نزلت إحدى الملمات بك واساك.
(٢) المصدر ١٣٩/٤١ ـ ١٤٠.
(٣) المصدر ١٤٠.

٣ ـ ودخل عليه أخوه الحسين صلوات الله عليهما، فقال: كيف تجد نفسك؟ قال: أنا في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة، على كُرهٍ مني لفراقك وفراق إخوتي. ثم قال: أستغفر الله، على محبة مني للقاء رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين وفاطمة وجعفر وحمزة عليهم السلام. ثم أوصى إليه وسلم إليه الإسم الأعظم، ومواريث الأنبياء عليهم السلام التي كان أمير المؤمنين عليه السلام سلمها إليه، ثم قال: يا أخي إذا [أنا] مت فغسلني وحنطني وكفني واحملني إلى جدي ﷺ حتى تلحدني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك فبحق جدك رسول الله وأبيك أمير المؤمنين وأمك فاطمة الزهراء عليهم السلام أن لا تخاصم أحداً، واردد جنازتي من فَوْرِك إلى البقيع « . . » فلما فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله ﷺ ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله ﷺ بغلة وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله ﷺ والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: الحقي به وامنعيه من أن يدفن معه قال: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه. فنزل عن بغلته وركبتها وكانت تؤز الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على منعه مما هم به فلما قربت من قبر رسول الله ﷺ وكان قد وصلت جنازة الحسن فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن ههنا أبدا أو تجز هذه ـ وأومت بيدها إلى شعرها ـ فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: ألله الله لا تضيعوا وصية أخي، واعدلوا به إلى البقيع فانه أقسم علي إن أنا منعت من دفنه مع جده ﷺ أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع « . . » فعدلوا به ودفنوه بالبقيع « . . ». فقام ابن عباس رضي الله عنه وقال: يا حميراء ليس يومنا منك بواحد، يوم على الجمل ويوم على البغلة، أما كفاك أن يقال «يوم الجمل »حتى يقال «يوم البغل» يوم على هذا ويوم على هذا، بارزة عن حجاب رسول الله ﷺ تريدين إطفاء نور الله والله

متم نوره ولو كره المشركون إنا لله وإنا إليه راجعون فقالت له: إليك عني وأفٍّ لك ولقومك[١].

اللهم وفقنا لمعرفة مولانا الإمام الحسن عليه السلام وارزقنا شفاعته برحمتك يا أرحم الراحمين.

* دعاء اليوم الرابع عشر

اللهم لا تؤاخذني فيه بالعثرات، وأقلني فيه من الخطايا والهفوات، ولا تجعلني فيه غرضاً للبلايا والآفات، بعزتك ياعز المسلمين.

إلهي طالما تبت إليك وأنبت، وعدت في معصيتك وتوثبت، فلست أدري أقبلت توبتي لأُهنّأ، أم رددتها عليّ لجرأتي لأُعزى.

وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، ولا عصيتك إذ عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد، وإنما غلبتني شقوتي، فلا تؤاخذني بعثراتي فإني عبدك الضعيف، وأقلني من الهفوات، وأعني على نفسي فلا أكون للبلاء غرضاً فأسقط أمام سورة الغريزة وصولة النفس الأمارة بالسوء، وسطوة الشيطان. خذ بيدي ياإلهي، واهدني الصراط المستقيم، صراط الطاعة والعزة، فلله العزة ولرسوله والمؤمنين اجعلني منهم ياعز المسلمين.

* أعمال الليلة الخامسة عشر

مستحبات ليلة النصف من شهر رمضان المبارك، كما يلي:

الأول: الغسل.

قال الشيخ المفيد: «وفي ليلة النصف منه يستحب الغسل»[٢].

---

(١) المصدر ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) الشيخ المفيد، مسار الشيعة ٢٣.

قال الشيخ الطوسي: «وإن اغتسل ليالي الأفراد كلها وخاصة ليلة النصف، كان له فيه فضل كثير».[١]

وهو صريح في خصوصية للغسل في هذه الليلة هي غير استحباب الغسل في ليالي الإفراد.

الثاني: زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

قال السيد ابن طاوس:

«زيارة الحسين عليه السلام في أول ليلة من شهر رمضان وليلة النصف منه وآخر ليلة منه»[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام: **«زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين فان زيارته عليه السلام خير موضوع، فمن أكثر منها فقد استكثر من الخير ومن قلل قلل له، وتحروا بزيارتكم الأوقات الشريفة، فان الأعمال الصالحة فيها مضاعفة، وهي أوقات مهبط الملائكة لزيارته. قال: فسئل عن زيارته في شهر رمضان؟ فقال: من جاءه عليه السلام خاشعاً محتسباً مستقيلاً مستغفراً، فشهد قبره في إحدى ثلاث ليال من شهر رمضان: أول ليلة من الشهر أو ليلة النصف أو آخر ليلة منه، تساقطت عنه ذنوبه وخطاياه التي اجترحها، كما يتساقط هشيم الورق بالريح العاصف، حتى أنه يكون من ذنوبه كهيئة يوم ولدته أمه، وكان له مع ذلك من الأجر مثل أجر من حج في عامه ذلك واعتمر، ويناديه ملكان يسمع نداءهما كل ذي روح إلا الثقلين من الجن والإنس، يقول أحدهما: يا عبد الله طهرت فاستأنف العمل، ويقول الآخر: يا عبد الله أحسنت فابشر بمغفرة من الله وفضل»**[٣].

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٦.
(٢) المصدر.
(٣) الإقبال ٣/ ٤٦.

ويستحب لمن زاره عليه السلام ليلة النصف من شهر رمضان أن يصلي عشر ركعات ورد الحث عليها، تضاف إلى أعمال ليلة النصف لمن كان في كربلاء.

«عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قيل له: فما ترى لمن حضر قبره ـ يعني الحسين عليه السلام ـ ليلة النصف من شهر رمضان؟ فقال: بخ بخ، من صلى عند قبره ليلة النصف من شهر رمضان عشر ركعات من بعد العشاء من غير صلاة الليل، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد عشر مرات، واستجار بالله من النار، كتبه الله عتيقاً من النار، ولم يمت حتى يرى في منامه ملائكة يبشرونه بالجنة وملائكة يؤمنونه من النار»[١].

ومن الواضح أن مصب الحديث هو الزيارة من قرب، ولكن لا يصح أبداً ترك الزيارة من بعد، كما تقدم في أعمال أول ليلة من شهر رمضان، فلاحظ.

وأما زيارة الحسين في ليلة مولد المجتبى، فهم جميعاً عليهم السلام نور واحد. وزيارة الأمير عليه السلام يوم المبعث، أو زيارة الإمام الحسين ليلة مولد الإمام الحسن عليه السلام، لا تعني تفضيلاً، بل تعني خصوصية ترتبط باستمرار نور التوحيد، واعتبار ولاية علي عليه السلام المحور في هذا الإستمرار، وكذلك هي شهادة سيد الشهداء، الذي أكد إمام زمانه المجتبى عليه السلام على تعلق القلوب بها، ويكفي قوله عليه السلام: «.. **لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**..»[٢].

الثالث: صلاة الليالي البيض، وهي في هذه الليلة، ست ركعات بالحمد ويس وتبارك والتوحيد، كل ركعتين بتسليمة، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة ويس وتبارك والتوحيد مرة.

الرابع: صلاة مائة ركعة هي غير الألف ركعة، وقد تقدم الحديث عنها

(١) الإقبال ١/ ٢٩٤.

(٢) الشيخ الصدوق، الأمالي ١٧٧وابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٣٨ والبحار ٤٥/ ٢١٨.

في عمل أول ليلة لدى التفصيل في نوافل شهر رمضان. كل ركعتين بتسليمة، تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة التوحيد عشر مرات.

قال الشيخ المفيد: «ويستحب أن يصلي الانسان في ليلة النصف من شهر رمضان مائة ركعة زيادة على الالف، فقد روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: **قال من صلى ليلة النصف من شهر رمضان مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة منها «فاتحة الكتاب» و«قل هو الله أحد» عشر مرات أهبط الله إليه من الملائكة عشرة، يدرؤون عنه أعداءه من الجن والانس، وأهبط إليه عند موته ثلاثين ملكا يؤمنونه من النار»**[1].

الخامس: صلاة أربع ركعات. وتجدر الإشارة إلى أن الرواية التي التزمت بإيراد صلاة منها خاصة بكل ليلة، تورد صلاة هذه المائة ركعة في ليلة النصف، ثم تضيف إليها صلاة أربع ركعات، كما يلي:

«ومن صلى ليلة النصف منه مائة ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة، وعشر مرات قل هو الله أحد وصلى أيضا أربع ركعات يقرأ في الأولتين مائة مرة قل هو الله أحد والإثنتين الأخيرتين خمسين مرة قل هو الله أحد، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ورمل عالج»[2].

السادس: حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي عشرون ركعة، ثمان منها بعد المغرب، والباقي بعد العشاء، بالترتيب الذي عرفت.

السابع: الصلاة التي يؤتى بها كل ليلة وقد تقدم أن سبب إيرادها أن لا يُحرم من النافلة لا يساعده ظرفه على أداء حصة الليلة من الألف ركعة.

قال الكفعمي: **«ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل،**

---

(١) المصدر ١٧١.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[1].

* وأذكّر هنا بدعاء المجير، وقد تقدمت الإشارة إلى أنه يستحب قراءته في الأيام البيض من شهر رمضان وأن من قرأه في هذه الأيام غُفِرت ذنوبه مهما كانت، وأنه نافع لشفاء المريض وقضاء الدين والغنى وتفريج الهم وكشف الكرب.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لما يحب ويرضى بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.



(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٥

شهـر رمضـان

* معرفة حرمة الشهر
* الصوم الحقيقي
* العمل الصالح بإخلاص
* دعاء اليوم الخامس عشر
* دعاء المجير
* صلاة الليلة السادسة عشر




الحمد لله الذي هدانا لحمده وجعلنا من أهله لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين، والحمد لله الذي حبانا بدينه واختصّنا بملّته وسبّلنا في سبل إحسانه لنسلكها بمنّه ورضوانه، حمداً يتقبله منا ويرضى به عنا.

للإمام السجاد عليه السلام عدة أدعية حول شهر رمضان المبارك، إثنان منها مذكوران في الصحيفة السجادية تحت الرقم الرابع والأربعين والخامس والأربعين، الأول منهما في استقبال الشهر، والثاني في وداعه، والفقرات التي تقدمت هي افتتاح الدعاء الرابع والأربعين.

بعد هذه الفقرات يبيّن الإمام السجاد عليه السلام أهمية هذا الشهر المبارك فيقول: «**والحمد لله الذي جعل من تلك السبل شهره شهر رمضان شهر الصيام وشهر الإسلام وشهر الطهور وشهر التمحيص، وشهر القيام الذي أُنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان**».

ترى أين تكمن فضيلة شهر رمضان المبارك، هل السبب في فضيلته وأهميته الصوم فيه؟ أم أن عظمته تنبع من شيء آخر والصيام فيه من أجل تلك الفضيلة؟

يقول عليه السلام: «**فأبان فضيلته على سائر الشهور بما جعل له من الحرمات المفروضة والفضائل المشهورة، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً**».

فالصيام ليس إذاً سبب فضيلة هذا الشهر المبارك وإنما كان الصيام فيه

لمكانته قبل الصيام وهذه المكانة سببها نزول القرآن الكريم في هذا الشهر المبارك كما صرّح بذلك بعض العلماء وكما يُفهم من اختيار الله تعالى لهذا الوصف لشهره حيث قال عزّ إسمه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

وهكذا نفهم استطراداً ـ ولو في حدودنا ـ ما معنى أن شهر رمضان ربيع القرآن، ونفهم أهمية الحث على تلاوة القرآن في هذا الشهر فإنه شهر القرآن الكريم، وليس عجباً أن يكون ثواب الآية الواحدة فيه ثواب ختمة من كتاب الله تعالى.

ما هي واجباتنا في شهر الله تعالى كما يحددها الإمام السجاد عليه السلام في هذا الدعاء؟

* معرفة حرمة الشهر

الأول: يحثّنا عليه صلوات الرحمن على أن نعرف حرمة شهر رمضان المبارك، وليس المراد بذلك طبعاً هذه المعرفة العادية التي تتاح لكلٍ منا، وإنما المطلوب أن نعرف أهمية هذا الشهر وعظمته معرفة لا تنفك عن الإهتمام به وعن الحرص على استثمار كل أوقاته المباركة.

يقول عليه السلام: **«اللهم صلّ على محمد وآله وألهمنا معرفة فضله وإجلال حرمته والتحفّظ مما حظرت فيه»**.

إن مجرد المعرفة لا يكفي، بل المطلوب أن تقود هذه المعرفة إلى العمل الذي ينشأ بدوره من إجلال هذا الشهر ويتمثل بالتحفظ فيه مما حظر الله عزّ وجلّ علينا، ومنعنا منه.

ينبغي أن نشعر بوضوح أن المعصية في هذا الشهر أشد خطورة من غيره من الشهور، فلسنا في ضيافة الرحمن تقدّست أسماؤه في وقت كغيره، وليس الفارق بينه وبين غيره عادياً «**وجعل له وقتاً بيناً لا يجيز** ـ جل وعز ـ **أن يقدم**

قبله، ولا يقبل أن يؤخر عنه، ثم فضَّل ليلة واحدة من لياليه على ليالي ألف شهر، وسماها ليلة القدر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام دائم البركة إلى طلوع الفجر على من يشاء من عباده بما أحكم من قضائه».

أيها العزيز: لنلقّنْ أنفسنا دائماً أهمية هذا الشهر حتى لا تخرجنا العادة والإلفة من أجواء الإهتمام به.

في اليوم الأول والثاني ربما نشعر بدرجة عالية من الإهتمام بشهر رمضان إلا أننا بتكرُّر أيامه ولياليه ربما نصبح نتعاطى معه باعتباره وقتاً من الوقت وزمناً من الزمن شأنه في ذلك شأن غيره من الشهور.

وها نحن في اليوم الخامس عشر منه، فهل ما زلنا نستشعر هيبته، ونرعى حرمته؟ إن أمامنا متسعاً للتعويض، أو للإستزادة.

* الصوم الحقيقي

يؤكد الإمام السجاد عليه السلام على أن يكون صومنا صوماً حقيقياً:

«وأعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك واستعمالها فيه بما يرضيك».

والكفّ عن المعاصي مطلوب وهوشرط لقبول الصوم، فمن صام وعصى الله تعالى وامتنع عن المفطرات واغتاب أو كذب، فإن صومه في أفضل الحالات ليس من الدرجة الأولى، وإن كان يُسقط عنه واجب الصوم، وفي رأي وجيه أنه لا يُثاب على هذا الصوم، وهو ما يُعبَّر عنه بعدم القبول.

فالمطلوب قبل كل شيء، الكف عن المعاصي، إلا أن ذلك ليس نهاية المطاف، بل المطلوب أيضاً أن ننتقل من الكفّ السلبي إلى استعمال الجوارح إيجاباً بما يرضي الله تعالى.

من هنا لم يقتصر الإمام السجاد عليه السلام على قوله **وأعنا على صومه بكفّ الجوارح عن معاصيك** وإنما أضاف: **واستعمالها فيه بما يرضيك**.

و كيف يتحقق ذلك؟

يبيّن لنا عليه السلام في الجواب على هذا السؤال ستة واجبات ثم يحدد لنا عنواناً عاماً شاملاً لأبواب البر.

أما الواجبات الستة فهي:

١ ـ حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو.

واللغو كل ما فيه ضرر أو ليس فيه نفع. فلا نصغي بأسماعنا إلى شيء فيه ضرر أو لا نفع فيه فيكون لغواً.

٢ ـ ولا نسرع بأبصارنا إلى لهو.

والمراد أن لا ننظر إلى شيء عبثي سواءً كان حراماً أو حلالاً فإن لشهر الله تعالى حرمته التي تفرض صرف الوقت في ما ينفع كما سيأتي.

٣ ـ وحتى لا نبسط أيدينا إلى محظور.

أي إلى ما نُهينا عنه.

٤ ـ ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور.

أي إلى ما منعنا الله عزّ وجلّ منه وحجره علينا.

٥ ـ وحتى لا تعي بطوننا إلا ما أحللت.

وهو تأكيد على الدقة خصوصاً في المأكل والمشرب، وقد تقدم الحديث عن أهمية البحث والتدقيق في حلّية كل ما نتقلّب فيه في شهر رمضان المبارك.

٦ ـ ولا تنطق ألسنتنا إلا بما مثّلت.

أي لا نقول إلا الحق.

هكذا نجد أنفسنا أمام أمور أساسية ينبغي أن يطول اهتمامنا بها في شهر الله تعالى.

لا يمكن للصائم أن يطلق العنان لجوارحه فإن ذلك ينافي نية الصوم، بل ينافي الهدف منه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، بل بما أن النية التي يلتزم الصائم بمراعاتها لا ينبغي أن تنفصل في الحقيقة عن هذا الهدف، فهما وجهان لحقيقة واحدة.

والتقوى وإن كان مصبها القلب ﴿تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ إلا أن الجوارح تعبر عما في القلب وتحكيه بأفصح لغة، فتُثبت صحة النية أو عدمها.

لا بد أن يصوم السمع في شهر الله تعالى، وصوم الأُذن في عدم إصغائها للحرام وأكثر من ذلك في عدم إصغائها للهو.

وصوم العين في اهتمامها بما يُقرّب من الله عزّ وجلّ، فضلاً عن الإهتمام بترك النظرة الحرام.

واللسان، وما أدراك! وجراحاته أشد خطراً من جراحات السنان.

ينبغي أن يكون الصائم حذراً فلا يحرك لسانه في ما يسخط الله عزّ وجلّ بل أكثر من ذلك ينبغي أن يكون حذراً فلا يحركه إلا بما يُدنيه من الله ويقربه منه تقدّست أسماؤه.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفقرة مروية بصيغتين: «بما قلت» و«بما مثّلت».

وبناء على الأولى يكون المراد إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾.

وقد روي عن الإمام الحسين عليه السلام: **إنا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والحق فينا، وبالحق تنطق ألسنتنا**[1].

---

(١) الريشهري (محمد محمدي)، أهل البيت في الكتاب والسنة، ١٦٤.

أما بناءً على الثاني فإن حصر الإمام الحديث بما مثّل الله تعالى، يلتقي مع ما ورد الحث عليه في الروايات من حصر الكلام بما يعنينا، إذ يبدو أن مراده عليه السلام، أن تكون الأمثال الواردة في القرآن الكريم محاور الحديث. ولكل من الصيغتين مرجحاتها، والنتيجة واحدة وهي تشكل أساساً تربوياً شديد الأهمية هو اجتناب تحريك اللسان بالباطل وتعويده على النطق بالحق وما يعود على الإنسان بالنفع في دنياه وآخرته.

ومن الواضح أن ذلك ثمرة عقيدة صحيحة تنتج ثقافة ومسلكية سليمتين.

ولليد حصتها من الصوم فينبغي أن لا تمتد بأذى، ولا بسائر ما يسخط الله عزّ وجلّ.

والقدم كذلك له نصيبه من الصوم، فكيف يكون الشخص صائماً ويمشي إلى مجلس حرام.

واللقمة التي نأكل وتمد الجوارح بالقوة، ألا يجب أن نهتم بمعرفة أنها حلال، حتى لا تعي بطوننا إلا ما أحلّ الله عزّ وجلّ.

وقد تقدم الحديث عن الصوم الحقيقي في بداية هذه الأعمال فراجع.

صحيح أن هذه الأمور ينبغي الإهتمام بها في شهر الله تعالى وفي غيره من الشهور، إلا أنها في هذا الشهر العظيم، أشد تأكيداً، لأننا في ضيافة الله تعالى بمعنى أنه عزّ وجلّ رفع درجة العناية بنا والرعاية لنا فجعل نومنا عبادة وأنفاسنا تسبيحاً وعملنا مقبولاً ودعاءنا مستجاباً، فإذا واجهنا ذلك بقلة الحياء منه والجرأة عليه تقدّست أسماؤه فنحن كمن يأخذ مالاً من أبيه ويعطيه أمامه لعدوه.

نعم إن استعمال جوارحنا ـ وهي نِعَم منّ الله علينا بها ـ في معصية الله تعالى يعني وضعها في تصرف الشيطان في محضر الله عزّ وجلّ وضيافته وفي ذلك من التجرؤ عليه تقدّست أسماؤه ما لا يحتاج إلى بيان.

* العمل الصالح بإخلاص

وأما العنوان العام الذي يحدده لنا الإمام السجاد عليه السلام فهو ما عبّر عنه بقوله:

«ولا نتكلف إلا ما يدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلا الذي يقي من عقابك، ثم خلّص ذلك كله من رياء المرائين وسمعة المسمعين، لا نشرك فيه أحداً دونك، ولا نبتغي فيه مراداً سواك».

إنه عليه صلوات الرحمن ينبهنا إلى أن نحصر كل عملٍ نعمله في شهر رمضان بالعمل الصالح الذي يقربنا من الله تعالى، وحيث أن النية السيئة تفسد العمل الصالح وتجعله عملاً سيئاً، فلا بد من التنبه إلى أن لا يغزو الرياء قلوبنا فتفسد نوايانا ونقع في أسر حب السمعة ونخرج بذلك من عبادة الحق تعالى إلى عبادة الناس.

إننا لدى استقبال هذا الشهر المبارك أمام ثلاثين يوماً **﴿أياماً معدودات﴾** ونحن نعلم أنها فرصة إلهية فريدة ينتظرها أهلها العارفون بأهميتها المدركون لعظمتها طيلة أحد عشر شهراً ويحزنون لفراقها، فهل يصح لنا أن نبحث عن الوسيلة المسلّية التي نستعين بها على تمضية ساعات هذه الفرصة التي لا تفوّت، فننشغل في شهر الله تعالى في مجالس السمر أو الألعاب العبثية؟

أوليست هذه الأمور شراكاً يصطادنا بها عدونا المبين ليحول بيننا وبين خير الزاد في خير الشهور؟

إن أمامنا بعد شهر الله تعالى متّسعاً كبيراً لهذه الأمور إذا كانت حلالاً ولم يشُبْها الحرام، فلماذا نصرّ على ترك ما لا يُعوَّض واستبداله بما هو أدنى، وبالإمكان تعويضه؟

إن العاقل المصدّق بما أخبر به الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله هو من يفرّغ أيام شهر الله تعالى ولياليه لما يُدني من ثواب الله تعالى عزّ وجلّ ويؤجل كل

عمل يمكن تأجيله إلى ما بعد هذا الشهر المبارك، لأن له من الإنشغال بما يقي من عقاب الله تعالى ما يصرفه عن كل شاغل سواه.

نعم، إن العاقل هو من يضع خطبة رسول الله ﷺ نصب عينيه.

وهذا الدعاء الرابع والأربعون من الصحيفة السجادية هو كالشرح لتلك الخطبة، أمام عيني القلب، وفي واجهة الإهتمام، ويلتزم بها منهجاً عملياً فيكثر من تلاوة كتاب الله تعالى والصلاة على النبي وآله والإستغفار وطول السجود وإكرام اليتيم وصلة الأرحام، وغير ذلك مما ورد الحث عليه في الخطبة النبوية الشريفة، يبتغي بذلك ما يطهره من الهفوات والآثام ويُقرِّبه من الله تعالى.

وللحديث حول هذا الدعاء المبارك تتمة.

* دعاء اليوم الخامس عشر

اللهم ارزقني فيه طاعة الخاشعين واشرح فيه صدري لإنابة المخبتين بأمانك يا أمان الخائفين.

يريد الدعاء لكلٍ منا أن يقول: إلهي أذقني حلاوة حبك، هب لي الخشوع لك، أزِل عن قلبي الأقفال واشرح صدري لأتوجه بفطرتي إليك، أعرف نفسي فأتواضع لك، ويحي إذا نظرت إلى الملائكة صفوفاً والأنبياء وقوفاً فمن عذابك غداً من يخلصني ومن أيدي الخصماء من يستنقذني، عصيت من ليس بأهل أن يُعصى عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاءً، مَن غيرك يجبر كسري ويسكّن روعتي أدخلني في أمانك فقد فزعتُ إليك من نفسي يا أمان الخائفين.

* دعاء المجير

أذكّر هنا بدعاء المجير دعاء الذي تقدمت الإشارة إلى استحباب قراءته

في الأيام البيض من شهر رمضان المبارك، وهو دعاء مهم جداً لقضاء الحوائج.

* صلاة الليلة السادسة عشر

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي عشرون، ثمان منها بين المغرب والعشاء، والباقي بعد العشاء بالترتيب المذكور في الليالي السابقة.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: «ومن صلى ليلة ست عشرة من شهر رمضان اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وألهيكم التكاثر اثنتي عشرة مرة خرج من قبره وهو ريان ينادي بشهادة أن لا إله إلا الله حتى يرد القيامة فيؤمر به إلى الجنة بغير حساب»[1].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[2].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه ويجعل عواقب أمورنا خيراً بالنبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) **الحر العاملي**، وسائل الشيعة ٨/٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦. وفيه: «وهو ينادي بالشهادتين».
(٢) **الكفعمي**، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٦
شهـر رمضـان

* معركة بدر، يوم الفرقان
* على مشارف المعركة
* من صوَر الجهاد البدري
* جبهة عربية وإسلامية؟
* دعاء اليوم السابع عشر
* صلاة الليلة السابعة عشر




* معركة بدر، يوم الفرقان

هذه الليلة القادمة هي ذكرى وقعة بدر، أوّلِ معركة فاصلة بين الإسلام والكفر، ويومها يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان كما في كتاب الله عزّ وجلّ، وكل انتصارات الإسلام بعدها تتفرع عليها، وتستمد منها العزيمة الصادقة وتستضيء بنورها.

كانت وقعة بدر في السنة الثانية للهجرة، وقد سميت باسم المنطقة التي حصلت المواجهة فيها بين المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ، وبين قريش بكل خيلائها وجبروتها، وهي منطقة تقع على بعد حوالي مائة وسبعين كيلو متراً عن المدينة باتجاه مكة، وتبعد عن مكة حوالي مائتين وثلاثين كيلو متراً.

وكانت هذه المنطقة في طريق قوافل قريش التي كانت تسيَّر بانتظام بين مكة والشام، وهو ما يعني أنها كانت ممراً حيوياً بل واستراتيجياً لتجارة قريش التي تشكل عصب حياتها الإقتصادية وبالتالي السياسية.

طيلة ثلاثة عشر عاماً من بعثة المصطفى ﷺ، بذل عتاة مكة كل ما أمكنهم لإطفاء نور الله تعالى، فلم يزدد الإسلام إلا توهجاً.

صبر المسلمون على الأذى، وصمدوا أمام التحديات التي تُوِّجت بحصار الشعب والذي استمر أكثر من ثلاث سنوات.

ومن الواضح أن قريشاً كانت ماضية قُدماً في تصعيد خطواتها ضد الإسلام لمنع انتشاره، بل وأوغلت في تنفيذ ذلك إلى حد المحاولات المتكررة لقتل رسول الله ﷺ، الأمر الذي أدى إلى هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة، والثانية إلى المدينة في ظروف حتّمت هجرة المصطفى ﷺ.

وقد واصلت قريش عدوانها على الرسول والرسالة حتى بعد الهجرة، محاولة استغلال نفوذها وهيمنتها على العرب وعلاقاتها باليهود في المدينة، بالإضافة إلى محاولات الإغتيال المتكررة التي خُطط لها في مكة، واستهدفت رسول الله ﷺ، وهو في المدينة المنورة.

لقد احتضنت المدينة الإسلام في ظروف سياسية بالغة التعقيد تتشابك في رسمه عناصر أربعة: الصراع القبلي الحاد بين الأوس والخزرج، والحضور اليهودي الفاعل، وضغوط قريش على أهل المدينة بهدف منعهم من التحالف مع رسول الله ﷺ، وسرعان ما برزت محاولات النصارى لاختراق الجبهة الداخلية للمدينة عبر أبي عامر الراهب ومسجد الضرار.

وقد حرصت قريش على زرع العقبات في طريق بناء نواة الكيان السياسي الإسلامي، من خلال توظيف ثقلها السياسي في المدينة لتأليب الأطراف على رسول الله ﷺ.

كان ذلك يعني أن المعركة مستمرة بين الإسلام وقريش، ولو «بصيغة الحرب الباردة» وكان استمرار قريش في الإفادة من ممرها الحيوي على مقربة من المدينة المنوَّرة، يتيح لها مواصلة تآمرها من موقع المتمكن من زمام الأمور في شبه الجزيرة، كما كان حرمانها من هذا الممر الحيوي الآمن يشكل أول رد جذري على مسيرتها العدوانية الحافلة والتي أخذت منحىً تصاعدياً منذ إعلان الدعوة، ولم تكن المدينة بمنطق موازين القوى عقبة أمام جبروت قريش، الأمر الذي يعني بجلاء أن غزو المدينة كان الخيار المتعين في حال فشل الأساليب الأخرى السياسية والأمنية.

في هذا السياق جاء تصدي المسلمين بقيادة المصطفى لجبروت قريش عبر استهداف قافلتها التي كانت قادمة من الشام بقيادة أبي سفيان، رداً على هذا العدوان المستمر بما يسهم في إضعافه ويفرض معادلة جديدة تمكن الدعوة من شق طريقها بالكلمة والموعظة الحسنة والتأسيس لحماية ذلك بالقوة حين تدعو الحاجة.

وقد تطور الموقف بسرعة متوقعة لأن «أم القرى» مركز الثقل السياسي والعسكري في الجزيرة العربية آنذاك لم تكن تتحمل قيام كيانٍ سياسي بقيادة «محمد والصُباة معه».

قرأت قريش الموقف بأبعاده، واستنفرت كل طاقتها الهجومية ـ دون حلفائها ـ وخرج كل عتاتها ماعدا أبا لهب الذي مات بالطاعون بعد بدر بفترة وجيزة، لشن هجوم أرادته حاسماً ونهائياً.

وفي المقابل لم يخرج رسول الله ﷺ بكل ثقله العسكري. كأن الله تعالى أراد استدراج كل قريش ليقتلها بصفوة مختارة هي من شهد المعركة وكشفت مواقفه يقينه، وشارك فيها.

وكأن الله تعالى أراد أن تكون المعركة الأولى بين الإسلام والكفر غير متكافئة مادياً.

* على مشارف المعركة

وفي القرآن الكريم حديث وافٍ عن بدر، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ (إما القافلة وإما قريش) ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ (أي القافلة، والشوكة بمعنى القوة، فالمراد أنكم لم تكونوا تريدون أن تخوضوا حرباً، والنصرعلى قريش يتوقف على خوضها) ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

لم يوضح المصطفى ﷺ للمسلمين ـ وهو ما أُمر به كما يفهم من الآية المتقدمة ـ أن المعركة واقعة لا محالة وإنما عرف المسلمون إجمالاً أن هناك نصراً، فإما أن يرجعوا بالقافلة أو ينتصروا على قريش.

وكان الله عزّ وجلّ يريد أن تقع المعركة، إلا أن المسلمين خرجوا وهم لا يجزمون بوقوعها، ويظهر من بعض النصوص أن الذين خاضوا المواجهة مع قريش من المسلمين لم يكونوا جميع المسلمين آنذاك فقد بقي قسم منهم في

المدينة لعدم توقعهم تطور الموقف إلى مواجهة عسكرية، لذلك نجد أن سعد بن معاذ يتحدث على مشارف وقوع المعركة مع رسول الله ﷺ فيقول له: «يا رسول الله ألا نبني لك عريشاً ونُعِدُّ عندك ركائبك، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بما وراءنا من قومنا، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حباً لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحوك ويجاهدون معك؟ فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بخير، ثم بني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه»(١).

ولا ينافي ذلك أن يكون بعضهم لم يخرج لاحتمال وقوع الحرب، أو لأنه لا يستسيغ التعرض لسلطة قريش، كما لا ينافي أن يكون بعض من حضر المواجهة وهو في الظاهر في عداد المسلمين كارهاً لها، وبطريق أوْلى لنتائجها المدوية.

وعندما أصبحت المواجهة حتمية لجأ المسلمون المخلصون إلى التضرع والإستغاثة.

قال تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

وهذه الآية المباركة صريحة الدلالة على الجو النفسي الذي عاشه المسلمون على أبواب وقوع الحرب بعد أن رأوا أن قريشاً خرجت بكظّها وكظيظها، وهم قِلّة، فتوجهوا إلى الله تعالى مستغيثين، فوعدهم الله عزّ وجلّ بألف من الملائكة مردفين أي مع كل منهم رديف له فيكون الإمداد بألفين ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(١) البحار ١٩/ ٣٢٤ الهامش، نقلاً عن سيرة ابن هشام. وانظر: السيد مرتضى العسكري، معالم المدرستين ١/ ١٧١ نقلاً عن الواقدي. وابن أبي الحديد، شرح النهج ١٤/ ١١٣ عن الواقدي أيضاً.

هل الملائكة سبب النصر أم أن الله تعالى هو مسبب كل سبب؟

بما أن الله تعالى هو الناصر «نِعمَ المولى ونِعمَ النصير» فإن باستطاعته أن يحقق النصر، ولو لم يُنزل الملائكة، فالنصر الذي هو من عند الله شيءٌ آخر غير نزولهم لنصرة المؤمنين وتثبيتهم، ولذلك فإن الله تعالى لم يجعل الملائكة لأهل بدر إلا بشرى لتطمئنّ به القلوب.

ولدى محاولة التعرف إلى الجو النفسي للمنافقين فقد حدّثنا عنهم عزّ وجلّ بقوله ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وينبغي التأمل في العطف الوارد في الآية، ويبدو منه أن هناك من كان في قلوبهم مرض وقد وصل إلى حد النفاق، وهناك أيضاً من كان في قلوبهم مرض ولكنه لم يصل إلى ذلك ولا تحصر الآية الحديث عمن كانوا في المدينة من المسلمين بل إن مصبها الذين حضروا الوقعة.

أما في صفوف قريش فقد كان الجو العام اليقين بالنصر وأن المسلمين «أكلة جزور» سرعان ما يتمكنون من القضاء عليهم، ولم أجد إلا نصّين يغايران ذلك، نصاً لعتبة بن ربيعة يحث على عدم الحرب بدافع الحرص على الأقارب، والنص الآخر لمن كلّفته قريش بالإستطلاع يؤكد أن المسلمين كتلة تصميم على القتال والنزال، ولن يموت أيّ منهم إلا بعد أن يقتل واحداً على الأقل ولا خير في العيش فيما إذا قتل هؤلاء عِدَّتهم من قريش.

كان الجو العام في قريش جو النصر الأكيد المُحتَّم.

ماذا جرى؟

كما نعلم سرعان ما انجلى غبار النقع وإذا بعُتاة قريش في عداد الهالكين ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

* من صوَر الجهاد البدري

أذكر هنا بعض الصور من جهاد المسلمين في بدر:

١ ـ جاء في «تاريخ الخميس»: «ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يثب في الدرع وهو يقول «سيُهزم الجمع ويولّون الأدبار» فحرّضهم وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً مُقبِلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، فقال أحد المسلمين وهو عمير بن الحمام وكان في يده تمرات يأكلهم قال: بخٍ بخٍ (أي هنيئاً هنيئاً) فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء فقذف التَمرات من يده وأخذ سيفه وأقبل يقاتل القوم وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زادِ إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زادٍ عُرضة النفاد
غير التقى والبر والرشادِ[1]

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال عون بن الحارث يا رسول الله ماذا يُضحك الرب من عبده (ما الذي يفرح الرب من عبده) قال المصطفى الحبيب ﷺ: **غمسُهُ يده في العدو حاسراً** (أي بدون درع) فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل.

٣ ـ «أخذ ﷺ حفنة من الحصاء فاستقبل بها قريش، ثم قال: شاهت الوجوه ثم نفحهم بها، ثم أمر أصحابه فقال: شدوا فكانت الهزيمة وجعل الله تلك الحصاء عظيمٌ شأنها لم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأت عينيه، واستولى عليهم المسلمون ومعهم الله والملائكة يقتلونهم ويأسرونهم»[2].

---

(١) لم يحضرني تاريخ الخميس عند تدوين الهوامش. أنظر: السيوطي، تنوير الحوالك ٣٩٨. وابن الأثير، أسد الغابة ٤/١٤٣.

(٢) الشيخ المفيد، الإرشاد ١/١٦. والمجلسي، البحار ١٨/٧٢.

٤ ـ سمع بعض المسلمين صوتاً يقول: أشدد حيزوم. وكان القائل من الملائكة. وقيل إن حيزوم اسم فرس جبرئيل عليه السلام.

وكان المسلمون يعرفون قتلى الملائكة من الضرب فوق الأعناق ومن ضرب الأصابع، وكانت ضربات الملائكة تترك آثاراً سوداً[١].

٥ ـ رأى بلال الحبشي هذا العبد المستضعف بالأمس في مكة، أحد عتاة قريش «أمية بن خلف» فحمل عليه بلال وقال: رأس الكفر لا نجوتُ إن نجا، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر، أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، وهجم المسلمون عليه وعلى ابنه، يقول النص: وهبروهما بأسيافهم[٢].

وكما في كل وقعة من وقعات صدر الإسلام كان للمولى الحبيب أبي الحسن عليه السلام دوره البارز في الإلتزام بأوامر المصطفى صلى الله عليه وآله والدفاع عن الرسالة، ولقد قتل من المشركين النصف وقتل الملائكة والمسلمون النصف الآخر، وأقل عدد لمن قتلهم عليه السلام هو الثلث على رأيٍ، ولئن أُتيح له عليه السلام أن يشارك في حروب كثيرة بعد ذلك، إلا أنه لم يُتَح لحمزة أسد الله وأسد رسوله أن يعيش طويلاً.

من هنا فإن من الضروري أن نتأمل في الدور الجهادي الذي خاضه المولى الجليل حمزة رضوان الله تعالى عليه.

ومما ورد حوله رضوان الله تعالى عليه:

«..كان حمزة عليه السلام قد رضع مع رسول الله صلى الله عليه وآله، أرضعتهما امرأة من مكة (يقال لها: ثويبة) وهاجر حمزة مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وشهد بدراً، ولما أن توافقوا للقتال يومئذٍ برز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة

---

(١) المجلسي، البحار ٢٥٦/١٩ و٢٦٤ و٣٤٣.

(٢) إبن هشام، السيرة النبوية ٤٦١/٢.

والوليد بن عتبة ودعوا للمبارزة، فبرز إليهم علي عليه السلام وحمزة عم رسول الله صلى الله عليه وآله وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وقد كان يومئذ شيخاً مسناً، خرج إلى المبارزة يتوكأ على عصاه، ولما أن تبارزا يومئذ أنزل الله عزّ وجلّ فيهم ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ الآية. فبارز علي عليه السلام الوليد بن عتبة فقتله، وبارز حمزة شيبة فقتله.

وبارز عبيدة بن الحارث عتبة، فاختلف بينهما ضربتان أثبت كل واحد منهما صاحبه، فعطف حمزة عليه السلام وعلي عليه السلام على عتبة، فقتلاه، واستنقذا عبيدة بن الحارث، وقد قطع عتبة رجله، فمات من ذلك بعد منصرفهم إلى المدينة بالصفراء. وقتل حمزة يومئذ طعيمة بن عدي، وسبأ الخزاعي، وجماعة من المشركين، وكان حمزة يدعى أسد الله وأسد رسوله، لنجدته وشجاعته وإقدامه، وشهد يوم أحد، فأبلى من المشركين بلاء شديداً، وقتل منهم عدداً كثيراً، وقتل يومئذ عثمان بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين. وكان إذا هجم يومئذ انفرجوا، ولم يقم أحد منهم له»[١].

* جبهة عربية وإسلامية

أيها العزيز: لا أريد للحديث عن بدر أن يكون مجرد ذكريات حلوة، لذلك أسأل: أي توازن مادي مع العدو تحقق في بدر؟

كلُّ ما كان متوفراً في معسكر المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله هو تلك الروح المعنوية: التوحيد والتصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، وحب لقاء الله تعالى. أما بحسب موازين القوى المادية فقد كان مجرد تعريض المسلمين لاحتمال المواجهة يعني اجتثاث جذور الإسلام.

بل لم يكن متوفراً في جبهة الإسلام ومعسكره ولو الحد الأدنى من المقومات المادية، ورغم ذلك كله كان التصدي وكانت المواجهة.

---

(١) القاضي النعمان، شرح الأخبار ٣/ ٢٢٧.

وهو سؤال موجه إلى كل من يرفع شعار جبهة عربية وإسلامية شاملة لنبدأ آنذاك مواجهة العدو الصهيوني، وإلى كل من يريد أن تتوقف حركة المقاومة والمواجهة للعدو الصهيوني حتى نصل إلى مستوى من التكافؤ مع المقومات المادية للعدو؟

وهل سينتظرنا العدو ويبقى حيث هو الآن إلى أن نصل إلى مستواه في المقومات المادية؟

إن الحديث عن انتظار التكافؤ أوانتظار قيام جبهة إسلامية وعربية يعني أننا لا نريد أن نحارب العدو الصهيوني، ولا نريد أن نواجه المحتلّين لأرضنا وبلادنا.

إن الصهاينة يصرّحون بمشروعهم مشروع إسرائيل الكبرى، فهل يراد لنا أن نقدم بلادنا وكرامتنا طعمة لهم.

لأمرٍ ما كانت بدر معركة خاضها بعض المسلمين في مقابل كل الكافرين؟

لأمرٍ ما كانت مسيرة الأنبياء عبر التاريخ مسيرة لا تمتلك من المقومات المادية ما تمتلكه قوى الكفر؟

على الله عزّ وجلّ ينبغي أن نعتمد. ولا يمكن أن يحقق التفوق الإستراتيجي على العدو إلا روح حب لقاء الله تعالى في خط الشهادة في سبيله سبحانه، التي تجعل الضعيف قوياً والقوي ضعيفاً، لأنها تحقق الإرتباط بالله تعالى، ومن كان مع الله عزّ وجلّ كان الله معه.

وليس الأمر مجرد شعار تعبوي خطابي، وإليك التوضيح.

لنفترض أن إمارة «رأس الخيمة» تريد أن تعلن الحرب على روسيا، فلا شك أن ذلك بمثابة الإنتحار المجنون.

ولكن لو أن هذه الإمارة الصغيرة تحالفت مع أمريكا التي هي القوة المادية الأعظم في العالم اليوم وحتى إشعار آخر، ألا ينقلب الأمر إلى نقيضه ويصبح تفكير روسيا بمواجهتها بمثابة الإنتحار؟

لماذا نقبل هذه المعادلة ولا نقبل بمعادلة أن من توكل على الله تعالى يمكنه أن يحقق بهذا التوكل تفوقاً استراتيجياً على أمريكا وكل دول العالم الحليفة لها وغير الحليفة؟!

إذا كان ذلك راجعاً إلى الشك في مدى تحقيقنا لشروط التوكل فهو وجيه جداً، إلا أنه يحتم أن نبذل كل جهودنا لتحقيق ذلك، ولا يسمح لنا بالركون إلى الذين ظلموا بحجة عدم القدرة على مواجهتهم.

اللهم وفقنا لنكون بدريين ونستمر في خط مواجهة أعدائك وأعداء رسولك أعداء الإنسانية جميعاً.

* دعاء اليوم السابع عشر

اللهم وفّقني فيه لموافقة الإبرار وجنّبني فيه مرافقة الأشرار وأوِني فيه برحمتك إلى دار القرار بإلهيتك يا إله العالمين.

ياإلهي، طالما وافقت سيرتي سيرة الأشرار، وإن كان ظاهري ظاهر الأبرار، فهل إلى مغادرة هذا النفاق من سبيل؟!

ياقديم الإحسان، مننت عليّ فعرفتني أن العبرة بالسرائر، فهل تتم نعمتك علي فتأخذ بيدي ليطابق باطني باطن الأبرار، فأجانب زمرة الأشرار؟!

أنا ياإلهي الهائم على وجهه، الهارب من نفسه، ومن لي غيرك أسأله كشف ضري والنظر في أمري، هبني لابتداء كرمك وسالف برك بي، بإلهيتك يا إله العالمين.

* استحباب الغسل

تقدم أن الغسل مستحب في كل ليلة فرد، ولكن للغسل في الليلة السابعة عشر خصوصية يدل عليها ذكر استحبابه بشكل خاص على غرار الليلة الخامسة عشر.

قال الشيخ الطوسي: «وقد بينا ليالي الغسل وهي أربع ليال: ليلة سبع عشرة (ثم ذكر ليالي القدر، إلى أن قال): وإن اغتسل ليالي الأفراد كلها وخاصة ليلة النصف، كان له فيه فضل كثير»[١].

وقال الشيخ المفيد: «وفي ليلة سبعة عشر منه كانت ليلة بدر، وهي ليلة الفرقان، ليلة مسرة لأهل الإسلام. ويستحب فيها الغسل كما ذكرنا في أول ليلة من شهر رمضان»[٢].

* صلاة الليلة السابعة عشر

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي عبارة عن عشرين ركعة، ثمان منها بعد المغرب والباقي بعد العشاء، تقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة سبع عشرة منه ركعتين يقرأ في الأولى ما تيسير بعد فاتحة الكتاب وفي الثانية مائة مرة قل هو الله أحد، وقال: لا إله إلا الله مائة مرة أعطاه الله ثواب ألف حجة وألف عمرة وألف غزوة.

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٦.

(٢) الشيخ المفيد، مسار الشيعة ٢٤.

يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[1].

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٧

شهـر رمضـان

* الصلاة أول وقتها
* آداب الصلاة
* صلة الرحم
* الجيران
* تخليص المال من التبعات
* دعاء اليوم السابع عشر
* صلاة الليلة الثامنة عشر




* الصلاة أول وقتها

قبل الحديث عن ليلة بدر، تقدم الحديث حول جانب من الدعاء الرابع والأربعين من الصحيفة السجادية، هذا الدعاء هو كما تقدمت الإشارة أحد أدعية الإمام السجاد عليه السلام حول شهر رمضان المبارك إلا أن هذا الدعاء يمتاز بأنه رديف لخطبة المصطفى صلى الله عليه وآله حول هذا الشهر الكريم.

يقول عليه صلوات الرحمن:

اللهم صل على محمد وآله وقِفنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس بحدودها التي حدّدْتَ وفروضها التي فرضْتَ ووظائفها التي وظّفتَ وأوقاتها التي وقّتَّ، وأنزِلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها الحافظين لأركانها، المؤدّين لها في أوقاتها على ما سنّه عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها وجميع فواصلها على أتم الطهور وأسبغه وأبيَن الخشوع وأبلغه.

وقد سبقت الوقفة عند فقرة من خطبة المصطفى صلى الله عليه وآله حول شهر رمضان يؤكد فيها على أهمية أوقات الصلاة في هذا الشهر الكريم، وأنها خير الأوقات.

وتمس الحاجة إلى تذكير النفس بذلك كثيراً خلال الشهر العظيم، فربما تخرجنا العادة من التعامل الخاص مع شهر رمضان المبارك في بداية الصوم.

في بداية الصوم يشعر الصائم بهيبة خاصة لشهر رمضان بل وبرهبة، فيولي أول أوقات الصلاة أهمية ملحوظة، ويحرص على التعقيب والدعاء عموماً وقراءة القرآن، إلا أنه قد ينسى ويتراجع إلى حيث لا ينبغي.

من هنا كان مفيداً لنا أن نتذكر دائماً أننا ما زلنا في شهر عظيم وهو خير الشهور.

من الضروري أن نتذكر أن المحافظة على الصلاة في أول وقتها في شهر رمضان المبارك قد تكون مفتاحاً إلهياً للمحافظة على الصلاة في أول وقتها باستمرار، ومعنى ذلك أن هذه المحافظة قد تكون المفتاح لإعادة بناء الشخصية بما ينسجم مع الدين حيث أن الصلاة عموده.

ومن بين كل هذه الخصوصيات الهامة يحظى التأكيد على أول الوقت بعناية خاصة منه عليه السلام، فقد تكرر الحث على الصلاة في وقتها في هذا النص ثلاث مرات.

١ ـ وقِفْنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس.

٢ ـ وأوقاتها التي وقّتَ.

٣ ـ المؤدين لها في أوقاتها.

ومما يراد لنا أن نفهمه من هذه العناية بأول الوقت أن هذا الوقت هو الظرف الأفضل لكل صلاة، بمعنى أن الصلاة بسائر حدودها خارج أول الوقت ليست هي التي تنسجم مع ما ورد الحث عليه والترغيب به.

ومن هنا يتعين أن يكون الحرص على حدود الصلاة وأركانها ووظائفها وفواضلها مقترناً بالإهتمام بأدائها أول وقتها.

أذكّر نفسي والأخوة جميعاً بما تقدم في آخر أعمال شهر شعبان حول خطبة رسول الله من مراقبة أمير المؤمنين عليه السلام في ساحة المعركة في صفين للشمس ليصلي عند زوالها، وما قاله له ابن عباس وجواب الأمير عليه صلوات الرحمن: على ما نقاتلهم؟

أي إنما نقاتلهم من أجل الدين والصلاة عمود الدين، فنحن نقاتلهم من **أجل الصلاة.**

ترى عندما ننشغل بأعمالنا ـ حتى إذا كانت أعمالاً إسلامية ـ فتؤخرنا عن الصلاة، أليس ذلك خطأً ينبغي الحذر منه؟

عندما لا تقام الصلاة في أول الوقت في مؤسسة إسلامية، إذاعة، أو مدرسة، أوفي هذا المركز أوالمكتب أوذاك ترى هل نسأل أنفسنا لماذا أُقيمت هذه المؤسسات وهذه المكاتب؟

ألم تُقم من أجل حفظ الصلاة؟

أيها العزيز: ينبغي أن لا يمنعنا شيء عن الصلاة أول وقتها.

اللهم أعنّا على أنفسنا ووفقنا لانتظار الصلاة بفارغ الصبر كما كان ينتظرها رسولك ﷺ قائلاً: «أرِحنا يا بلال».

* آداب الصلاة

وفي مجال كيفية الصلاة يبيّن عليه السلام أن تكون على ما سنّه عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها وجميع فواضلها على أتم الطهور وأسبغه وأبيَن الخشوع وأبلغه.

ما المانع أن نجرب الصلاة أحياناً مع سائر المستحبات بدءً من مستحبات الوضوء وانتهاءً بالتعقيبات بعد الصلاة؟

أوليس من الطبيعي أن يكون شهر الله تعالى موسماً لصلاة من نوع آخر؟ أوَيعقل أن ينقضي عن أحدنا شهر رمضان وهو في دوّامة عمل مستمرة، بل هو نفسه دوّامة لا يعرف كيف يبدأ بصلاته ولا كيف ينتهي منها.

كان لرسول الله ﷺ مع شهر رمضان كله حديث ذو شجون إلا أنه كان له ﷺ، مع العشر الأواخر من شهر رمضان شأن خاص.

إذا كنا لم نحصل على ما ينبغي الحصول إليه من هذا الشهر المبارك في ما مضى منه، فلماذا لا نحرص على أن تكون الأيام المتبقية وخاصة العشر

الأواخر من هذا الشهر متمحّضة بالعبادة، نتفرّغ فيها لطاعة الله عزّ وجلّ وصقل نفوسنا فتعوّض ما يمكن تعويضه بحول الله تعالى وقوته.

وإذا أردنا أن نحسّن من مستوى صلاتنا، فإن علينا أن نتأمل في بنود هذه الفقرة جيداً.

يؤكد الإمام السجاد عليه السلام على إدراك أهمية شهر رمضان، وعلى أن تكون الصلاة أول وقتها صلاة مميزة بحدودها التي حددها الله تعالى، وفروضها ووظائفها التي فرض ووظف، وأن نُنزلها في منازلها، وأن نهتم بفواضلها.

وتندرج العناوين الرئيسة التي تضمنها كلام الإمام السجاد عليه السلام حول الصلاة ـ ماعدا أول الوقت وقد تقدم ـ في ما يلي:

١ ـ الحدود.

٢ ـ الفروض.

٣ ـ الوظائف.

٤ ـ المنازل.

٥ ـ الأركان.

٦ ـ الفواضل.

وفي ما يلي موجز حول كل منها.

١ ـ ورد في الروايات عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام، أن للصلاة أربعة آلاف حد، أو أربعة آلاف باب[1].

---

(١) الكليني، الكافي ٣/٢٧٢. والطوسي، تهذيب الأحكام ٢/٢٤٢ والصدوق، من لايحضره الفقيه ١/ ١٩٥.

قال الشيخ المفيد عليه الرحمة:

«وحدودها أربعة آلاف، كما جاء عن الصادقين عليهم السلام».

وأبوابها أربعة آلاف باب، بما يؤثر عن الصادقين عليهم السلام.

إلى أن عدّد الكبار من حدود الصلاة، فقال:

وعددها سبعة: منها أربعة قبل الصلاة، وثلاثة فيها. أولها: الوقت، ثم الطهور، ثم القبلة، ثم التوجه، ثم تكبيرة الإفتتاح، ثم الركوع، ثم السجود. ثم عدّد الصغار من حدودها، فقال:

وعددها سبعة: أولها القراءة، ثم تكبيرة الركوع، ثم التسبيح، ثم تكبيرة السجود، ثم القنوت، ثم التشهد، ثم التسليم.

ثم قال: مسألة وجواب ودليل:

إن سأل سائل فقال: ما بالكم لم تفصلوا الأربعة آلاف حد كتفصيل كبار ما ذكرتموه من صغارها؟

قيل له: لأن علم تلك خاص، وعلم هذه عام.

فإن قالوا: دلوا على ذلك.

قيل: دلالته صحة الخبر بوضوح طريقه (و) عجز الكل عن الإحاطة بالتفصيل إلى الغاية»[1].

وقال الشهيد الأول رضوان الله تعالى عليه:

«لما وقفت على الحديثين المشهورين عن أهل بيت النبوة أعظم البيوتات، أحدهما عن الإمام الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه وعلى آبائه وأبنائه أكمل التحيات: للصلاة أربعة آلاف حد. والثاني عن الإمام الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليهما الصلوات المباركات: الصلاة لها أربعة آلاف باب. ووفق الله سبحانه لإملاء «الرسالة الألفية» في الواجبات، ألحقت

---

(١) الشيخ المفيد، الأشراف ٢٢ ـ ٢٣.

بها بيان المستحبات، تيمناً بالعدد تقريباً، وإن كان المعدود لم يقع في الخلد تحقيقاً، فتمت الأربعة من نفس المقارنات، وأضيف إليها سائر المتعلقات. والله حسبي في جميع الحالات»[١].

٢ ـ روي عن الإمام الرضا عليه السلام: **«واعلم أن الصلاة ثلثها وضوء، وثلثها ركوع، وثلثها سجود. وأن لها أربعة آلاف حد، وأن فروضها عشرة: ثلاث منها كبار وهي: تكبيرة الإفتتاح، والركوع، والسجود، وسبعة صغار وهي: القراءة، وتكبير الركوع، وتكبير السجود، وتسبيح الركوع، وتسبيح السجود، والقنوت، والتشهد، وبعض هذه أفضل من بعض»**[٢].

٣ ـ ويظهر أن المراد بالوظائف كل ما اشترط على المصلي الإتيان به واعتبر وظيفة له، فيكون نفس معنى الفروض وقد عطف عليه للبيان.

٤ ـ وأما المنازل فقد ورد في رياض السالكين في شرح الصحيفة السجادية أن المراد بمنازل الصلاة مراتب الصلاة، كما يقال: أنزلتُ فلان منزلته أي مرتبته التي يستحقها.

وبناء عليه فيبدو أن المراتب مرتبطة بالتوجه والخشوع وحضور القلب.

٥ ـ وأركان الصلاة هي ما تَبطل الصلاة بدونها. قال العلامة الحلي: «المشهور أن أركان الصلاة خمسة: القيام والنية وتكبيرة الافتتاح والركوع والسجدتان معاً، فلو أخل بشئ من هذه عامداً أو ناسياً بطلت صلاته»[٣].

٦ ـ والفواضل جمع فضيلة وهي كل ما كان مستحباً «لا تبطل الصلاة بالإخلال به مطلقا»[٤] أي لا تبطل بتركه سهواً ولا عمداً.

---

(١) الشهيد الأول (الشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي الجزيني) ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة ١/ ٢١ ـ ٢٢. المقدمة. نقلاً عن الرسالة النفلية للشهيد التي تحتوي على ثلاثة آلاف نافلة تقريباً، كما ذكر الناقل.

(٢) إبن بابويه، فقه الرضا عليه السلام ١١٠ ـ ١١١.

(٣) العلامة الحلي، مختلف الشيعة ٢/ ١٣٩

(٤) المصدر.

اللهم وفقنا لنتعامل مع الصلاة بما تستحق، ونكون من «الحافظين لأركانها المؤدّين لها في أوقاتها».

*** «اللهم وفقنا فيه لأن نصِل أرحامنا بالبر والصلة، وأن نتعاهد جيراننا بالإفضال والعطية، وأن نخلّص أموالنا من التبعات وأن نطهرها بإخراج الزكوات».**

يؤكد عليه السلام في هذه الفقرة على ثلاثة أمور:

١ ـ صلة الأرحام معنوياً ثم مادياً. ٢ ـ وتعاهد الجيران بالإكرام والعطايا.

٣ ـ تخليص الأموال من التبعات.

وقد تقدم الحديث عن ذلك كله في أعمال الشهرين الماضيين، وما يجدر التأكيد عليه وإضافته هو التالي:

* صلة الرحم

صلة الرحم أسمى بكثير من أن تدور مدار الظاهر ومنه المال، فليس الحديث مع الرحم والتواصل معه ولا حتى زيارته محور الحديث عن صلة الرحم، ولا هو محور الحديث عنها التفقد المالي، فقد يوجد ذلك كله وتكون القطيعة قائمة بأقبح مظاهرها الكريهة!

إن المحور هو الإعتراف بأن هذا الرحم إنسان له كرامته التي أراد الله تعالى حفظها وبذل الجهد في صونها والدفاع عنها، والتنبه إلى أنه ليس لهذا الإنسان إلا رب واحد لا إله غيره، وهو سبحانه قد شرع فقه كرامة الإنسان الذي عبّر أمير المؤمنين وهو نفس المصطفى الحبيب صلى الله عليهما وآلهما عن عظيم تجلياته في باب حفظ الحقوق ـ والمعنوي منها هو الأصل ـ بقوله:

«والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأُجَرُّ في الأغلال مصفَّدا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها»[(١)].

ومعنى ذلك أن مصادرة الرحم لكرامة رحمه تجعله قاطع رحم، وإن كان يصله بالمال أوينفق عليه، فالأصل في الصلة تلك الحالة النفسية السوية التي ينبغي أن تقوم بين الطرفين، والتي هي المناخ الأمثل لكل العلاقات الإنسانية النبيلة.

وعلى هذا الأساس ينبغي اعتبار الحث على التواصل والصلة بالمال السياج الذي تمكّن رعايته من تحقيق صلة الرحم بمعناها الحقيقي الذي هو حالة قلب ومشاعرتتجلى في الفعل والسلوك.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: يا أبا ذر، إن الله (تبارك تعالى) لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. ياأباذر، التقوى التقوى هاهنا وأشار إلى صدره[(٢)].

* الجيران

وحيث أن الهدف من حسن العلاقة بالجار ينبع من نفس مشكاة العلائق الإنسانية كما أرادها الله تعالى فإن المحور فيها أيضاً هو حالة القلب والمشاعر، وليس تقديم تعاهد الجار بالإفضال على تعاهده بالعطية إلا إلفاتاً إلى ذلك، كما أن تعاهده بالعطية إنما كان «قيمة» لأنه يكشف عن الحالة القائمة بين الطرفين.

إن علينا أن نتذكر دائماً في باب التعامل مع الجيران أن الإمام

---

(١) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده) ٢/٢١٧.
(٢) الشيخ الطوسي، الأمالي ٥٣٦.

الحسن عليه السلام قال: **رأيت أمي فاطمة عليها السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة، فلم تزل راكعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يابني، ألجار ثم الدار!**[١]

وقد روي أن رسول الله صلى عليه وآله هو القائل: الجار ثم الدار[٢] وكأن الصديقة تستشهد بكلامه صلى الله عليه وآله، ولست هنا بصدد بيان معنى الحديث، وإنما الحاجة منه إلى دلالته بحسب استدلال الصديقة الكبرى عليها صلوات الرحمن على أولوية الإهتمام بالغير في فكر المؤمن واهتمامه وسلوكه.

* تخليص المال من التبعات

وأما الأمر الثالث، فإن السؤال: ما المراد بتخليص الأموال من التبعات؟

وقد تحدث صاحب رياض السالكين رحمه الله حول هذه النقطة فبيّن أن المراد بالتبعات كل ما يجب على الإنسان إنفاقه من المال وكل ما يستحب إنفاقه، فلم ينفقه ولحقه بسبب ذلك تبعة وترتبت عليه مسؤولية.

والمراد طبعاً غير الزكاة، وذلك لأنها قد ذكرت في النص بقوله عليه السلام «وأن نطهرها بإخراج الزكوات».

فالمراد بالتبعات المسؤوليات المترتبة نتيجة ترك الإنفاق الواجب كالخمس، والإنفاق المستحب كالصدقة وما شابه، ثم أورد في رياض السالكين عدة روايات تبيّن أن على الإنسان أن ينفق من ماله غير الخمس والزكاة.

---

(١) الطبري (الشيعي) دلائل الإمامة ١٥٢ وانظر: الشيخ الصدوق، علل الشرائع ١/ ١٨٢ والحر العاملي، وسائل الشيعة (آل البيت) ٧/ ١١٣.

(٢) السيد عبد الله الجزائري، التحفة السنية ٣١٦، وقد روي عن لقمان عليه السلام، أنظر: المحدث النوري، مستدرك الوسائل ٨/ ٤٢٠.

من هذه الروايات ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله عزّ وجلّ فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضة لا يحمدون إلا بأدائها وهي الزكاة، بها حقنوا دماءهم، وبها سمّوا مسلمين، ولكن الله عزّ وجلّ فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عزّ وجلّ ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم وإن شاء في كل جمعة وإن شاء في كل شهر، وقد قال الله عزّ وجلّ ايضاً: أقرضوا الله قرضاً حسناً وهذا غير الزكوة..**»[١].

صحيح أن الفقهاء لا يفتون الآن بوجوب إخراج الصدقة، بل يفتون بأن الإنفاق الواجب هو الخمس والزكاة أو ما وجب مقابل أمرٍ مّا، إلا أن من الواضح أن الحثّ على الإنفاق في سبيل الله يفوق التصوّر، وهو يحتل مساحة واسعة جداً في كتاب الله تعالى وفي الروايات، بل ورد أنه من أهم العبادات.

والنتيجة أنه ينبغي لنا في شهر رمضان المبارك أن نحرص على الإنفاق في سبيل الله، وينبغي أن يحرص الفقير على ذلك وليس الغني فقط كما هو صريح الروايات، وقد مر بعضها.

كما ينبغي أن تكون صلة الأرحام في هذا الشهر صلة بالبر وهو يشمل كل أوجه الخير، وصلة بالمال، على قاعدة أن مراعاة الكرامة والمشاعر والأحاسيس هي الأصل.

وكذلك الأمر مع الجيران بأن نتعاهد جيراننا بالإفضال والعطية حتى إذا كان هذا العطاء عبارة عن طعام يرسله الشخص إلى جاره ويرسل جاره كذلك إليه طعاماً، فإن دلالات هذه الأمور أسمى وأنبل بكثير من حجم كل مافي

---

(١) المحقق السبزواري، ذخيرة المعاد ٣/٤١٨. والسيد علي خان، رياض السالكين ٦/٦١ (ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة).

الأرض من طعام. إنها تدل على مودة خاصة ينبغي أن نعززها ونحرص عليها، ونعتبرها المحور في العلاقة بالجار.

١ ـ وأن نراجع من هاجرنا.

٢ ـ وأن ننصف من ظلمنا.

٣ ـ وأن نسالم من عادانا حاشا من عوديَ فيك ولك فإنه العدو الذي لا نواليه والحزب الذي لا نصافيه».

يؤكد عليه السلام في هذه الفقرة على الحقائق التالية:

أولاً: أن يحرص الصائم على مَدِّ جسور التفاهم بينه وبين من بادر إلى هجرانه ومقاطعته ليُثبت بذلك أنه قد تفاعل مع ضيافة الرحمن، وتخلّص من قسوة القلب التي تحمله على تقبُّل هجران مسلم له دون أن يحرك ساكناً.

تصل رقّة قلب المسلم، ويصل تأثير الصوم فيه إلى حد أنه يبادر إلى إصلاح ذات البين مع من بادر إلى قطيعته.

ومن هنا نفهم واجبنا تجاه من بادرْنا نحن إلى قطيعتهم.

إن شهر رمضان المبارك فرصة لتحصين الجبهة الداخلية للأمة، وسد كل ثغرة، وردم كل هوَّة.

ثانياً: **«وأن ننصف من ظلمنا»**.

قال في رياض السالكين: معناه أنه نوفَّق لمعاملته بالإنصاف، لا بما يقتضيه التشفّي ويؤدي إليه الغيظ. يقال: أنصفتُ الرجل عاملته بالعدل لأنك أعطيته من الحق مثلما تستحقه لنفسك، والهدف(من أن نعامل من ظلمنا بالإنصاف هو) التوقّي من الميل إلى الجور في معاملة الظالم.

مطلوب إذاً أن يحرص كلٌ منا على العدل حتى مع من ظلمه، وأول ما يتطلبه ذلك أن لا يُبقي جوّه النفسي مشحوناً بالتوتر والتشنج والغيظ والحقد،

فإن ذلك أرضية خصبة لردّات الفعل غير المتوازنة، فيندفع إلى ظلم من ظلمه، بدل أن يكون حريصاً على إنصافه.

ثالثاً: «وأن نسالم من عادانا»

قد يهجر شخص شخصاً دون أن يكون جوُّه النفسي جوّ معاداة، فهو لا يريد القطيعة النهائية فإذا راجعته عادت اللُّحمة، ويبدو أنه المراد بما تقدم من قوله عليه السلام: **وأن نراجع من هاجرنا**.

وقد يهجره معادياً لا تنفع معه المحاولات لمعاودة اللحمة، وهنا يأتي دور المسالمة لهذا المعادي، أي أن لا نكون حرباً عليه، فلا نقول فيه إلا خيراً ولا نغتابه، فضلاً عن العمل للإيقاع به.

نعم يستثنى من ذلك من هو من الكافرين والمنافقين، وكانت معاداته في الله تعالى وله سبحانه، ولذلك قال عليه السلام: «**حاشا من عودِيَ فيك ولك، فإنه العدو الذي لا نواليه والحزب الذي لا نصافيه**». أي ما عدا من عاديناه في الله ولله تعالى، فهو العدو دائماً وأبداً مادام مقيماً على الباطل.

لا يجتمع الولاء لله تعالى إطلاقاً مع موالاة عدوه، ولا حتى مع مصافاته التي هي عبارة عن سلامة العلاقة من الشوائب فلا يكدر صفوها شيء، وهي دون الموالاة، والمنطلقُ إليها.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

صحيح أن حب الله تعالى الذي يعمر قلب المؤمن يفيض على عباد الله تعالى فإذا علاقته بهم جميعاً علاقة حب، إلا أن أعداء الله تمردوا عليه سبحانه

فأصبح مقتضى حبه التمايز عنهم ليتم بذلك تحصين العقيدة والصف المسلم، فإن الإنفتاح على أولياء الشيطان انغلاقٌ عن الله تعالى وأوليائه، والتبري هو الوجه الآخر لحقيقة التولي.

والنتيجة العملية أن يبحث كلٌ منا في هذا الشهر علاقاته بالآخرين، فينشر السلام والتولي حيث ينبغي ذلك، ويركز القطيعة والتبري حيث ينبغي، ويجب أن تعم الصف الإسلامي روح التصافي والإخاء.

لينظر الصائم في علاقاته في بيته ومع جيرانه وأرحامه، وليعمل على ترميم ما يحتاج إلى ترميم منها، دون أن يقيم وزناً لأي اعتبار مصدره الحمية والحنق أو الحقد والتشفي، فإن مصدر ذلك كله في الحقيقة هو الشيطان، وهو يبعد عن طاعة الرحمن.

لنثبتْ عملياً أن شهر الله تعالى قد أحدث تغييراً في قلوبنا فإذا هي فيض رحمة وتسامح وينبوع حب.

رابعاً: يؤكد عليه السلام على أن تصل أعمالنا وطاعاتنا في شهر رمضان من حيث الكثرة والنوعية إلى القمة، وهي بالنسبة إلى كل شخص غاية ما يمكنه الوصول إليه، وهو أمر يستدعي التفرغ للعبادة قدر المستطاع، وبذل قصارى الجهد في مراقبة النفس لكي يتواصل حضور القلب بين يدي الله تعالى بأكبر نسبة ممكنة.

*** وأن نتقرّب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهرنا به من الذنوب.**

إذاً ينبغي أن تصل عبادتنا حداً تطهرنا معه من ذنوبنا السالفة، ولا يتحقق ذلك ـ عادة ـ إلا بالجد في العبادة والمراقبة.

«**وتعصمنا فيه مما نستأنف من العيوب**» أي أن تكون طاعاتنا في هذا الشهر بالإضافة إلى تطهيرنا مما سلف، عصمة لنا في ما يأتي حتى لا نظلّ نعاني من عيوبنا التي نعاني منها الآن ونواصل السير إلى الله تعالى بعد شهر

رمضان المبارك بروح جديدة، بقلبٍ سليم ونفس خالية من العيوب التي حملناها عندما دخلنا إلى ضيافة الرحمن، وظلت تلاحقنا وتشعرنا بالخجل عندما تنبهنا لها ونحن في ضيافته عزَّ وجلّ.

ويتابع عليه السلام مبيّناً لنا المستوى الذي ينبغي أن نصل إليه في كثرة العبادة وكيفيتها فيقول: «**حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلا دونما نورد من أبواب الطاعة لك والقربة إليك**».

هل المراد أن تكون أعمالنا أكثر من أعمال الملائكة؟ إذا كان هذا وما هو أعلى منه ولا يقاس به، مقدوراً للإمام السجاد عليه السلام والمعصومين فإنه بالتأكيد ليس في متناولنا.

من هنا فإن ما ذكره في رياض السالكين في شرح هذه الفقرة وجيه ينبغي الوقوف عنده.

قال رحمه الله ما حاصله: هناك أعمال لا تكتبها الملائكة لأنها لا تسمعها، والمطلوب أن نكثر من هذه الأعمال فتكون أعمالنا التي توردها الملائكة على الله تعالى هي بعض أعمالنا، وهي دون كل أعمالنا وأقل من كامل أعمالنا الحقيقية.

والفارق بين ما تورده الملائكة من أعمالنا على الله عزَّ وجلّ وبين كل ما نعمله، هو عمل السرّ الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فعندما يتقرب العبد إلى الله تعالى بطاعة بالغ في الإخلاص فيها فأودعها سرّه وسريرته، ولا يريد أن يعرفها أحد على الإطلاق، فإن الله عزَّ وجلّ يتكرّم بحفظ هذا السر ويصونه ولا يُطلِع عليه أحداً من ملائكته.

وقد أورد في رياض السالكين في تأييد هذا الرأي رواية وهي بسند حسن أو صحيح كما قال رضوان الله تعالى عليه، وهي:

«عن زرارة، عن أحدهما عليه السلام، قال: لا يكتب الملَك إلا ما سمع وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ فلا يعلم ثواب ذلك الذكر في نفس الرجل غير الله عزّ وجلّ لعظمته»[١].

وجاء في شرح الرواية: «فإن العبد إذ ذكره تعالى بحيث لا يطلع عليه أحد أثابه تعالى ثواباً لا يطلع عليه أحد كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ فأخبر سبحانه بأنه انفرد بعلم بعض ما يجازي به عباده الصالحين والله أعلم»[٢].

ولأهل السر في يوم القيامة حديث ذو شجون، وقد ورد في بعض الروايات أن قوماً يدخلون الجنة دون أن يعلم بدخولهم أحد حتى «رضوان» خازن الجنان فإنه يجدهم في الجنة فيقول: من أنتم وكيف دخلتم؟ فيقولون: إليك عنّا نحن قومٌ عبدنا الله سرّاً فأدخلنا الجنة سراً[٣].

وفي ضوء ذلك فإن الإمام السجاد عليه السلام، يؤكد على أن نحرص في هذا الشهر الكريم على العلاقة الخاصة بالله عزَّ وجلّ وهي «ذكره تعالى في النفس» فهو أفضل أنواع الذكر كما يفهم بوضوح من قوله عليه السلام في دعاء آخر: «**إلهي فألهمنا ذكرك في الخلأ والملأ، والليل والنهار، والإعلان والإسرار، وفي السراء والضراء، وآنسنا بالذكر الخفي**»[٤].

وإذا كانت أعمالنا وانشغالاتنا اليومية تحول بيننا وبين التقرّب إلى الله تعالى بالإكثار من قراءة القرآن، ومن الصلاة المستحبة، والإستغفار، فما الذي يمنعنا من الإكثار من ذكر الله تعالى في النفس؟

---

(١) الكليني، الكافي ٢/٥٠٢.
(٢) الملا صالح المازندراني، شرح أصول الكافي ١٠/٢٨٧.
(٣) السيد ابن طاوس، فلاح السائل ٣٦ والمحدث النوري، مستدرك الوسائل ١/١١٩ بتصرف.
(٤) من مناجاة الذاكرين.

«اللهم اشحنه بعبادتنا إياك» فكثرة العبادة إذاً مطلوبة، شرط أن لا يكون ذلك على حساب الكيفية «وزيّن أوقاته بطاعتنا لك» فكيفية العبادة أيضاً مطلوبة، ومن الواضح أنه لا تكون عبادة أحدنا زينة لهذا الوقت أو ذاك من شهر الله تعالى إلا إذ كانت عبادة نوعية.

*** اللهم صل على محمد وآله، وجنّبنا الإلحاد في توحيدك، والتقصير في تمجيدك، والشك في دينك**

والعمى عن سبيلك، والإغفال لحرمتك، والإنخداع لعدوك الشيطان الرجيم.

تتضمن الفقرة المفردات التالية:

١ ـ جنبنا الإلحاد في توحيدك: التجنيب المبالغة في البعد بحيث يصبح كل منهما في جانب، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

والإلحاد هو الميل عن الحق والإنحراف عن الإستقامة. والمراد الطلب من الله تعالى أن يثبتنا على توحيده ويجنبنا الشرك الظاهر والشرك الخفي.

٢ ـ والتقصير في تمجيدك: «التمجيد من العبد لله تعالى بالقول وذكر الصفات الحسنة»[١].

٣ ـ والشك في دينك: طلب الخروج من القلق والإضطراب والوصول إلى اليقين.

٤ ـ والعمى عن سبيلك: قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وهو يدل على أن الإقامة على ما يسخط الله تعالى عمىً عن سبيله الذي هو دينه الذي ارتضاه لعباده، وأمر رسوله ﷺ بإبلاغه

(١) السيد علي خان، رياض السالكين ٦/٧٣.

لهم. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٥ ـ والإغفال لحرمتك: قال في «رياض السالكين»: أغفلت الشيء: تركته إهمالاً من غير نسيان. والحرمة بالضم: ما يجب القيام به ويحرم التفريط فيه والإغفال له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾، ويدخل فيه ماحرمه الله تعالى من ترك الواجبات وفعل المحرمات[1].

٦ ـ والإنخداع لعدوك: كل معصية تتضمن انخداعاً لهذا العدو الرجيم، فهو يزيِّن القبيح فننخدع بزينته عن حقيقة الأمر، ولا ينافي الإنخداع الإقدام على مورد الخداع مع الظن وحتى الجزم بأنه لا ينبغي، بل إن ذلك أوضح مصاديق الإنخداع، حيث بلغت قوة التزيين حداً حملت على الوقوع في وهدته رغم ترجيح بطلانه، والسبب هو غلبة الهوى والإنسياق للبهارج الخادعة.

«وأعنا في نهاره على صيامه» والمراد طبعاً هو الصوم الحقيقي وليس مجرد الإمتناع عن المفطرات.

«وفي ليله على الصلاة والتضرع إليك والخشوع لك والذلّة بين يديك» هكذا ينبغي أن يكون ليل الصائم تضرعاً، وخشوعاً، وذلة بين يدي الله عزَّ وجلّ وهو أمر لا يمكن أن يتحقق إذا لم يحرص الصائم على النوم المبكّر، ليكون له في الليل متّسع من الوقت لعبادة الرحمن عزَّ وجلّ وهو أمر لا يتيسر أيضاً إلا إذا أوقد الصائم في قلبه نار الندم على ما فرّط في جنب الله تعالى، عندها يعيش الحاجة بوضوح إلى التضرع والخضوع والذلّة.

حتى لا يشهد نهاره علينا بغفلة ولا ليله بتفريط.

---

(١) المصدر.

يشهد النهار في يوم القيامة ويشهد الليل كما اتضح ذلك في محله من الروايات وكلمات العلماء الأعلام، وقد تقدم الحديث عن الشهود في يوم القيامة عموماً، وعن شهادة الليل والنهار بشكل خاص.

ويلي إذا شهد عليّ نهار شهر الله تعالى وليله بالغفلة عن هذه الفرصة الإلهية للقرب منه عزَّ وجلّ والتفريط فيها، وأني بدل أن أستثمرها في ما يقرب من المليك المقتدر قد استثمرتها في ما لا يعود علي إلا بالخسران أو بالإمعان في البعد ليطول ندمي يوم القيامة.

وأنت ترى بكل جلاء أن المحور في كل فقرات هذا الدعاء المبارك، أن لا نتعامل مع شهر رمضان كغيره من الشهور، بل نتفرغ فيه للعبادة ونشحنه بها، ولا شك أن إدراك هذه الحقيقة يحمل على التخطيط المسبق لما يمكِّن من ذلك، وسنكتشف لدى المحاولة الجادة أن باستطاعتنا التحلل من الكثير من انشغالاتنا أو تأجيلها، كما سنكتشف أن المشكلة ليست في عدم توفر الوقت بل في إعطاء الأولوية لما لا يستحق ذلك.

والتدرج في العبادات أمر شديد الأهمية كما تقدم، فلنحرص أن لا نحمل النفس قسراً على ما يمكن أن تنفر منه بجموح شديد بعد فترة قصيرة، بل نمشي بخطى مدروسة وثابتة مدركين أن التراجع مذموم ومضر جداً، وأن الهدف هو تحقيق هذه الوصايا النبوية سواء في الخطبة أو الدعاء المباركين.

اللهم واجعلنا في سائر الشهور والأيام وما نستأنف من السنين والأعوام كذلك أبداً ما عمرتنا فاجعلنا من عبادك الصالحين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

وتتخذ العبادة في شهر الله تعالى بعداً آخر، ويكتسب التدرج فيها أهمية خاصة إذا لاحظنا أن ماقبلها في شهري رجب وشعبان تأسيس لها، والجميع ـ هي وما قبلها ـ تأسيس لدوام عبادة نوعية لله تعالى في سائر الشهور والأيام.

ويضعنا ذلك تلقائياً أمام نقطة منهجية غاية في الأهمية يتعاطى الكثيرون معها بتندر العابث الجاهل وهي موقع العبادة في حركة الحياة.

هل تحتل العبادة المتن، أم أن موقعها الهامش.

وتكفي نظرة في كتاب الله تعالى وسيرة النبي وأهل بيته والأبرار من صحابته ﷺ، وفي الحديث الشريف لتكشف بما لا يقبل الشك أن موقع العبادة هو متن حركة الحياة، وأن سائر الأمور عوامل مساعدة تمكِّن من القيام بها، إلا أن السائد حتى في أكثر أوساط المتدينين هو أن موقع العبادة الهامش، إلى حد أن الحديث عما سواه لا يجد أذناً صاغية.

وقد يحاول البعض توجيه ذلك بأن كل عمل ضمن الضوابط الشرعية هو عبادة.

وهذا المعنى في نفسه صحيح إلا أن جعله توجيهاً للتقليل من العبادة غير وجيه، فهو لا يصلح مستنداً لتهميش العبادة بالمعنى المتعارف لما تقدم من وضوح موقعها في النصوص والسيرة، نعم قد يضطر الإنسانَ ظرف طارىء لتأخير صلاته وعدم الإتيان بالتعقيب، أوعدم قراءة القرآن الكريم أو هذا الدعاء أو الزيارة، لكن ذلك لا ينبغي أبداً أن يكون خطاً عاماً ومسلكاً دائماً، بل العكس هو الخط وهو المسلك والمنهج.

وهذه الفقرة من دعاء سيد الساجدين صريحة في ذلك.

ويختم الإمام السجاد دعاءه في استقبال شهر رمضان بقوله عليه السلام:

اللهم صل على محمد وآل محمد في كل وقت وكل أوان وعلى كل حال وفي كل زمان عدد ما صليت على من صليت عليه وأضعاف ذلك كله بالأضعاف التي لا يحصيها غيرك إنك فعال لما تريد.

* دعاء اليوم السابع عشر

«اللهم اهدني فيه لصالح الأعمال واقضِ لي فيه الحوائج والآمال، يا من لا يحتاج إلى التفسير والسؤال يا عالماً بما في صدور العالمين.

ستة عشر يوماً في ضيافة الرحمن، كافية ليصبح الضيف بعدها جزءاً من البيت، فإذا بالطلبات تكبر، واللهجة تختلف.

تختفي رنة الحزن والغربة، لتبرز نغمة الطمأنينة والأمن، بل والإدلال أيضاً.

وهل بين بدر وهذه السكينة نسب وسبب؟ ربّما!

يجد المسلم نفسه في هذا الدعاء أمام طلب صالح الأعمال وقضاء جميع الحوائج والآمال كضيف يقول له صاحب البيت: ماذا تأمر اليوم؟ فيقول له: أحسن ما عندك!

إلهي مننت عليّ فجعلتني أهلاً لضيافتك وظلّلت عليّ غمام رأفتك وغمرتني بوابل سيبك فعرّفني كرمك، وها أنا ذا العاصي أطلب منك صالح الأعمال ولا أكتفي بأن تقضي حوائجي وإنما أريد قضاء الآمال، ولشدة أنسي بك وركوني إلى عطفك لا أُكلّف نفسي تحديد صالح الأعمال التي أريد ولا تعداد الآمال التي أتوقع قضاءها، بل أتكل في ذلك كله على علمك بي وإحسانك إليّ، يامن لا يحتاج إلى التفسير والسؤال يا عالماً بما في صدور العالمين.

* صلاة الليلة الثامنة عشر

١ ـ حصة هذه الليلة من صلاة الألف ركعة، وهي عبارة عن عشرين ركعة كالصلوات المتقدمة، ثماني ركعات بعد المغرب والباقي بعد صلاة العشاء، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ومن صلى ليلة ثمان عشرة من شهر رمضان أربع ركعات يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإنا أعطيناك الكوثر، خمساً وعشرين مرة لم يخرج من الدنيا حتى يبشره ملك الموت بأن الله عزّ وجلّ راضٍ عنه غير غضبان»[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله المعصومين. صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/٣٩والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




١٨
شهـر رمضـان

* نفس المصطفى
* القدر وليلته
* فزت ورب الكعبة
* ومن يقوى على إعانة علي؟
* دعاء اليوم الثامن عشر
* فضيلة الليلة التاسعة عشر
* الأعمال العامة لليلة القدر
* أعمال الليلة التاسعة عشر
* يوم ليلة القدر




* نفس المصطفى

هذه الليلة القادمة هي الليلة التاسعة عشر، أولى ليالي القدر، ولا ينفك الحديث عنها عن ذكرى جرح أمير المؤمنين عليه السلام، ولا يستطيع المسلم إلا أن يخشع دائماً وأبداً في محراب علي عليه صلوات الرحمن.

ليس علي عليه السلام أحد الخلفاء الأربعة! وليس أحد الصحابة الكبار، ولا أفضلهم وحسب، فلا يشكل ذلك من مراقي فرادة منزلته وعظمتها حتى أدنى السفح، وليس علي عليه السلام وصي المصطفى الحبيب وسيد الأوصياء فقط، فلا يشكل ذلك من سمو منزلته المحمدية إلا التاج الذي يشير إليها.

أما آن أن يكف ذوو القربى قبل غيرهم عن مضض إدمان الظلم المتمثل بإنزال أهل البيت في غير مراتبهم التي رتبهم الله تعالى فيها، وخصوصاً أمير المؤمنين عليه صلوات الرحمن.

أما آن الأوان لإدراك أهمية الدقة في استعمال المصطلحات في الحديث عن الحقيقة المحمدية بتجلياتها.

إن الحديث عن علي عليه صلوت الله تعالى وسلامه، هو بنص القرآن الكريم حديث عن نفس المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله. قال تعالى:

﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران: ٦٠ ـ ٦٣].

ويطلق المفسرون إطلاق المسلمات أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ محمد وعلي، صلى الله عليهما وآلهما[١].

ولكن الغريب هو طمس معالم صريح القرآن الكريم لدى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، ليتخذ منحى المقارنة بينه وبين غيره، في إصرار على أن الخلاف هل هم أفضل أم هو الأفضل، وكلاهما ظلم وتنكب للصراط القرآني القويم.

وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وآله بما يمكن التعامل معه كتفسير لهذا النص القرآني، كما نقل عنه علي عليه السلام وصرّح بما هو بدوره تفسير لذلك حين قال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وانا وليد يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسنى جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشئ ثم يلقمنيه، وما وجد لى كذبة في قول، ولا خطلة في فعل. ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتَّبِعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لى في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت يا رسول الله، ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان، قد أيِس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير»[٢].

---

(١) أنظر: الحسكاني، شواهد التنزيل ١/ ١٦٠ والسيوطي (جلال الدين) الدر المنثور ٢/ ٣٩ وابن كثير، تفسير ابن كثير ١/ ٣٧٩ وقد قال: رواه الحاكم في مستدركه، ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه هكذا.

(٢) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده) ٢/ ١٥٧. وانظر: إبن أبي الحديد: شرح النهج ١٣/ ١٩٧.

والحقيقة الواضحة التي يأخذ ما تقدم بقلوب المسلمين جميعاً إلى أعتابها للتفاعل معها والإعتقاد بها أن ماعدا النبوة من جميع ماثبت لرسول الله ﷺ فهو ثابت قطعاً لنفسه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما تؤكده كل النصوص الواردة عنه ﷺ وعن أهل بيته عليهم السلام حول النور الواحد، والحقيقة الواحدة، وأنه منهم وهم منه ﷺ[1].

* القدر وليلته

في توجهنا إلى الله تعالى، لا بد أن نبدأ بالحقيقة العلوية كمنطلق أساس لمعرفة حقيقة التوحيد، فلا سبيل لمعرفة الله تعالى كما بيّنها رسول الله ﷺ إلا من خلال باب مدينة العلم، وفي توجهنا إلى رسول الله ﷺ لا بد أن نبدأ بالحقيقة العلوية الطاهرة «ما عرفني إلا الله وأنت»، وفي توجهنا إلى الكعبة لا بد أن نلتقي بالحقيقة العلوية أيضاً حيث أن علياً ولد في الكعبة إيذاناً من الله تعالى بأن على كل مسلم يتوجه ظاهره إلى الكعبة أن يتوجه باطنه إلى علي ومن علي إلى رسول الله ﷺ ومنه إلى الله تعالى.

يتوجه باطن المسلم إلى علي ليصحح بذلك توجهه إلى رسول الله ﷺ وإلى الله عزّ وجلّ.

وفي توجهنا إلى ليلة القدر نجد أننا ـ منذ الليلة التاسعة عشر وإلى الليلة الثالثة والعشرين ـ أمام الإلحاح على القلب ليدرك محمدية علي وعلوية محمد صلى الله عليهما وآلهما، بل إن الأمة كلها مدعوة على لسان المصطفى الحبيب ﷺ بكل مكونات العقل والوحي والقلب والعاطفة لتعي آذان القلوب حقيقة أن شهر رمضان يجب أن يكون شهر الوصول إلى الله تعالى من خلال محمدية علي صلى الله عليهما وآلهما، فتشاطر الأمة طيلة الشهر المبارك نبيها

---

(1) للتوسع في ذلك، أنظر: في محراب فاطمة عليها السلام، للمؤلف، تحت عنوان: في منهج البحث في عظمتها عليها السلام.

الأعظم ﷺ حزنه وبكاءه لما علم أنه سيجري في هذا الشهر على أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد في آخر خطبة رسول الله ﷺ حول شهر رمضان المبارك، قول أمير المؤمنين عليه السلام:

فقُمتُ ـ أي بعد انتهاء الخطبة ـ **وقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزَّ وجلّ ثم بكى.. قلت يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: يا علي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود، فيضربك ضربة على عنقك تخضّب منها لحيتك. قال أمير المؤمنين** عليه السلام **فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني فقال** عليه السلام**: في سلامة من دينك.. ثم قال المصطفى: يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبّك فقد سبّني وإنك مني كنفسي روحك من روحي وطينتك من طينتي، إن الله عزَّ وجلّ خلقني وإياك واصطفاني وإياك واختارني للنبوة واختارك للإمامة فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي، فأنت وصيي وأبو وُلدي وزوج ابنتي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد مماتي، أمرك أمري ونهيك نهيي أقسم بالذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية أنك حجة الله على خلقه وأمينه على سره وخليفته في عباده»**[١].

هذا المصاب الجلل والفاجعة العظمى الذي أبكى خير خلق الله تعالى قبل وقوعه، وقد أراد الله تعالى أن نعامل معه بمستوى ما لو أن المستهدف به كان شخص المصطفى ﷺ، فكيف ينبغي أن يكون تعاطي الأمة معه؟

وكم هو الفارق الهائل بين ما هو قائم فعلاً في هذا المجال وبين ما ينبغي؟!

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤].

---

(١) **أنظر** الخطبة المباركة بتمامها مع ذكر مصادرها، في الجزء الثاني، أعمال شهر شعبان ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

* فزت ورب الكعبة

أيها الموالي، إصغ جيداً ألا تسمع بأذُن القلب نداءً يدوي في آفاق الزمان منبعثاً من محراب مسجد الكوفة: **«فُزتُ ورب الكعبة»**؟

هل تهتدي قلوبنا أيها الحبيب إلى القاسم المشترك بين هذا النداء وبين ما تقدم من قول أبي الحسن عليه السلام **«وذلك في سلامة من ديني»**؟

إنه رضا الله تعالى، وحده لا شريك له، فهو لاسواه قرّة عين أبي الحسن عليه صلوات الرحمن عبودية لله تعالى، هي ميزة نفْسٍ من نتحدث عن عبوديته لله تعالى كأعلى وسام محمدي فنقول: **وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**.

يحدثه المصطفى الحبيب صلى الله عليه وآله عن شهادته فلا يرمش له جفن، ولا يسأل متى وكيف وأين ولِمَ، ولا يشده الحنين إلى الشهادة ليبادر إلى التعبير عن الفرحة، بل يقول مباشرة **«وذلك في سلامة من ديني»**.

وفي نص آخر يقول المصطفى الحبيب: كيف صبرك آنذاك؟ **فيقول: يا رسول الله (ذلك) من مواطن البشرى والشكر**[1].

ويُضرَب عليه السلام تلك الضربة التي حدّثه بها المصطفى صلى الله عليه وآله فيكون التعبير العفوي المباشر **«فُزتُ ورب الكعبة»**! إنها الشهادة التي طال شوقه إليها والحنين: **والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه**.

سلامة الدين أيها الموالي والبحث عن الشهادة همّان يجب أن نحملهما باستمرار وفي ليالي القدر بشكل خاص.

نعم، سلامة الدين والبحث عن الشهادة ولا سبيل إليهما إلا من محراب علي، وبالتوسل إلى الله تعالى بعلي ففي ذلك وحده رضا الله ورضا رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله.

---

(١) أنظر: الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده) ٢/ ٥٠.

* ومن يقوى على إعانة علي؟

يربطنا بالمرتضى الحبيب ما أجمع عليه المسلمون من أن حبه علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق.

لذلك عقدنا القلب على حبه، وتقربنا إلى الله تعالى بتجذير هذا الحب فلا يقف عند حد ولا يقوى على اعتراضه سدّ.

ونرى دائماً أننا مقصرون «إن المحب لمن أحب مطيع».

ومن يقوى على عبادة علي؟ ومن يقوى على جهاد علي؟ ومن يقوى على عدل علي؟ ومن يقوى على زهد علي؟!!!

صحيح أنه قال: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد» ولكن من يقوى على إعانة علي؟

لو أن أحداً منا كان قد طلب إليه أن يعينه على حمل باب خيبر، فهل كان يقوى على إعانته؟ أو طُلب منه إعانته في بدر أو أُحد، أو حُنين والأحزاب؟!

أنى للغارق في بحار الذنوب أن يعين نفس المصطفى الحبيب على الطاعات؟

غير أن كل ما تقدم لا يلغي أن طلب الإعانة قائم، فهي إذن ممكنة، ولكن كيف؟

والجواب إن المرتضى بالمؤمنين رؤوف رحيم حريص عليهم عزيز عليه ما يتعبهم.

أليس هذه من صفات رسول الله ﷺ؟

ألم يتقدم أن كل ماثبت للمصطفى الحبيب ثبت للمرتضى الحبيب ماعدا النبوة؟

ومن كانت هذه بعض صفاته لن يكلف من يقرر إعانته إلا اليسير فيقابله له بالكثير الكثير

سيدي يا أبا الحسن، سائل وقف ببابك، مسكين بما جنته يداي، أسير في أيدي الهوى والنفس الأمارة والقلب القاسي وعدوك حب الدنيا وعدوّك الشيطان.

بعزمة من عزماتك فاستنقذني، وبدفء حنانك بلسم جراحات قلبي، أقسم سيدي أني أحب أن أكون زيناً لكم، إلا أني عاجز ضعيف فخُذ بيدي.

دعوةً منك إلى الله تعالى.

ويا لسوء حظي والمنقلب إن أعرضتَ بوجهك الكريم عني يا سرّ ليلة القدر ويا قلب الكعبة ويا باطن كتاب الله تعالى.

يا نفس المصطفى الحبيب خير البرية.

أوليس الشقي من حُرم غفران الله تعالى في هذا الشهر العظيم؟ فأين أُوَلّي وأين يُذهب بي؟

أقسم عليك بالحسنين وزينب وأبي الفضل العباس وأنت تطيل النظر إليهم في هذه الأيام والليالي، وتفكر في ما يجري عليهم من بعدك وكأني بك تقول: **اللهم أنت الصاحب في السفر والمُستَخلف في الأهل ولا يجمعهما غيرك.**

سيدي ويجدر بي أن أخجل من ادّعائي حب الحسنين وزينب وأبي الفضل.

أقسم عليك بتاج شهداء المقاومة الإسلامية عزيزك أبي ياسر بجسده المحترق في سبيل الله تعالى إلا ما دعوتَ الله لنا.

أيها الأعزاء، لنطرق باب رحمة الله تعالى في ليلة القدر بالتوسل

بالمرتضى عليه صلوات الرحمن، ولنثق بأن ربنا نعم الرب فلنحسن الظن به عز إسمه فإنه ولي الإحسان، سبيله الإبقاء على المعتدين، نعم المولى ونعم النصير.

* دعاء اليوم الثامن عشر

«اللهم نبّهني فيه لبركات أسحاره، ونوّر قلبي فيه بضياء أنواره، وخُذْ بكل أعضائي إلى اتّباع آثاره. بنورك يا منوّر قلوب العارفين

إلـهـي أنـت نـور الـسـمـاوات والأرض ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أخرجني يا إلهي من ظلمات المعاصي والعمى، إلى نور الطاعة والهدى، نبّهني في هذا اليوم إلى بركات أسحاره. أيّ عمى أشد من أن لا يُبصر نور سحر ليلة القدر فيغطّ في حندس نوم عميق ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ فنوّر قلبي يا إلهي لينبض بحرارة الحياة الطيبة، فتسري في أوصالي بركات اليقين وأخرج من ولاية الطاغوت وظلامه إلى ولايتك يا رب. بنورك يا منوّر قلوب العارفين.

* فضيلة الليلة التاسعة عشر

قال السيد ابن طاوس: «واعلم أن ليلة تسع عشرة أولى الثلاث الليالي الأفراد، وهذه الليالي محل الزيادة في الإجتهاد، ولعمري أن الأخبار واردة وآكدة في ليلة إحدى وعشرين منه أكثر من ليلة تسع عشرة، وفي ليلة ثلاث وعشرين من أكثر من ليلة تسع عشر ومن ليلة إحدى وعشرين»[١].

«يا أيها المقبل بإقبال الله جل جلاله عليه، حيث استدعاه إلى الحضور بين يديه، وارتضاه أن يخدمه ويختص به، ويكون ممن يعز عليه، لو عرفت ما في مطاوي هذه العنايات من السعادات ما كنت تستكثر لله جل جلاله شيئاً

---

(١) الإقبال ١/ ٣١٢.

من العبادات، فتمم رحمك الله جل جلاله وظائف هذه الليلة من غير تثاقل ولا تكاسل ولا إعجاب، فأنت ذلك المخلوق من التراب، الذي شرفك مولاك رب الأرباب، وخلّصك من ذلك الأصل الذميم وأتحفك بهذا التكريم والتعظيم، واخدمه واعرف له قدر المنة عليك. ولا يخطر بقلبك إلا أن هذه العبادة من أعظم إحسانه إليك، وأنت تعبده، لأنه أهل والله للعبادة، فإنك مستعظم لنفسك، كيف بلغ إلى هذه السعادة»[١].

* الأعمال العامة لليلة القدر

تنقسم أعمال ليلة القدر إلى قسمين: الأعمال العامة، وهي التي يؤتى بها في كل ليلة من ليالي القدر. والأعمال الخاصة وهي التي يؤتى بها مرة واحدة إما في الليلة التاسعة عشر أو الواحدة والعشرين أو الثالثة والعشرين.

والأعمال العامة التي يؤتى بها في كل ليلة هي:

١ ـ الغسل.

أورد الكليني رضوان الله تعالى عليه «عن أبي عبد الله(الإمام الصادق) عليه السلام: **الغسل، من الجنابة ويوم الجمعة والعيدين وحين تحرم وحين تدخل مكة والمدينة ويوم عرفة ويوم تزور البيت وحين تدخل الكعبة وفي ليلة تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين من شهر رمضان ومن غسل ميتا**»[٢].

وعن الإمام الرضا عليه السلام في بيان بعض سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله في شهر رمضان: «**فلما كان ليلة تسع عشرة من شهر رمضان اغتسل حين غابت الشمس وصلى المغرب بغسل**»[٣].

---

(١) المصدر ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٢) الكليني، الكافي ٣/ ٤٠.
(٣) الإقبال ١/ ٥٠.

قال الشيخ المفيد: «وفيها غسل كالذي ذكرناه من الأغسال»[١].

وقال الشيخ الطوسي:

«وروى زرارة عن أحدهما عليه السلام قال: سألته عن الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال: ليلة تسع عشرة وليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وقال: في ليلة تسع عشرة يكتب وفد الحاج وفيها يفرق كل أمر حكيم»[٢] «وقد بينا ليالي الغسل وهي أربع ليال: ليلة سبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، وإن اغتسل ليالي الأفراد كلها(..) كان له فيه فضل كثير»[٣].

٢ ـ الإحياء.

والمراد به عدم النوم إلى الصباح.

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: من أحيا ليلة القدر حُوِّل عنه العذاب الى السنة القابلة. وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: قال موسى عليه السلام: إلهي أريد قربك، قال: قربي لمن يستيقظ ليلة القدر، قال: إلهي أريد رحمتك، قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر، قال: إلهي أريد الجواز على الصراط، قال: ذلك لمن تصدق بصدقة في ليلة القدر. «..» قال: إلهي أريد النجاة من النار، قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر، قال: إلهي أريد رضاك، قال: رضاي لمن صلى ركعتين في ليلة القدر[٤].

٣ ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تقدم الحث على زيارته عليه السلام في ليلة القدر، بل في كل وقت،

---

(١) الشيخ المفيد، مسار الشيعة ٢٥.
(٢) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٦.
(٣) المصدر.
(٤) الإقبال ١/٣٤٥.

والروايات مستفيضة في زيارته عليه صلوات الرحمن من كل مكان، كما تقدم مزيد إيضاح حول ذلك في الحديث عن الليلة الأولى.

٤ ـ دعاء القرآن الكريم.

أ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام: «**تأخذ المصحف في ثلاث ليال من شهر رمضان، فتنشره وتضعه بين يديك وتقول: اللهم إني أسألك بكتابك المنزل، وما فيه وفيه اسمك الأكبر، وأسماؤك الحسنى وما يخاف ويرجى، أن تجعلني من عتقائك من النار، وتدعو بما بدا لك من حاجة**»[١].

ب ـ وقد روي» عن مولانا الصادق صلوات الله عليه، قال: **خذ المصحف فدعه على رأسك وقل: اللهم بحق هذا القرآن، وبحق من أرسلته به، وبحق كل مؤمن مدحته فيه، وبحقك عليهم فلا أحد أعرف بحقك منك، بك يا ألله ـ عشر مرات. ثم تقول: بمحمد ـ عشر مرات، بعلي ـ عشر مرات، بفاطمة ـ عشر مرات، بالحسن ـ عشر مرات، بالحسين ـ عشر مرات، بعلي بن الحسين ـ عشر مرات، بمحمد بن علي ـ عشر مرات، بجعفر بن محمد ـ عشر مرات، بموسى بن جعفر ـ عشر مرات، بعلي بن موسى ـ عشر مرات، بمحمد بن علي ـ عشر مرات، بعلي بن محمد ـ عشر مرات، بالحسن بن علي ـ عشر مرات، بالحجة ـ عشر مرات. وتسأل حاجتك**»[٢].

٥ ـ دعاء «اللهم إني أمسيت لك عبداً داخراً».

ولا يجمع العلماء على كونه من الأعمال العامة، فقد أورده السيد في عداد أدعية الليلة التاسعة عشر[٣] غير أن المحدث الجليل الشيخ عباس القمي نقل عن الشيخ الكفعمي استحباب قراءته في ليالي القدر[٤].

---

(١) المصدر ٣٤٦.

(٢) الإقبال ١/٣٤٧.

(٣) المصدر ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٤) أنظر: المحدث القمي، مفاتيح الجنان، الأعمال العامة لليالي القدر.

وقد نقل العلامة المجلسي عن المصباح للكفعمي، وعن إكمال الدين ما يلي:

«**وادع في هذه الليلة** ـ يعني ليلة ثلاث وعشرين ـ **وفي ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين بما روي عن مولانا زين العابدين** عليه السلام **أنه كان يدعو به في ليالي الافراد قائما وقاعدا وراكعا وساجداً:**

اللهم إني أمسيت لك عبدا داخراً لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً، ولا أصرف (عنها) سوءاً، أشهد بذلك على نفسي، وأعترف لك بضعف قوتي وقلة حيلتي، فصل على محمد وآل محمد، وأنجز لي ما وعدتني، وجميع المؤمنين والمؤمنات من المغفرة في هذه الليلة، وأتمم على ما آتيتني، فإني عبدك المسكين المستكين، الضعيف الفقير، المهين، اللهم لا تجعلني ناسياً لذكرك فيما أوليتني، ولا لإحسانك فيما أعطيتني، ولا آيساً من إجابتك وإن أبطأت عني، في سراء كنت أو ضراء، أو في شدة أو رخاء، أو عافية أو بلاء، أو بؤس أو نعماء، إنك سميع الدعاء[١].

وبالرجوع إلى البلد الأمين للكفعمي رضوان الله تعالى عليه، نجد ما نقله عنه المجلسي من المصباح[٢] وهو صريح في كون هذا الدعاء من أدعية ليالي الإفراد التي تتطابق مع ليالي القدر وليس من الأعمال العامة لها.

وليلاحظ التطابق بين أكثر فقرات هذا الدعاء وبين إحدى فقرات الدعاء السابع والخمسين من الصحيفة السجادية الذي أوله: اللهم ياكافي الفرد الضعيف. والذي كان يدعو به عليه السلام إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا.

٦ ـ دعاء الجوشن الكبير

وهو مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكره السيد ابن طاوس في مهج

---

(١) المجلسي، البحار ٩٥/ ١٢٢.

(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٢٠٣ أدعية ليالي شهر رمضان.

الدعوات والكفعمي في مصباحه والبلد الأمين والمجلسي في البحار وتحدث عنه مطولاً، وثوابه عظيم يفوق كل تصور وقد ورد فيه الحث على قراءته في أول ليلة من شهر رمضان وفي ليلة أو ثلاث منه دون تعيين ليالي القدر، إلا أن المحدث القمي عند إيراده دعاء الجوشن في مفاتيح الجنان نقل عن زاد المعاد للعلامة المجلسي استحباب قراءته في ليالي القدر، وينبغي مزيد الإهتمام بذلك.

وقد سبقت الإشارة إلى استحباب قراءته في عمل أول ليلة، مع ذكر أكثر مصادر الدعاء.

٧ ـ الصلوات

وهي كما يلي:

أ ـ صلاة ركعتين في كل ركعة الحمد مرة والتوحيد سبعاً وبعد الفراغ يقول المصلي: أستغفر الله وأتوب إليه. سبعين مرة.

أورد السيد «عن النبي ﷺ انه قال: **من صلى ركعتين في ليلة القدر، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وقل هو الله أحد سبع مرات، فإذا فرغ يستغفر سبعين مرة، لا يقوم من مقامه حتى يغفر الله له ولأبويه، وبعث الله ملائكة يكتبون له الحسنات إلى سنة أخرى، وبعث الله ملائكة إلى الجنان يغرسون له الأشجار، ويبنون له القصور، ويجرون له الأنهار، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى ذلك كله**»[1].

ب ـ صلاة مائة ركعة ورد الحث عليها بالحمد مرة والتوحيد عشراً.

قال السيد ابن طاوس:

«وقد روي أن هذه المائة ركعة تصلى في كل ليلة من المفردات كل

---

(١) المصدر ١/٣٤٤ ـ ٣٤٥.

ركعة بالحمد مرة، وقل هو الله أحد عشر مرات، وإن قويت على ذلك فاعمل عليه، واغتنم أيها العبد الميت الفاني ما يبلغ اجتهادك عليه، فإن سم الفناء يسري إلى الأعضاء مذ خرجت إلى دار الفناء، وآخره هجوم المماة وانقطاع الأعمال الصالحات، وأن تصير من جملة القبور الدارسات المهجورات، فبادر إلى السعادات الدائمات، فصلِّ ما تقدم ذكره من العشرين ركعة وأدعيتها، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام بين كل ركعتين من العشرين ركعة وأدعيتها، وسبح تسبيح الزهراء عليها السلام بين كل ركعتين من جميع الركعات، ثم قم فصل الثمانين ركعة الباقيات»(١). ثم أورد الأدعية التي تقرأ بعد كل ركعتين من الثمانين التي هي تمام المائة أي مع العشرين التي هي حصة كل ليلة من أول الشهر إلى العشرين منه.

وينبغي التنبه إلى أن هذه الطريقة التي اعتمدها السيد في توزيع المائة ركعة بين العشرين والثمانين هي إحدى الطريقتين في توزيع الألف ركعة على ليالي الشهر وأيام خاصة فيه، وقد تقدم بيان ذلك بالتفصيل في أعمال اليوم الأول فراجع.

ج ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

ومن صلى ليلة تسع عشرة من شهر رمضان خمسين ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد مرة وإذا زلزلت خمسين مرة لقي الله عزّ وجلّ كمن حج مائة حجة واعتمر مائة عمرة وقبل الله منه سائر عمله(٢).

د ـ وأختم بذكر الصلاة العامة التي تصلى في كل ليلة:

قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل،

(١) المصدر ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[١].

* وحيث قد يتصور أن الأعمال العامة والخاصة لليالي القدر تغني عن الأعمال العامة لكل ليلة، فقد وجب التنبيه على المحافظة في كل ليلة من ليالي القدر على الأعمال العامة التي ورد أنه يؤتى بها في كل ليلة. قال السيد ابن طاوس: «ومن مهمات ليلة تسع عشرة ما قدمناه في أول ليلة منه، مما يتكرر كل ليلة، فلا تعرض عنه»[٢].

* أعمال الليلة التاسعة عشر

وأما الأعمال الخاصة بالليلة التاسعة عشر فهي:

١ ـ مائة مرة أستغفر الله وأتوب إليه

٢ ـ مائة مرة اللهم العن قتَلة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال السيد: «وروي أنه يستغفر ليلة تسع عشرة من شهر رمضان مائة مرة، ويلعن قاتل مولانا علي عليه السلام مائة مرة».

٣ ـ دعاء **«يا ذا الذي كان قبل كل شئ، ثم خلق كل شئ، ثم يبقى ويفنى كل شيء، ياذا الذي ليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى، ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره، لك الحمد حمداً لا يقدر على إحصائه إلا أنت، فصل على محمد وآل محمد، صلاة لا يقدر على إحصائها إلا أنت»**.

---

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.

(٢) المصدر ٣٤٢.

٤ ـ دعاء آخر: «**اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم وفيما تفرق من الأمر الحكيم في ليلة القدر، وفي القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفرعنهم سيئاتهم، واجعل فيما تقضي وتقدر أن تطيل عمري، وتوسع عليَّ في رزقي،** وتفعل بي كذا وكذا».

قال السيد ابن طاوس: وهذا الدعاء ذكرنا نحوه في دعاء كل ليلة، ولكن بينهما تفاوت.

٥ ـ دعاء آخر في هذه الليلة مروي عن النبي ﷺ: **سبحان من لا يموت، سبحان من لا يزول ملكه، سبحان من لا يخفى عليه خافية، سبحان من لا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين إلا بعلمه وبقدرته. فسبحانه سبحانه، سبحانه سبحانه، سبحانه سبحانه، ما أعظم شأنه، وأجل سلطانه، اللهم صل على محمد وآله واجعلنا من عتقائك وسعداء خلقك بمغفرتك، إنك أنت الغفور الرحيم**[١].

وأختم بما قاله الشيخ المفيد عليه الرحمة والرضوان:

«فإذا حضرت ليلة تسع عشرة فاغتسل فيها قبل مغيب الشمس، فإذا صليت المغرب ونوافلها الأربع والعشاء الآخرة فصل بعدها مائة ركعة، تكثر فيها من قراءة: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ والصلاة على رسول الله ﷺ، والصلاة على أمير المؤمنين وذريته الأئمة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، والإبتهال في اللعنة والدعاء على ظالمهم، من الخلق أجمعين، وتجتهد في الدعاء لنفسك، ولوالديك، ولإخوانك من المؤمنين..»[٢].

---

(١) أورد هذه الأدعية السيد في الإقبال ١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) الشيخ المفيد، المقنعة ١٦٦ ـ ١٦٧.

* يوم ليلة القدر

في الأمور الدنيوية نحرص عادة على اغتنام كل فرصة نحتمل حصول ربح بسببها، وكلما كان احتمال الربح أكثر، اشتد الإهتمام وبالتناسب معه، وهو من حيث المبدأ أصل عقلائي، إلا أننا لا نهتم بتطبيقه في المجال الديني فتفوتنا فرص فريدة هي من النفحات الرحمانية التي ينبغي أن نتعرض لها ولا نعرض عنها.

من هذه الفرص المهملة يوم ليلة القدر الذي ورد أنه كليلة القدر في الفضيلة مما يعني بوضوح أن الله تعالى طوّل ظرف ليلة القدر وخصائصه ليشمل اليوم التالي فيكون متسع فيض الرحمة مضاعفاً.

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

أقول: واعلم أن الرواية من عدة جهات عن الصادقين، عن الله جل جلاله عليهم أفضل الصلوات، أنّ يوم ليلة القدر مثل ليلته، فإياك أن تهوِّن بنهار تسع عشرة أو إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، وتتكل على ما عملته في ليلتها وتستكثره لمولاك، وأنت غافل عن عظيم نعمته، وحقوق ربوبيته. وكن في هذه الأيام الثلاثة المعظمات على أبلغ الغايات، في العبادات والدعوات، واغتنام الحياة قبل المماة. «..» والمهم من هذه الليالي في ظاهر الروايات عن الطاهرين ما قدمناه من التصريح، أن «أهمها» ليلة ثلاث وعشرين، فلا تهمل يومها. فمن الرواية في ذلك بإسنادنا عن هشام بن الحكم رضوان الله عليه عن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه أنه قال: يومها مثل ليلتها ـ يعني ليلة القدر ـ وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال: هي في كل سنة ليلة، وقال: يومها مثل ليلتها. وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سأله بعض أصحابنا: «.. كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خيرٌ من العمل في ألف شهر، ليس فيه ليلة

القدر، وقال أبو عبد الله عليه السلام: يومها مثل ليلتها ـ يعني ليلة القدر، وهي تكون في كل سنة»[١].

إن ما نطمع للحصول عليه من مغفرة الله عزّ وجلّ يستوجب أن نمضي بعض الليالي بالإحياء والتهجد والعبادة، ونواصل العمل بنفس الوتيرة في أيام تلك الليالي، فإنا قد نبذل جهداً مماثلاً أو مضاعفاً من أجل هدف هو أقل بكثير من هذا الهدف المصيري.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يوفّقنا لإحياء هذه الليالي المباركة، والتنبه لأهمية أيامها، وأن يتقبّل أعمالنا جميعاً ويمنّ علينا بعتق رقابنا من النار وما ذلك على الله بعزيز.



(١) الإقبال ٣٥٠.




١٩

شهر رمضان

* العشر الأواخر
* أعمالها الخاصة
* الإعتكاف
* دعاء اليوم التاسع عشر
* صلاة الليلة العشرين




* العشر الأواخر

أيها العزيز: لليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان شخصية مميزة ينبغي تقديم احترام خاص لها يتجلى بالإهتمام بها بما يتناسب مع كونها غاية الغاية ونقطة النهاية من القمة التي بدأ السير نحوها من أول ليلة من شهر رجب، ويتناسب أيضاً مع كونها قاعدة الإنطلاق النموذجية نحو مدارج الكمال الإنساني، والتحليق في آفاق القرب التي لا تقع الجنة إلا محطة في طريقها: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

عن «مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**لما كان أول ليلة من شهر رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وآله، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد كفاكم الله عدوكم من الجن والإنس، ووعدكم الإجابة وقال: ادعوني أستجب لكم. ألا وقد وكَّل الله سبحانه وتعالى بكل شيطان مريد سبعة من الملائكة، فليس بمحلول حتى ينقضي شهر رمضان، ألا وأبواب السماء مفتحة من أول ليلة منه الى آخر ليلة منه، ألا والدعاء فيه مقبول. حتى إذا كان أول ليلة من العشر قام فحمد الله وأثنى عليه وقال مثل ذلك ثم قام، وشمر وشد المئزر وبرز من بيته واعتكف وأحيا الليل كله، وكان يغتسل كل ليلة منه بين العشائين**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله، إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء وأحيى الليل وتفرغ للعبادة**»[2]

(١) الإقبال ١/ ٧١ ـ ٧٢.

(٢) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء ٦/ ٢٣٦.

ولعل شدَّ المئزر كناية عن التشمير وبذل غاية الجهد[١].

وكان إذا دخلت العشر الأخيرة من شهر رمضان يطوي فراشه[٢] ولقد كان ﷺ دائماً وفي كل الليالي المصداق الأوضح لقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، إلا أنه كان ﷺ، في الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان يترك النوم نهائياً لأنها آخر ضيافة الرحمن، فينبغي أن نتعاطى معها على هذا الأساس اقتداءً بمن جعله الله تعالى الأسوة الحسنة للخلق.

* أعمالها الخاصة

وقد تناقلت الأجيال اهتمامه ﷺ بأعمال خاصة في هذه العشر الخاتمة للشهر تكشف بمجموعها عن شخصيتها المميزة، كما أكد الأئمة من عترته الذين هم استمرار له صلى الله عليه وعليهم على أعمال خاصة بها أيضاً، والمجموع كما يلي:

١ ـ مجاورة سيد الشهداء عليه السلام

قال السيد ابن طاوس: «ذكر ما نختار روايته من فضل المهاجرة إلى الحسين صلوات الله عليه في العشر الأواخر من شهر رمضان: روينا ذلك باسنادنا «. .» قال: **سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول: عمرة في شهر رمضان تعدل حجة، واعتكاف ليلة في شهر رمضان يعدل حجة، واعتكاف ليلة في مسجد رسول الله ﷺ وعند قبره يعدل حجة وعمرة، ومن زار الحسين عليه السلام يعتكف عنده العشر «.» الغوابر من شهر رمضان فكأنما اعتكف عند قبر النبي ﷺ، ومن اعتكف عند قبر رسول الله ﷺ كان ذلك أفضل له من حجة وعمرة بعد حجة الإسلام. قال الرضا عليه السلام: وليحرص من زار الحسين عليه السلام في شهر رمضان ألا يفوته ليلة الجنهي عنده، وهي ليلة ثلاث**

---

(١) فُسر بغير ذلك في ذيل الرواية المتقدمة عن الأمير عليه السلام فلاحظ.

(٢) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ٧/ ٤٧٠، والسيد الطباطبائي، سُنن النبي ﷺ ٣٢٢.

وعشرين، فإنها الليلة المرجوة، قال: وأدنى الاعتكاف ساعة بين العشائين، فمن اعتكفها فقد أدرك حظه ـ أو قال: نصيبه ـ من ليلة القدر»[(١)].

٢ ـ الغسل في كل ليلة.

تقدم في عمل الليلة الأولى، واليوم الأول تعداد الموارد التي يستحب فيها الغسل، وأنه مستحب في كل ليلة، ويضاف إلى ذلك أن استحباب الغسل في كل ليلة من العشر الأواخر قد ورد الحث عليه كعنوان مستقل.

عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغتسل في شهر رمضان في العشر الأواخر في كل ليلة**[(٢)].

* الإعتكاف

قال السيد:

«الاعتكاف في هذه العشر الأواخر من شهر رمضان عظيم الفضل والرجحان، مقدم على غيره من الأزمان. وقد روينا بعدة طرق عن الشيخ محمد بن يعقوب الكليني وأبي جعفر محمد بن بابويه وجدي أبي جعفر الطوسي قدس الله أرواحهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعتكف هذا العشر الأخير من شهر رمضان»[(٣)].

وقال الشيخ الطوسي:

«الإعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان مستحب مندوب إليه فيه فضل كثير «. .» ويحتاج إلى شروط ثلاثة: أحدها: أن يعتكف في أحد المساجد الأربعة: المسجد الحرام أو مسجد النبي صلى الله عليه وآله أو مسجد الكوفة أو

---

(١) الإقبال ١/٣٥٨.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

مسجد البصرة. والثاني: أن يصوم في زمان الإعتكاف. وثالثها: أن يكون ثلاثة أيام فصاعداً. ويجب عليه أن يجتنب كلما يجتنبه المحْرِم من النساء والطيب والمماراة والجدال. ويجب عليه أيضا ترك البيع والشراء والخروج عن المسجد إلا لضرورة والمشي تحت الظلال مع الإختيار والقعود في غيره مع الإختيار والصلاة في غير المسجد الذي اعتكف فيه إلا بمكة فإنه يصلي كيف شاء وأين شاء ومتى جامع نهاراً لزمته كفارتان، وإن جامع ليلاً لزمته كفارة واحدة مثل ما يلزم من أفطر يوماً من شهر رمضان، وإذا مرض المعتكف أو حاضت المرأة خرجا من المسجد ثم يعيدان الاعتكاف والصوم»[١].

وقال العلامة الحلي:

«وقد أجمع المسلمون على استحبابه، لأن النبي ﷺ، كان يعتكف في كل سنة ويداوم عليه. وأفضل أوقاته العشر الأواخر من شهر رمضان. قال رسول الله ﷺ: اعتكاف عشر في شهر رمضان يعدل حجتين وعمرتين. وداوم على اعتكافها حتى قبضه الله تعالى. فمن رغب إلى المحافظة على هذه السنة فينبغي أن يدخل المسجد قبل غروب الشمس يوم العشرين حتى لا يفوته شئ من ليلة الحادي والعشرين»[٢].

*** تعريفه:**

أ ـ هو اللبث في مكان مخصوص للعبادة[٣].

ب ـ «الإعتكاف في اللغة هو اللبث المتطاول، وفي الشرع قُيِّد بالعبادة»[٤]. أي أنه في الشرع اللبث الطويل في مكان والإقامة فيه بنية العبادة. و: «لا يجوز الإعتكاف عند علمائنا أقل من ثلاثة أيام بليلتين

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٥ ـ ٦٣٦.
(٢) العلامة الحلي، تذكرة الفقهاء ٦/ ٢٤٠.
(٣) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٣٥.
(٤) المصدر ٢٤٣.

متواليات، خلافا للعامة كافة، فإن الشافعي لم يقدره بحد، بل جوَّز اعتكاف ساعة واحدة فأقل، وهو(منقول أيضاً) عن أحمد وأبي حنيفة»(١).

وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون الإعتكاف أقل من ثلاثة أيام ومن اعتكف صام»(٢).

وقد تقدم استحباب كونه عشرة أيام اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله.

*** مكانه:**

يشترط أن يكون الإعتكاف في مسجد، والأفضل أن يكون المسجد الجامع، والأفضل منه في مسجد صلى فيه الجمعة نبي أو وصي.

قال العلامة الحلي: «وقد أجمع علماء الأمصار على اشتراط المسجد في الجملة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾(٣).

«وقال ابن أبي عقيل: «.. يصح الإعتكاف في كل مسجد. قال: وأفضل الإعتكاف في المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وسائر الأمصار مساجد الجماعات»(٤).

*** زمانه**

عن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال: **اعتكف رسول الله صلى الله عليه وآله في أول ما فرض شهر رمضان في العشر الأول، وفي السنة الثانية في العشر الأوسط، وفي السنة الثالثة في العشر الأواخر، فلم يزل يفعل ذلك حتى مضى**(٥).

---

(١) المصدر ٢٤٢. بتصرف.

(٢) المصدر ٢٤٣.

(٣) المصدر ٢٤٦.

(٤) المصدر ٢٤٤.

(٥) الإقبال ١/ ٢٣٠.

وقال الشيخ الطوسي:

«وأفضل الأوقات للاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان»[١].

وقد تقدم ذلك عن العلامة الحلي أيضاً.

*** حقيقته:**

يمثل الإعتكاف رفع وتيرة الصوم إلى أقصى الحدود الممكنة لكل صائم، وإتاحة الفرصة له لبلوغ أعلى الدرجات من خلال تهيئة أفضل مناخ أشد خصوصية ضمن المناخ الخاص أصلاً، الأمر الذي يجعل الإعتكاف نوع وقف للنفس على طاعة الحق سبحانه، ومجانبة الباطل، ودخولاً في دورة تدريبية طوعية ينحصر الإنتساب إليها بالمشاركين في ضيافة الرحمن بالصوم، تهدف إلى نشر ثقافة «وقف النفس على الحق».

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة:

«واعلم أن كمال الإعتكاف هو إيقاف العقول والقلوب والجوارح على مجرد العمل الصالح، وحبسها على باب الله جل جلاله، ومقدس إرادته، وتقييدها بقيود مراقباته، وصيانتها عما يصون الصائم كمال صونه عنه، ويزيد على احتياط الصائم في صومه زيادة معنى المراد من الإعتكاف، والإلتزام بإقباله على الله وترك الإعراض عنه. فمتى أطلق المعتكف خاطراً لغير الله في طرق أنوار عقله وقلبه، أو استعمل جارحة في غير الطاعة لربه، فإنه يكون قد أفسد من حقيقة كمال الإعتكاف، بقدر ما غفل أو هَوَّن به من كمال الأوصاف»[٢].

وهكذا نكون مع خصائص الإعتكاف أمام مفصل تربوي بالغ الأهمية

---

(١) المصباح ٦٣٥.

(٢) الإقبال ١/٣٥٨. بتصرف يسير.

لمن أراد تزكية نفسه والمضي في مدارج الكمال الإنساني، يجب أن يحتل موقعه الطبيعي في حركة العمل الثقافي والتربوي لتصبح المساجد الجامعة في شهر الله تعالى مراكز إعداد نوعي قد لا يكون متاحاً إلا من خلال الإعتكاف.

إنها أمنية برسم المعنيين.

٣ ـ الأدعية الخاصة

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة: «ونذكر الآن الدعاء المختص بالعشر الأواخر»[١]. ثم أورد الأدعية التي ترد في المصادر المختلفة، والهدف هنا التنبيه على أن مما يدل على وجود عنوان مستقل ومميز هو العشر الأواخر أن لهذه الليالي أدعية خاصة بها.

وهذه الأدعية الخاصة بالعشر الأواخر على قسمين: ما يدعى به في كل ليلة منها. وما يدعى به في ليلة واحدة منها.

وأكتفي هنا بذكر دعاءين يدعى بهما في كل ليلة من العشر الأخيرة، وهما مرويان عن الإمام الصادق عليه السلام.

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**تقول في العشر الأواخر من شهر رمضان كل ليلة: أعوذ بجلال وجهك الكريم، أن ينقضي عني شهر رمضان، أو يطلع الفجر من ليلتي هذه، وبقي لك عندي تبعة أو ذنب تعذبني عليه يوم ألقاك**»[٢].

وقد روي بدون «كلمتَي» يوم ألقاك، كما روي مع إضافة[٣].

٢ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه كان يقول بعد الفرائض والنوافل:

---

(١) المصباح ٦٢٨.

(٢) الإقبال ١/ ٣٦٥.

(٣) أورده مع إضافات، الشيخ الطوسي، المصباح ٦٢٨.

اللهم أَدِّ عنا حق ما مضى من شهر رمضان، واغفر لنا تقصيرنا فيه، وتسلمه منا مقبولاً، ولا تؤاخذنا بإسرافنا على أنفسنا، واجعلنا من المرحومين ولا تجعلنا من المحرومين. فمن قال ذلك غفر الله ما اجترح في ما مضى من شهر رمضان، وعصمه في ما بقي[١].

٤ ـ زيادة النوافل

كما ينبغي أن يلحظ في السياق المتقدم ارتفاع وتيرة النوافل في العشر الأواخر، ليبلغ عدد نوافلها نصف نوافل شهر رمضان، بالإضافة إلى احتضانها أفضل ليلتين من الليالي التي يرجى التوفيق فيها لليلة القدر.

* دعاء اليوم التاسع عشر

«اللهم وفِّر فيه حظي من بركاته، وسهّل سبيلي إلى خيراته، ولا تحرمني قبول حسناته. يا هادياً إلى الحق المبين».

لا يدرك المقيم في الظلمات مدى حرمانه والعمى، فإذا لاح له وميض نور وبرق له لامع من ضياء، طال منه الأنين وتواصل بث الشكوى والنحيب.

تلك هي حال الداعي بعد ما مضى من الشهر أكثره.

عميت عين لا تراك عليها رقيباً، متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل ومتى خفي الحق المبين الصراح حتى لا يُرى، ومتى اتضح العمى والغيّ والضلال؟

إلهي لفرط ضلالي لا أرى الحق. إنه الضلال البعيد. حالت بيني وبينك الحجب ولا سبيل إلى العودة إلا بتوفيرك حظي من البركات وتسهيلك سبيلي إلى الخيرات وتوفيقي إلى الطاعات والحسنات. بك عرفتك وبك يمكنني أن أعود إليك وأصِل. يا هادياً إلى الحق المبين.

---

(١) الكفعمي، المصباح ٥٨٢. وقد أورده المحدث القمي في مفاتيح الجنان.

* صلاة الليلة العشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي آخر ليلة تصلى فيها عشرون ركعة بالترتيب المتقدم.

وبدءً من الليلة القادمة تصبح صلوات الليالي عبارة عن ثلاثين ركعة.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

«ومن صلى ليلة عشرين ثماني ركعات (بمهما تيسر) غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله المعصومين، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٣٩ والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦. وما بين القوسين منه.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٢٠

شهـر رمضـان

* في محراب علي عليه السلام
* الغريب المظلوم
* حب علي أو حب الدنيا
* يا سِرٍّ ليلة القدر
* كيوم فقد المصطفى صلى الله عليه وآله
* فتح مكة
* دعاء اليوم العشرين
* الليلة الواحدة والعشرون
* فضيلتها
* الأعمال الخاصة




* في محراب علي(ع)

بين التاسع عشر والحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك يومان كانت قلوب المؤمنين تنزف فيهما دماً قبل أن تتفطر أسىً ولوعة، ويتفجر فوّار لهيبها فجيعةً بشهادة سيد الوصيين علي عليه السلام.

إلى سيدنا ومولانا بقية الله في الأرَضين أقدّم العزاء بذكرى شهادة جده المرتضى عليه السلام.

من محراب أبي الحسن عليه السلام ينبغي الدخول إلى ليلة القدر ومن محرابه نتذكر فتح مكة وكل جولات الإسلام الحاسمة ما بين بدر وحنين، بل وما بين بدر والنهروان.

وهل يدرك أحد ليلة القدر إذل لم يدمِ قلبَه مصاب شهيدها؟

وهل يمكن لأحد أن يكون ممن ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ إذا لم يعِش الفجيعة بالمرتضى؟

بل هل يمكن لأحد أن يدعي الإسلام إذا لم يخفق قلبه بحب علي؟

مصاب طالما أبكى المصطفى صلى الله عليه وآله، كيف أكون مقتدياً برسول الله إذا لم يُبكِني؟

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله التزم علياً (أي عانقه) وقبّل مابين عينيه وقال: بأبي الشهيد. بأبي الوحيد الشهيد[1].

---

(١) أنظر: الشيخ المفيد، الأمالي ٧٤.

* الغريب المظلوم

وهذه الليلة أيها الموالون ذكرى غربة علي وذكرى شهادته. كان علي عليه السلام حاكماً يقود الجيوش وتحفّ به الألوية إلا أنه كان في الواقع غريباً غربة الحق بين أهل الباطل.

يقول ابن أبي الحديد:

«وأعجب وأطرف ما جاء به الدهر ـ وإن كانت عجائبه وبدائعه جمة ـ أن يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداً له ونظيراً مماثلاً، يتعارضان الكتاب والجواب، ويتساويان فيما يواجه به أحدهما صاحبه، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة إلا قال مثلها، وأخشن مَسّاً منها، فليت محمداً صلى الله عليه وآله كان شاهد ذلك: ليرى عياناً لا خبراً أن الدعوة التي قام بها، وقاسى أعظم المشاق في تحملها، وكابد الأهوال في الذب عنه، وضرب بالسيوف عليها لتأييد دولتها، وشيد أركانها، وملأ الآفاق بها، خلصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذبوه، لمّا دعا إليها، وأخرجوه عن أوطانه لما حض عليها، وأدموا وجهه، وقتلوا عمه وأهله، فكأنه كان يسعى لهم ويدأب لراحتهم، كما قال أبو سفيان في أيام عثمان، وقد مر بقبر حمزه، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة! إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعبون به! ثم آل الامر إلى أن يفاخر معاوية علياً، كما يتفاخر الأكفاء والنظراء»[(١)].

*** وقد قال عليه السلام لابن عباس: «قُرِنتُ بابن آكلة الأكباد وعمرو وعقبة والوليد ومروان وأتباعهم، فمتى اختلج في صدري وأُلقيَ في روعي أن الأمر ينقاد إلى دنياً يكون هؤلاء فيها رؤوساً يطاعون»[(٢)].**

*** كما أوضح عليه السلام ما كان عليه الناس من حوله حين قال لأحد**

---

(١) إبن أبي الحديد، شرح النهج١٦/ ١٣٦.

(٢) المحدث القمي (الشيخ عباس) بيت الأحزان٩٢.

أصحابه: «والله لو أدخلت عليّ عامة شيعتي الذين بهم أقاتل، ألذين أقَرّوا بطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين واستحلُّوا جهاد من خالفني فحدّثتُهم ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله لتفرّقوا عني حتى أبقى في عصابة من الحق»[1].

* **وروي عن المسيّب بن نجبه أنه قال: بينا علي عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي وقال: وامظلمتاه** (كان الإعرابي قد ظُلم من بعض الناس وأراد أن يشكو ظلامته إلى أمير المؤمنين عليه السلام) **فاستدناه علي عليه السلام فلما دنا قال: إنما لك مظلمة واحدة وأنا قد ظُلمتُ عدد المدر والوبر»**[2].

أيها الموالي: ولكي تعيش بعض جوانب ظلامة الأمير عليه السلام، استعرض مواقفه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله من بدء البعثة إلى نزول الآية المباركة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ مروراً بالهجرة وبدر وإلى فتح مكة، واستعرض ما جرى له بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

قاتل عليه السلام آل أبي سفيان في حروبهم لاستئصال الإسلام، وقاتلهم وهم يدّعون أنهم أحق بخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله منه ولعنوه على منابر رسول الله مائة عام.

كان سلام الله عليه يحذو حذو رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قاتل على التأويل كما قاتل على التنزيل، **لا تأخذه في الله لومة لائم، قد وتر فيه صناديد العرب وقتل أبطالهم وناوش ذؤبانهم فأودَع قلوبهم أحقاداً بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهم، فأضبّت على عداوته وأكبّت على منابذته حتى قتل الناكثين والقاسطين والمارقين**. كما ورد في دعاء الندبة.

---

(١) المجلسي، البحار ٥٣/ ٧٠.

(٢) أنظر: إبن شهراشوب، المناقب ١/ ٣٨٢. ومحمد طاهر القمي الشيرازي، كتاب الأربعين ١٧٦. والمجلسي، البحار ٢٨/ ٣٧٤.

واستعرض أيها الموالي ما جرى على أهل البيت بعد أمير المؤمنين عليه السلام خصوصاً ما جرى في كربلاء من منع الماء عن أبي عبد الله حتى عن طفله الرضيع وسبي زينب بنت أمير المؤمنين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

إستعرض ذلك لتعيش جوانب من تلك الظلامة وتشارك رسول الله صلى الله عليه وآله الحزن على مصاب أمير المؤمنين.

أوَلم يبكِ المصطفى الحبيب في آخر جمعة من شعبان عندما أورد خطبته المباركة حول شهر رمضان وفي آخر الخطبة سأله أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال** صلى الله عليه وآله: **أفضل الأعمال الورع عن محارم الله ثم بكى.. سأله أمير المؤمنين ما يبكيك؟ قال: يا علي أبكي لما يُستحلّ منك في هذا الشهر كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فيضربك ضربةً على قرنك تخضّب منها لحيتك**».

* حب علي أو حب الدنيا

وفي ذكرى شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، ينبغي إذاً أن نشارك رسول الله صلى الله عليه وآله، تفجعه، ولن تكون المشاركة حقيقية إلا إذا حاولنا أن نعرف سبب ظلامة أمير المؤمنين عليه السلام.

إنه ـ أيها الأعزاء ـ حب الدنيا!

حب الدنيا هو الذي جعل معاوية وأضرابه يُقدمون على ما أقدموا عليه.

حب الدنيا هو الذي جعل أكثر الناس يتخاذلون عن علي ثم الحسن عليه السلام وينصرون معاوية.

حب الدنيا هو الذي استنفر أهل الكوفة فوقفوا ضد الإمام الحسين عليه السلام.

روي عن علي عليه السلام: **«كما أن الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان»**(١).

وبما أن حب علي فرع حب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أيضاً فرع حب الله تعالى، فحب الدنيا وحب المصطفى لا يجتمعان وحب الدنيا وحب علي لا يجتمعان.

لقد ادعى التشيُّع لعلي عليه السلام كثيرون فسقطوا في الإمتحان وكشفتهم الدنيا وفضحهم حبها.

ليلةَ التاسع عشر من شهر رمضان قدّمت بنت أمير المؤمنين عليه السلام له طعام إفطاره: طَبقاً فيه قرصان من خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش (أي خشن) فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره فلما نظر إليه وتأمّله حرّك رأسه وبكى بكاءً شديداً عالياً وقال: «... أتريدين أن يطول وقوفي غداً بين يدي الله عزَّ وجلّ يوم القيامة، أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قُدِّم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنيَّه ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا وطال وقوفه بين يدي الله عزَّ وجلّ يوم القيامة. يابنيّه إن الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب»(٢).

كان الناس مع معاوية لأنهم كانوا مع حب الدنيا، فقد كانت مهمة معاوية الشيطانية أن يعمل على تجذير حب الدنيا في قلوب الناس فيبعدهم عن حب الله تعالى ورسوله المصطفى صلى الله عليه وآله ونفسه وسائر أوليائه.

تفرّق الناس عن علي عليه السلام لأنه كان يريد لهم أن يتجذر إيمانهم، فتتعزّز إنسانيتهم.

---

(١) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ١٢/ ٤٢.
(٢) المجلسي، البحار ٤٢/ ٢٧٦.

وطريق الإيمان الذي هو الإنسانية الحق لا المدعاة ﴿لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

كان علي عليه السلام - وما يزال - يريد للناس الجنة، والفردوس وأعلى علّيين، وكان معاوية يريد للناس النار وأسفل سافلين.

والصعود رقي يستتبع الجهد والمراقبة وشد الإنتباه والعزم، أما السقوط فهو التحلل من ذلك كله.

كيف يمكنني أن أحزن على علي عليه السلام إذا كنت أحب الدنيا؟

سيدي يا أمير المؤمنين لفرط اشتباكي بالدنيا أريد أن أجمع بين حبك وحب الدنيا وهو محال كالجمع بين الليل والنهار. آخذ من علي بعض ما أريد وآخذ من الدنيا كل ما أستطيع وأسمّي ذلك بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان: ورعاً تارة، أو زهداً أو جهاداً! وأظلُّ مذبذباً لا مع أهل الدنيا في إقبالهم عليها ولا مع علي في طلاق الدنيا «**غرّي غيري**»، والإنقطاع إلى الله تعالى.

* يا سِرَّ ليلة القدر

سيدي: في ليلة القدر يا سرَّها، سائل أنا وقف ببابك وهو باب المصطفى وباب الله تعالى لا أريد شيئاً لا مالاً ولا حطاماً أريد رضاك.

أعلم سيدي أني سائل مثقِلٌ ملحاح، أستحق الطرد، ولكني أعلم أنك لا تطرد سائلاً توجه بك إلى الله تعالى «**من الذنوب هارباً**» خصوصاً في ليلة القدر التي جعلها الله تعالى رحمة لعباده، ليرجع الآبقون ويهتدي الضالون.

ياإلهي وإله العالمين، اللهم لو وجدت أقرب إليك من محمد المصطفى وأهل بيته الأطهار صلواتك عليه وعليهم لتوسَّلت إليك بهم، اللهم إني أسألك بلوعة نبيك المصطفى لشهادة أمير المؤمنين عليه السلام إلا ما وفّقتنا لليلة القدر.

اللهم إني أسألك بحرمة أمير المؤمنين عليه السلام إلا ما مننت علينا بعتق رقابنا من النار.

* كيوم فقد المصطفى(ص)

أيها المؤمنون: عظم الله أجوركم.

في مثل هذه الليلة، جمع أمير المؤمنين عليه السلام أولاده وأهل بيته وودعهم، وكان مما قاله لهم:

يا أبا محمد ويا أبا عبدالله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه. ثم أغمي عليه ساعة وأفاق وقال:

هذا رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمي حمزة وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وكلهم يقولون: عجِّل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون.

ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم وقال: أستودعكم الله الله جميعاً، سددكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله، وكفى بالله خليفة.

ثم قال: وعليكم السلام يا رسل ربي.

ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وعرق جبينه وهو يذكر الله كثيراً، وما زال يذكر الله كثيراً ويتشهد الشهادتين.

ثم استقبل القبلة وغمض عينيه ومد رجليه ويديه وقال: أشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ثم التحق بجوار الله تعالى.

وارتفعت الصيحة، وارتجت الكوفة بأهلها، وكثر البكاء والنحيب والعجيج، وكان يوماً كيوم فقد رسول الله ﷺ.

وعلى القبر الشريف وقف صعصعة بن صوحان العبدي ينوء بثقل الفجيعة، وثقلِ هم غربة المؤمنين بعد أميرهم. وضع صعصعة إحدى يديه على فؤاده، والأخرى قد أخذ بها التراب يضرب به على رأسه وهو يقول:

بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين، ثم قال:

هنيئاً لك يا أبا الحسن، فلقد طاب مولدك وقوي صبرك وعظُم جهادك، «..» وربحت تجارتك، وقدمت على خالقك، فتلقاك الله ببشارته، وحفتك ملائكته، «..» فأكرمك الله بجواره، ولحقت بدرجة أخيك المصطفى، وشربت بكأسه الأوفى، فاسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك، والموالاة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك، فقد نلت ما لم ينله أحد، وأدركت ما لم يدركه أحد، وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى حق جهاده، وقمت بدين الله حق القيام، حتى أقمت السنن، وأبرت الفتن، واستقام الإسلام، وانتظم الإيمان، فعليك مني أفضل الصلاة والسلام، «..» سبقت إلى إجابة النبي ﷺ مقْدِماً مؤثراً، وسارعت إلى نصرته، ووقيته بنفسك، ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر، قصم الله بك [كل جبار عنيد، وأذل بك] كل ذي بأس شديد، وهدم بك حصون أهل الشرك والكفر والعدوان والردى، وقتل بك أهل الضلال من العدى، فهنيئا لك يا أمير المؤمنين، كنت أقرب الناس من رسول الله ﷺ قرباً، وأولهم سلماً، وأكثرهم علماً وفهماً، فهنيئا لك يا أبا الحسن «...» فوالله لقد كانت حياتك مفاتح للخير ومغالق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير «..» ثم بكى بكاء شديداً وأبكى كل من كان معه[١].

---

(١) المجلسي، البحار ٤٢/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

سلام عليك سيدي ياصاحب العصر والزمان، وعظم الله لك الأجر. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* فتح مكة

قال الشيخ المفيد:

«وفي العشرين منه سنة ثمان من الهجرة كان فتح مكة، وهو يوم عيد لأهل الإسلام، ومسرة بنصر الله تعالى نبيه ﷺ، وإنجازه له ما وعده، والإبانة عن حقه، وبإبطال (الأصنام)»[١].

* دعاء اليوم العشرين

اللهم افتح لي فيه أبواب الجنان وأغلق عني فيه أبواب النيران ووفّقني فيه لتلاوة القرآن يا منزل السكينة في قلوب المؤمنين.

إلهي، في هذا اليوم وعلى مشارف هذه الليلة التي كتبتَ فيها على نفسك رحمة لا توصف، إفتح لي أبواب الجنان ووفقني للعمل الذي تغلق به عني أبواب النيران، واجعلني من أوليائك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وارزقني بتلاوة كتابك يقيناً تثبت الفؤاد الهلوع. يا منزّل السكينة في قلوب المؤمنين.

* الليلة الواحدة والعشرون

ـ فضيلتها

وهي أفضل من كل ما تقدم الحث عليه من الليالي ولا يفوقها في الفضل إلا ليلة الجُهني، الليلة الثالثة والعشرون.

قال السيد: «وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف،

(١) الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة ٢٦.

وهي ليلة الافراد بلا خلاف، وقال أصحابنا: هي إحدى الليلتين: إما ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث عشرين»[١].

وقد مر في عمل الليلة التاسعة عشر قوله: «ولعمري أن الأخبار واردة ومؤكدة في ليلة إحدى وعشرين منه أكثر من ليلة تسع عشرة، وفي ليلة ثلاث وعشرين من أكثر من ليلة تسع عشر ومن ليلة إحدى وعشرين»[٢].

كما تحدث في مكان آخر حول الروايات التي تحث على الإهتمام بليالي القدر الثلاث فبين أن لكل ليلة منها مرتبة من الأهمية والفضيلة مستقلة عما سواها، وهو ما يحتم الإهتمام بالجميع. قال رحمه الله:

«وقد كنت أجد الروايات متظاهرات بتعظيم هذه الثلاث ليال المفردات: ليلة تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فربما اعتقدت أن تعظيمها لمجرد احتمال أن تكون واحدة منها ليلة القدر، ثم وجدت في الأخبار أن كل ليلة من هذه الثلاث ليال المذكورة فيها أسرار الله جل جلاله وفوائد لعباده مذخورة، فمن ذلك ما رويته «..» عن زرارة قال: **قال أبو عبد الله عليه السلام: التقدير في ليلة تسع عشرة، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين.** «..» **وقال الصادق عليه السلام: «في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان التقدير، وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها، ولله عزّ وجلّ أن يفعل ما يشاء في خلقه»**[٣].

وقال الشيخ المفيد:

«وفي ليلة إحدى وعشرين منه كان الإسراء برسول الله صلى الله عليه وآله، وفيها رفع الله عيسى بن مريم عليه السلام، وفيها قبض موسى بن عمران عليه السلام، وفي مثلها

(١) الإقبال ١/١٤٩.
(٢) الإقبال ١/٣١٢. بتصرف يسير.
(٣) الإقبال ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

قبض وصيه يوشع بن نون عليه السلام، وفيها كانت وفاة أمير المؤمنين عليه سنة أربعين من الهجرة وله يومئذ ثلاث وستون سنة، وهي الليلة التي يتجدد فيها أحزان آل محمد عليهم السلام وأشياعهم»(١).

وقد روي أن الإمام الباقر عليه السلام كان في الليلة الواحدة والعشرين يدعو حتى منتصف الليل ثم يبدأ بالصلاة(٢)

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام إحياؤها بالعبادة، قال الراوي:

«دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، فقال لي: يا حَمّاد اغتسلت؟ قلت: نعم جعلت فداك، فدعا بحصير، ثم قال: إلى لزقي فصلِّ. فلم يزل يصلي وأنا اصلي إلى لزقه حتى فرغنا من جميع صلاتنا، ثم أخذ يدعو وأنا أؤمن على دعائه إلى أن اعترض الفجر، فأذن وأقام ودعا بعض غلمانه، فقمنا خلفه فتقدم وصلى بنا الغداة، فقرأ بفاتحة الكتاب وإنا أنزلناه في ليلة القدر في الأولى، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد. فلما فرغنا من التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الله تعالى، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله، والدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأولين والآخرين، خر ساجداً ولا أسمع منه إلا النفس ساعة طويلة، ثم سمعته يقول: لا إله إلا أنت مقلب القلوب والأبصار، لا إله إلا أنت خالق الخلق بلا حاجة فيك إليهم»(٣).

* الأعمال الخاصة

تقدم بيان الأعمال العامة التي يؤتى بها في كل ليلة من ليالي القدر، وأما الأعمال الخاصة بالليلة الواحدة والعشرين فهي:

---

(١) الشيخ المفيد، مسارُ الشيعة ٢٦.
(٢) المحدث القمي، مفاتيح الجنان، أعمال الليلة الواحدة والعشرين نقلاً عن الكليني في الكافي.
(٣) الإقبال ١/٣٦٦.

١ ـ الغسل

أورد الشيخ الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث: «وغسل ليلة إحدى وعشرين وغسل ليلة ثلاث وعشرين سنة لا تتركهما فإنه يرجى في إحداهن ليلة القدر»[١].

وعن الإمام الرضا عليه السلام في معرض حديثه عن جانب من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر رمضان: «فلما كان ليلة احدى وعشرين اغتسل حين غابت الشمس وفعل فيها مثل ما فعل في ليلة تسع عشرة»[٢].

وقال الشيخ المفيد: «والغسل فيها كالذي ذكرته «. .» ليلة تسعة عشر حسب ما قدمناه»[٣].

٢ ـ الإكثار من الصلاة على محمد وآله صلى الله عليه وآله.

أورد الشيخ المفيد في مسارّ الشيعة في عداد أعمال الليلة «الإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام»[٤].

وسيأتي في كلامه حول صلاة المائة ركعة قوله:

«تفصل بين كل ركعتين بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين».

٣ ـ لعن قتلة أمير المؤمنين عليه السلام.

قال الشيخ المفيد:

«وتكثر من الإبتهال إلى الله تعالى في تعذيب قتلة أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الكليني، الكافي ٣/ ٤٠.
(٢) الإقبال ١/ ٥٠.
(٣) مسارّ الشيعة٢٦.
(٤) مسارُ الشيعة٢٧.

وذريته الراشدين عليهم السلام، واللعنة لهم بأسمائهم، ومن أسس لهم ذلك، وفتح لهم فيه الأبواب، وسهل الطرق، ومن اتبعهم على ذلك من سائر العالمين، وتجتهد في الدعاء لنفسك، ولوالديك، ولإخوانك من المؤمنين»[١].

وقال في مسارّ الشيعة:

«والإجتهاد في الدعاء على ظالميهم، ومواصلة اللعنة على قاتلي أمير المومنين عليه السلام، ومن (سهل الطرق) على ذلك وسببه، و«..» ورضيه من سائر الناس»[٢].

٤ ـ الصلوات

أ ـ صلاة مائة ركعة

قال الشيخ المفيد في المقنعة:

«فإذا كانت ليلة إحدى وعشرين، وهى الليلة التى قبض فيها أمير المؤمنين عليه السلام اغتسلت قبل مغيب الشمس كما صنعت ليلة تسع عشرة، وصليت بعد العشاء الآخرة مائة ركعة، تقرأ فيها بإحدى السورتين المقدم ذكرهما (الإخلاص أو القدر) تفصل بين كل ركعتين بالإكثار من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين والائمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين[٣].

وقال السيد في بيان نوافل شهر رمضان: «وفي العشر الأواخر(تصلي) ثلاثين ركعة في كل ليلة، في كل ركعة عشر مرات: قل هو الله أحد، فإن لم يكن فمرة إلا في ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فان فيهما مائة في كل ركعة بعد فاتحة الكتاب عشر مرات قل هو الله أحد»[٤].

---

(١) المقنعة ١٦٧.

(٢) الشيخ المفيد، مسارُ الشيعة ٢٧. وما بين القوسين مصحح في ضوء ماتقدم منه عن المقنعة.

(٣) الشيخ المفيد، المقنعة ١٦٧.

(٤) الإقبال ٤٨/١.

ب ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة وهي ثلاثون ركعة ثمان منها أو اثنتا عشرة بعد المغرب والباقي بعد العشاء، بالحمد مرة والتوحيد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً كما تقدم.

ج ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسر) فتحت له سبع سماوات واستجيب له الدعاء مع ما له عند الله من المزيد[1].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[2].

في الختام يجدر التأكيد على أهمية أيام القدر، وأنه ينبغي الإنشغال فيها بالعبادة، فقد روي أن يوم القدر مثل ليلته.

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لليلة القدر ويتقبل أعمالنا بالنبي المصطفى وآله صلوات الله عليه وعليهم.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦ والتوضيح بحسبه.

(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٢١
شهر رمضان

* أدعية العشر الأواخر
* أن تجعل اسمي في السعداء.
* وروحي مع الشهداء
* ياليتني قدمت لحياتي
* هاؤم اقرءوا كتابيه
* أسرى النفوس
* دعاء اليوم الواحد والعشرين
* صلاة الليلة الثانية والعشرين




* أدعية العشر الأواخر

تقدم أن للأيام العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك أهمية خاصة فهي ذروة ضيافة الله تعالى بدليل احتضانها ليلة القدر وليلة الفطر التي لا تقلّ أهميةً عن ليلة القدر، وقد ورد الحث على الجِد في العبادة في العشر الأواخر اقتداءً برسول الله، فقد كان ﷺ يطوي فراشه فلا ينام في ليالي هذه الأيام، حتى تلك الفترة القليلة التي كان ينامها في سائر الليالي.

وقد وردت أدعية خاصة لهذه الليالي العشر تكشف ما ينبغي أن نركز عليه في الدعاء طيلة هذه الأيام والليالي[١].

وترد في هذه الأدعية جميعاً فقرة تأتي ختاماً لدعاء كل ليلة وهذه الفقرة مسبوقة في الأدعية كلها بأسماء لله تعالى وصفات تختلف من ليلة إلى ليلة، والفقرة المشتركة هي كما يلي:

«أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في علّيين، وإساءتي مغفورة، وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي، وإيماناً يُذهب الشك عني، وترضني بما قسمت لي، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار الحريق وارزقني فيها ذكرك وشكرك والرغبة إليك والإنابة والتوفيق لما وفّقتَ له محمداً وآل محمد عليه وعليهم السلام».

ومن الواضح أن اشتراك جميع أدعية الليالي العشر الأخيرة من شهر

---

(١) تقدمت الإشارة إلى أن الشيخ الطوسي أورد أدعية الليالي العشر الأخيرة في المصباح ٦٢٨.

رمضان المبارك في هذه الفقرة يكشف عن أهمية مضامينها، لذلك سأحاول في ما يأتي بحوله تعالى، الوقوف على أعتابها.

* أن تجعل اسمي في السعداء

إذا جئنا إلى الروايات لنكوّن فكرة عن السعادة كما ترسمها ريشة الوحي نجد ما يلي:

أ ـ عن رسول الله ﷺ «السعيد من اختار باقية يدوم نعيمها على فانية لا ينفد عذابها وقدّم مما هو في يديه قبل أن يخلفه لمن يسعد في إنفاقه وقد شقي هو بجمعه»[1].

ب ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام «إنما السعيد من خاف العقاب فأمِن، ورجا الثواب فأحسن واشتاق إلى الجنة فأدلج».

ومعنى أدلج: سار في الليل، وهو إشارة إلى صلاة الليل والتهجد فيه.

وقد روي عن الإمام العسكري عليه السلام «إن الوصول إلى الله عزَّ وجلّ سفر لا يُدرك إلا بامتطاء الليل»[2].

ت ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام «في لزوم الحق تكون السعادة».

ث ـ وعنه عليه السلام «أن حقيقة السعادة أن يختم للمرء عمله بالسعادة وأن حقيقة الشقاء أن يختم للمرء عمله بالشقاوة».

هكذا ينبغي أن نعرف السعادة ونبحث عنها في مظانّها، فالسعادة الحقيقية هي التي تدوم، وما عداها وهم سعادة، وعلامة حسن الإختيار رجاء الثواب والشوق إلى الجنة، وعلامة ذلك الإدلاج والتزام الحق وأن تتسمر عين القلب في حسن الخاتمة.

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة «السعادة» ومنه سائر النصوص الآتية.
(٢) المجلسي، البحار ٧٥/ ٣٨٠.

* ياليتني قدمت لحياتي

وعند العرض على الله سبحانه يمتاز السعداء من الأشقياء، ولا سعادة إلا في طاعة الله عزَّ وجلّ، ومن عصى الله تعالى، مهما بدا في الدنيا سعيداً، فهو يعيش وهم السعادة، وسرعان ما تبتدره ملائكة غلاظ شداد ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾.

فأي سعادة هذه؟

السعادة من وجهة نظرنا نحن أهل الدنيا، أن يحصل الإنسان على ما يريد من مشتهياته في عالم المادة سواء كانت مادية أو ما يمكُن من الحصول عليها، فيحقق كل آماله حتى لا يعيش الأسى والحسرة لفوات فرصة أراد اغتنامها، أو تعذّر أمنية طال انتظارها.

ومن الواضح أنه لا سبيل إلى السعادة التامة ـ بهذا المعنى ـ في الدنيا لأنه لا يوجد شخص تحققت له جميع آماله بحيث أنه لا يعيش أبداً الحسرة المنغصة لسعادته، ولا تكون السعادة حقيقية إذا كانت معرضة للزوال بل إنها عند ذاك تصبح عبئاً لا يطاق، لأنها مزيج من الفرح المشوب بالأسى، والأسى الذي لا ينفع معه فرح، لأنه غالباً ما يكون أسىً عميقاً بعيد الأثر في النفس.

يعيش شخص مثلاً نشوة الرئاسة ـ أنه أصبح حاكماً ثُنِيَت له الوسادة في ما يظن ـ فإذا أحس أن ذلك مهدد بالزوال أقضّ هذا الإحساس مضجعه وأطال تسهُّده وأورى ضرم غيظه على المنافسين له وحذره بل خوفه منهم.

ويعيش آخر نشوة الثراء ـ يصبح متموّلاً يشار إليه بالبنان ـ فيصبح حريصاً على دنياه، فإذا تصور أنه قد يفقد ثروته وبدت بوادر تدل على ذلك فقد صوابه فإذا رأى من منافسيه محاولات إضرار تمزق غيظاً وتقطعت نفسه حسرات.

هذه هي السعادة من وجهة نظر أهل الدنيا وهذه بعض مظاهرها وهي

سعادة بالإسم والإدعاء، فأي سعيد من غمرته الفرحة شهراً وبقي طيلة عمره يكابد الويلات؟

هذا إذا أمكن تصور أشهر من «سعادة» من هذا النوع بلا منغصات!

هل يعتبر سعيداً من سرق ثروة ثم بدّدها في سنوات ثم أُلقي في غياهب السجن وحكم عليه لبعض جرائمه بالإعدام؟

إن السعادة الدنيوية المحصّنة من هذا القبيل، يسرح إنسان في الدنيا ويمرح ويعُبّ من أكؤس الشهوات ثملاً مترفاً مغروراً متكبراً يبطش ويعربد فإذا أحاطت به ملائكة الموت انتهت السعادة الواهمة الزائلة وبدأت مرحلة الجد، والحياة الحقيقية.

عندها يقول بمرارة: **يا ليتني قدّمتُ لحياتي!**

* هاؤم اقرءوا كتابيه

تريد هذه الفقرة لكل منا أن يقول:

شقيٌ أنا لفرط ما أركض خلف ذاتي والشهوات، شقيٌ لفرط ما عصيتك يا إلهي ولم يرمش لي جفن لتمردي عليك.

شقيٌ لفرط ما قلت ولم أفعل وقد كبر عندك مقتي، شقيٌ لأني سمعت آياتك ثم صدفت عنها وما زلت أحيد، فهل تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء؟

ما أسعد من رضيت عنه فوفَّقتَ بين باطنه والظاهر، باطنه نور وظاهره نور، وبهذا النور يمشي في الناس ويكشف ظلمات الشيطان فإذا هو مبصر.

وبهذا النور يمشي في ظلمات المحشر آمِناً، يسعى نوره بين يديه.

ويوم الفزع الأكبر تغمره الفرحة حين يستبد بسعداء الدنيا اليأس ويسيطر عليهم الذل المقيم.

لفرط سعادته لا يشعر السعيد هناك، بأهوال القيامة وكثيب الجبال المهيل، والسماء العهن، والبحر المسجور والكواكب المتكورة، ولا يشعر حتى بجمع الأرض والسماء ودكهما دكة واحدة!

لا يشعر إلا بالسعادة، بالطمأنينة العامرة الغامرة، رغم أنه في يوم الواقعة والراجفة يوم البطشة الكبرى.

وبخطىً ثابتة يترنم في أرض المحشر منادياً كل الجمع: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾.

* وروحي مع الشهداء

لست هنا بصدد الحديث على الحث على طلب الشهادة، فهذا ما تكفّل به حديث سابق إلا أني بصدد محاولة استيضاح معنى أن يطلب أحدنا أن تكون روحه مع الشهداء.

كيف يكون الإنسان ـ وهو في الدنيا ـ بروحه مع الشهداء؟

الشهداء جمع شهيد بمعنى المشاهد الكثير المشاهدة، وتستعمل مفردة الشهداء في موردين:

الأول: الشهداء في يوم القيامة الذين يشهدون للإنسان أو عليه.

وقد مر أن الشهود في يوم القيامة: الله عزَّ وجلّ «والله خير الشاهدين» ورسول الله ﷺ «وجئنا بك شهيداً على هؤلاء» والأئمة عليهم السلام «يوم نبعث من كل أمة شهيداً»، كذلك الملائكة والقرآن الكريم والمؤمنون وشهر رجب وشعبان وشهر رمضان والجوارح، وكذلك بقاع الأرض والزمان والليل والنهار.

هذا مورد تستعمل فيه مفردة الشهداء.

والمورد الآخر: المقتولون في سبيل الله تعالى، فهم أيضاً شهداء.

ترى ما هو المعنى الجامع بين الموردين اللذين تستعمل فيهما كلمة الشهداء؟

يجمع الموردين معنىً واحد وهو أن من وصل إلى مرتبة «**عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم**» ـ وهي نفس المرتبة التي جاء في وصف أهلها «**فهم والجنة كمن قد رآها فهُم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون**» يصبح يرى الآخرة كما هي، ويتفرع على ذلك أن يرى الدنيا كما هي، ويدرك حجمها الحقيقي ـ فقد وصل إلى مرتبة «الشهادة» ليشهد على اشتباك أهل الدنيا بالدنيا وعزوفهم عن الآخرة، فهويرى جرائمهم ولكنه ليس طرفاً في الجريمة التي ترتكب، ولاشريكاً فيها ولا في أيٍّ منها، وإنما هو شاهد محايد لا مع الدنيا ولا مع أهلها.

عندما تقع جريمة ويؤتى بإنسان كشاهد، فلابدّ وأن يتحقق فيه شرطان: أن لا يكون طرفاً في النزاع. وأن يكون قد عاين ورأى، وأدرك، فتحمل ما شاهده ليشهد به في المحكمة.

والمؤمن الذي يصل إلى مرتبة الشهادة يتحقق فيه هذان الشرطان أيضاً: ليس طرفاً في أي جريمة ترتكب، وهو يرى الأطراف التي تشترك في وقوع الجريمة، يرى المجرم، والمحرض والمتخاذل عن المنع من ارتكابها.

يرى الدنيا وزينتها والنفس الأمارة والتسويلات، والشيطان والإغواءات، وأمام ناظرة بصيرته تُقترف الجرائم من كذب أو سرقة أو غيبة أو قطيعة رحم أو غش أو قتل أو تشريد أو قعود عن نصرة الدين أو محاربة للمجاهدين في سبيل الله وركون للظالمين، ولذلك يكون هذا المؤمن الشاهد على الجرائم التي وقعت وتُقبل شهادته في محكمة العدل الإلهي.

ومجرد أن هذا المؤمن وصل إلى مرتبة تُقبل فيها شهادته في محكمة يوم القيامة، يدل على سمو مرتبته لأن محكمة العدل الإلهي تختلف جذرياً عن كل محاكم الدنيا.

في الدنيا يُدلي الشاهد بشهادته بحسب الظاهر الذي رآه، ولاعلاقة لشهادته إطلاقاً بحقائق الأمور وبواطنها، أما محكمة العدل الإلهي فإنها تتعدى ذلك إنها محكمة في يوم تُبلى فيه السرائر، والمطلوب من الشاهد فيها أن يشهد بحقائق الأمور، من الأعمال وغيرها.

وطبيعي أن كل شاهد يشهد بحسبه، فشهادة الله عزَّ وجلّ غير شهادة رسوله ﷺ، كذلك هناك فرق بين شهادة المصطفى وأهل البيت وبين شهادة المؤمن، وكذلك هناك فرق بين شهادة المؤمن وشهادة الجوارح.

إن للمؤمن مرتبة من الشهادة تجعله قريباً من النبيين، بل تجعله رفيقاً للنبيين وهذه مرتبة يصل إليها من أصبح شاهداً بنوع توحيده لله تعالى وحبه له ولرسوله المصطفى وأهل البيت صلى الله عليه وعليهم، ثم اكتملت شهادته بالقتل في سبيل الله تعالى.

قبل أن يقتل يكون قد وصل إلى مرتبة الشهادة، ثم يأتي دور تتويجه بتاج الشهادة بتوفيقه للقتل في سبيل الله عزَّ وجلّ.

وفي مقابل هؤلاء الواصلين إلى هذه المرتبة، هناك المحجوبون عن الشهادة الذين هم طرف في الإشتباك بالدنيا، فلا يبصرون، ولا يشاهدون أو فقل لا يشهدون، لكي يشهدوا.

إننا في هذه الفقرة أمام دعاء إلى الله عزَّ وجلّ أن يجعل أرواحنا مع الفريق الأول: الواصلين إلى مرتبة الشهادة الذين هم الشهداء. أي أننا ونحن في الدنيا، وأجسامنا مع غير الشهداء، يمكننا أن تكون أرواحنا مع الشهداء.

وبديهي أن هذا الهدف يلقي بظلاله على السلوك ليتناسب مع الوصول إلى هذه المرتبة، والحد الأدنى الذي لابدّ من توفره هو حب الوصول إلى ذلك واللجوء إلى الدعاء وما ذلك على الله بعزيز.

* أسرى النفوس

أذكر هنا فقرات من وصية شهيد استشهد في جبهات الحق ضد الباطل في الجمهورية الإسلامية في حوالي العشرين من عمره، هو الشهيد ناصر باغاني، يحدثنا رضوان الله تعالى عليه عن الشهيد ليبيّن أنه يصل إلى مرتبة الشهادة وتكون روحه مع الشهداء قبل أن يتخضب بدمه، يقول هذا الشهيد:

«ألا يا أسرى النفوس والأجسام لا تتوقعوا أن تفهموا الشهادة فإنكم عاجزون عن إدراكها.

وحده الشهيد يستطيع أن يفهم الشهادة، الشهيد ليس شخصاً يُخضّب بدمائه فجأةً ويحظى باسم الشهيد، الشهيد في هذه الدنيا قبل أن يتشحط بدمه هو شهيد. وكما أنكم لا تستطيعون أن تعرفوا الشهداء وهم في هذه الدنيا فكذلك لن تستطيعوا أن تعرفوهم بعد أن ينالوا الوصال.

إذا كنتَ شهيداً فأنت تعرف الشهيد وإلا فإن المرآة الصدأة لا يظهر في صفحتها شيء أبداً.

إنهضوا وفكّروا في أحوالكم وشؤونكم أنتم، الشهيد نال مراده واستراح من الهموم.

الشهداء يألمون لحالكم أنتم ويحملون همَّكم، ويعجبون منكم لأنكم لا تفكرون بأنفسكم ولها، إرجعوا إلى أنفسكم، إكسروا سجن الجسم والمادة حطموا القفص (يقصد الجسد) وحلّقوا إلى مساكن الحبيب طائرين واعلموا أنكم خُلقتم للطيران لا للبقاء في الأقفاص إتركوا هذا البيت المتهدم المتداعي وتوجهوا إلى عالم الملكوت».

اللهم إني أسألك أن تجعل روحي مع الشهداء، أن تكون الروح محلّقة في علّيّين لا تسمح لهذا الجسد أن يسجنها ويأخذها بعيداً باتجاه أسفل سافلين.

اللهم بحق ليلة القدر وفقنا للقتل في سبيلك برحمتك يا أرحم الراحمين.

* دعاء اليوم الواحد والعشرين

اللهم اجعل لي فيه إلى مرضاتك دليلاً ولا تجعل للشيطان عليّ فيه سبيلاً واجعل الجنة لي منزلاً ومقيلاً يا قاضي حوائج الطالبين.

إلهي هل يهتدي الضال في صحراء قلبه إلى واضح الطريق بدون دليل؟

كل ما في هذا القلب هوى النفس والضلال، ولا هدىً إلا في ما يرضيك.

يا دليل المتحيّرين خذ بيدي، واجعل لي إلى مرضاتك دليلاً، وأدخلني في عبادك المخلصين الذين ليس للشيطان عليهم سلطان، لأصل إلى دار القرار يا نعمَ المولى يا قاضي حوائج الطالبين.

* صلاة الليلة الثانية والعشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة وهي ثلاثون ركعة ثمان منها أو اثنتا عشرة بعد المغرب والباقي بعد العشاء، بالحمد مرة والتوحيد مرة أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً كما تقدم.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة اثنتين وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسر) فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لا

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦، ومابين القوسين منه.

يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[١].

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله صلواته عليه وعليهم.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٢٢

شهر رمضان

* دعاء اليوم الثاني والعشرين
* ليلة الجهني
* الروايات ورأي العلماء
* معنى القدر
* وما أدراك ما ليلة القدر
* ليلة صاحب الأمر
* علامات ليلة القدر
* أعمال الليلة الثالثة والعشرين




* دعاء اليوم الثاني والعشرين

اللهم افتح لي فيه أبواب فضلك وأنزل عليّ فيه أبواب بركاتك ووفقني فيه لموجبات مرضاتك وأسكني فيه بحبوحات جناتك يا مجيب دعوة المضطرين.

بديهي أن يكون من مهام هذا الدعاء الإعداد لليلة القدر، وفي ظلاله يقرأ القلب:

إلهي إذا أسفر الصبح من ليلة القدر ولم يكن اسمي في ديوان السعداء فأي باب أطرق وإلى من أتوجه. ما أظنك يا أرحم الراحمين تردّني في حاجة أفنيت عمري في طلبها. ما هكذا الظن بك ولا المعروف من فضلك. لا أسألك اتكالاً على عملي وإنما أقف بأبواب فضلك اتكالاً عليك. وحق لمن أحسن بك ظناً أن يطمع بعلّيّين ومرافقة النبيين إنك نِعمَ المولى وإن كنت بئس العبد.

من لي غيرك أسأله كشف ضري والنظر في أمري يا مجيب دعوة المضطرين.

* ليلة الجهني

هانحن على مشارف الليلة الثالثة والعشرين.

إنها أفضل ليالي القدر على الإطلاق.

و يجد المتأمل في الروايات أنها تقرن الحديث عن الليلتين السابقتين بالحديث عن امتياز هذه الليلة، فهناك حرمة وفضيلة لليلة التاسعة عشر إلا أن

حرمة الليلة الواحدة والعشرين أكبر وفضيلتها أكثر، ولكنها رغم ذلك دون فضيلة الليلة الثالثة والعشرين، التي تقع في المرتبة الأولى بل هي ليلة القدر على الإطلاق وإن كان لسابقتيها ولليلة النصف من شعبان مدخلية في التقدير، فذلك مرتبط بهذه الليلة ومتفرع عليها.

وقد حظيت هذه الليلة من رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام بعناية لم تحظ بها أي ليلة على الإطلاق، فقد روي عن أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» أن رسول الله ﷺ، كان «..» يوقظ أهله ليلة ثلاث وعشرين، وكان يرش وجوه النيام بالماء، في تلك الليلة، وكانت فاطمة عليها السلام، لا تدع أحداً من أهلها ينام تلك الليلة، وتداويهم بقلة الطعام، وتتأهب لها من النهار، وتقول: محروم من حرم خيرها»[1].

إنها ليلة الجُهَني. بهذا الإسم عرفت عبر القرون وما تزال، تمييزاً لها عما سواها، وشداً للإنتباه لاستثمار كل لحظة من لحظاتها العظيمة.

ما المراد بالجُهَني؟

كان بالقرب من المدينة مؤمن من قبيلة جُهَينة، وكانت له إبلٌ وأغنام لا يستطيع أن يتركها ليدخل إلى المدينة المنورة ثلاث مرات لإحياء ليالي القدر، فسأل رسول الله ﷺ في محضر من المسلمين أن يحدد له ليلة يدخل المدينة فيها لإحيائها بالتهجد والعبادة، فأسرّ إليه المصطفى ﷺ الجواب. والنتيجة أن الحاضرين قد سمعوا السؤال ولم يسمعوا الجواب، إلا أن هذا الجُهني ـ وهي النسبة إلى قبيلته جهينة ـ كان يشاهَد في ما بعد يدخل إلى المدينة في الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك، وقد ربط المسلمون بين السؤال وما التزم به الجهني، فسُمّيت هذه الليلة بليلة الجُهَني.

ولا بدّ من ملاحظة أمور:

---

(١) المحدث النوري، مستدرك الوسائل ٧/ ٤٧٠.

١ ـ اسم الجهني: «عبد الرحمن بن أنيس الأنصاري»[١].

٢ ـ خبر الجهني مروي عن الإمام الباقر عليه السلام، قال الراوي:

«سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الجهني أتى إلى رسول صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله إن لي إبلاً وغنما وغلمة، فاحب أن تأمرني ليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة وذلك في شهر رمضان، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله فساره في أذنه. قال: فكان الجهني إذا كانت ليلة ثلاث وعشرين دخل بإبله وغنمه وأهله وولده وغلمته، فكان تلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين بالمدينة، فإذا أصبح خرج بأهله وغنمه وإبله إلى مكانه»[٢].

٣ ـ قال الشيخ الطوسي: «وإنما لم تعين هذه الليلة ليتوفر العباد على العمل في سائر الليالي»[٣].

ولدى الرجوع إلى روايات ليلة القدر يتضح أن هدف المعصوم عليه السلام، التوجيه إلى الإهتمام بليالي القدر الثلاث، كل منها بما يناسبها، وهو يستدعي عدم التصريح بما يؤدي إلى ترك الإهتمام بليلتين والتركيز على ليلة واحدة، لأن ذلك يحرم الأمة من خير كثير، كما يستدعي بيان الفضيلة الخاصة جداً لليلة الثالثة والعشرين بما يحفظ فضيلة الليلتين التاسعة عشر والحادية والعشرين، ويمكن تحقيق ذلك بطريقين: النصوص التي تتكفل بذلك، والتي تتراوح بين التصريح والإجمال، وتقديم نموذج عملي هو عادة أبلغ أثراً من النصوص في إيصال الفكرة.

وفي هذا السياق ينبغي أن يفهم جواب المصطفى للجهني سراً، فهو صلى الله عليه وآله يعلم أنه سيدخل المدينة في الليلة الثالثة والعشرين وأن المسلمين

(١) الإقبال ١/ ٣٧٥.

(٢) المصدر.

(٣) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٨٤.

سيربطون بين ذلك وما ساره به رسول الله ﷺ، وأن النتيجة مزيد اهتمام بهذه الليلة دون التفريط بالليلتين السابقتين.

فلنغتنم أيها العزيز كل لحظة يمكننا استثمارها من ليلة الجهني.

* الروايات ورأي العلماء

قال الشيخ المفيد:

«وفي ليلة ثلاث وعشرين منه أنزل الله عزّ وجلّ على نبيه الذكر، وفيها ترجى ليلة القدر.

«.. وهي ليلة عظيمة الشرف، كثيرة البركات»[١].

قال الشيخ الطوسي:

«وليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان بلا خلاف، وهي ليلة الأفراد بلا خلاف وقال أصحابنا هي احدى الليلتين إما ليلة احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين»[٢].

ويرجع هذا الترديد ـ في كلام العلمين ـ إلى ما ورد في روايات تصرح بعدم التعيين، من ذلك قول الراوي: **قلت لأبي جعفر** عليه السلام: **أخبرني عن ليلة القدر، قال: التمسها في ليلة إحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فقلت: أفردها لي، فقال: وما عليك أن تجتهد في ليلتين**[٣].

وهناك روايات أخرى مشابهة.

وقال السيد ابن طاوس:

«إعلم أن هذه الليلة الثالثة والعشرين من شهر رمضان، وردت أخبار صريحة بأنها ليلة القدر على الكشف والبيان. ثم ذكر الروايات التالية:

(١) الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة ٢٧.
(٢) الشيخ الطوسي، التبيان ١٠/ ٣٨٤.
(٣) الإقبال ١/ ٣٥٦.

١ ـ قال (الراوي): قلت لأبي عبد الله عليه السلام أفرد لي ليلة القدر، قال: ليلة ثلاث وعشرين.

٢ ـ «.. سألت أبا جعفر عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: أخبرك والله ثم لا أعمي عليك، هي أول ليلة من السبع (الأواخر).

أضاف السيد: لعله قد أخبر عن شهر كان تسعاً وعشرين يوماً، «..» ووجدت بعد هذه التأويل «..» عن زرارة قال: كان ذلك الشهر تسعة وعشرين يوماً.

٣ ـ ومن ذلك بإسنادنا إلى ضمرة الأنصاري، عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرون»[1].

ولا يختلف رأي السيد عن رأي المفيد والطوسي، إلا أنه هنا بصدد التأكيد على أهمية الليلة الثالثة والعشرين، وقد مر في الحديث عن الليلة الواحدة والعشرين تصريح السيد بضرورة الإهتمام بالليالي الثلاث، وأعيد كلامه هنا مع إضافات، لارتباطه بالموردين على حد سواء.

قال رحمه الله: «وقد كنت أجد الروايات متظاهرات بتعظيم هذه الثلاث ليال المفردات: ليلة تسع عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين، فربما اعتقدت أن تعظيمها لمجرد احتمال أن تكون واحدة منها ليلة القدر، ثم وجدت في الأخبار أن كل ليلة من هذه الثلاث ليال المذكورة فيها أسرار لله جل جلاله وفوائده لعباده مذخورة. فمن ذلك ما رويته «..» عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **التقدير في ليلة تسع عشرة، والإبرام في ليلة احدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين. «..» وقال الصادق عليه السلام: في ليلة تسع**

(١) الإقبال ١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

عشرة من شهر رمضان التقدير، وفي ليلة إحدى وعشرين القضاء، وفي ليلة ثلاث وعشرين إبرام ما يكون في السنة إلى مثلها، ولله عزّ وجلّ أن يفعل ما يشاء في خلقه»[١].

ولا يختلف رأي سائر العلماء عما ذكره الأعلام الثلاثة قدس الله تعالى أسرارهم، لتكون النتيجة الإجماع على فضيلة الليالي الثلاث مع امتياز خاص ونوعي لليلة الثالثة والعشرين، ليلة الجهني.

عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: إن ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان هي ليلة الجهني. فيها يفرق كل أمر حكيم. وفيها تثبت البلايا والمنايا والآجال والأرزاق والقضايا وجميع ما يحدث الله فيها إلى مثلها من الحول. . »[٢].

* معنى القدر

قال الشيخ الطوسي:

«والقدر كون الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان، وليلة القدر هي:

١ ـ الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل أمر « . . » يقال: قدر الله هذا الأمر يقدره قدرا إذا جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة.

٢ ـ وقيل: فسر الله تعالى ليلة القدر بقوله: فيها يفرق كل أمر حكيم.

٣ ـ وقيل: سميت ليلة القدر لعظم شأنها وجلالة موقعها من قولهم: فلان له قدر والأول أظهر.

---

(١) الإقبال ١/١٥١ ـ ١٥٢

(٢) الشيخ محمد باقر الملكي، توحيد الإمامية ٣٥٦. نقلاً عن البحار عن دعوات الراوندي.

ففي ليلة القدر تحدد الأمور على مقاديرها (التي) جعلها الله في الآجال والأرزاق والمواهب التي يجعلها الله للعباد. ويقع فيها غفران السيئات ويعظم منزلة الحسنات على ما لا يقع في ليلة من الليالي»[١].

ومن الواضح أن مراد الشيخ رضوان الله تعالى عليه من «المساواة» مافسره بقوله: «ما تدعو إليه الحكمة» وهو يعني أن التساوي يقع بين المقدمات والنتائج وفق موازين الرحمة والعدل، فيعطى كل شخص وكل جماعة وكل مخلوق عموماً، ما ينسجم مع هذه الموازين الإلهية، حتى إذا لم تتحقق به المساواة بين الناس أو بين المخلوقات، بمعنى أن يأخذ الجميع حصة واحدة متساوية.

ليلة القدر إذاً، هي ليلة القانون الإلهي الذي يحكم الوجود كله، على قاعدة الإمهال.

* وما أدراك ما ليلة القدر

ليلة القدر كما تقدم هي ليلة إصدار الأحكام الإلهية في حق الناس وسائر المخلوقات، وتعرف قوانين البشر إتاحة الفرصة لمن سيصدر الحكم في حقه ليحسّن من موقعه فيسمح له بالدفاع عن نفسه، إلا أن هذه القوانين لا تتيح هذه الفرصة لدن صدر الحكم النهائي حوله بعد الإستئناف.

وحكم الله تعالى نهائي أبداً لأنه يلحظ من مصلحة المحكوم عليه ما لا يفكر هو به ولا يطمع بالوصول إليه لو خلي ونفسه، ومع ذلك فإنه سبحانه بالإضافة إلى إتاحة فرصة الدفاع عن النفس بالمباشرة أو من خلال الموكلين وغير الموكلين من المؤمنين الذين يدعون لغيرهم، قد أتاح فرصة إلهية يعجز كل البشر عن تأمين أدنى مستوياتها، تمكّن من ستصدر الأحكام في حقهم من النقلة النوعية من أسفل سافلين إلى أعلى عليين.

(١) الشيخ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ١٠/ ٣٨٤. بتصرف يسير.

لقد رفع الله تعالى من خصائص الزمان والمكان والإنسان وعمله ونيته ورفع من خصائص كل خطوط دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، بل لغير المؤمن أيضاً من الأموات والأحياء، وجعل كل النبيين والأولياء والملائكة شركاء مؤسسين في الدعاء للمؤمنين وجعل لذلك من الثواب والنتائج ما لم يخطر على قلب بشر، وعبر عن ذلك كله ـ وعن غيره مما لا ندري ـ بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾؟!

قال الشيخ الطوسي:

والأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون من الخير الجزيل والنفع الكثير فيها دون غيرها فلما جعل الله تعالى الخير الكثير يقسم في ليلة القدر بما جعله الله فيها من هذا المعنى، ولذلك قال: وما أدراك ما ليلة القدر، تعظيماً لشأنها وتفخيماً، وأنك يا محمد (صلى الله عليه وآله) لا تعلم حقيقة ذلك. ثم بين تعالى ذلك فقال: ليلة القدر خير من الف شهر. والمعنى أن الثواب على الطاعة فيها خير يفضل على ثواب كل طاعة تفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. وقيل إن الله يتفضل على خلقه في هذه الليلة وينعم عليهم بما لا يفعل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر..» ويقع فيها غفران السيئات ويعظم منزلة الحسنات على ما لا يقع في ليلة من الليالي، فينبغي للعاقل أن يرغب فيما رغبه الله بالمبادرة إلى ما أمر به على ما شرط فيه[١].

* ليلة صاحب الأمر

الحقيقة الصراح التي يجب عقد القلب عليها أن شهر رمضان هو شهر القرآن الكريم، وليلة القدر ليلة نزول القرآن، وليلة حاكمية الرحمن، ولذلك فهي ليلة رسول الله ﷺ بما هو سيد الرسل والمهيمن على كل ماجاؤوا به، وصاحب الأمر ورائد مشروع هداية البشرية إلى الحق وإنقاذها من براثن الجهل

---

(١) المصدر ٣٨٥ بتصرف في تأخير العبارات الأخيرة.

والشرك، وبما هو ﷺ مركز كل أمر نزل من الله تعالى وينزل من بدء الخلق إلى مابعد الجنة ونعيمها من رضوان الله تعالى، وبعد النار وجحيمها من عذاب الله تعالى للمستحقين.

وحيث أن المصطفى ﷺ قطب رحى ذلك كله، فليلة القدر ليلته وليلة وصيه الذي هو استمراره ﷺ.

ومن غرائب الغفلة، أننا نعرف أن ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ ونعرف أن إمام زماننا بل إمام كل زمان يطلق عليه اسم «صاحب الأمر» ولا نربط بين المعلومتين اللتين هما وجهان لحقيقة واحدة، فالأمر الذي ينزل هو نفسه الأمر الذي يعتبر إمام الزمان صاحبه بإذن الله تعالى. والروايات المصرحة بذلك كثيرة منها:

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس شئ يخرج من عند الله عزّ وجلّ حتى يبدأ برسول الله ﷺ ثم بعلي عليه السلام ثم بواحد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا[1].

٢ ـ سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: سمعتك وأنت تقول غير مرة: لولا أنا نزداد لأنفدنا، فقال: أما الحلال والحرام فقد أنزل الله على نبيه ﷺ بكماله وما يزاد الإمام في حلال ولا حرام، قلت له: فما هذه الزيادة؟ فقال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام، قلت: تزدادون شيئاً يخفى على رسول الله ﷺ ولا يعلمه؟ فقال: لا إنما يخرج العلم من عند الله فيأتي به الملك رسول الله ﷺ فيقول: يا محمد ربك يأمرك بكذا وكذا فيقول: انطلق به إلى علي فيأتي به علياً عليه السلام فيقول: انطلق به إلى الحسن فلا يزال هكذا ينطلق به إلى واحد بعد واحد حتى يخرج إلينا، ومحال أن يعلم الإمام شيئا لم يعلمه رسول الله ﷺ والإمام من قبله[2].

---

(١) الشيخ المفيد، الإختصاص ٣١٣.

(٢) المصدر.

٣ ـ عن أبي جعفر عليه السلام «..»: إنما يأتي الأمر من الله في ليالي القدر إلى النبي صلى الله عليه وآله، وإلى الأوصياء عليهم السلام: افعل كذا وكذا.

وقد عقب السيد على هذه الروايات بقوله: واعلم أن إلقاء هذه الأسرار في السنة إلى ولي الأمر ما هو من الوحي، لأن الوحي انقطع بوفاة النبي صلى الله عليه وآله، إنما هو بوجه من وجوه التعريف يعرفه من يلقى إليه صلوات الله عليه، وقد قال جل جلاله: وإذ أوحيت إلى الحواريين، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾، وقال جل جلاله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾، ولكل منها تأويل غير الوحي النبوي.

وهكذا يتضح أن ليلة القدر هي ليلة صاحب الأمر الذي نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإليه ينزل الأمر الذي قد قضي وأُمضي من الله تعالى.

والروايات كذلك صريحة في الحث على إدراك هذه الحقيقة بالتفصيل، لذلك فهي لا تكتفي بالعموميات المتقدمة رغم وضوحها، بل تريدنا أن نعرف أن المحور في سورة القدر وليلة القدر والأمر الحكيم والأمر الذي ينزل هو «**صاحب الأمر**».

عن داود بن فرقد قال:

سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾. قال: ينزل فيها ما يكون من السنة من موت أو مولود.

قلت له: إلى من؟ فقال: إلى من عسى أن يكون: إن الناس في تلك الليلة في صلاة ودعاء ومسألة وصاحب هذا الأمر في شغل تنزل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها من كل أمر.[سلام] هي له إلى أن يطلع الفجر[1].

---

(١) الشيخ محمد باقر الملكي، توحيد الإمامية ٣٥٨.

وعن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام قال:

إن ليلة القدر يكتب ما يكون منها في السنة إلى مثلها من خير أو شر، أو موت أو حياة أو مطر. ويكتب فيها وفد الحاج. ثم يفضي ذلك إلى أهل الأرض. فقلت: إلى من من أهل الأرض؟ فقال: إلى من ترى[1].

* علامات ليلة القدر

هل هناك علامة تعرف بها ليلة القدر؟

ورد في الروايات ذكر عدة علامات هي:

١ ـ أن يطيب ريحها.

٢ ـ وتكون في البرد ليلة دافئة، وفي الحر باردة.

٣ ـ ليلة مضيئة ترى نجومها بوضوح.

وهناك بعض العلامات عن غير طريق أهل البيت عليهم السلام.

وقد تحدث السيد عن العلامات، فقال:

«فصل في ما نذكره من الرواية بعلامات ليلة القدر إعلم اننا لما رأينا الروايات بذلك منقولة، وأن إمكان الظفر بليلة القدر من الأمور المعقولة، اقتضى ذلك ذكر طرف من الروايات ببعض علامات ليلة القدر، والتنبيه على وقت ما يرجى لها من السعادات.

ثم أورد الروايات التالية:

١ ـ فمن ذلك: ما ذكره «. .» الكليني «. .» عن أحدهما عليهما السلام قال (محمد بن مسلم): **سألته عن علامة ليلة القدر، فقال: علامتها أن تطيب ريحها، وإن كانت في برد دفئت، وإن كانت في حر بردت وطابت. وقد روى هذا الحديث «. .» في كتاب من لا يحضره الفقيه.**

---

(١) المصدر.

٢ ـ ومن ذلك: «..» قال (الراوي): **قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنهم يقولون إنها لا ينبح فيها كلب، فبأي شئ تعرف؟ قال: إن كانت في حر كانت باردة طيبة، وإن كانت في شتاء كانت دفيئة لينة.**

٣ ـ ومن ذلك ايضا ما «..» **عن أبي عبد الله** عليه السلام: «..» **في الشتاء تكون دفيئة، وفي الصيف تكون ريّحه طيبة.**

٤ ـ ومن ذلك ما «..» عن اسماعيل بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: **ليلة القدر ليلة بلجة، لا حارة ولا باردة، ونجومها كالشمس الضاحية.**

٥ ـ أقول: ورأيت من غير طريق أهل البيت علامات أيضاً وأمارات لليلة القدر: فمن ذلك ما «..» عن ابن عباس فقال: ليلة القدر ليلة طلقة، لا حارة ولا باردة، يصبح الشمس من يومها حمراء ضعيفة.

ثم ختم السيد بقوله: فهذا ما أردنا الإقتصار عليه من علامات ليلة القدر، كما دلت الرواية عليه، وهذه الإشارات إلى العلامات تدلك على الإذن في تحصيل ليلة القدر وطلبها، وتقوي عزم الرجاء في الظفر بها»[١].

* أعمال الليلة الثالثة والعشرين

تقدم ذكر الأعمال العامة التي يؤتى بها في كل ليلة من ليالي القدر، وفي ما يلي بيان الأعمال الخاصة مع التأكيد على بعض الأعمال العامة لمزيد الحث عليها في هذه الليلة مما يجعلها كالخاصة، وهي كما يلي:

١ ـ الغسل

تكرر ذكر استحباب الغسل في هذه الليلة في سياق تعداد الأغسال المستحبة في شهر رمضان، أو لدى ذكر رواية تقرن بينه وبين غيره.

---

(١) الإقبال ١/١٥١ ـ ١٥٢.

وفي حديث عن الإمام الرضا يذكر فيه جانباً من سيرة رسول الله ﷺ في عمل شهر الله تعالى، ورد قوله عليه السلام: «**فلما كان ليلة ثلاث وعشرين اغتسل ايضا كما اغتسل في ليلة تسع عشرة، وكما اغتسل في ليلة احدى وعشرين**»[١].

ويقول أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: **رأيته اغتسل في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان مرة في أول الليل، ومرة في آخره**[٢].

وقد ورد التأكيد على أن يتزامن الغسل مع مغيب الشمس. قال الشيخ المفيد: «وفيها غسل عند وجوب الشمس»[٣]. أي مغيبها.

ولا يفوتنك الغسل الآخر المستحب في آخر هذه الليلة. ومن المناسب هنا التذكير بما تقدم.

قال السيد اليزدي: «ويستحب في ليلة الثالث والعشرين غسل آخر في آخر الليل»[٤].

وقال: «وقد مر أن الغسل الثاني في الليلة الثالثة والعشرين في آخره». و«إذا ترك الغسل الأول في الليلة الثالثة والعشرين في أول الليل لا يبعد كفاية الغسل الثاني عنه، وإن كان الأولى الإتيان بهما آخر الليل برجاء المطلوبية، خصوصاً مع الفصل بينهما، ويجوز الإتيان (في حال ترك الأول) بغسل واحد بعنوان التداخل وقصد الأمرين»[٥].

---

(١) المصدر ٥١.
(٢) الإقبال ١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٣) مسارّ الشيعة ٢٧.
(٤) السيد اليزدي، العروة الوثقى ٢/ ١٤٩.
(٥) المصدر ١٥٠. بتصرف يسير.

٢ ـ الإحياء

قال الشيخ المفيد: «وتحيى هذه الليلة بالصلاة والدعاء والاستغفار»[١].

وقال السيد: «وأن تحيى بالعبادة كما قدمناه. ومما رويناه في تعظيم فضلها وإحيائها أيضا ما رواه ابن أبي عمير «..»: **مرض أبو عبد الله عليه السلام مرضاً شديداً، فلما كان ليلة ثلاث وعشرين أمر مواليه فحملوه إلى المسجد، فكان فيه ليلته»**[٢].

ويأتي في صلاة المائة ركعة الحث على إحياء هذه الليلة بالخصوص، وقد تقدم المزيد.

٣ ـ زيارة سيد الشهداء عليه السلام

وهو أفضل أعمال هذه الليلة على الإطلاق، والمراد بزيارته عليه السلام التواجد في كربلاء، كما سيأتي التصريح بذلك، إلا أن للزيارة من بُعد أيضاً ثواباً عظيماً فلا ينبغي تركها. ومن الروايات في زيارته عليه السلام في هذه الليلة:

أ ـ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام في هذه الآية: فيها يفرق كل أمر حكيم، قال: هي ليلة القدر، يقضي فيها أمر السنة من حج وعمرة أو رزق أو أجل أو أمر أو سفر أو نكاح أو ولد، إلى سائر ما يلاقي ابن آدم مما يكتب له أو عليه في بقية ذلك الحول من تلك الليلة إلى مثلها من عام قابل، وهي في العشر الأواخر من شهر رمضان، فمن أدركها ـ أو قال: شهدها ـ عند قبر الحسين عليه السلام يصلي عنده ركعتين أو ما تيسر له، وسأل الله تعالى الجنة، واستعاذ به من النار، آتاه الله تعالى ما سأل، وأعاذه مما استعاذ منه، وكذلك إن سأل الله تعالى أن يؤتيه من خير ما فرق وقضى في تلك الليلة، وأن يقيه من شر ما كتب فيها، أو دعا الله وسأله تبارك وتعالى في أمر لا إثم فيه رجوت

---

(١) المصدر.

(٢) الإقبال ١/٣٨٦.

أن يؤتى سؤله، ويوقى محاذيره ويشفع في عشرة من أهل بيته، كلهم قد استوجبوا العذاب، والله إلى سائله وعبده بالخير أسرع[١].

ب ـ عن عبد العظيم الحسني، عن أبي جعفر الثاني في حديث قال: من زار الحسين عليه السلام ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وهي الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر وفيها يفرق كل أمر حكيم، صافحه روح أربعة وعشرين ألف ملك ونبي، كلهم يستأذن الله في زيارة الحسين عليه السلام في تلك الليلة[٢].

٤ ـ السوَر

ومن الأعمال الخاصة بهذه الليلة قراءة أربع سور اثنتين منها من الأعمال الخاصة وهما العنكبوت والروم، واثنتين من الأعمال العامة وهما الدخان والقدر، وعليه فإن من لا يذكر الدخان والقدر ضمن الأعمال الخاصة لا ينفي استحباب قراءتهما، فلاحظ.

أ ـ العنكبوت والروم.

قال الشيخ المفيد: ويستحب أن يقرأ في هذه الليلة خاصة سورتي العنكبوت والروم، فإن في ذلك ثوابا عظيما[٣].

وقال السيد ابن طاوس: ومن زيادات ليلة ثلاث وعشرين القراءة فيها لسورة العنكبوت، وسورة الروم. نروي ذلك بعدة طرق عن الصادق عليه السلام أنه قال: من قرأ سورة العنكبوت والروم في ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا أستثني فيه أبداً، ولا أخاف أن يكتب الله تعالى علي في يميني إثماً، وإن لهاتين السورتين من الله تعالى مكاناً[٤].

---

(١) الإقبال ١/ ٣٨٣.

(٢) المصدر.

(٣) مسارّ الشيعة٢٧.

(٤) الإقبال ١/ ٣٨١.

ب ـ الدخان.

قال السيد: ومن الزيادات ليلة ثلاث وعشرين قراءة سورة الدخان فيها، وفي كل ليلة، وقد قدمنا الرواية بذلك في أول ليلة[١].

ت ـ القدر

قال السيد: ومن القراءة فيها سورة إنا أنزلناه في ليلة القدر، ألف مرة، وقد تقدمت رواية لذلك في الليلة الأولى عموما في الشهر كله. وروينا تخصيص قراءتها في هذه الليلة بعدة طرق إلى مولانا أبي عبد الله عليه السلام قال: لو قرأ رجل ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إنا أنزلناه في ليلة القدر ألف مرة، لأصبح وهو شديد اليقين بالإعتراف بما يختص فينا، وما ذاك إلا لشيء عاينه في نومه[٢].

٥ ـ الأدعية[٣]

أ ـ الدعاء لصاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وقد ورد التأكيد على الإكثار من قراءته في مختلف الحالات في كل ليلة من شهر الله تعالى وفي هذه الليلة المباركة بشكل خاص، ويعتبر هذا التأكيد نحو تنبيه إلى ضرورة الربط بين الليلة وبين وصي رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هو باب الله الذي منه يؤتى.

قال السيد:

عن الصالحين عليهم السلام «..»: وكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان قائماً وقاعداً وعلى كل حال، والشهر كله، وكيف أمكنك، ومتى حضرك في دهرك، تقول بعد تمجيد الله تعالى والصلاة على النبي وآله عليهم السلام: اللهم كن لوليك[٤] الخ.

---

(١) المصدر.
(٢) المصدر ٣٨٢.
(٣) أنظر في جميع الأدعية الواردة هنا: الإقبال ٣٧٨ فما بعدها.
(٤) المصدر ١٩١. وانظر صيغة الدعاء المعروفة في مصباح الشيخ الطوسي٦٣١ ـ ٦٣٢.

والدعاء هو نفسه الذي تقدم ذكره في عمل اليوم الأول، وله صيغتان إحداهما المعروفة المشهورة والثانية أطول منها وقد مر توضيح ذلك فراجع.

ب ـ دعاء يارب ليلة القدر وهو:

يا رب ليلة القدر وجاعلها خيراً من ألف شهر، ورب الليل والنهار، والجبال والبحار، والظُّلَم والأنوار، والأرض والسماء، يا بارئ يا مصور، يا حنان يا منّان، يا ألله يا رحمان، يا حيُّ يا قيوم، يا بديء يا بديع السماوات والأرض. يا ألله يا ألله، يا ألله يا ألله، يا ألله يا ألله، يا ألله، لك الأسماء الحسنى، والأمثال العليا، والكبرياء والآلاء والنَّعماء، أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم، إن كنت قضيت في هذه الليلة تنزل الملائكة والروح من كل أمر حكيم. فصل على محمد وآله، واجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء، وروحي مع الشهداء، وإحساني في عليين وإساءتي مغفورة، وأن تهب لي يقينا تباشر به قلبي، وإيماناً يذهب الشك عني، وترضيني بما قسَمت لي، وآتني في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقني عذاب النار. وارزقني يا رب فيها(الليلة) ذكرك وشكرك، والرغبة والإنابة اليك، والتوبة والتوفيق لما وفقت له شيعة آل محمد يا أرحم الراحمين، ولا تفتنِّي بطلب ما زويت عني بحولك وقوتك، وأغنني يا رب برزق منك واسع(و) بحلالك عن حرامك. وارزقني العفة في بطني وفرجي، وفرج عني كل هم وغم، ولا تشمت بي عدوي (ووفقني لليلة) القدر على أفضل ما رآها أحد، ووفقني لما وفقت له محمداً وآل محمد عليه وعليهم السلام. (و) افعل بي كذا وكذا، الليلة الليلة الساعة الساعة ـ حتى ينقطع النفس[1].

ت ـ اللهم امدد لي في عمري، وأوسع لي في رزقي، وأصح جسمي، وبلّغني أملي، وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من

---

(١) الإقبال ١/٣٧٨. وانظر: الطوسي، المصباح ٦٣٠ ـ ٦٣١ باختلاف. مختصراً.

السعداء، فانك قلت في كتابك المنزل، على نبيك المرسل صلواتك عليه وآله: يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

ث ـ اللهم إياك تعمدت الليلة بحاجتي، وبك أنزلت فقري ومسألتي، (فلتسعني) الليلة رحمتك وعفوك، فأنا لرحمتك (أرجى) مني لعملي، ورحمتك ومغفرتك أوسع من ذنوبي، واقض لي كل حاجة هي لي، بقدرتك على ذلك، وتيسيره عليك. فإني لم أُصِب خيراً إلا منك، ولم يصرف عني أحد سوءاً قَطُّ غيرك، وليس لي رجاء لديني دنياي، ولا لآخرتي، ولا ليوم فقري، يوم أُدلّى في حفرتي، ويفردني الناس بعملي غيرك، يا رب العالمين

ج ـ ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين: اللهم اجعلني من أوفر عبادك نصيباً من كل خير أنزلته في هذه الليلة، أو أنت منزله، من نور تهدي به، أو رحمة تنشرها، أو رزق تقسمه، أو بلاء تدفعه، أو ضر تكشفه، واكتب لي ما كتبت لأوليائك الصالحين، الذين استوجبوا منك الثواب، وأمِنوا برضاك عنهم منك العقاب، يا كريم يا كريم، صل على محمد وآل محمد، وافعل بي ذلك. برحمتك يا أرحم الراحمين.

ح ـ ومن الدعاء في هذه الليلة: أسألك مسألة المسكين المستكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب البائس الذليل مسألة من خضعت لك ناصيته، واعترف بخطيئته، ففاضت لك عبرته، وهملت لك دموعه، وضَلَّت حيلته، وانقطعت حجته، أن تعطيني في ليلتي هذه مغفرة ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني الحج والعمرة في عامي هذا، واجعلها حجة مبرورة خالصة لوجهك، وارزقنيه أبداً ما أبقيتني، ولا تخلني (من) زيارة بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلواتك عليه وآله. إلهي وأسألك أن تكفيني مؤونة خلقك من الجن والانس، والعرب والعجم، ومن كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إنك على صراط مستقيم. اللهم اجعل فيما تقضي وتقدر من الأمر المحتوم ومما تفرق من الأمر الحكيم في هذه الليلة، في القضاء الذي لا يرد

ولا يبدل، أن تكتبني من حجاج بيتك الحرام، في عامي هذا، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفر عنهم سيئاتهم، وأن تطيل عمري، وتوسع لي في رزقي، وارزقني ولداً باراً، إنك على كل شئ قدير، وبكل شئ محيط.

خ ـ ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين: اللهم إني أسألك سؤال المسكين المستكين، وأبتغي إليك ابتغاء البائس الفقير، وأتضرع إليك تضرع الضعيف الضرير، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأسألك مسألة من خضعت لك نفسه، ورغم لك أنفه، وعفَّر لك وجهه، وخضعت لك ناصيته، واعترف بخطيئته، وفاضت لك عبرته، وانهملت لك دموعه، وضلت عنه حيلته، وانقطعت عنه حجته، بحق محمد وآل محمد عليك، وبحقك العظيم عليهم، أن تصلي عليهم كما أنت أهله، وأن تصلي على نبيك وآل نبيك، وأن تعطيني أفضل ما أعطيت السائلين من عبادك الماضين من المؤمنين، وأفضل ما تعطي الباقين من المؤمنين، وأفضل ما تعطي من تخلقه من أوليائك إلى يوم الدين، ممن جعلت له خير الدنيا وخير الآخرة، يا كريم يا كريم يا كريم. وأعطني في مجلسي هذا مغفرة ما مضى من ذنوبي، واعصمني فيما بقي من عمري، وارزقني الحج والعمرة في عامي هذا، متقبلاً مبروراً خالصاً لوجهك يا كريم، وارزقنيه أبدا ما أبقيتني، يا كريم يا كريم يا كريم، واكفني مؤونة نفسي، واكفني مؤنة عيالي، واكفني مؤنة خلقك، واكفني شر فسقة العرب والعجم، واكفني شر فسقة الجن والإنس، واكفني شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم.

د ـ ومن دعاء ليلة ثلاث وعشرين ـ وقد تقدم نحوه في ليلة تسع عشرة عن مولانا الكاظم عليه السلام ـ وهذا رويناه «..» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول: اللهم اجعل فيما تقضي وفيما تقدر من الأمر المحتوم، وفيما تفرق من الأمر الحكيم في ليلة القدر، من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل، أن تكتبني من

حجاج بيتك الحرام في عامي هذا، المبرور حجهم، المشكور سعيهم، المغفور ذنوبهم، المكفر عنهم سيئاتهم، واجعل فيما تقضي وفيما تقدر أن تطيل عمري، وتوسع لي في رزقي.

ذ ـ دعاء الإمام الحسن بن علي عليه السلام في ليلة القدر: يا باطناً في ظهوره، ويا ظاهراً في بطونه، يا باطناً ليس(يخفى) ويا ظاهراً ليس يرى، يا موصوفاً لا يبلغ بكينونته موصوف، ولا حد محدود، يا غائباً غير مفقود، ويا شاهداً غير مشهود، يطلب فيصاب، ولم يَخْلُ منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين، لا يدرك بكيف، ولا يؤيَّن بأين ولا بحيث. أنت نور النور، ورب الأرباب، أحطت بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ـ ثم تدعو بما تريد.

*** ويلحق بالدعاء في هذه الليلة: الدعاء للمؤمنين والكافرين**

قال السيد: «ولا يمتنع الإنسان في هذه الليلة من دعوات بظهر الغيب لأهل الحق، وقد قدمنا في عمل اليوم والليلة فضائل الدعاء للإخوان»(١).

لا يحسن إسلام المسلم ولا يستقيم إيمانه إذا فهم التدين انغلاقاً على النفس وتقوقعاً في قمقم الذات.

التدين كالشمس الساطعة تبدد الظلمات وتخترق الحجب، وكالهواء الطلق لا يقف في طريقه سد، وهو حركة القلب المنطلقة أبداً في خط بياني تصاعدي في التحلل من قيود الأنا البغيضة.

لا يعرف التدين التعالي فهو من شجرة الإنغلاق البغيضة.

ولا ينسجم مع الحسد الشيطاني والحقد الممعن في الشيطنة.

التدين فيض حب ونبع حنان ومعين إيثار.

وبمقدار الإهتمام بالآخر يكون.

---

(١) الإقبال ١/ ٣٨٤.

وليس مجرد توصية عابرة أن يحمل المؤمن في ليلة القدر هم غيره، فيدعو للمؤمنين بظهر الغيب.

إنه مؤشر مدماك في الرؤية التوحيدية، وقاعدة للفكر الإسلامي، ومنهج في بناء الشخصية الإسلامية.

«كان عيسى بن أعين إذا حج فصار إلى الموقف (في عرفة) أقبل على الدعاء لاخوانه حتى يفيض الناس فقيل له: تنفق مالك وتتعب بدنك حتى إذا صرت إلى الموضع الذي يبث فيه الحوائج إلى الله أقبلت على الدعاء لاخوانك وتترك نفسك؟ فقال: إني على يقين من دعاء الملك لي وفي شك من الدعاء لنفسي»[١].

ونجد توضيح مراده في نموذج مماثل، وتلميذٍ آخر من مدرسة الإسلام المحمدي كما قدمه أهل البيت عليهم السلام:

عن عبد الله بن جندب قال: كنت في الموقف فلما أفضت لقيت إبراهيم بن شعيب، فسلمت عليه وكان مصاباً بإحدى عينيه وإذا عينه الصحيحة حمراء كأنها علقة دم فقلت له: قد أصبت بإحدى عينيك وأنا مشفق لك على الأخرى فلو قصرت من البكاء قليلاً.

قال: لا والله يا با محمد، ما دعوت لنفسي اليوم بدعوة فقلت: فلمن دعوت؟

قال: دعوت لإخواني. سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من دعا لأخيه بظهر الغيب وكل الله به ملكاً يقول: ولك مثلاه فأردت أن أكون إنما أدعو لإخواني ويكون الملك يدعو لي لأني في شك من دعائي لنفسي ولست في شك من دعاء الملك لي»[٢].

---

(١) المجلسي، البحار ٩٠/ ٣٩١.
(٢) المصدر.

ولا تكتمل صورة روعة الحب في التدين عند هذا الحد بل لم يتجاوز الحديث عن الصورة الإطار!

ليست غاية الحب أن تحب إخوانك المؤمنين فتؤثرهم على نفسك في الدعاء إيثار تجارة تبغي بها مصلحتك، ولا هي غاية الحب أن تدعو لهم حباً منزهاً عن المردود الربحي مهما كان وجيهاً، بل غايته أن تحب الخير للكافرين وتؤثرهم على نفسك وتمضي شطراً من ليلة القدر بالدعاء لهم.

ولا تحرك بالإنكارلسانك لتعجل به، فسيأتي ما يبدد كل غموض.

وتعال معي لنصغي بأذن القلب إلى تلميذ مدرسة أهل البيت المحمدي السيد ابن طاوس قدس الله تعالى نفسه الزاكية حيث يقول:

«وكنت في ليلة جليلة من شهر رمضان بعد تصنيف هذا الكتاب بزمان، وانا أدعو في السحر لمن يجب أو يحسن تقديم الدعاء له، ولي ولمن يليق بالتوفيق أن أدعو له، فورد على خاطري أن الجاحدين لله جل جلاله ولنعمه والمستخفين بحرمته، والمبدلين لحكمه في عباده وخليقته، ينبغي أن يبدأ بالدعاء لهم بالهداية من ضلالتهم، فإن جنايتهم على الربوبية، والحكمة الإلهية، والجلالة النبوية أشد من جناية العارفين بالله وبالرسول صلوات الله عليه وآله. فيقتضي تعظيم الله وتعظيم جلاله وتعظيم رسوله ﷺ وحقوق هدايته بمقاله وفعاله، أن يقدم الدعاء بهداية من هو أعظم ضررا وأشد خطراً، حيث لم يُقدر أن يزال ذلك بالجهاد، ومنعهم من الإلحاد والفساد. «..» فدعوت لكل ضالٍ عن الله بالهداية إليه، ولكل ضالٍ عن الرسول بالرجوع إليه، ولكل ضالٍ عن الحق بالإعتراف به والإعتماد عليه. ثم دعوت لأهل التوفيق والتحقيق بالثبوت على توفيقهم، والزيادة في تحقيقهم، ودعوت لنفسي ومن يعنيني أمره بحسب ما رجوته من الترتيب الذي يكون أقرب إلى من

أتضرع إليه، وإلى مراد رسوله ﷺ، وقد قدمت مهمات الحاجات بحسب ما رجوت أن يكون أقرب إلى الإجابات.

ونتابع الإصغاء إلى بيان الحيثيات، التي يشرحها بقوله:

«أفلا ترى ما تضمنه مقدس القرآن من شفاعة إبراهيم عليه السلام في أهل الكفران، فقال الله جل جلاله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾. فمدحه جل جلاله على حلمه وشفاعته ومجادلته في قوم لوط، الذين قد بلغ كفرهم إلى تعجيل نقمته. «..» أما رأيت ما تضمنته أخبار صاحب الرسالة، وهو قدوة أهل الجلالة، كيف كان كلما آذاه قومه الكفار، وبالغوا فيما يفعلون، قال صلوات الله عليه وآله: **اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**. «..» أما رأيت الحديث عن عيسى عليه السلام: **كن كالشمس تطلع على البر والفاجر**، وقول نبينا صلوات الله عليه وآله: **إصنع الخير إلى أهله وإلى غير أهله**، فإن لم يكن أهله فكن أنت أهله، وقد تضمن ترجيح مقام المحسنين إلى المسيئين، قوله جل جلاله: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. ويكفي أن محمداً ﷺ بعث رحمة للعالمين»[(١)].

ومن الواضح أن السيد رحمه الله قد راعى الثوابت التالية:

١ ـ أن الدعاء للكافرين ﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

٢ ـ أنه لم يحبهم على كفرهم، بل دعا لهم بالهداية.

٣ ـ أن الأصل في الدعاء لهم هو حب الله تعالى وحب نبيه ﷺ الذي يحتم حب وضع الحد للتمرد على طاعة الله عزّ وجلّ ومخالفة سيد أنبيائه عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام.

(١) الإقبال ١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥.

٤ ـ أن مبالغة الكفار في الأذى ما لم يصل إلى الحرب، لا تمنع من الدعاء لهم بالهداية.

٥ ـ أن المؤمن خير كله، لا يصدر منه إلا الخير. إن الله يحب المقسطين.

بهذا الفهم وهذه الروح ينبغي أن نستقبل ليلة القدر، موقنين بأنه لاحول لنا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٦ ـ الصلوات

أ ـ صلاة مائة ركعة بالحمد مرة والتوحيد عشراً، وقيل بالقدر عشراً، والأول أرجح، وهي من الأعمال العامة لليالي القدر، ولكن ورد الحث عليها في هذه الليلة بشكل خاص.

١ ـ عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله عليه السلام:

صلِّ في العشرين من شهر رمضان ثمانياً بعد المغرب، واثنتي عشرة ركعة بعد العتمة، فإذا كانت الليلة التي يرجى فيها ما يرجى فصلِّ مائة ركعة، تقرأ في كل ركعة قل هو الله أحد عشر مرات، قال قلت: جعلت فداك فإن لم أَقْوَ قائماً؟ قال: فجالساً، قلت: فإن لم أقو جالساً؟ قال: فصل وأنت مستلق على فراشك[1].

٢ ـ عن (الإمام) أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: من أحيا ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وصلى فيها مائة ركعة وسع الله عليه معيشته في الدنيا وكفاه أمر من يعاديه، وأعاذه من الغرق والهدم والسرق ومن شر السباع، ودفع عنه هول منكر ونكير، وخرج من قبره نور يتلألأ لأهل الجمع، ويعطى كتابه بيمينه، ويكتب له براءة من النار، وجواز على الصراط،

(١) الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام ٣/ ٦٤.

وأمان من العذاب ويدخل الجنة بغير حساب، ويجعل فيها من رفقاء النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وقال الشيخ المفيد في المقنعة: فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين اغتسلت عند مغيب الشمس، وصليت بعد العشاء الاخرة مائة ركعة، تقرأ في كل ركعة منها «فاتحة الكتاب» و«إنا أنزلناه في ليلة القدر»[١].

وقال في مسارّ الشيعة: «وصلاة مائة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وعشر مرات إنا انزلناه في ليلة القدر»[٢].

وقال السيد: واعلم أن ليلة تسع عشرة أولى الثلاث الليالي الأفراد، وهذه الليالي محل الزيادة في الاجتهاد «..» وقد روي أن هذه المائة ركعة تصلي في كل ليلة من المفردات كل ركعة بالحمد مرة، وقل هو الله أحد عشر مرات[٣]

وقد تقدم أن قراءة التوحيد فيها أرجح.

وتجدر الإشارة إلى الطريقتين الواردتين في الروايات لنوافل شهر رمضان، فمن أخذ برواية توزيع الثمانين على الأيام التي خصصت لها، فلا يصلي غير المائة ركعة من الألف شيئاً، أما من أخذ بالطريقة الثانية، فينبغي أن يصلي في الليالي الثلاث ـ وهذه الليلة منها ـ ثلاثين ركعة، وقد سبق بيان ذلك بالتفصيل في عمل اليوم الأول.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ثماني ركعات (بما تيسر) فتحت له أبواب السماوات السبع واستجيب دعاؤه[٤].

---

(١) المقنعة ١٦٨.

(٢) مسار الشيعة ٢٧.

(٣) الإقبال ١/ ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦ وما بين القوسين بحسبه.

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[1].

اللهم عاملنا بما أنت أهله ووفقنا لما تحب وترضى، برحمتك ياأرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٢٣
شهر رمضان

* وإحساني في عليين
* عليون: في اللغة
* في كتاب الله تعالى
* الكتاب، الأبرار، المقربون
* معنى الآية، والدعاء
* الطلبات الكبار
* وإساءتي مغفورة
* ويقيناً تباشر به قلبي
* ما هو اليقين؟
* نموذج لأهل اليقين
* تباشر به قلبي
* دعاء اليوم الثالث والعشرين
* دعاء آخر جمعة
* صلاة الليلة الرابعة والعشرين




تقدم أن هناك فقرة مشتركة بين جميع أدعية العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك، كما تقدمت وقفة عند عبارتين منها، وهما:

١ ـ وأن تجعل اسمي في هذه الليلة في السعداء.

٢ ـ وروحي مع الشهداء.

وأتابع هنا الوقوف في ظلالها بلحاظ أهمية التفكير بهذه المضامين التي أريد لنا أن نتفاعل معها في أكثر أيام شهر الله تعالى أهمية وحساسية.

يتركز الحديث هنا حول «**وإحساني في علّيين وإساءتي مغفورة وأن تهب لي يقيناً تباشر به قلبي..**».

* وإحساني في عليين

لكي نعرف معنى طلبنا من الله تعالى أن يكون إحساننا في علّيين، فلا بد من معرفة المراد بعلّيين؟

عِلِّيُون مصطلح قرآني. قال تعالى ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

وتضعنا الآية الكريمة أمام واجب معرفة معنى: الكتاب، والأبرار، والمقربين، لتكتمل الصورة.

وفي ما يلي وقفة عند معنى عليين، ثم عودة إلى المصطلحات الأخرى الواردة في الآية.

* عليون: في اللغة

ونرجع إلى مصادراللغة فنجد: علّيون: جمع عِلّيّ: المكان العالي ويقال أيضاً: عِلّيه وعُلّيه. وقد أورد العلامة المجلسي لهذه المفردة عدة معانٍ فقال: «عليون» اسم للسماء السابعة، وقيل اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد. وقيل: أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى في الدارالآخرة[١].

فهل المراد بعلّيّين في الآيات المباركة المتقدمة اسم مكان في أعلى الجنة كما تبنى هذا الرأي جماعة؟ أم أنه اسم سكان هذا المكان العالي كما تبنى هذا الرأي جماعة آخرون؟

الواقع أنه يمكن الجمع بين هذين الرأيين بتقريبين:

الأول: علّيون اسم مكان يسكنه أناس لهم ميزة ليست لغيرهم، ودرجة من القرب إلى الله عزّ وجلّ عالية لا يصل إليها سواهم، ولاختصاص هذا المكان ودرجته بهم، فهم «عِلّيون».

الثاني: علّيون في الأصل اسم لهؤلاء «العالين» وحيث أن «المكان بالمكين» فقد اتخذ المكان الخاص بهم هذا الإسم فأصبح يقال له «عِلّيون».

والثاني أرجح ويؤيده بحث «الأعراف» في القرآن الكريم وخلاصته أنا نطلق اللفظ على المكان لأن أهله هم «الأعراف».

كما يؤيده أنه قد ورد في الروايات استعمال علّيين بمعنى المكان وبمعنى أصحاب المكان.

من الأول: عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن الله عزّ وجلّ خلقنا من أعلى**

(١) **المجلسي، البحار** ٧٨/٦٤. نقلاً عن النهاية.

علّيّين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهتدي إلينا لأنها خُلقت مما خُلقنا منه»[١].

إذاً هناك مكان يطلق عليه اسم علّيّين.

ومن الثاني أي أن كلمة علّيّين تستعمل ويراد بها أصحاب هذا المكان، والساكنين فيه، قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«الإستغفار درجة العلّيّين»**[٢] إذ يمكن القول ـ على تأمل ـ إنها استُعمِلت هنا بمعنى: أصحاب هذا المكان الساكنين فيه.

* في كتاب الله تعالى

وحيث أن مصطلح «عليين» قرآني فينبغي لاستيضاح معناه ملاحظة ما يرتبط به في كتاب الله تعالى.

ونجد فيه الحديث عن «العالين» ملفتاً، مما يحتم الربط بينهم وبين هذا المصطلح فالعالون هم السر في إطلاق هذا المصطلح «عليون».

حول قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾. [ص: ٧٥] قال السيد الطباطبائي:

«قوله: ﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ استفهام توبيخ أي أكان عدم سجودك لأنك استكبرت أم كنت من الذين يعلون أي يعلو قدرهم أن يؤمروا بالسجود، ولذا قال بعضهم بالإستفادة من الآية إن العالين قوم من خلقه تعالى مستغرقون في التوجه إلى ربهم لا يشعرون بغيره تعالى.

وقيل: المراد بالعلو الإستكبار كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٨٣] والمعنى أستكبرت حين أمرت بالسجدة أم كنت من قبل من المستكبرين؟

---

(١) الحُويزي، تفسير نور الثقلين ٥/٥٢٩.

(٢) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده) ٤/٩٧.

ويدفعه أنه لا يلائم مقتضى المقام فإن مقتضاه تعلق الغرض باستعلام أصل استكباره لا تعيين كون استكباره قديما أو حديثاً.

وقيل: المراد بالعالين ملائكة السماء فإن المأمورين بالسجود هم ملائكة الأرض. ويدفعه ما في الآية من العموم»[١].

والنتيجة هي أن هناك مكاناً عالياً جداً في الجنة أطلق عليه اسم عليين لأنه مكان «العالين». وهو مراتب ودرجات كما سيتضح من الروايات.

* الكتاب، الأبرار، المقربون

ويستدعي استيضاح ذلك التأمل في الآيات والروايات حول مصطلحات: الكتاب والأبرار والمقربين التي ورد ذكرها في الآيات الكريمة.

والبحث حول ذلك طويل أقتصر على إضاءات منه.

أ ـ الكتاب

والمراد به هنا ما كتب وقضي قضاء حتماً[٢].

ب ـ الأبرار

وقد عرفهم الله تعالى بقوله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال السيد الطباطبائي:

«وبالجملة قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر، تعريف للأبرار وبيان لحقيقة حالهم، وقد عرفهم أولاً في جميع المراتب الثلاث من الإعتقاد

---

(١) الطباطبائي، تفسير الميزان ١٧/ ٢٢٦.

(٢) أنظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ٧/ ٢٥٢. «كلام في معنى الكتاب في القرآن».

والأعمال والأخلاق بقوله: من آمن بالله. وثانياً بقوله: أولئك الذين صدقوا. وثالثا بقوله: أولئك هم المتقون. فأما ما عرفهم به أولاً فابتدأ فيه بقوله تعالى: ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**﴾، وهذا جامع لجميع المعارف الحقة التي يريد الله سبحانه من عباده الإيمان بها، والمراد بهذا الإيمان، الإيمان التام الذي لا يتخلف عنه أثره، لا في القلب بعروض شك أو اضطراب أو اعتراض أو سخط في شئ مما يصيبه مما لا ترتضيه النفس، ولا في خلق ولا في عمل، والدليل على أن المراد به ذلك قوله في ذيل الآية: ﴿**أولئك الذين صدقوا**﴾. فقد أطلق الصدق ولم يقيده بشئ من أعمال القلب والجوارح فهم مؤمنون حقاً صادقون في إيمانهم كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وحينئذ ينطبق حالهم على المرتبة الرابعة من مراتب الايمان التي مر بيانها في ذيل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ [البقرة: ١٣١]».

وبالرجوع إلى ما أرجع إليه، نجدأن مراتب الإيمان الأربعة التي ذكرها رحمه الله تعالى، هي ـ باختصار ـ كما يلي:

١ ـ الإعتقاد بالشهادتين إجمالاً.

٢ ـ الإعتقاد بمجمل العقائد الحق على نحو التفصيل، والإلتزام بالأعمال الصالحة مع إمكان تجاوزها أحياناً.

٣ ـ إنقياد القوى الغريزية لهذا الإعتقاد، والوصول إلى مرتبة أن يعبد الله تعالى كأنه يراه.

٤ ـ أن تشمل العبد في هذه الحالة عناية إلهية خاصة فيشهد ـ ويعاين ـ أنه لا مؤثر إلا الله تعالى و«أن الملك لله وحده لا يملك شئ سواه لنفسه شيئا إلا به لا رب سواه، وهذا معنى وهبي، وإفاضة إلهية لا تأثير لإرادة الإنسان

فيه». ويستوعب هذا الحال جميع حالاته وأفعاله» قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾. [يونس: ٦٢ ـ ٦٣]، فإن هؤلاء المؤمنين المذكورين في الآية يجب أن يكونوا على يقين أن لا استقلال لشيء دون الله، ولا تأثير لسبب إلا بإذن الله حتى لا يحزنوا من مكروه واقع، ولا يخافوا محذوراً محتملاً، وإلا فلا معنى لكونهم بحيث لا يخوفهم شئ ولا يحزنهم أمر»[1].

وهكذا يتضح أن الأبرار هم أهل مرتبة متقدمة جداً من مراتب الإيمان، بل هم في أعلى المراتب التي يمكن لغير المعصوم بلوغها.

ج ـ المقربون

وحول هذا المصطلح أقتطف من كلام السيد الطباطبائي رحمه الله ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ الأنسب لما تقدم من معنى الآيات السابقة أن يكون «يشهده» من الشهود بمعنى المعاينة والمقربون قوم من أهل الجنة هم أعلى درجة من عامة الأبرار على ما سيأتي استفادته من قوله: ﴿**عينا يشرب بها المقربون**﴾ فالمراد معاينتهم له بإراءة الله إياه لهم[2].

٢ ـ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢١)﴾ [المطففين: ٢١]، وهذه الآيات تدل على أن المقربين هم الذين لا يحجبون عن ربهم بحجاب قلبي وهو المعصية والجهل والريب والشك، فهم أهل اليقين بالله، وهم يشهدون عليين كما يشهدون الجحيم[3].

٣ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الانعام: ٨٢].

---

(١) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ١/٣٠١ ـ ٣٠٣ باختصار شديد.

(٢) المصدر ٢٠/ ٢٣٥.

(٣) المصدر ١/ ٢٧٣.

وهؤلاء هم المقربون الفائزون بقربه تعالى إذ لا يحول بينهم وبين ربهم شيء مما يقع عليه الحس أو يتعلق به الوهم أو تهواه النفس أو يلبسه الشيطان فان كل ما يتراءى لهم ليس الا آية كاشفة عن الحق المتعال لا حجاباً ساتراً فيفيض عليهم ربهم علم اليقين ويكشف لهم عما عنده من الحقائق المستورة عن هذه الأعين المادية العمية بعد ما يرفع الستر فيما بينه وبينهم كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨ ـ ٢٠].

وتؤكد الروايات هذا المعنى الذي لا يمكن تفسير الآيات بموضوعية إلا به، وأكتفي بذكر بعضها:

١ ـ عن الأمام الباقر عليه السلام يقول:

إن الله عزّ وجلّ خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. وخلق قلوب عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، قلوبهم تهوى إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾[1].

٢ ـ وعنه عليه السلام: عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: قوله عزّ وجلّ: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾. قال: هو أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد، وهم المقربون السابقون: رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب والأئمة وفاطمة وخديجة صلوات الله عليهم وذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان، يتسنم عليهم من أعالي دورهم[2].

(١) الكليني، الكافي ١/ ٣٩٠. والبرقي، المحاسن ١/ ١٣٢.
(٢) المجلسي، البحار ٢٤/ ٣

٣ ـ وعنه ﷺ: في قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الأبرار﴾، إلى قوله: ﴿المقربون﴾. هو رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

٤ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿والسابقون السابقون. أولئك المقربون﴾. قال: نحن السابقون، ونحن الآخرون[١].

* معنى الآية، والدعاء

وبناء على ما تقدم يكون المعنى الإجمالي لقوله تعالى: **﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾** أن المكتوب والمحتوم للأبرار أنهم في مكان عالٍ جداً في الجنة، وهذا المكان يشهده ويعاينه المقربون الذين هم في أعلى الدرجات والمراد بالمقرّبين المصطفى ﷺ وأهل البيت عليهم السلام المختصين بمرتبة من القرب من الله تعالى لا يطمع فيها أحد[٢].

وعلى هذا الأساس فإن المراد عندما نطلب أن يجعل الله تعالى إحساننا في علّيين أن يمُنَّ علينا بصالح الأعمال التي يوفَّق لها الأبرار ويمُنَّ علينا عزَّ وجلّ بأحسن قبولها لتكون أعمالنا في علّيين ونصبح من أهلها، وبديهي أن ذلك يتوقف على معرفة رسول الله ﷺ، وهم المقربون الذين كانت عليون بهم، فالدعاء إذاً بمثابة طلب العقيدة الحق والعمل بمقتضاها. وما ذلك على الله بعزيز.

* الطلبات الكبار

و تريد لنا هذه المضامين أن نتعلم التركيز على الطلبات الكبيرة، فلا يقتصر الإنسان في دعائه على الأمور الصغيرة العادية.

ينقل في هذا المجال أن شخصاً كان يدعو دائماً أن يرزقه الله تعالى

---

(١) المصدر.

(٢) أنظر: الطباطبائي، تفسير الميزان ٢٠/ ٢٣٠.

كوخاً في الجنة، وذات يوم رأى في منامه أن القيامة قامت واستقرّ أهل الجنة في قصورهم وإذا به يُعطى كوخاً! فقال: إلهي، ولماذا؟ فجاء الجواب أنت طلبت هذا.

يراد لنا أن نتعلم أن نطلب من أكرم الأكرمين الطلبات الكبيرة من قبيل: **«وإحساني في علّيين»**.

وتسأل: لماذا لم نطلب درجة المقرّبين؟

والجواب: لأن هذه الدرجة لا يطمع فيها أحد كما تقدم فهي لصفوة خلق الله عزَّ وجلّ.

* وإساءتي مغفورة

والمراد بذلك أن يوفقنا الله تعالى للتوبة عند الهفوات ويغفر لنا زلاتنا حتى لا نحاسب يوم القيامة بإساءة.

وبديهي أن «الزلة» لا تكون عن سابق عمد وإصرار، وهو ما يوضح أن القرار بعدم الوقوع في المعصية قد اتخذ سابقاً وهو أمر مفروغ منه، لتنحصر مشكلة الداعي الذي يقول **«وإساءتي مغفورة»** بالزلات التي تكون نتيجة غلبة الشقوة.

وكأن من يقرأ هذا الدعاء يريد أن يقول: لضعفي وغلبة شقوَتي سأعود إلى المعصية رغم توبتي وحبي لرضاك يا إلهي، اللهم فاجعل إساءتي التي سأقع فيها مغفورة. وفّقني للتوبة منها وتقبّل توبتي.

هنيئاً لمن لا يجد في ديوان أعماله سيئة، يوم العرض على الله تعالى.

* ويقيناً تباشر به قلبي

من الواضح أن الأعمال الصالحة تزيد في توفيق الإنسان واستحقاقه للهدى وعندما توجه الداعي إلى الله عزَّ وجلّ أن يجعل إحسانه في علّيّين

وإساءته مغفورة، انطلق من ذلك ليطلب ما يترتب عليه فقال «**ويقيناً تباشر به قلبي**» إلهي إذا جعلت إحساني في علّيّين وإساءتي مغفورة فإني بكرمك وبفضلك لا باستحقاقي أُصبح أطمع باليقين.

وهنا سؤالان: أولاً: ما هو اليقين؟

ثانياً: لماذا أمرنا أن ندعو بطلب مباشرته للقلب «**تباشر به قلبي**»؟

* ما هو اليقين؟

حول السؤال الأول، يمكن القول: اليقين اعتقاد جازم ناشيء عن رؤية الحقيقة بالقلب أو به وبالعين رؤية لا تقبل التشكيك فضلاً عن التكذيب.

وهذه بعض الروايات:

١ ـ روي عن رسول الله ﷺ «الموقن يعمل لله كأنه يراه فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[١].

٢ ـ عن أبي الحسن عليه السلام، قال: سمعته يقول: **الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شئ أقل من اليقين**[٢].

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط[٣].

---

(١) الشيخ الصدوق، معاني الأخبار ٢٦١.

(٢) النمازي، مستدرك سفينة البحار ١٠/٥٩٥.

(٣) المصدر.

قال العلامة المجلسي: «وجعل بعض المحققين لليقين ثلاث درجات: الأولى علم اليقين، وهو العلم الذي حصل بالدليل كمن علم وجود النار برؤية الدخان. والثانية عين اليقين، وهو إذا وصل إلى حد المشاهدة كمن رأى النار. والثالثة حق اليقين، وهو كمن دخل النار واتصف بصفاتها»[١].

والخلاصة أن اليقين الذي نطلبه من الله عزَّ وجلّ، عندما نقول في كل ليلة من العشر الأواخر هو بمعنى أن يصبح إيماننا قوياً لا يتداخله أي شك وأدنى ريب على الإطلاق ليصبح من يطلب ذلك ـ في أدنى درجاته ـ هو والجنة كمن قد رآها فهو فيها منعَّم، وهو والنار كمن قد رآها فهو فيها معذَّب، وفي أعلى درجاته ممن يرون الجنة ويرون الجحيم.

* نموذج لأهل اليقين

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله، صلى في الناس الصبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرا لونه قد نحف جسمه، وغارت عيناه في رأسه، (ولصق جلده بعظمه) فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا (حارث)؟ قال: أصبحت يارسول الله موقناً، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله، من قوله وقال له: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يارسول الله هو الذي أحزنني، وأسهر ليلي، وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي قد نصب للحساب، وحشر الخلائق لذلك، وأنا فيهم، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الأرائك متكئون، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا عبد نَوَّر الله قلبه بالإيمان، ثم قال له: إلزم ما أنت عليه، فقال الشاب: أدع الله لي يارسول الله أن أرزق الشهادة

---

(١) المجلسي، البحار ٦٧/ ١٣٥.

معك، فدعا له رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ، فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر(١).

وهنا ملاحظات سريعة:

١ ـ إنه نموذج للتربية النبوية، فليقف القلب على أعتابه طويلاً.

٢ ـ لم يكتف هذا الصحابي الجليل ـ واسمه حارث ـ بما كان قد وصل إليه، ولاهو يراه الغاية، بل الشهادة هي مرمى القلب والبصيرة.

٣ ـ قول رسول الله ﷺ: هذا عبد نَوَّر الله قلبه بالإيمان، وقوله: إلزم ما أنت عليه، دعوة للأجيال، وللشباب بشكل خاص إلى هذا اليقين وهذا السلوك.

«قال بعض المحققين: هذا التنوير الذي أشير إليه في الحديث إنما يحصل بزيادة الإيمان وشدة اليقين، فإنهما ينتهيان بصاحبهم إلى أن يطّلع على حقائق الأشياء محسوساتها ومعقولاتها، فتنكشف له حجبها وأستارها، فيعرفها بعين اليقين على ما هي عليه، من غير وصمة ريب أو شائبة شك، فيطمئن لها قلبه، ويستريح بها روحه، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيراً، وإليها أشار أمير المؤمنين عليه السلام، بقوله: **«هجم بهم العلم على حقائق الأمور، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالملأ الأعلى»**. أراد عليه السلام ـ بما استوعره المترفون «أي» المتنعمون ـ رفض الشهوات البدنية وقطع التعلقات الدنيوية وملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والإحتراز عما لا يعني ونحو ذلك، وإنما يتيسر ذلك بالتجافي عن دار الغرور والترقي إلى عالم النور، والأنس بالله، والوحشة عما سواه، وصيرورة الهموم جميعاً هماً واحداً، وذلك لأن القلب مستعد لأن يتجلى فيه

---

(١) المجلسي، البحار ٦٧/ ١٥٩. وأنظر: الطبرسي، مشكاة الأنوار ٤٦. ومابين القوسين منه.

حقيقة الحق في الأشياء كلها من اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى به إلى يوم القيامة وإنما حيل بينه وبينها حجب كنقصان في جوهره أو كدورة تراكمت عليه من كثرة الشهوات، أو عدول به عن جهة الحقيقة المطلوبة، أو اعتقاد سبق إليه ورسخ فيه على سبيل التقليد، والقبول بحسن الظن، أو جهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب وإلى بعض هذه الحجب اشير في الحديث النبوي:

«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[1].

فاليقين الذي أريد لنا أن نطلبه بإلحاح في العشر الأواخر من شهر الله تعالى هو هذه المرتبة الأعلى من الإيمان، وفي الروايات تأكيد شديد على طلب اليقين.

عن رسول الله ﷺ «أن الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله». وعن أمير المؤمنين عليه السلام «إسألوا الله اليقين وارغبوا في العاقبة وخير ما دار في القلب اليقين».

إذاً نحن مأمورون أن نطلب من الله عزَّ وجلّ أن يمنّ علينا باليقين وأعلى درجات الإيمان بحيث إن من دخل إلى هذه المرتبة لا يتراجع ولا يضعف، ولا يتداخله أيُّ شك على الإطلاق.

وتبلغ أهمية اليقين أن صاحبه حتى إذا لم يأتِ إلا بالواجبات فإنه قد بلغ مرتبة عظيمة.

عن علي عليه السلام أنه سمع أحد[2] الخوارج يتهجد ويقرأ فقال أمير المؤمنين عليه السلام «نوم على يقين خير من صلاة على شك».

(١) المجلسي، البحار ٦٧/ ١٦١.

(٢) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده) ٤/ ٢٢.

فلنحرص أيها العزيز على طلب اليقين بوعي وإلحاح، خصوصاً في الموسم المخصص لذلك، وهو هذه العشر الأواخر، كما يدل عليه تكرار الطلب فيها بما لا يتناسب مع غيرها.

* تباشر به قلبي

وهو محور السؤال الثاني الذي تقدم.

قد نوقن بشيء نظرياً فيبقى في العقل ولا يصل إلى القلب. نوقن مثلاً بحُسن العدل وقبح الظلم إلا أننا نظلم، ونوقن بحفظ حقوق الآخرين وكراماتهم، إلا أننا نتصرف بما ينافي هذا اليقين.

يبدو أن المراد هنا أن اليقين الذي يبقى في العقل ينفك عن العمل والسلوك فتظهر الهُوَّة بين النظرية والتطبيق، أما اليقين الذي يباشر الله به قلوبنا فإنه يتحول إلى مخزون شعوري وجداني يستند إلى قناعات العقل فلا ينفك عن العمل، وتظهر آثاره في السلوك.

يقول الإمام الخميني رضوان الله عليه «**إبذل الجهد لتصل كلمة التوحيد من عقلك إلى قلبك فإن حظ العقل هو ذلك الإعتقاد البرهاني الجازم وإذا لم يصل حاصل هذا البرهان بالمجاهدة والتلقين للقلب فإن فائدته وأثره لا يكادان يُذكران**»[١].

إن اليقين الذي نطلبه من الله تعالى في هذه الفقرة المتكررة في أدعية العشر الأواخر، يقين ينتقل من العقل ويستند إلى قناعاته ويستقر فى القلب ويصبح مخزوناً من الحب لله عزَّ وجلّ ولما يرتبط به، متلازماً مع التبرّي من أعداء الله عزَّ وجلّ وما يتصل بهم ضمن الأحكام الشرعية والحدود الإلهية.

---

(١) الإمام الخميني، بلسم الروح «ترجمة المؤلف».

* دعاء اليوم الثالث والعشرين

اللهم اغسلني فيه من الذنوب وطهّرني فيه من العيوب وامتَحِن قلبي فيه بتقوى القلوب يا مُقيل عثرات المؤمنين

إلهي أردتُ أن يكون باطني لك، وظاهري لأهل الدنيا لأصبح من أهل سرّك الذين تدخلهم الجنة سراً، فجعلتُ ظاهري لك من أجل الناس وهربت بباطني عنك، سرتُ في خطوات الشيطان أقفو أثره مُنْهِماً في البعد عنك ومُنْجِدا! صبغتُ ظاهري بقشرة تقوىً بينها وبين ملامسة القلب أطنان الحجب وأثقال الذنوب!

وها أنا ذا يا إلهي في ضيافتك وقد أدركتُ أني من الأخسرين أعمالاً فهل تنهمر مُزُن رحمتك لتغسلني من أدراني وهل تبلسم بحنانك جراحات قلبي المظلم، وتمطره بحزمة سناً فتطهرني من عيوبي وتمنّ عليّ بتقوىً تلامس شغافه، فأعبدك وحدك، وأخشاك وأرجوك وحدك لا شريك لك.

مذنب أنا، مقرّ، مذعنٌ، معترفٌ، فأقِلني يا مقيل عثرات المذنبين.

* دعاء آخر جمعة

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ في آخر جمعة من شهر رمضان، فلما بصر بي قال لي: «يا جابر هذا آخر جمعة من شهر رمضان فودعه، وقل: اللهم لا تجعله آخر العهد من صيامنا إياه، فإن جعلته فاجعلني مرحوماً، ولا تجعلني محروماً. فإنه من قال ذلك ظفر بإحجى الحسنيين: إما ببلوغ شهر رمضان من قابل، وإما بغفران الله ورحمته»[1].

* صلاة الليلة الرابعة والعشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة وهي عبارة عن ثلاثين ركعة،

---

(١) الإقبال ١/ ٤٢٢.

ثماني ركعات بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء نقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو بالترتيب المتقدم ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة أربع وعشرين منه ثماني ركعات (بما تيسر) يقرأ فيها ما يشاء كان له من الثواب كمن حج واعتمر[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لا يغفل، سبحان من هو رحيم لا يعجل، سبحان من هو قائم لا يسهو، سبحان من هو دائم لا يلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله صلوات الله عليه وعليهم.



(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.
(٢) الكفعمي، المصباح ٥٦٣. الهامش.




٢٤
شهر رمضان

* في الروايات
* القناعة المادية
* القناعة المعنوية
* حقيقة القناعة
* لاسعادة إلا بالقناعة
* من آثار القناعة
* دعاء اليوم الرابع والعشرين
* صلاة الليلة الخامسة والعشرين




ما يزال الحديث حول الفقرة المشتركة بين أدعية الليالي العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك والتي ورد فيها «**وأن تهب لي فيها يقيناً تباشر به قلبي وإيماناً يُذهِب الشك عني وترضيني بما قسمت لي**»[١].

ولن أقف عند عبارة «**وإيماناً يُذهِب الشك عني**» لأن معنى ذلك قد اتضح من خلال الحديث عن اليقين.

ويتركز الحديث هنا حول: «**وأن ترضيني بما قسمت لي**».

والرضا بما قسم الله تعالى، تعبير آخر عن القناعة، فهي المعنى المراد هنا.

وبالرجوع إلى الأدعية التي وردت فيها هذه الفقرة أو مايشترك معها معنى، يتضح أن غالب الموارد ظاهر في طلب القناعة بالرزق المادي الذي قسمه الله تعالى، ولعل أوضحها «**ورضني من العيش بما قسمت لي**»[٢] إلا أن بعض الموارد ينسجم مع العموم، ولعل أوضحها «**اللهم إني ضعيف فقوِّ في رضاك ضعفي وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإيمان منتهى رضاي وبارك لي في ما قسمت لي وبلغني برحمتك كل الذي أرجو منك واجعل لى وُدّاً وسروراً للمؤ منين وعهداً عندك**»[٣].

(١) من دعاء الإمام السجاد عليه السلام بعد صلاة الليل. الصحيفة السجادية (أبطحي) ٢٣٤.
(٢) الشيخ البهائي، مفتاح الفلاح ١٤٦.
(٣) الكليني، الكافي ٢/١٣٨.

فإن «كل الذي أرجو» عام يضيء على معنى «ماقسمت لي» على تأمل ضعيف، ويأتي مزيد إيضاح.

* في الروايات

وهذه نبذة من الروايات حول القناعة:

١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فإن أيسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك[١].

إذا لم يحدد الإنسان هدفه، ويقرر بوضوح ماذا يريد في هذه الحياة الدنيا؟ هل يريد أن تتكامل إنسانيته وهو لذلك بحاجة إلى مايكفيه، أم يريد أن تتكامل ملكيته، وهو لذلك يطلب تملك كل ما يمكنه الوصول إليه، ولا يقف عند عنوان «ما يكفي» فإنه سيبقى في ضنك دائم ومعاناة مستمرة، ولن يحقق ما يريد.

٢ ـ عن الإمام الباقر عليه السلام «أكل أمير المؤمنين عليه السلام، من تمر دقل، ثم شرب عليه الماء وضرب على بطنه وقال: من أدخله بطنه النار فأبعده الله»[٢].

والدقل: أردأ أنواع التمر.

٣ ـ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله ولأروضنّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً[٣].

---

(١) المجلسي، البحار ٤/ ٣٤٠.
(٢) النمازي، مستدرك سفينة البحار ٤/ ٢٥٣.
(٣) الكليني، الكافي ٨/ ٢٤٤.

وحيث إننا كما قال لنا عليه السلام «لاتقدرون على ذلك»، فلا أقل من عدم الإسترسال، وأن يقتنع كلٌ منا بمستوى معيشي معقول، ولا يصح أن ندع الحرص يجرُّنا باستمرار إلى توقُّع مستويات مادية أفضل.

٤ ـ قال أبو جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام: إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله: «ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم» وقال: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا» فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنما كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجده.

٥ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام، يقول لحمران بن أعين: يا حمران انظر إلى من هو دونك في المقدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك، إعلم أن العمل الدائم القليل على يقين أفضل عند الله جل ذكره من العمل الكثير على غير يقين. واعلم انه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله والكف عن أذى المؤمنين واغتيابهم ولا عيش أهنأ من حسن الخلق ولا مال أنفع من القنوع باليسير المجزي ولا جهل أضر من العجب»(١).

٦ ـ وتبيّن لنا الروايات أن القانع هو الذي يحيى الحياة الطيبة، وهو الملك بما تعنيه كلمة الملك من سعادة، وسبب سعادته وحياته الطيبة حسن خلقه الذي يتجلى في قناعته.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿فلنحيينَّه حياةً طيبة﴾ فقال هي القناعة، وعنه عليه السلام «كفى بالقناعة ملكاً وبحسن الخلق معيناً».

وقد أمرنا أن نحارب الحرص في نفوسنا وهو النقيض للقناعة.

---

(١) أنظر فيه وما بعده: الريشهري، ميزان الحكمة. القناعة.

٧ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام «إنتقم من حرصك بالقنوع كما تنتقم من عدوك بالقصاص.

إذا لم يحرص الإنسان على القناعة وحرص على التملك والمستويات المادية المختلفة والمغرية فإنه لن يصل إلى ما يصبو إليه وسيبقى يتجرع الغصص، لأنه حتى إذا حصل على أموال الدنيا فإنه لتأصُّل الحرص فيه سيبقى يطلب المزيد، ثم يكون من الأخسرين أعمالاً.

٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام «إن في ما نزل فيه الوحي من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغى إليهما ثالثاً.

سوف لن يقف حرص الإنسان عند حد، والحريص يقضي على نفسه.

٩ ـ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً كان أبعد لها عن الخروج حتى تموت غماً.

إن القناعة هي الحياة الطيبة التي يتخلص الإنسان فيها من تجرع الغصص ويوفّر فيها الكثير الكثير من الوقت والجهد الذي يصرفه عادة بدون نتيجة، ليصرفه في ماينبغي، ويوفّر ماء وجهه، وكرامته وراحة عقله وقلبه وأعصابه، ويعمل باتجاه أن يكون من الذين رضي الله تعالى عنهم ويصل إلى جوار محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليه وعليهم.

لذلك كله نحن مأمورون في هذه الليالي الأخيرة من شهر رمضان المبارك أن نطلب من الله تعالى أن يرزقنا القناعة «وترضيني بما قسمت لي».

* القناعة المادية

لا شك أن عناية الوحي بأمرالمعاش والأمور المادية عموماً عناية كبيرة، تفوق بكثير ما نعطيه لها من حجم وموقع في عملية بلورة المفاهيم، وفي قائمة مقدمة الإهتمام الذي نعترف به، كما أنها أقل بكثير من الحجم التي تحتله في واقع اهتمامنا وإن لم نعترف.

وتكفي نظرة إلى القرآن الكريم والحديث الشريف لتوضح بجلاء مدى الأهمية التي تولى للخمس والزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الله تعالى بشكل عام.

كما تكفي نظرة إلى نصوص الحكم والإدارة في الإسلام لمعرفة موقع «الفيء» وتقسيم المال بالسوية ـ اللذين نجد حضورهما قوياً في سيرة رسول الله ﷺ، وخلافة الأمير عليه السلام، وأهداف نهضة سيد الشهداء عليه السلام ـ ودلالة ذلك على شديد عناية الإسلام بالأمر المعيشي للناس.

ويساعد ماتقدم على فهم معنى أن يكون من مرتكزات الدعاء مايتعلق بالرزق والشأن المعيشي عموماً

والحقيقة التي تقود إليها نصوص الوحي بخطى ثابتة هي أن الشأن المعيشي يجب أن يكون في مقدمة الإهتمام شرط أن يبقى في الحدود المنطقية التي تتناسب معه.

والسبب في كون موقعه الطبيعي من الأولويات هو أن الإستقرار النفسي للإنسان رهن تأمين احتياجاته، كما أن السبب في اشتراط بقاء الإهتمام بالشأن المعيشي ضمن الحدود والضوابط هو أن النفس البشرية إذا تفلتت من حكم العقل تستدرج إلى حيث لاتشبعها الدنيا برمتها.

ولتحقيق هذه الموازنة في النفس، تطل علينا في الأدعية، رائعة **«وترضيني بما قسمت لي»**.

* القناعة المعنوية

وما يقال في الشأن المادي، ينطبق بعينه في المجال المعنوي، وإن كانت الأسباب فيهما مختلفة، إلا أن النتيجة واحدة وهي وجود أمان كثيرة وآمال عريضة تتوق إليها النفس وإذا لم تهتد إلى القناعة فقد تلح عليها بالحسرات التي قد تذهب بها.

وبناء عليه فإن الفقرة عامة، تشمل كل موارد الآمال والأماني.

وسواءً فهمنا أن المراد هو القناعة المادية أو ما يشمل مانتصوره معنوياً، أو يشمل بالإضافة إليهما الأمور المعنوية الصِّرف، فإن المعنى واحد.

توضيح ذلك أن هناك ثلاثة مجالات:

١ ـ الأمور المعيشية من مال وسائر الممتلكات.

٢ ـ الأمور التي ترتبط بها من فرص عمل، وموقع بين الناس، ومقومات شخصية يستند إليها هذا الموقع من اختصاص وملكات.

٣ ـ الخصائص النفسية، والملكات الأخلاقية، التي تستند إلى نوع تعامل العقل والقلب والكيان مع الحقائق.

ولئن ألفنا أن نصنف الثاني في «الأمور المعنوية» فإنها في الواقع منه براء، فهو في حقيقته مادي، ويتضح ذلك بجلاء إذا اعتبرنا المقياس في التصنيف هو ما ينفع في عالم المادة، وما ينفع في عالم المعنى، وبتعبير آخر: الدنيا والآخرة.

ولا خلاف في أن البند الأخير معنوي صرف، وهو مع ذلك مورد للقناعة، كما سيأتي.

ومن المفيد الإشارة إلى أن القناعة في الأمور المعنوية لاتحتاج إلى التأكيد الذي تحتاج إليه القناعة في الأمور المادية، لأننا نميل تلقائياً إلى الأخذ من المعنويات بالحد الأدنى، ثم إن للشره وعدم القناعة في النفس مكمناً واحداً، إذا تمت معالجته فقد تمت معالجة كل مجالاته، ومحل الإبتلاء هو الأولى بالتأكيد.

* حقيقة القناعة

هذه القناعة التي لا تنحصر بالشأن المادي، وما يتصور أنه معنوي إلا أن ساحة نفعه والنية يحددان هويته، هي التي ورد الحث عليها في النصوص

الدينية، لأنها تؤمن حاجة معنوية للنفس لاغنى لها عنها، ولاتستقيم سعادتها بدونها.

ويتضح ذلك بالتأمل ـ حول القناعة في الأمور المادية ـ في أن طبيعة الدنيا قائمة على التدرج والتنافس والظلم، مما يعني أن الأماني والآمال التي تطمح إليها النفس إما أن تتحقق في وقت وربما طال، أو لازمته صعوبات وعقبات، وإما أن لاتتحقق وهو الغالب كما نشاهد بالوجدان.

وبالتأمل ـ حول القناعة في الأمور المعنوية ـ في أن التدرج يبرز كقاسم مشترك في عدم التحقق الدفعي للأماني والآمال، ولكن لاوجود للتنافس والظلم كعاملين يحولان دون تحقيق ما تصبو إليه النفس ـ في البعد المعنوي ـ إلا أن المعاناة أشد وطأة لفارق جوهري،

وعليه فإن عدم الرضا بما قُسم أوفقل عدم القناعة به سيترك آثاره السلبية كدوحاً في النفس بعيدة الغور، لاتلبث أن تتحول إلى تشوهات تحمل صاحبها على اعتماد الأساليب غير المشروعة، لتحقيق أمنياته وآماله.

لذلك كان لا بد من تحصين النفس البشرية مما يجرها مرغمة إلى التفلت من القانون، أو يتسبب ـ في أفضل الحالات ـ بالإشتراكات المَرَضية النفسية التي قد تظهر في حالة كآبة وإحباط وإساءة ظن بالناس أجمعين وعدوانية حاقدة تجاههم.

ولاتعني القناعة في جوهرها الإعراض عن بذل الجهد للحصول على وضع ديني أو دنيوي أفضل، فذلك هو الخمول والكسل واللامبالاة، بل تعني تجنب الجشع والشره والإستئثار، فقد يكون قنوعاً من يمتلك ثروة طائلة، وقد يفتقرإلى القناعة من تطويه عجلة فقر مدقع.

القناعة إذاً حالة في النفس لايملك الظاهر أن يعبر عنها إلا بمقدار ماتظهر فلتات لسان الحال في الفعل ومنه حركة اللسان.

إن القناعة هي الرضا بالواقع المعنوي أو المادي والتعايش معه، مع بذل الجهد لتحسينه ضمن الضوابط المشروعة دون ذهاب النفس حسرات، ولا استعجال نضج الثمرة التي لم يحن أوان قطافها.

يوضح ذلك أن الإسلام لايضع حداً للتملك يلزم بعدم تجاوزه، وإنما يضبط سبل التملك، ويمنع من عبودية النفس للممتلكات، لكي لاتنقلب الحقيقة زيفاً ويصبح المملوك مالكاً، والعكس، كما ينصح بعدم التورط بالدنيا والإشتباك معها لأن عدم تحديد سقف في المجال المادي يجعل السائر في طلب الدنيا كمن يشرب من ماء البحر، لايزداد إلا عطشا.

أما في الأمور القيمية والمعنوية فإن الإسلام لايرضى بالإلتزام بسقف عادي متواضع، بل يحث على الإستزادة منها إلى حد طلب أعلى المراتب **«واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأقربهم منزلة منك، وأخصهم زلفة لديك»**[١]

نعم يشترط في هذا الطلب أن يكون مصبه «عند الله تعالى» كما تلاحظ في الفقرة المتقدمة: عندك، منك، لديك. وليس عند الناس، لأن كون الناس مصب الإهتمام يحوِّل الأمر المعنوي إلى شأن دنيوي منفصل عن القيم والآخرة.

* لا سعادة إلا بالقناعة

مهما شرقت النفس أو غرَّبت، أنجدت أو أتهمت، فلن تجد السعادة إلا في ظل **«وترضيني بما قسمت لي»** شرط أن نفرق بين الواقع والمرتجى، وشرط أن يكون المرتجى ضمن المسموح والمشروع.

---

(١) من دعاء كميل، للإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وعلى هذا الأساس فلا داعي إطلاقاً لحصر القناعة بالأمور المعيشية، بل هي تشمل بالإضافة إليها كل ما يندرج تحت البند الثاني من البنود المتقدمة مما يرتبط بتسهيل الحركة في الدنيا وفق الأسباب المادية والمعنوية المرتبطة بها، بل وتشمل القناعة في الأمور المعنوية الصرف.

وتتلخص القناعة في ضوء ما تقدم في أن يتعامل الإنسان مع كل شيء بحسب ما يستحق، وذلك بمراعاة الآتي:

١ ـ حيث أن الأمور المادية مهمة فهو يهتم بها، ولكن بما أن الأمور المعنوية أهم فهو يوليها ماناسبها ولا يسمح للإهتمام بسواها أن يطغى على الإهتمام بها.

٢ ـ وعندما يهتم بأمر مادياً كان أو معنوياً، فهو يفرق بين الطرق المشروعة للحصول عليه وبين غيرها.

٣ ـ ثم إنه لايسمح للإهتمام أن يتحول إلى أزمة نفسية تتراكم مضاعفاتها فتفتك بقلبه وجسده لاستعجاله تحقيق مالم يحن أوانه.

وهكذا تتحول القناعة إلى واقعية تحمله على المثابرة، بدل أن تكون وهماً يضغط على أعصابه وحسداً وحنقاً تلتهمه نيرانهما، لتتحقق له السعادة بجناحيها: الرضا بما قسم له، والأمل بالغد المشرق، يحلق بهما في مناخ سوي بعيداً عن تشنج المتكالبين وأساليبهم الملتوية.

* من آثار القناعة

ينبغي أن يكون الإنسان راضياً بما قسم الله تعالى له في كل مجال من الفهم والعلم والموقع الإجتماعي وغير ذلك من الأمور المعنوية، كما ينبغي أن يكون قانعاً راضياً بما قسم الله تعالى له في الأمور المادية كالمال والسكن ومختلف اللوازم.

ونمس الحاجة إلى تأكيد ماتقدم من أن القناعة لا تعني عدم السعي

لتحسين الموقع والظرف، بل تعني أن لايسلك من أجل ذلك أي سلوك ينافي العقل، فيعتمد قاعدة: الغاية تبرر الوسيلة.

وعندما يكون الإنسان قانعاً في الأمور المعنوية فإنه لا يحسد أحداً أفضل منه على ما آتاه الله تعالى ويتعامل مع الأمور بواقعية، كما يتخلّص بالقناعة من التعالي والتكبر الناشيء من حاجة وهمية إلى كونه فوق الآخرين، لأن القانع بما هو فيه يعرف بشكل أو بآخر حدود نفسه ويرضى بها، ويحب الوصول إلى المراتب العالية ولكن بالطرق المشروعة، وليس منها التعالي، فلا يعيش التكبر.

وإذا تخلّص الإنسان من التكبر والحسد فقد تخلّص من أهم المنغّصات التي تضيّق عليه الخناق وتقض مضجعه ودون طائل، ومن أخطر مصدرين لمساؤيء الأخلاق.

كما يتم بالقناعة التخلص من الرياء والمراء وهو الجدل الذي يهدف إلى إظهار الذات بدلاً من إظهار الحق، لأن الراضي بما قسم الله له لا يحرص على أن يظهر للناس فوق ما هو فيه، إنه ينطلق من حقيقة أمره راضياً به فلا يعاني من عقدة نقص تضطره إلى التلبيس.

إن القناعة في الأمور المعنوية تعبير آخر عن تهذيب النفس فالقانع في هذا المجال شخص عرف حقوق نفسه فوقف عندها وتعامل مع الله تعالى ومع الناس على هذه القاعدة، فلايبتلى بحجب الإنتفاخ الموهوم التي تمنعه من رؤية حقيقته وذلك يؤهله أن يتوب إلى الله تعالى بصدق، فيقول من الأعماق: **إلهي أنا عبد أتنصّل إليك مما كنت أواجهك به من قلة استحيائي من نظرك، وأطلب العفو منك..**»[1] لأن القانع بما هو عليه في الأمور المعنوية بعيد عن التكبر، والتوبة لا بد فيها من التواضع والإنكسار والإعتراف بالخطأ، والقانع بما هو عليه مؤهل لهذه التوبة.

---

(١) من المناجاة الشعبانية.

وأما القناعة في الأمور المادية فلأجل استيضاحها ينبغي الإلتفات إلى أن الله تعالى خلق الإنسان لعبادته، وبعبادته عزَّ اسمه تتكامل إنسانية الإنسان ويصبح أهلاً للحياة الطيبة بجواره، وللمخلوق حاجاته المادية التي ينبغي الإهتمام بها في الحدود التي لا تلغي الهدف الأساس من الخلقة، ولا شك أن القناعة هي الصفة النفسية الكفيلة بإقامة التوازن في مجال الإهتمام بالشؤون المعيشية والمادية عموماً وبفقد القناعة وحلول الحرص مكانها فإن كل ما في الدنيا لا يكفي الإنسان الذي يصبح في الحقيقة شكل إنسان.

الأصل إذاً أن يقنع الإنسان بمستوىً معيشي مقبول وينصرف إلى واجباته الأساسية: بناء نفسه، وقيامه بواجباته: صلة الرحم، بر الوالدين، خدمة الناس، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل الله تعالى، والبحث عن الشهادة، والدفاع عن الحق ضد الباطل، فإذا لم يقتنع الإنسان ارتفع سقف مطالبه واستمرّ يرتفع، الأمر الذي يستدعي ارتفاع سقف بذل الجهد في غير ماينبغي، وكلما أصبحت الأماني أكثر، والآمال أعرض، كلما استدعى ذلك جهداً أكثر حتى يستغرق الجهد وقته من أجل تحقيق ما يطمع فيه ويحرص عليه، وبالإضافة إلى بذل الجهد الكثير فإن الحريص الذي لا يمتلك القناعة يتجرع الغصص باستمرار لأنه ينظر إلى ما هو فوقه، ومن راقب الناس مات هماً، عندها ينشغل كلياً عما خُلق لأجله ويعجز عن تحقيق مطامعه التي تزداد باستمرار ولا تقف عند حد.

كان الناس يعيشون سعداء نسبياً ولم يكن في بيت أحدهم ما يعادل ثمن جهاز واحد من الأجهزة الأساسية عندنا الآن في منازلنا ويملأ الشخص منا بيته أثاثاً ولا يشعر بتلك النسبة من السعادة ويظل ينظر إلى من هو فوقه في المجال المادي فيشعر أنه فقير مظلوم فتذهب نفسه حسرات.

من هنا تبرز أهمية تحديد الهدف من الدنيا، هل جئتُ إلى الدنيا من أجل أن آكل وأشرب أم أني جئت إلى الدنيا مسافراً إلى وطني والمستقر، ولا

بد من الأكل والشرب والتملك في حدود زاد المسافر الذي يغذ الخطى حثيثاً إلى الموت والقبر والدار الآخرة حيث الحياة الطيبة بجوار الله تعالى، هذه الحياة التي خُلقت للوصول إليها.

الذي أريد التأكيد عليه أن لا يظلّ أحدنا ينظر إلى من هم فوقه في الإمكانات المادية ويظلّ حريصاً على الوصول إلى مستوياتهم وإنما ينبغي أن نعرف أن الهدف من وجودنا في الدنيا هو أمر آخر وأن الأمور المادية هي عوامل مساعدة للوصول إلى الهدف الأساسي.

لا يصح أن يكون وقت الإنسان مستهلكاً في شؤونه المادية، وأين إنسانية الإنسان إذاً؟

* دعاء اليوم الرابع والعشرين

اللهم إني أسألك فيه ما يرضيك، وأعوذ بك مما يؤذيك، وأسألك التوفيق لأن أطيعك ولا أعصيك يا جواد السائلين.

إلهي طالما أسخطك! لقد مللتُ نفسي لفرط تمردها، فهل تمنّ عليّ بما يرضيك.

ما أسعد من رضيت عنه وما أشقى من حلّ عليه غضبك فهوى.

إلهي، يرتجف القلب وتستبد به الراجفة من هذه الكلمة «يؤذيك»!!!

يالحظي العاثر ومصيري الداثر!

وهذه أيام شهرك ولياليه آذنت بانقضاء فهل تمنّ عليّ فيها بالسعادة، أن لا آتي في ما أستقبل إلا ما أرضيك، إلهي إليك التجأت وبك استعذت فوفقني لطاعتك واجعلني ممن نظرت إليه فرحمته وأحللته حماك بجودك يا من أمرتنا بالدعاء وضمنت الإجابة يا جواد السائلين.

* صلاة الليلة الخامسة والعشرين

١ ـ وهي عبارة عن ثلاثين ركعة ثماني ركعات بعد صلاة المغرب، واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء، وتقرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة أو بالترتيب الذي ذُكر مراراً ثلاث مرات أو خمساً أو سبعاً أو عشراً.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة خمس وعشرين منه ثماني ركعات يقرء فيها الحمد وعشر مرات، قل هو الله أحد، كتب الله له ثواب العابدين[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لايغفل، سبحان من هو رحيم لايعجل، سبحان من هو قائم لايسهو، سبحان من هو دائم لايلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله أن يوفقنا لمراضيه، ويمنّ علينا بعتق رقابنا من النار، إنه أرحم الراحمين.



(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.
(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٥٦٣. الهامش.




٢٥
شهر رمضان

* لنتداركْ تقصيرنا
* رصيد الآخرة
* كيف نتدارك؟
* دعاء اليوم الخامس والعشرين
* صلاة الليلة السادسة والعشرين




* لنتداركْ تقصيرنا

هذه ليالي شهر الله تعالى قد آذنت بانقضاء وسرعان ما تأتي ليلة العيد وينادي منادي الرحمن أيها الناس هلمّوا إلى جوائزكم، لتوزع الجوائز في يوم العيد.

السؤال الذي ينبغي أن يطرحه كلٌ منا على نفسه: ما هي الحصيلة التي سأصل بها إلى يوم العيد يوم توزيع جوائز الله تعالى؟

والفائدة العملية من طرح هذا السؤال الآن، أن نتدارك في ما بقي من شهر الله تعالى تقصيرنا في ما مضى منه.

إذا كان بعضنا قد وفّقه الله تعالى لصالح الأعمال فليحرص على تحصين ما حصل عليه وزيادته ليستحق جوائز أفضل، ومواهب أسنى.

وهذا السؤال ـ ما هي الحصيلة التي سأصل بها إلى ليلة العيد ـ ينحلّ إلى أسئلة عديدة ينبغي أن يطول وقوفنا عندها، فنتأمل مليّاً في عملنا من أول شهر رمضان المبارك وإلى الآن في مختلف الجوانب.

ينبغي أن يسأل كلٌ منا نفسه:

هل كان صومي صوماً حقيقياً أم كان مجرد امتناع عن المفطرات لأنه كان مقترناً بمعاصي الجوارح؟

فلأجرب إذاً أن أصوم يوماً واحداً صوماً حقيقياً، لأقول بلسان الحال: إلهي ها أنا حاولت أن يكون صومي خالصاً لك صادقاً.

والصلاة أول وقتها؟

كيف تعاطيت مع «عمود الدين» طيلة شهر رمضان المبارك؟ هل التزمت بالصلاة أول وقتها مستجيباً بذلك لدعوة المصطفى ﷺ للأمة على الإهتمام بأول وقت الصلاة؟

وقراءة القرآن الكريم؟

ترى كم قرأت من كتاب ربي؟ أوليس هذا شهر القرآن، أولا تنبع أهمية شهر رمضان من أنه يحتضن ليلة القدر ليلة نزول القرآن الكريم؟

وحُسن الخُلُق؟

هل حاولت أن أُحسِّن خلقي في هذا الشهر؟ كيف كان التعامل مع الزوج والأولاد والجيران والناس؟

ينبغي أن يحاسب كلٌّ منا أيها الأعزاء نفسه فإذا رأى أن النتيجة التي حصل عليها دون ما ينبغي، أو رأى ـ لا سمح الله ـ أنه لا وجود لنتيجة تُذكر فينبغي استعظام ذلك حقيقةً والشعور الجاد بالتقصير.

لقد بسط لنا الرحمن موائد رحمته ودعانا إلى ضيافته، وها أنا ذا أكاد أغادر ضيافة ربي خالي الوفاض، صفر اليدين!!

إنها فرصة قد لا تتكرر فمن قال إني سأدرك شهر رمضان المبارك القادم أو سأوفق للوقوف في عرفات حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **من لم يُغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل** (أي إلا في شهر رمضان من السنة التالية) إلا أن يشهد عرفة[1].

ليفترض الصائم ـ وأطال أعمار الجميع ـ أنه توفي قبل ذلك وليردد ما في دعاء السحر «**فمن يكون أسوأ حالاً مني إن أنا نُقِلت على مثل حالي** ـ أي بتقصيري وحبي للدنيا وغيبتي وجرأتي على الله تعالى ـ **إلى قبرٍ لم أمهّده لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي**».

(١) الشيخ المفيد، المقنعة ٣٠٩.

ليفكر كلٌ منا أيها الأعزاء بهَوْل العرض على الله تعالى: «**فيا سوأتاه غداً من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفّين جوزوا وللمثقلين حُطّوا أفَمع المخفّين أجوز أم مع المثقلين أحُطّ ويلي كلما كبُر سني كثرت ذنوبي، ويلي كلما طال عمري كثرت معاصيَّ فكم أتوب وكم أعود أما آن لي أن أستحي من ربي**».

إنها فرصة عظيمة وما تزال في متناولنا، فمن لم يصم فباستطاعته أن يتدارك ما بقي في هذا الشهر وليثق بأن الله تعالى لا يردُّه ولا يخيّب أمله.

من كان تاركاً للصلاة فليبدأ الآن الصلاة تائباً إلى الله عزَّ وجلّ، ومن كان مقيماً على الغيبة، أو قطيعة الرحم، أوعقوق الوالدين، فليتدارك.

إننا أمام فرصة عظيمة للتوبة إلى الله عزَّ وجلّ.

اللهم انقلنا إلى درجة التوبة إليك، وأعنا بالبكاء على أنفسنا.

* رصيد الآخرة

أيها الأعزاء، ينبغي أن ندرك أهمية الثواب، ونغتنم ما بقي من شهر الله تعالى لنرفع من رصيدنا من الثواب إلى أعلى الدرجات.

بدءًا من سكرات الموت، وفي عالم البرزخ وفي الآخرة عموماً، سنجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام الحاجة إلى الثواب، وأغنى الأغنياء في الدنيا، لا تنفعه المليارات، فهي عملة غير رائجة هناك ولا تصلح للتداول، والعملة التي تصلح للتداول، وما ينجو به الإنسان هو رصيده من الثواب. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

ياقلب:

كيف يجب علي أن أتعاطى مع هذه الفرصة الإلهية المتبقية من شهر رمضان المبارك؟ هل يصح أن أتعاطى معها بالإهمال الذي طبع عملي طيلة ما مضى من شهر الله عزَّ وجلّ، حيث بسط لي ربي موائد الرحمة لأحصل على

عظيم الثواب بأرخص الأثمان، وها أنا أكاد أغادر الموسم الفريد دون حصيلة تذكر.

أراد ربي تقدست أسماؤه أن ينقضي عني شهر رمضان وأنا من أغنى الأغنياء ثواباً، وها أنا لا أكاد ألوي على شيء!!

بهذه الروحية ينبغي أن نستقبل ما بقي من شهر رمضان المبارك ولياليه، وما تزال أمامنا فرصة يمكننا فيها التعويض والتدارك.

* كيف نتدارك؟

لنحاول استعادة إحساسنا من خلال تذكر ما كنّا عليه عند دخول شهر الله تعالى حيث يكثر الحديث عادةً عن خطبة النبي ﷺ فيصبح المؤمن يصغي باهتمام ليعرف أهم الأعمال ليكثر منها، إلا أن تعاقب الأيام والليالي يضعف هذا الإهتمام، وربما نتعامل مع الأيام الأخيرة من شهر رمضان المبارك خصوصاً مع ما بعد ليالي القدر باللامبالاة وعدم الإكتراث.

لذلك أُذكّر هنا نفسي وإخواني وأخواتي ببعض ما تقدم في بداية الشهر المبارك.

لنضع خطبة رسول الله ﷺ أمامنا ونحاول أن نطبّق ولو بعض ما أمرنا بالإهتمام به. لنحاول أن نصوم يوماً واحداً صوماً حقيقياً فإن في ذلك خيراً كثيراً، ولنحاول أن نلتزم قدر الإستطاعة بالصلاة أول وقتها، ولنلغ كل ما يمكن إلغاؤه ونؤجل كل مايمكن تأجيله لنعزز الوقت الذي يمكن أن نمضيه بالطاعة والعبادة، ولنخصص أكثر وقتنا المتاح لقراءة القرآن الكريم، والإستغفار، والصلاة على النبي وآله وطول السجود.

ألم يتقدم معنا أن آية واحدة تُقرأ في شهر الله تعالى يُعطى قارؤها ثواب من ختم القرآن الكريم؟

إذا كنت لم أقرأ من كتاب ربي أو قرأت قليلاً فلماذا لا أحرص الآن أن أعوّض؟

ترى كم استغفرت الله تعالى؟

ألم يتقدم معنا أيها الناس أن نفوسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم.

أمامي إذاً فرصة قصيرة يمكنني أثناءها أن أفكَّ نفسي من الرهن، فلماذا لا أُكثِر من الإستغفار؟

ولماذا لا أُكثِر من الصلاة على النبي وآله ﷺ؟

ألم يقل لنا رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين إنها تُثَقِّل الموازين يوم تخفُّ الموازين؟!

لنجرِّب طول السجود في هدي الحنان النبوي: وظهوركم ثقيلة من أوزاركم فخفِّفوا عنها بطول سجودكم.

ولنجرِّب حُسن الخُلُق، ومن لا يستطيع منا أن يكون حسن الخلق في كل الفترة الباقية من شهر رمضان المبارك، فليجرِّب أن يحسِّن خُلُقه ولو بعض المرات، ومن حُسن الخُلُق توقير الكبار ورحمة الصغار، فلنحرص على أن لا ينقضي عنا شهر رمضان دون أن نكرم يتيماً ونهتم بصلة الرحم في هذا الشهر الكريم، فلعل إحدى هذه المفردات تشكل منعطفاً مصيرياً، وما ذلك على الله تعالى بعزيز.

علينا إذاً أيها العزيز أن نشحن أوقاتنا في هذه الفترة المتبقية بالعمل الصالح.

اللهم وفِّقنا لذلك برحمتك يا أرحم الراحمين.

* دعاء اليوم الخامس والعشرين

اللهم اجعلني فيه محباً لأوليائك ومعادياً لأعدائك مستنّاً بسنَّة خاتم أنبيائك يا عاصم قلوب النبيين.

يريد الدعاء لكل منا أن يدعو القلب: اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك، إجعلني يا إلهي بشراً سوياً، خلّصني من انفصام قلبي بين وهم حبك

وحب أعدائك ليوافق قولي فعلي وظاهري باطني وتتعلق همَّتي بما عندك ورغبتي فيما يرضيك فأقول صادقاً: **عليك يا واحدي عكفت همتي وفيما عندك انبسطت رغبتي وبك أنست محبتي.**

سيدي ولا سبيل إلى ذلك إلا بحب أوليائك ومعاداة أعدائك والإستنان بسنة خير خلقك وسيّد أنبيائك، فوفقني واعصم قلبي يا عاصم قلوب النبيين.

* صلاة الليلة السادسة والعشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة، وهي ثلاثون ركعة، ثمان منها تُصلى بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء، في كل ركعة نقرأ الحمد مرة وقل هو الله أحد بالترتيب المتقدم.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى ليلة ست وعشرين منه ثماني ركعات فتحت له سبع سماوات، واستجيب له الدعاء، مع ماله عند الله من المزيد[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لايغفل، سبحان من هو رحيم لايعجل، سبحان من هو قائم لايسهو، سبحان من هو دائم لايلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠ ـ ٤١. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٥٦٣. الهامش.




٢٦

شهر رمضان

* تجديد التوبة
* شروط التوبة
* كيف نحصي ذنوبنا؟
* كيف نستغيث؟
* دعاء اليوم السادس والعشرين
* صلاة الليلة السابعة والعشرين




* تجديد التوبة

ثلاثة أيام أو أربعة سرعان ما تنقضي وإذا بنا خارج شهر رمضان المبارك، فهل سنكون من السعداء الذين منَّ الله عليهم بعتق رقابهم من النار، أم أننا لا سمح الله سنكون من الأشقياء؟!

يلح علينا جميعاً بطرح هذا السؤال، ما ورد عن الصادق الأمين ﷺ: ألشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم.

إن على المسلم أن يعيش بعمق هول الكارثة التي تحلّ به، إذا لم تشمله الرحمة الإلهية فيُكتب من السعداء عتقاء الله تعالى في هذا الشهر المبارك.

بليلة واحدة بل بساعة أو أقل، يمكن للتائب أن ينتقل من حضيض الذنوب إلى أوج القرب الممكن بالنسبة إليه.

فكيف إذا كانت هذه الليلة في شهر الله تعالى، وكيف إذا كانت في العشر الأواخر منه، تنطلق التوبة فيها في حرقتها ولوعتها من منطلق: **إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون فارحمنا برحمتك واعتقنا من النار بعفوك واغفر لنا ذنوبنا برحمتك يا أرحم الراحمين.**

يتركز الحديث هنا حول فقرات من دعاء التوبة للإمام السجاد عليه السلام علّنا نوفَّق لتوبة صادقة يعوِّض عمق ندمها وضرم حسرتها تقصيرنا في ما مضى.

يقول عليه السلام: «**هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب وقادته أزِمَّة الخطايا واستحوذ عليه الشيطان**».

تداولته أيدي الذنوب: نقلته من ذنب إلى ذنب فلا يكاد يخرج من معصية إلا ويقع في معصية أخرى.

وقادته أزِمَّة الخطايا: كأن لكل خطيئة زماماً «رسنًا» والعاصي يقاد بهذه الأزِمَّة، فهو تابع لغيره كما يتبع الحيوان صاحبه، بل هو أسوأ من الحيوان لأن هذا الذي يتبعه هو حيوان الشهوة والهوى وشيطانهما.

واستحوذ عليه الشيطان: سيطر عليه الشيطان فهو بالنسبة إليه أكثر من قرين، إنه لا يسير مقتفياً أثره وحسب، ولايمشي في خطواته فقط، بل ملك الشيطان عليه عقله وقلبه واجتاح كل مواقع نفسه، فغدا باختياره صدىً للشيطان، ومظهراً لاستحواذه.

فقصَّر عما أمرته به تفريطاً وتعاطى ما نهيت عنه تغريراً كالجاهل بقدرتك عليه أو كالمنكر فضل إحسانك إليه.

التفريط: تقصير يؤدي إلى التضييع، وهو في حقيقته لاينفصل عن التعمد بل هو أسوأ أنواع التعمد، لأنه لايستند إلى قناعة بما يسوِّغ التقصير، بل يستند إلى قناعة واضحة بأن ذلك عين الخطأ، ولكن غلبة الشقوة تحمل على التضييع.

والتغرير: حمل النفس على الغرور، والغرور: الإنخداع، فيكون المعنى: حمل النفس على الإنخداع، وهو معنى يصور بإبداع حال العاصي الذي تقحم أودية الخطر وهو يعلم أنه يلقي بيده إلى التهلكة، فهو ليس جاهلاً بقدرة الله تعالى عليه، ولامنكراً لفضل إحسانه إليه، بل هو مثلهما، وقد حمل نفسه على أن يكون كذلك.

* شروط التوبة

حتى إذا انفتح له بصر الهدى، وتقشَّعت عنه سحائب العمى.

يبدأ عليه السلام ببيان ما ينبغي أن يقوم به التائب الذي انفتح له بصر الهدى وزالت عنه حجب الذنوب، وهي غيوم العمى، فيذكر للتوبة الشروط التالية:

١ ـ أحصى ما ظلم به نفسه

من أراد أن تكون توبته حقيقية، فعليه أن يحصي ذنوبه وليحرص أن لا ينسى أي ذنب فيكون ممن قال فيهم عزَّ وجلّ: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾.

ولا يستخف بذنب فيظن أنه لاداعي للتفكير به واستحضاره، فقد روي عن رسول الله ﷺ: **يابن مسعود، لا تحقرن ذنبا ولا تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحا ودما، يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾**(١) [آل عمران: ٣٠].

٢ ـ فرأى كبير عصيانه كبيراً، وجليل مخالفته جليلاً.

والشرط الثاني للتوبة أن يدرك التائب خطورة المعصية وهو يفكر في معاصيه، فيتعامل بكل موضوعية وواقعية، ولايسمح لنفسه أن تحجبه عن حجم خطورة ما اقترف، والواقع أن كل المعاصي كبيرة، بالنظر إلى من نعصي.

جاء في شرح أصول الكافي:

«وقال جماعة: الذنوب كلها كبائر لاشتراكها في مخالفة الأمر والنهي لكن قد يطلق الصغير والكبير على الذنب بالإضافة إلى ما فوقه وما تحته«...»، قال الشيخ الطبرسي في مجمع البيان بعد نقل هذا القول: وإلى هذا ذهب أصحابنا رضي الله عنهم فإنهم قالوا: المعاصي كلها كبيرة لكن بعضها أكبر من بعض وليس في الذنوب صغيرة وإنما يكون صغيرا بالإضافة إلى ما هو أكبر ويستحق العقاب عليه أكثر، قال الشيخ في الأربعين: لا يخفى

(١) الريشهري، ميزان الحكمة. الذنوب.

أن كلام الشيخ الطبرسي مشعر بأن القول بأن الذنوب كلها كبائر متفق عليه بين علماء الامامية وكفى بالشيخ ناقلاً:

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام»[١].

٣ ـ فأقبل نحوك مؤمّلاً لك مستحيياً منك.

نحن أمام أمل المستحي، أو حياء الآمل، لندرك أن من مقومات الإستغفار الحياء الذي قد ننساه فنعيش الأمل فحسب، والله تعالى أرحم الراحمين، ولكن حقٌّ لمن أتى بما يوجب الخجل أن يستحي، بل ويغمره الحياء، قبل حياء العرض على الله تعالى، والوقوف بين يديه.

كم سنخجل عندما نرى ذنوبنا؟ أليس من الأفضل لنا أن يشتد حياؤنا من ربنا عزّ وجلّ ونتوب فيغفر لنا ويستر علينا، ويمحو سيئاتنا من صحائف أعمالنا وينسي بقاع الأرض هذه المعاصي فنقف بين يديه وقد طويت صفحة ذنوبنا برحمته.

٤ ـ ووجَّه رغبته إليك ثقةً بك فأمَّك بطمعه يقيناً.

ونحن هنا أمام الرجاء والأمل، بل الثقة بالكرم واليقين بما وعد به من الإجابة.

وسيأتي الكلام بعد ذلك عن الخوف، وتقديمُ الرجاء على الخوف ينسجم مع حال التائب حيث أنه بحاجة إلى الرجاء أكثر منه إلى الخوف.

٥ ـ وقصدك بخوفه إخلاصاً

لا بد من الخوف إذاً، وللمذنب أن يخاف بل عليه أن يشتد خوفه، وبمقدار الجناية يكون وجيب القلب، وبمقدار عمقه في النفس تكون الحاجة إلى المُنجي والمغيث فيصبح لعنصري الأمل والرجاء معنىً آخر.

---

(١) **المولى محمد صالح المازندراني**، شرح أصول الكافي ٩/ ٢٦٠. والمراد بـ«الشيخ في كتاب الأربعين» **الشيخ البهائي** رضوان الله تعالى عليه. أنظر: البحراني، الحدائق الناظرة ١٠/ ٥٢.

ويتفاعل ذلك كله في لحظة اليقظة والوعي، فينتج الشرط السادس للتوبة وهو التضرع والإستغاثة.

٦ ـ فمثل بين يديك متضرعاً وغمض بصره إلى الأرض متخشعاً وطأطأ رأسه لعزتك متذللاً وأبثَّك من سرّه ما أنتَ أعلم به خضوعاً وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعاً واستغاث بك من عظيم ما وقع به من علمك وقبيح ما فضحه في حكمك، من ذنوب أدبرت لذاتها فذهبت وأقامت تبعاتها فلَزِمَتْ.

تقف بنا هذه الفقرات عند الخشوع وتعميق الخجل والحياء وتعداد الذنوب مجدّداً ومعاودة استعراضها لتعميق إدراك قبحها وطلب الصفح من الله تعالى.

كما تقف الفقرات عند رفع وتيرة التضرع لتصل إلى الإستغاثة، كما يستغيث الغريق أو من أحاطت به النار، فيستغيث من الأعماق.

فلنستغث أيها العزيز، واثقين أن ربنا نِعمَ الرب، غياث من لا غياث له، وموضع حاجات الطالبين، ومحب التوابين، وصريخ المستصرخين، وأرحم الراحمين.

هذه ستة شروط إذاً للتوبة وهي كما يلي: إحصاء الذنوب، إدراك خطورتها، الحياء من الله تعالى، رجاء مغفرته عزَّ وجلّ، الخوف من غضبه وأليم عذابه، التضرع والإستغاثة.

* كيف نحصي ذنوبنا؟

يبيِّن آية الله التبريزي رحمه الله أنه يستحب لمن أراد التوبة أن يتخذ دفتراً يسجّل عليه معاصيه فيبقى لمدة يومين يسجّل كل ما يتذكره، والأفضل أن يجعل جدولاً لمعاصي العين، وجدولاً لمعاصي الأذن، واللسان وهكذا. . ويظل يفكر بخطورة ذلك حتى يصبح بكل كيانه جاداً للتوبة مستعداً للعلاج، وتصبح كل ذرّة في وجوده تقول «أستغفر الله ربي وأتوب إليه» عندها تتحقق تلقائياً كل المراتب الأخرى.

* كيف نستغيث؟

أورد هنا بقية دعاء المولى الإمام السجاد عليه السلام، علنا نتعلم منه كيف تكون الإستغاثة:

اللهم إني أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها وبواطن سيئاتي وظواهرها، وسوالف زلاتي وحوادثها، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية، ولا يضمر أن يعود في خطيئة، وقد قلت يا إلهي في محكم كتابك: إنك تقبل التوبة عن عبادك، وتعفو عن السيئات، وتحب التوابين، فاقبل توبتي كما وعدت، واعف عن سيئاتي كما ضمنت، وأوجب لي محبتك كما شرطت. ولك يا رب شرطي ألا أعود في مكروهك، وضماني أن لا أرجع في مذمومك، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك، اللهم إنك أعلم بما عملت فاغفر لي ما علمت، واصرفني بقدرتك إلى ما أحببت، اللهم وعلي تبعات قد حفظتُهن، وتبعات قد نسيتُهن، وكلُّهن بعينك التي لا تنام، وعلمك الذي لا ينسى، فعوِّض منها أهلها، واحطط عني وزرها، وخفف عني ثقلها، واعصمني من أن أقارف مثلها، اللهم وإنه لا وفاء لي بالتوبة إلا بعصمتك، ولا استمساك بي عن الخطايا إلا عن قوتك، فقوِّني بقوة كافية وتولني بعصمة مانعة، اللهم أيُّما عبدٍ تاب إليك وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته، وعائد في ذنبه وخطيئته، فإني أعوذ بك أن أكون كذلك، فاجعل توبتي هذه توبة لا أحتاج بعدها إلى توبة، توبة موجبة لمحو ما سلف، والسلامة فيما بقي، اللهم إني أعتذر إليك من جهلي، وأستوهبك سوء فعلي، فاضممني إلى كنف رحمتك تطوُّلا، واسترني بستر عافيتك تفضلا، اللهم وإني أتوب إليك من كل ما خالف إرادتك أو زال عن محبتك من خطرات قلبي ولحظات عيني، وحكايات لساني، توبة تَسْلَمُ بها كل جارحة على حيالها من تبعاتك، وتأمن مما يخاف المعتدون من أليم سطواتك، اللهم فارحم وحدتي بين يديك، ووجيب قلبي من خشيتك، واضطراب أركاني من هيبتك، فقد أقامتني ـ يا رب ـ ذنوبي مقام الخزي بفِنائك، فإن سكت لم ينطق عني أحد، وإن شفعت فلست بأهل

الشفاعة. اللهم صل على محمد وآله، وشفّع في خطاياي كرمك، وعد على سيئاتي بعفوك، ولا تجزني جزائي من عقوبتك وابسط علي طَوْلَك، وجللني بسترك، وافعل بي فعل عزيز تضرع إليه عبد ذليل فرحمه، أو غنيّ تعرض له عبد فقير فنعشه، اللهم لا خفير لي منك فليخفرني عزك، ولا شفيع لي إليك فليشفع لي فضلك، وقد أوجلتني خطاياي فليؤمِنّي عفوك، فما كل ما نطقت به عن جهل مني بسوء أثري، ولا نسيانٍ لما سبق من ذميم فعلي، لكن لتسمع سماؤك ومن فيها وأرضك ومن عليها ما أظهرت لك من الندم، ولجأت إليك فيه من التوبة، فلعل بعضهم برحمتك يرحمني لسوء موقفي، أو تدركه الرقة علي لسوء حالي، فينالني منه بدعوة هي أسمع لديك من دعائي، أو شفاعة أَوكَدُ عندك من شفاعتي تكون بها نجاتي من غضبك وفوزتي برضاك، اللهم إن يكن الندم توبة إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابة فأنا أول المنيبين، وإن يكن الإستغفار حِطّةً للذنوب، فإني لك من المستغفرين، اللهم فكما أمرت بالتوبة، وضمنت القبول، وحَثَثْتَ على الدعاء، ووعدت الاجابة، فصل على محمد وآله، واقبل توبتي، ولا تُرجعني مرجع الخَيبة من رحمتك، إنك أنت التواب على المذنبين والرحيم للخاطئين المنيبين. اللهم صل على محمد وآله، كما هديتنا به، وصل على محمد وآله، كما استنقذتنا به، وصل على محمد وآله، صلوة تشفع لنا يوم القيمة ويوم الفاقة إليك، إنك على كل شئ قدير، وهو عليك يسير.

* دعاء اليوم السادس والعشرين

اللهم اجعل سعيي فيه مشكوراً وذنبي فيه مغفوراً وعملي فيه مقبولاً وعيبي فيه مستوراً يا أسمع السامعين.

إلهي، وقفت ببابك في هذا الشهر مع الواقفين ولسوء حظي انشغلت عنك ولم أنشغل بالطلب منك والتقرب إليك، وها هي قوافل السائرين تستعد لمغادرة باب ضيافتك محمّلةً بأنواع العطايا والهدايا، وها أنا ذا كاليتيم المنقطع فارحمني.

طالما فرّطت وأسرفت وهذا قليل سعيي أريد به كثير العطاء فاجعل اللهم قليل سعيي مشكوراً أسعدني برضاك والإستجابة يا أسمع السامعين.

* **الغسل**

للغسل في هذه الليلة خصوصية منشأها النص عليه بخصوصه، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: إغتسل ليلة تسع عشرة، وإحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وسبع عشرين،وتسع وعشرين[١].

* صلاة الليلة السابعة والعشرين

١ ـ حصة كل ليلة من العشر الأواخر: ثلاثون ركعة، ثمان ركعات بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد صلاة العشاء بالتفصيل الذي تقدم مراراً.

٢ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ومن صلى ليلة سبع وعشرين منه أربع ركعات بفاتحة الكتاب مرة وتبارك الذي بيده الملك فإن لم يحفظ تبارك فخمس وعشرون مرة قل هو الله أحد غفر الله له ولوالديه[٢].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلّم قال: سبحان من هو حفيظ لايغفل، سبحان من هو رحيم لايعجل، سبحان من هو قائم لايسهو، سبحان من هو دائم لايلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٣].

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الإقبال ١/ ٤٠٠.

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤٠. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

(٣) الكفعمي، البلد الأمين ٥٦٣. الهامش.




٢٧
شهر رمضان

* الإستعداد للوداع
* قبل فوات الأوان
* دعاء اليوم السابع والعشرين
* صلاة الليلة الثامنة والعشرين




* الإستعداد للوداع

للإمام السجاد عليه السلام، دعاءٌ في وداع شهر رمضان المبارك يفتح لنا آفاقاً رحبةً لإدراك عظمة هذا الشهر، ومن يقرأ هذا الدعاء بعد انقضاء شهر الله تعالى سيشعر حتماً بالندم لتفريطه وعدم اغتنام فرصة الشهر العظيم.

وقد آثرت ان أقف عند بعض فقرات هذا الدعاء قبل انقضاء ضيافة الرحمن ليكون حافزاً على تدارك مافات والتعويض قبل ضياع الفرصة واستحكام الندم.

يقول عليه السلام: **فنحن مودّعوه** ـ أي شهرمضان ـ **وداع من عز فراقه علينا وغمنا وأوحشنا انصرافه عنا فنحن قآئلون السلام عليك ياشهر الله الأكبر، السلام عليك من أليفٍ آنس فسَر، وأوحش منقضياً فمضّ** (أي آلم وأوجع) **السلام عليك من مجاورٍ رقت فيه القلوب وقلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصرٍ أعان على الشيطان وصاحبٍ سهل سبل الأحسان السلام عليك ما أكثر عتقاء الله فيك، وما أسعد من رعا حرمتك بك، السلام عليك ماكان أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب.**

لاشك أن من يقرأ هذه الفقرات أو يسمعها بعد انقضاء شهر الله تعالى سيقول ياليتني قمت في شهر الله بما يجعلني من عتقاء الله تعالى فيه.

إن أمامنا أيها الأعزاء متسعّاً لذلك فإن يوماً واحداً من شهر الله عزّ وجل عظيم الخطر يمكن أن يتدارك فيه المسلم تقصيره طيلة حياته بل إن ساعة واحدة فيه لمن عرف حقها كافية لأن تخرجه من كل ذنوبه خاصة وأن أمامنا ليلة العيد التي لاتقل عن ليلة القدر كما روي عن الإمام السجاد عليه السلام.

وليسأل كل منّا نفسه:

كي لاأكون كاذباً عندما أقول غداً: إن فراق شهر رمضان عزّ عليّ، كيف أتعامل معه الآن؟

لأقول صادقاً: عزّ فراقه علي هل تدل طريقة تفاعلي معه الآن على أنه سيهمني وسيوحشني انصرافه عني؟

هل انا مسرورٌ به الآن وأعيش الأنس به، لأخاطبه غداً السلام عليك من أليفٍ آنس فسّر؟

هل انا متعلقٌ به ليؤلمني انقضاؤه عني ويوجعني؟

هل شعرت فيه برقة القلب، كم يتيم أكرمت، كم مرة عفوت، كم كظمت غيظي، وهل قلّت فيه ذنوبي، وهل أعانني تقييد الشياطين فيه على كثير طاعات؟

إن وجدت الإجابة على هذه الأسئلة بالأيجاب ولصالحي فلأحمد الله عزّ وجل ولأستزد،أما إذا وجدت الإجابة سلبية وليست لصالحي، فلم يفت الأوان بعد. إن امامي مجالاً رحباً يمكنني أن أتدارك فيه مافات.

لنتعامل اذاً مع هذه المدة القصيرة الباقية من شهر رمضان المبارك من منطلق انها أخر الفرصة الألهية العظيمة فهي لذلك أعز أوقاتها وأغلاها، ولنتأمل في هذه الفقرات من دعاء الإمام السجاد عليه السلام، وهو الدعاء الخامس والأربعون من أدعية الصحيفة السجادية.

يضيف عليه السلام: **السلام عليك من مطلوبٍ قبل وقته ومحزونٍ عليه قبل فوته**

الذين يعرفون قيمة شهر رمضان المبارك ينتظرونه قبل مجيئه وعندما تؤذِن أيامه ولياليه بانقضاء ويصلون الى أواخره يحزنون عليه قبل فوته.

السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك وأشد شوقنا غداً اليك السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه وعلى ماضٍ من بركاتك سلبناه.

هل أدرك فضل شهر رمضان المبارك أم أني أدركت شيئاً من فضله في بداية الشهر ثم بتعاقب أيامه ولكثرة الألفة والإعتياد أصبحت أتعامل معها كما أتعامل مع سائر الأيام؟

السلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه

مادمنا لم نحرم بعد فهيا بنا أيها العزيز، للأستزادة من هذا الفضل العظيم في هذا الشهر العظيم، هيا بنا الى التوبة النصوح وبذل الجهد في التقرب والجدِ في العبادة قبل أن نحرم فيشتدُ الندم فيقول كلٌ منا: ياليتني عملت في شهر الله تعالى!

وهل تنفع شيئاً ليت؟ فلنعتذر الى ربنا عزَ وجل من تقصيرينا وعدم رعاية الأدب في ضافته، وليكن لسان الحال كما أراد لنا الأمام السجاد عليه السلام أن نقول:

اللهمَ فلك الحمد إقراراً بالأسائة واعترافاً بالإضاعة ولك من قلوبنا عقد الندم، ومن ألسنتنا صدق الإعتذار فأوجب لنا عذرك على ما قصرنا فيه من حقك. وأعنا على ماأنت أهله من العبادة، اللهم اسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من خطايانا، وأخرجنا بخروجه من سيئاتنا، واجعلنا من أسعدأهله به وأوفرهم حظاً منه.

* قبل فوات الأوان

تقدمت الإشارة وأضيف: ليضع كلٌ منا أيها الأعزاء خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله، حول شهر رمضان المبارك بين يديه ويحاول أن ينفذ كل مافيها خلال مابقي من شهر الله تعالى بمعنى أنه يعمد الى كل مفردة فِيها فيحاول تنفيذها ولو مرة واحدة:

١ ـ يكثر من قراءة القرآن الكريم ولو مرة واحدة.

٢ ـ يكف نفسه عن المحرمات ولو ليوم واحد ليصوم صوماً حقيقياً.

٣ ـ يصلي أول الوقت فإن أوقات الصلاة أفضل أوقات هذا الشهر المبارك.

٤ ـ يكثر من الأستغفار كأن يستغفر مثلاً ثلاث مائة مرة.

٥ ـ يطيل السجود ولومرة واحدة. ومن أفضل ما يقال في السجود، الذكر اليونسي: لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

٦ ـ يكثر الصلاة على النبي وآله. ﷺ.

٧ ـ يكرم يتيماً.

٨ ـ يصل ولو واحداً من أرحامه.

٩ ـ يحسن خلقه ولو مرة واحدة، يستثار فلا يثور، ليكون بذلك مستجيباً لرسول الله ﷺ، ملتمساً منه الدعاء والشفاعة وهوصلى الله عليه وآله، بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم. وقد أمرنا ربنا ان نأتيه أذا أخطأنا لنستغفر الله تعالى، وويستغفر لنا الرسول:

قال الله عزّ وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

١٠ ـ وما أروع أن يفتتح ذلك أو يختم بمجلس عزاء حسيني تذكر خلاله فجيعة المصطفى الحبيب بنفسه أمير المؤمنين صلى الله عليهما وآلهما، إعلاناً للثبات في خط رسول الله ﷺ، وإشهاداً للملائكة والوجود بالبكاء لما أبكاه، وحب من أحبهم وبلّغ عن الله تعالى وجوب حبهم.

سيدي يارسول الله هذا شهر الله قد آذن بنقضاء، وقد بلغنا عنك قولك: الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم. وها أنا سيدي بفِنائك أوقفتني الخصاصة ببابك وانت الكريم: يا وجيهاً عند الله إشفع لنا عند الله.

أنت الهدى والنور أنت محمد الأوصاف محمود الشمائل

حاشا يخيب إذا أتاك مؤمل، ويرد سائل

ها قد أتيت يقفودني أملي أفهل أعود بغير طائل

رباه عبدك قد أساء وإن عفوك خير نائل

عملي هباء لست أرجوه لتحقيق المسائل

إلا الصلاة على الحبيب وآله الغر الأفاضل[١]

اذا عملنا بمفردات خطبة المصطفى ﷺ، حول شهر رمضان المبارك ولو مرة واحدة لكل مفردة منها ثم وقفنا بباب رسول الله ﷺ، الذي أمرنا ربنا عزّ وجل أن نقف ببابه اذا اخطأنا وطلبنا منه أن يدعو الله تعالى لنا ويشفع لنا، أمكننا بعد ذلك ان نقول: إلهنا هاقد وقفنا ببابك باب رسولك المصطفى الحبيب كما أمرتنا واستغفرناك وطلبنا من المصطفى أن يستغفرك لنا، وهو الكريم الذي أمرته أن لاينهر السائل فلا بد أنه سيشفع لنا.

اللهم بحق نبيك المصطفى ﷺ فاغفر لنا واجعلنا من أوفر عبادك حظاً عندك في هذا الشهر المبارك.

* دعاء اليوم السابع والعشرين

اللهم ارزقني فيه فضل ليلة القدر وصيّر أموري من العسر الى اليسر واقبل معاذيري وحُطّ عني الذنب والوزر يارؤوفاً بعباده الصالحين[٢].

أنت الهي أوسع فضل من أن تقايسني بجهلي، فمُنَّ علي بوافر فضلك

(١) للكاتب.

(٢) أشار المحدث القمي ﵀ الى اختلاف في ترتيب أدعية الأيام فقد ذكر الشيخ الكفعمي هذا الدعاء في اليوم التاسع والعشرين بدلاً من السابع والعشرين. أضاف المحدث القمي: والأنسب أن يدعى به في اليوم الثالث والعشرين.

وجزيل عطاياك، فضل ليلة القدر. بدّل عسري يسراً، واقبل ما أظنه عذراً، ولا عذر لي فأعتذر، فليشملني عفوك فإنك ترزق العاصين كما ترزق المطيعين، إلهي إن كنت لاترحم إلا المطيعين الصالحين فمن للعاصين، فاعف عن عبدك العاصي وارأف به يارؤوفاً بعباده الصالحين.

* صلاة الليلة الثامنة والعشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف: وهي عبارة عن ثلاثين ركعة: ثمان منها بعد صلاة المغرب واثنتان وعشرون بعد العشاء، بالترتيب المذكور.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلى ليلة ثمان وعشرين من شهر رمضان ست ركعات بفاتحة الكتاب وعشر مرات آية الكرسي وعشر مرات: إنا أعطيناك الكوثر، وعشر مرات: قل هو الله أحد، وصلى على النبي ﷺ، غفر الله له[(١)].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «..» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لايغفل، سبحان من هو رحيم لايعجل، سبحان من هو قائم لايسهو، سبحان من هو دائم لايلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[(٢)].

أسأل الله عزّ وجل أن يوفقنا لمراضيه بالنبي المصطفى وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤١. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.
(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٥٦٣. الهامش.




٢٨
شهر رمضان

* لمن الملك اليوم؟
* ما أوضح الهدف
* قبل أن تحاسبوا
* المبالغة في الإلحاح
* دعاء اليوم الثامن والعشرين
* صلاة الليلة التاسعة والعشرين




* لمن الملك اليوم؟

هذا هو اليوم الثامن والعشرون من شهر الله تعالى، وإذا كان الشهر ناقصاً فمعنى ذلك أنه لم يبق أمامنا من هذه الرحمة الإلهية الخاصة جداً إلا اليوم ويوم الغد.

أما يوم الغد فينبغي الإنشغال فيه بوداع الشهر الكريم وأعمال ليلة العيد إذا ثبت، أوالإستعداد له في اليوم التالي.

وأما هذا اليوم فينبغي ملاحظة ما يجب أن تكون لنا وقفة معه قبل انقضاء الشهر الكريم، خصوصاً مالم نتطرق إليه إلا لماماً.

ومهما كان محور الحديث في مثل هذا اليوم فإن المحور فيه يرجع إلى ما قد تم تناوله في الحديثين السابقين حول التدقيق في حصيلتنا من ضيافة الرحمن، وتجديد التوبة، ومحاولة تطبيق بنود خطبة المصطفى الحبيب ﷺ.

إن المحور دائماً وأبداً هو هذه الوديعة الربانية نفسي ونفسك أيها العزيز، وكيف ترد الأمانة إلى صاحبها سليمة من كل مظاهر التشوه الناشئة من الإعراض عن الحق والركض في أودية الباطل.

وعلى هذا الأساس فإن اليوم وغداً وما بعده إن كان، بتمامها وكمالها ينبغي أن تكون بالنسبة إلينا فرصة المودع للدنيا.

ليتردد في آصال آذان القلوب نداء: **لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار**.

إن ما توعدون لآت. أنا وأنت وكل الخلائق أيها الحبيب، سنقف في ذلك اليوم للحساب.

فماذا أعددنا؟ وهل نحاول استثمار هذه الفرصة الفريدة المتبقية؟

تعال معي تصغ أفئدتنا للآيات المحيطة بجو هذا النداء الإلهي: لمن الملك اليوم؟ علنا نتمكن من الخروج من وهم أن الحاكم غير الله تعالى، وهم الكثرة والتيه والعبثية، إلى نور التوحيد العملي ليتجلى في عقولنا وقلوبنا والسلوك ولاء الواحد الأحد، ولاء صادق اللهجة ثابت الخطى، ملؤه العز والسؤدد، لايعرف أدنى شائبة من ازدواجية الولاء.

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: ١٣ ـ ٢٢].

تمس حاجتنا أيها الحبيب إلى أن نثبت على قرار طالما اتخذناه ثم تراجعنا عنه، أن لانعبد إلا الله!

* ما أوضح الهدف!

ما أوضح الهدف وما أشد خفاءه؟!

ما أسهل الطريق، وما أشد وعورته؟!

ما أصغر الدنيا التي تختطفنا فنصبح فيها أسرى أهوائنا، وما أكبر الآخرة التي لاتدرك إلا بالعقول. تضيع عنا عقولنا فإذا الدنيا كل شيء، والآخرة لاشيء!

بل ما أصغرنا حين نبيع نفساً هي أكبر من الدنيا والآخرة ولا جزاء لها إلا رضوان الله تعالى، بهوى هباء، وشهوة تعقب ويلات!

ومن نؤذي، ومن نعارض، وعلى من نتمرد؟

أرأيت إلى من يؤذي محباً له قد محضه كل حنان؟

أرأيت إلى من يؤذي رسول الله ﷺ، وهو الرؤوف الرحيم؟!

من آذى ولياً لله وأهانه فقد استعد وأعد وأرصد لمحاربته تعالى!

فكيف بمن آذى رسول الله ﷺ؟!!

وكيف بمن آذى الله تعالى؟!!!

ألم يتقدم معنا في دعاء اليوم الرابع والعشرين: **اللهم إني أسألك فيه ما يرضيك، وأعوذ بك مما يؤذيك!**

ونعارضه عز وجل: **تعارضنا بالنعم ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد.**

ونتمرد عليه، إلى حيث قد أوحش مابيننا وبينه فرط العصيان والطغيان.

ورغم كل ما اقترفنا وما يعلم منا أن عائدون فيه فهو يريدنا أن نحسن الظن به ولا يذهبن بحلمنا الشيطان فنتصور أنه لايغفر لنا ولا يقبلنا.

ولكن ماذا لو تبنا ثم كسرنا توبتنا وعدنا في التوثب على معاصيه؟

أيها الحبيب، ومن أين لنا أن نتوب توبة نصوحاً، إلا بتوفيق منه سبحانه؟

يؤكد ذلك حاجتنا إلى أن تكون الوقفة ببابه جل ثناؤه وقفة من لاوفاء له بالتوبة إلا بعصمته، ليردد القلب: **فقوني بقوة كافية، وتولني بعصمة مانعة.**

إلهي، وإذا كنت كما أنا بما كسبت يداي، عاجزاً عن طاعتك فاستصلحني، واجعلني كما تحب:

*** اللهم قوني لعبادتك واستعملني في طاعتك وبلغني الذي أرجو من رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم إني أسألك الري يوم الظمأ، والنجاة يوم الفزع الأكبر، والفوزِ يوم الحساب، والأمن يوم الخوف. وأسألك النظر إلى وجهك الكريم، والخلود في جنتك في دار المقامة من فضلك، والسجود يوم يكشف عن ساق، والظل يوم لا ظل إلا ظلك، ومرافقة أنبيائك ورسلك وأوليائك.**

*** اللهم إني أسألك يا رب الأرباب ويا سيد السادات، ويا مالك الملوك، أن ترحمني وتستجيب لي وتصلحني، فإنه لا يُصلح من صلح من عبادك إلا أنت، فإنك أنت ربي وثقتي ورجائي ومولاي وملجأي، ولا راحم لي غيرك، ولا مغيث لي سواك ولا مالك سواك، ولا مجيب إلا أنت، أنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك الخاطئ الذي وسعته رحمتك، وأنت العالم بحالي وحاجتي وكثرة ذنوبي، والمطلع على أموري كلها، فأسألك يا لا إله إلا أنت أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر.**

*** اللهم إني أسألك إيماناً ثابتاً، وعملاً متقبلاً ودعاء مستجاباً، ويقيناً صادقاً، وقولاً طيباً، وقلباً شاكراً، وبدناً صابراً، ولساناً ذاكراً. اللهم انزع حب الدنيا ومعاصيها وذكرها وشهوتهامن قلبي. اللهم إنك بكرمك تشكر اليسير من عملي فاغفر لي الكثير من ذنوبي، وكن لي ولياً ونصيراً ومعيناًوحافظاً، اللهم هب لي قلبا أشد رهبة لك من قلبي، ولساناً أدوم لك ذكراً من لساني، وجسماً أقوى على طاعتك وعبادتك من جسمي**[١].

---

(١) هذه الفقرة وما قبلها، من دعاء غرة شهر جمادى الأولى. أنظر: الإقبال ٣/ ١٥١.

* قبل أن تحاسبوا

تحدث السيد ابن طاوس عليه الرحمة عن آداب آخر يوم من شهر رمضان المبارك فذكرماينفعنا طيلة الفترة الباقية من هذا الشهر الكريم، وفي كل وقت، مبيناً ما توضيحه: من هذه الآداب أن يتأمل المسلم في قائمة جميع أعماله من أول الشهر إلى آخر يوم فيه، فيجلس بين يدي مالك يوم الحساب على التراب وبحسب ما يتيسر له، ويحاسب نفسه محاسبة المملوك الصغير الحقير بين يدي مالكه المطّلع على الكبير من فعله والصغير، فيتأمل في ما كان عليه حاله عند دخول دار ضيافة الله جل جلاله ويتأمل في معرفته بالله تعالى وبرسوله ﷺ وعلى آله وبمعرفته بأهل البيت عليهم السلام ومعرفته بمهام تكليفه في دنياه وتكليفه في آخرته ويجمعهما التكليف الشرعي، يتأمل في ذلك ليرى:

١ ـ هل زاد معرفة إلى معرفته؟

هل زادت معرفته بالله تعالى، هل زادت معرفته برسول الله ﷺ، هل زادت معرفته بأهل البيت عليهم السلام؟

هل زادت معرفته بأحكامه الشرعية؟ هل أصبح مثلاً يهتم بها أكثر، أو تعلم أحكاماً جديدة؟

٢ ـ هل زاد حباً لما كان يعرفه؟ هل زاد إقبالاً عليه ونشاطاً في الإلتزام به وميلاً إليه أم أن حاله في التقصير هي الآن على ما كانت عليه في أول الشهر؟

بعد هذا المدخل يذكر السيد عليه الرحمة تفاصيل في المحاسبة فيبيّن أن الشخص يجب أن يتأمل في صفاته النفسية وخصوصياته.

ومن الخصوصيات النفسية التي ينبغي أن يقف عندها:

٣ ـ كيف رضاه برضى الله، بتدبير الله؟

أي هل أنا راضٍ بقضاء الله تعالى أم أني ساخط من قضائه؟

إن كت أعتقد أنه أرأف بي من أمي وأبي فينبغي أن أرضى بقضائه.

كيف رضاه بتدبيرالله تعالى له؟ هل هو راضٍ أم ساخط أم أنه بين بين، تارة يرضى وتارة يكره ما يختاره له الله تعالى؟

٤ ـ وكيف توكله على الله جل جلاله: هل هو على غاية ما يراد منه من السكون إلى مولاه؟ حقاً، كيف يتصرف العبد في بيت سيده الصغير في هذه الحياة الدنيا؟

والخادم في بيت مولاه كيف يتعاطى مع صاحب البيت، ألا يتوكل عليه في كل شيء؟

هل أنا متوكل على ربي عزَّ وجلّ؟ هل ازددتُ في شهر الله توكلاً أم أني أحتاج في الثقة بالله إلى غير الله من الناس وشؤون الدنيا، أثق بأن الرزق من الله عزَّ وجلّ إلا أني لا أثق برزقي إلا إذا وعدني شخص من الناس أو أصبح المال في جيبي، إن ثقتي بالله ـ إذاً ـ تحتاج إلى من يعززها، تحتاج إلى هذا الإنسان، وإلى هذا الشيء الذي هو المال.

٥ ـ ثم إن قمة التوكل التفويض، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فكيف هو تفويضي إلى مالك أمري عزَّ وجلّ؟

٦ ـ ثم كيف هي مراقبتي لاطلاع الله جل جلاله على سري؟ هل أعيش المراقبة الدائمة، هل ازددتُ مراقبة في هذا الشهر الكريم؟ هل نفعني بقائي في ضيافة الله عزَّ وجلّ كل هذه الفترة الماضية، فجعلني ألتزم الأدب بين يدي ربي؟

٧ ـ ثم كيف هو أُنسي بالله في خلواتي والجلوات، في السر والعلن؟

حقاً هل أشعر بالأنس عندما أقرأ كتاب ربي وأسمعه يحدثني؟

هل أشعر بالأنس عندما أقرأ دعاء ومناجاة فتعمر القلب بهجة أني مع أرحم الراحمين؟

٨ ـ وكيف ثقتي بوعود الله جل جلاله؟

والثقة التي تقدم الحديث عنها قبل قليل هي مطلق الثقة بالله عزَّ وجلّ، أما التي يجري الحديث عنها الآن فهي ثقة بوعود الله جل جلاله والتصديق بإنجاز عداته.

مثلاً وعد الله تعالى بقبول التوبة، هل أنا واثق بوعد الله تعالى؟

وعد سبحانه باستجابة الدعاء، هل أنا واثق بذلك؟

وعد عزَّ وجلّ أنه من يتوكل عليه فهو حسبه كيف هي ثقتي بهذه الوعود؟

٩ ـ وكيف إيثاري لله جل جلاله على من سواه؟ وكيف حبي له وطلبي للقرب منه واهتمامي بتحصيل رضاه، إذا وقفت بين أمرين، أمر فيه لله رضىً وأمر فيه للناس رضىً، أو أمرين، أمر فيه لله رضىً وأمر فيه للنفس رضىً، فأيهما أؤثر؟

هل أؤثر الله تعالى فأطيعه أم أؤثر الناس فأعصي ربي وأطيع الناس؟ أو النفس فأطيع هواها وأعصي مولاها.

١٠ ـ وكيف شوقي إلى الخلاص من دار الإبتلاء والإنتقال إلى منازل الأمان من الجفاء؟

كيف هو حبي للقاء الله تعالى؟

١١ ـ ثم كيف أتعاطى مع التكليف أي ينبغي أن أحاسب نفسي في اليوم الأخير من شهر رمضان المبارك، حول تعاطيَّ مع التكليف (الحكم الشرعي) هل أحرص على التخلص منه أم أني أعتقد ذلك من أفضل التشريف؟

١٢ ـ ثم كيف هي كراهتي لما كره الله جل جلاله من الغيبة والكذب والنميمة والحسد وحب الرئاسة، وكل ما يشغلني عن مالك دنياي ومعادي؟

* المبالغة في الإلحاح

يبيّن السيد أن على أحدنا أن يستعرض ذلك وأمثاله من ن أمراض الدين فيحمد الله تعالى على كل مرض زال منه ثم يقول: فليكن سروره بزوال مرض الأديان، وما هو سبب في نقص الدين، أهم عنده من زوال مرض الأبدان وأهم من الظفر بالغنى بالدرهم والدينار.

يضيف: وإن رأى شيئاً من أمراضه ما زال باقياً لم ينفع فيه علاج فعليه أن يبكي بين يدي مالك رقبته، ويستعين برحمته على إزالته.

* أيها الأعزاء كما يبذل التجار قصارى جهدهم في آخر أي موسم تجاري خطير، ينبغي أن نبذل قصارى جهدنا في آخر شهر رمضان المبارك، الموسم الأكبر للتجارة الأكبر التي فيها فكاك رقابنا من النار، وتنجي من عذاب أليم.

ينبغي أن يتأمل كلٌّ منا بدقة رأس ماله والربح، وما هي الحصيلة التي سيواجه بها رحلة الحياة بعد شهر الله تعالى، فإن وجد أنها ذات شأن حمد الله عزَّ وجلّ وحرص على المزيد، وإن وجد صفقته خاسرة فلا ييأس فإن أكرم الأكرمين يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، فليحرص إذاً أن يختم شهر الله تعالى وهو مستحق للمغفرة حتى لا يشمله دعاء النبي ﷺ على من لم يغفر الله له في شهر رمضان حيث قال ﷺ «**من انسلخ عنه شهر رمضان ولم يغفر له فلا غفر الله له**».

قال السيد ابن طاوس: فإنها من أصعب الدعوات، فليتب إلى الله جل جلاله على قدر الخطر الذي بين يديه فإن توقفت نفسه عن الصدق في التوبة فليطلب من أرحم الراحمين عفوه الذي عامل به المسيئين، فقد يعفو المولى عن عبده وهو غير راضٍ عنه. إلهي إن لم ترضَ عني فاعفُ عني واغفر لي.

لا أريد أن أخرج من ضيافتك دون أن أحصل على شيء، هل أرجع خائباً محروماً؟ حاشا كرمك إنّ أملي كبير في أن ترضى عني ولكن قد يعفو المولى عن عبده وهو غير راضٍ عنه. إن كنت لم أسعد برضاك فأسعدني بعفوك.

ثم يبيّن السيد أن على العاصي أن يكون طلبه للعفو متناسباً مع معصيته، فليكن طلبه للعفو على قدر ما وقع منه فإن طلب العفو عن الذنب الكبير مختلف عن طلب العفو عن الذنب الصغير، كما أن طلب العفو من الله عزّ وجلّ مالك الدنيا والآخرة لا بد أن يختلف عن طلب العفو من عبد من عبيده.

ثم يؤكد السيد على التوسل إلى الله عزّ وجلّ وبرسوله وآله الأطهار عليهم السلام فلعلّ الله تعالى يقبل ببركتهم طلب عبده العاصي ويتم ما في عمله من النقص ويكون العبد من الرابحين[١].

* دعاء اليوم الثامن والعشرين

اللهم وفر فيه حظي من النوافل واكرمني فيه بإحضار المسائل وقرب فيه وسيلتي اليك من بين الوسائل يامن لا يشغله الحاح الملحين.

الهي حقَّ لمن اقام في ضيافتك شهراً أن يطمع، أما الفرائض فإن طلبها منك أمرٌ مفروغٌ منه ستمن علي بالتوفيق له، وها أنا ذا أطلب منك توفير حظي من النوافل، ومن تقرب اليك بها أحببتَه، وما أسعد من أحببته، وقد بلغ مسامع قلبي حديث حبك لعبادك، ولكني من قباح قباحهم، فهل إلى حبك من سبيل؟

إن جفوا أو واصلوا أو أتلفوا — حبهم في القلب باق لايزال

فو عزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك لما ألهم قلبي من المعرفة بكرمك وسعة رحمتك، إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه وإلي من يلتجئ المخلوق إلا إلى خالقه. إلهي! لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الاشهاد ودللت على فضابحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك وما صرفت تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبك من قلبي»[٢]. وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أحبك[٣].

---

(١) أنظر في كل ما تقدم عن السيد: الإقبال ١/٤٤٨ ـ ٤٤٩ و٤٥٤.

(٢) من دعاء السحر للإمام زين العابدين عليه السلام، المعروف بدعاء أبي حمزة.

(٣) من المناجاة الشعبانية لأمير المؤمنين عليه السلام.

اللهم وفقني لاستحضار ما أريد منك، وتلطف بالإجابة واجعل وسيلتي موصلة اليك من بين مشتبك الإلحاح والطلبات. يامن لا يشغله إلحاح الملحين.

* صلاة الليلة التاسعة والعشرين

١ ـ حصة هذه الليلة من الألف ركعة: ثلاثون ركعة بالترتيب المتقدم.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ:

ومن صلي ليلة تسع وعشرين من شهر رمضان ركعتين بفاتحة الكتاب وعشرين مرة قل هو الله أحد، مات من المرحومين ورفع كتابه في أعلى عليين[١].

٣ ـ قال الكفعمي: «ويستحب أن يصلي في كل ليلة من شهر رمضان ركعتين بالحمد «. .» والتوحيد ثلاثا، فإذا سلَّم قال: سبحان من هو حفيظ لايغفل، سبحان من هو رحيم لايعجل، سبحان من هو قائم لايسهو، سبحان من هو دائم لايلهو. ثم يقول التسبيحات الأربع سبعاً، ثم يقول: سبحانك سبحانك ياعظيم. إغفر لي الذنب العظيم. ثم تصلي على النبي عشراً. من صلاها غفر الله له سبعين ألف ذنب»[٢].

أسأل الله تعالى أن يمن علينا بما هو أهله، بخير خلقه المصطفى الحبيب وآله الأطهار، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤١. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.
(٢) الكفعمي، البلد الأمين ٥٦٣. الهامش.




٢٩

شهر رمضان

* اليوم الأخير، وليلة العيد
* أعمال اليوم الأخير
* المحاسبة
* تجديدالتوبة الصادقة
* الإستعداد لإطلاق الشياطين
* دعاء ختم القرآن الكريم
* ليلة العيد
* الجد في العبادة
* التوسل
* بجناحي الخوف والرجاء
* أعمال ليلة العيد
* الغسل
* الإحياء
* ذكْرٌ خاص
* التكبير
* زيارة الامام الحسين عليه السلام
* ثلاث سوَر
* الصلوات
* من الأدعية الخاصة
* دعاء اليوم التاسع والعشرين




* اليوم الأخير، وليلة العيد

ينبغي التنبه إلى أن أعمال اليوم الأخير يؤتى بها في اليوم التاسع والعشرين لاحتمال أن يثبت هلال شوال في ليلة ذلك اليوم، ويكون اليوم التالي يوم عيد، ومن أتى بهذه الأعمال ثم لم يثبت العيد فينبغي له الإتيان بها في اليوم التالي لأنه سيكون حينئذ هو اليوم الأخير.

أما أعمال ليلة العيد فمن الطبيعي أن لايؤتى بها إلا مرة واحدة وذلك لأن بالإمكان الإنتظار بعض الوقت لمعرفة ما إذا ثبتت رؤية الهلال أم لا، فإذا ثبتت أتى بأعمال ليلة العيد، وإذا لم تثبت اقتصر على عمل ليلة تسع وعشرين، ويأتي بأعمال ليلة العيد في الليلة التالية.

* أعمال اليوم الأخير

١ ـ المحاسبة

يبذل الجهد في نهاية كل موسم بما يتناسب معه، ويتركز بذل الجهد في الفترة التي تسبق إعلان النتائج حيث يحرص كل مشارك في الموسم أن يحسن من ظرفه ويرفع من وتيرة مشاركته إلى أعلى المستويات الممكنة.

ونحن في اليوم الأخير من شهر الله تعالى أمام نهاية موسم إلهي يحتضن ليلة هي خير من ألف شهر، وسيأتي أن كل صائم يعطى العلامة التي يستحقها في ليلة العيد ويتسلم «شهادته» والجائزة التقديرية في يوم العيد، فكيف ينبغي إذاً أن يكون عملنا في اليوم الأخير؟

أبسط ما يقال فيه، أن يكون متناسباً مع «ألف شهر»! وهذا يعني ببساطة

أيضاً أن يحرص كل منا ـ إذا استطاع ـ على التفرغ في هذا اليوم للعبادة، فإن الحكم سيصدر في حقه على الحالة العقلية والقلبية والنفسية التي يكون قد استقر عليها، وليس طي المكان والزمان بالفكر بأسرع من طي الآفاق الأنفسية بالنية والسريرة.

وبديهي أن يتركز هذا الجهد على محاسبة النفس.

في معرض حديثه عن مهام هذا اليوم، قال السيد: ومنها: اعتبار جريدة أعمالك من أول الشهر إلى آخر يوم منه وقبل انفصاله. فيجلس بين يدي مالك يوم الحساب على التراب أو بحسب ما يتهيأ جلوسه عليه بلزوم الآداب، ويحاسب نفسه محاسبة المملوك الضعيف الحقير مع مالكه المطلع على الكبير والصغير. فينظر ما كان عليه من حيث دخل دار ضيافة الله جل جلاله والحضور بين يديه»[(١)].

ثم أورد رحمه الله تعالى ما تقدم تفصيله في الحديث السابق مما ينبغي أن نكون عليه في أواخر هذا الشهر العظيم، وفي اليوم الأخير منه بشكل خاص، وهو ماتمس الحاجة إلى الرجوع إليه.

٢ ـ تجديد التوبة الصادقة

قال السيد:

يتوب الى الله جل جلاله على قدر الخطر الذي بين يديه، فإن توقفت نفسه عن الصدق في التوبة والندم على ما فات وترك ما هو آت، وعرف منها «..» الإصرار، «..» وتعذر عليه حصول الصدق في هذه الحال، وأبت نفسه المعتادة للإهمال إلا أن يكون حديثها لله جل جلاله وبين يديه بمجرد اللفظ والمقال، والقلب خال عن الإقبال، فليشرع في دعاء اهل البلاء والابتلاء

(١) الإقبال ١/٤٤٨.

«..» ويجتهد على عبرات تطفيء نيران الغضب، وعلى دعوات معروفة بلزوم الأدب، وتسليم العمل الذي عمله في شهره، الى من كان قد جعله خفيراً وحامياً ومالكاً لأمره، فلعل الله جل جلاله لعنايته بخاصته يقبل العمل من يد نائبه الحافظ لشريعته، ويتمم ما فيه من النقصان وتربح ما اشتملت عليه بضاعته من الخسران إن شاء الله تعالى[١].

٣ ـ دعاء ختم القرآن

من وَفَّقه الله تعالى لختمة من القرآن الكريم، أو أكثر، فليقرأ ما يأتي الحديث عنه من أدعية ختم كتاب الله تعالى وعهده إلى خلقه.

أما إذا كنا أيها العزيز قد قصرنا في التفاعل مع أصل هذا الشهر ومحوره الذي به أصبح شهر رمضان شهر ليلة القدر وربيع القرآن، فلنبادر إلى الإكثار من قراءة كتاب ربنا ورسالته إلينا على يدي سيد رسله وخير خلقه ﷺ، ولنعاهد الله تعالى أن نصلح أمر علاقتنا بحياة العقول والقلوب قرآنه الكريم ونجعل ما نقرأه منه في هذا اليوم بداية ختمة نواصل قراءتها بجد بعد شهر الله تعالى، ليكون ذلك بعض تعويض عما فرطنا في جنب الله سبحانه.

قال السيد: ومنها (أي مهام هذا اليوم): دعاء ختم القرآن: فلا أقل أن يكون قد ختم واحدة في طول شهر رمضان، كما تقدم ذكره في بعض الأخبار[٢]. ثم أورد دعاء الإمام السجاد عليه السلام الوارد في الصحيفة السجادية «عند ختم القرآن»[٣].

وقال المحدث القمي رحمه الله: ويختم القرآن غالباً في هذا اليوم ـ أي في اليوم الأخير ـ فينبغي أن يدعى عند الختم بالدعاء الثاني والأربعين من

(١) المصدر ٤٥٤ ـ ٤٥٥.
(٢) المصدر .
(٣) المصدر ٤٤٩ فما بعدها.

الصحيفة السجادية وإن شاء أن يدعو بهذا الدعاء الوجيز ثم ذكر دعاءين مختصرين[١].

٤ ـ الإستعداد لدخول شوال وإطلاق الشياطين الذين كانوا في الإعتقال.

تحت هذا العنوان نبه سيد العلماء المراقبين إلى مسألة بديهية غائبة عن الإهتمام بل منسية كلياً، وهي من السهل الممتنع، تتلخص في أن المصدق بما جاء عن رسول الله ﷺ يجب أن يعتقد بأن الشياطين المغلولة، يفك اعتقالها في شوال، فينبغي أن يشتد حذرنا من الأخطار التي تتهددنا نتيجة ذلك، وتظهر آثار هذا الحذر في سلوكنا باللجوء إلى الله تعالى وشدة المراقبة بدءاً من دخول ليلة العيد.

قال السيد:

واعلم أن كل عارفٍ بأخبار صاحب النبوة وأسرارها، ومهتدٍ بآثارها وأنوارها، يكون عنده تصديق باعتقال الشياطين في أول شهر رمضان، واطلاقهم عند انفصال الشهر، وتمكنهم من الإنسان. فليكن على وجه العبد الصائم وظاهر أحواله أثر التصديق بقول النبي ﷺ، و(يبذل جهده) في السلامة من الأعداء المطْلَقين على قدر ضررهم واجتهادهم في إفساد الدنيا والدين، على صفة ما لو كان جيش الأعداء قد هجم عليه، فاعتقلهم سلطان أقوى منهم، ومنعهم من الإساءة إليه، ثم عاد السلطان القوى فأطلقهم ومكّنهم منه، وهم يقصدون هذا العبد ولا يرجعون عنه، فليرجع إلى باب ذلك السلطان القاهر. فالتذلل له في منعهم عن هلاكه في الوقت الحاضر أيسر وأكمل وأحمد عاقبة من الاشتغال بالذل لهم أو بمحاربتهم، وهم أقوى منه، فيشغلونه عن صلاح أعماله، ومالا بد له منه، والله جل جلاله قادر أن يقويه وإن كان ضعيفاً، كما أخرجه من العدم إلى الوجود ولم يزل به براً لطيفاً[٢].

---

(١) المحدث القمي، مفاتيح الجنان

(٢) الإقبال ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

* دعاء اليوم التاسع والعشرين

اللهم غشّني فيه الرحمة وارزقني فيه التوفيق والعصمة وطهّر قلبي من غياهب التهمة يا رحيماً بعباده المؤمنين.

اللهم افعل بي فعل عزيز تضرع له عبد ذليل فرحمه، أو غنيٍّ تعرض له عبد فقير فنعشه.

كنت أطلب منك الرحمة، وها أنا أطلب أن تغشيني بها، وكنت أطلب منك التوفيق أو العصمة وها أن أجمعهما. لقد جد الجد وأزفت ساعة الخروج من الحمى، ولاأدري إلى ما يكون مصيري!!

فيضاً من مزن رحمتك، وعارضاً من وابلها لأتقلب في الرحمة فتوفقني وتعصمني، وتطهر قلبي من ظلمات الشك وسوء الظن بك وبمواعيدك وبعبادك.

أنت إلهي أقرب إلي من نفسي وقلبي، فإليك أشكوهما فارحمني أنا العاصي كما ترحم أهل الطاعات فإن شمسك تشرق على المحسن والمسيء.

* ليلة العيد

إذا كان الشهر ناقصاً فغداً يوم العيد، وعليه فينبغي الحديث عنه وعن ليلته، على أن يتواصل الحديث يوم الغد إذا لم يثبت العيد.

* في الروايات

١ ـ عن رسول الله ﷺ، في حديث طويل: **فإذا كانت ليلة الفطر، وهي تسمى ليلة الجوائز، أعطى الله العاملين أجرهم بغير حساب.**

٢ ـ قال (الإمام)الصادق عليه السلام: «**ليلة الفطر، الليلة التي يستوفي فيها الأجير أجره**»[١].

(١) الشيخ الصدوق، الهداية٢١٠.

٣ ـ قال الراوي واسمه حسن: «قلت لأبي عبد الله (الصادق) عليه السلام: إن الناس يقولون إن المغفرة تنزل على من صام شهر رمضان ليلة القدر؟ فقال يا حسن ان القاريجار(أي العامل) انما يعطى اجرته عند فراغه وذلك ليلة العيد[١].

٤ ـ وقد تقدمت الإشارة حول ليلة العيد الى أن الامام السجاد عليه السلام، كان يمضيها بالعبادة ويحث على الجد في العبادة فيها ويقول إنها لا تقل أهمية عن ليلة القدر[٢].

* الجد في العبادة

قال آية الله التبريزي عليه الرحمة، مشيراً إلى هذه الرواية: ثم إن عبادة هذه الليلة عظيم جداً لما روي عن الامام السجاد عليه السلام، فيلزم على العامل أن يبذل في هذه الليلة جهداً اكبر من جهده في ليلة القدر، لأنها جمعت مع شرفها انها وقت الجزاء وأخر العمل[٣].

قد يبدوغريباً الكلام عن أن يبذل الإنسان جهداً في ليلة العيد أكبر من جهده في ليلة القدر، ولكن ما تقدم من الروايات يوضح السبب،ولعل من المعاني التي ترمي إليها هذه الروايات المباركة أن شدة الذنوب وخطورتها قد تكون حرمت من استحقاق المغفرة في ليلة القدر، وأن هذا العاصي كان مايزال بحاجة إلى ما يوصله إلى درجة المغفرة والقبول، وهاهوأمام الفرصة الأخيرة التي تستدعي اجتهاداً شديداً، بل وأكثرمن كل مابذله في جميع ليالي القدر وطيلة الشهر العظيم.

قال آية الله التبريزي، أيضاً:

(١) البحراني، الحدائق الناضرة ٤/١٩١
(٢) الإقبال ١/٣٦٣ ـ ٣٦٤.
(٣) المراقبات ١٦٩ بتصرف.

واعلم أن وقت ظهور آثار أعمال شهر رمضان، وإعطاء جزاء عباداته هو يوم العيد، فمن أحسن مراقبة الله جل جلاله في ليلة عيده، وعالج في هذه الليلة تقصيره في مايجب عليه في شهر رمضان، وجعل نفسه أهلاً للعيد، وخلط نفسه في عباد الله الصالحين، يرجى له أن يقبله الله تعالى يوم العيد كما يقبلهم، ولا يقنطه من خاصة ألطافه، ولا يدقق عليه في تقصيره في عباداته لاعترافه بالتقصير، وطلبه من الله تعالى أن يصفح عنه بكرم وجهه، ويلحقه بأهل نواله من عباده المكرمين، والشهداء والصديقين[١].

* التوسل

ثم يحث عليه الرحمة، على التوسل في هذه الليلة بالمصطفى وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليه وعليهم، لإصلاح أعمال الشهر كله فيسلم المتوسل بهم أعماله طيلة شهر رمضان المبارك اليهم ـ الى رسول الله وأهل البيت صلى الله عليه وعليهم ـ ويتوسل لإصلاح نفسه، وقلبه، وظاهره، وباطنه، ويستشفع بهم إلى الله في شمول توفيق الله تعالى له طيلة سنته القادمة بل طيلة عمره كله، وينبغي أن يهتم المسلم ليصلح بتوسله هذا جميع ما أفسده في شهر الله تعالى وجميع عمره.

ويحرص على إحياء هذه الليلة بالتضرع والجد في العبادة.

* بجناحي الخوف والرجاء

ويشترك اليوم الأخير وليلة العيد في خصوصية بذل قصارى الجهد بالتضرع والأستغاثة ليمن الله علينا تعالى بعتق رقابنا من النار، وإن كانت لليلة ميزتها الخاصة.

حول الأعداد الكبيرة التي تشملها الرحمة الإلهية في ليلة العيد، ورد في حديث عن الإمام الرضا عليه السلام:

---

(١) المصدر .

فإذا كان ليلة الفطر أعتق من النار مثل ما أعتق في سائر الشهر[١].

لنتصور شخصاً حكم عليه بالاعدام وأمامه يومٌ وبعض يوم ليحاول فيها كي لا يصدق الملك الحكم عليه بالاعدام فما هي حاله في هذه الفترة؟

وما هي حاله بالذات في الساعات الأخيرة؟

طالما قرأنا ايها الأعزاء في شهر الله تعالى أو سمعنا: **الحمد لله الذي من خشيته ترعد السماء وسكانها وترجف الأرض وعمارها وتموج البحار ومن يسبح في غمراتها.**

وطالما قرأنا أو سمعنا:

والحمد لله الذي يحلُم عني حتى كأني لاذنب لي، فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي.

وقد آن أوان أن نمزج بين الخوف والحب في معادلة الرجاء المحببة الواعدة.

ليسألْ كلٌ منا نفسه هل أنا خائفٌ لفرط إسرافي على نفسي، وجرأتي على ربي؟

ويحي إذا نظرت إلى الأنبياء وقوفا والملائكة صفوفا ويحي عصيت من ليس بأهل أن يعصى عاهدت ربي مرة بعد أخرى فلم يجد عندي صدقاً ولا وفاء.

وليسأل كل منا نفسه: هل يتلمس في هذا القلب القاسي خلجة حب، وهل يصغي ولو بصعوبة بالغة إلى همسة حنين يقرأ في صفحة القلب المربد بعض إرهاصاتها؟!

ألهي هل أرجع عن بابك بالخيبة محروماً، وقد كان ظني أن أرجع مرحوماً، تبلسم جراح قلبي وترضى عني فأسعد، اللهم ان لن لم تكن قد

---

(١) إبن بابويه، فقه الرضا عليه السلام ٢٠٥.

رضيت عني في هذا الشهر فمن الآن فارض عني، وان كنت قد رضيت عني، فازدد عني رضاً، يانعم المولى.

هكذا ينبغي ان تكون حالنا في اليوم الأخير وليلة العيد ولنتذكر باستمرار ماورد في دعاء السحر:

أفتراك ياربي تخلف ظنونا او تخيب آمالنا؟ كلا ياكريم فليس هذا ظننا بك، ولا هذا طمعنا فيك يارب إن لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً، ان لنا فيك رجاءعظيماً «..» وان كنا غير مستوجبين لرحمتك فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضل سعتك فامنن علينا بما أنت أهله «..» انت ألهي اوسع فضلاً وأوسع حلماً من أن تقايسني بفعلي وخطيئتي فالعفو العفو سيدي سيدي سيدي.

ينبغي ان نعيش بعمق حسن الظن بالله عز وجل. إنه أكرم الأكرمين بسط لنا موائد الرحمة وأحلنا في ضيافته لكي نصل.

من حسن الظن بالله عز وجل الثقة بأنه ينجز لنا ما وعدنا به. قال لنا سبحانه: ادعوني أستجب لكم وقد دعوناه، وقال لنا تقدست أسماؤه: إنه يقبل التوبة، وقد سبقت رحمته غضبه:

وليس من صفاتك ياسيدي أن تأمر بالسؤال وتمنع العطية.

* أعمال ليلة العيد

ذكر العلماء بناء على ماورد في الروايات أعمال هذه الليلة كما يلي:

* الأول: الغسل

١ ـ قال الشيخ المفيد: وغسل ليلة الفطر سُنَّة[١] وقال في مكان آخر:

---

(١) الشيخ المفيد، المقنعة ٥١.

والغسل أيضا سنة عند انقراضه(الشهر) في ليلة الفطر وهى الليلة التى يعطى فيها العامل أجره[(١)]

وقال الشيخ الطوسي: ويستحب الغسل في هذه اللية بعد غروب الشمس[(٢)].

وسيأتي عنه رحمه الله في آخر «الصلوات» استحباب غسل في آخر الليل.

*** الثاني: الإحياء**

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحيا ليلة العيد لم يمت قلبه يوم يموت القلوب[(٣)].

وقد روي هذا المضمون أيضاً بإضافة ليلة النصف من شعبان وقد تقدم.

وعن أبي عبد الله (الإمام الصادق) عن أبيه عن علي عليه السلام قال: كان يعجبه أن يفرغ نفسه أربع ليال في السنة وهي: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر[(٤)].

وفي فقه الإمام الرضا عليه السلام: إجتهدوا في ليلة الفطر في الدعاء والسهر[(٥)].

*** الثالث: ذكر في السجود بعد المغرب**

قال الشيخ الطوسي: ومن السنة أن يقول عقيب صلاة المغرب ليلة الفطر وهو ساجد: يا ذا الجلال والاكرام، يا مصطفياً محمداً وناصره، صل على محمد وآل محمد واغفر لي كل ذنب أذنبته ونسيته أنا وهو عندك في كتاب مبين. ثم يقول: أتوب إلى الله. مائة مرة[(٦)].

---

(١) المصدر ٣١١.
(٢) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٤٨.
(٣) الراوندي، الدعوات ٢٧٩.
(٤) الشيخ المفيد، المقنعة ٥١.
(٥) إبن بابويه، فقه الرضا عليه السلام ٢٠٦.
(٦) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٤٨.

وهو غير مايدعى به بعد صلاة أمير المؤمنين عليه السلام كما سيأتي.

*** الرابع: التكبير**

وهو ذكر خاص يكرر في أربعة أوقات بعد صلاة المغرب والعشاء وصلاة الصبح من يوم العيد وبعد صلاة العيد.

وقال الشيخ المفيد: التكبير عند الفراغ من فرض المغرب، وانتهاؤه عند الفراغ من صلاة العيد من يوم الفطر، فيكون ذلك في عقب أربع صلوات. وشرحه أن يقول المصلي عند السلام من كل فريضة: «**الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر، الحمد لله على ما هدانا، وله الشكر على ما أولانا**» فبذلك ثبتت السة عن رسول الله صلى الله عليه وآل، وجاءت الأخبار بالعمل به عن الصادقين من عترته عليهم السلام[1].

قال الشيخ الطوسي: «يستحب التكبير ليلة الفطر، وبه قال جميع الفقهاء[2].

«..» قال أبو عبد الله عليه السلام: أما إن في الفطر تكبيراً ولكنه مسنون قال: قلت: وأين هو؟ قال: في ليلة الفطر في المغرب والعشاء الآخرة وفي صلاة الفجر وصلاة العيد ثم يقطع قال: قلت كيف أقول؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد الله أكبر على ما هدانا. وهو قول الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[3].

وقال أيضاً: ويستحب أيضا التكبير عقيب أربع صلوات: المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الفجر وصلاة العيد يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا

(١) الشيخ المفيد، مسارُ الشيعة ٢٩.
(٢) الشيخ الطوسي، الخلاف ٦٥٦/١. المسألة ٤٢٤.
(٣) المصدر ٦٥٣.

الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله على ما هدانا وله الشكر على ما أولانا[١].

وقال السيد: وإن قدم هذا التكبير عقيب صلاة المغرب وقبل نوافلها كان أقرب إلى التوفيق[٢].

الخامس: زيارة الامام الحسين عليه السلام

قال الشيخ الطوسي:

ويستحب زيارة الحسين عليه السلام في ليلة الفطر ويوم الفطر، وروي في ذلك فضل كبير[٣].

وقال السيد: زيارة الحسين صلوات الله عليه في ليلة عيد الفطر. وقد ذكرنا في «..» مصباح الزائر[٤] «..» بعض فضلها وما اخترناه من «..» ألفاظ الزيارة المختصة بها. فإن لم يكن كتابنا عنده موجوداً في مثل هذا الميقات، فليزر الحسين عليه افضل الصلوات بغير تلك الزيارة من الزيارات المرويات. فإن لم يجد زيارة من المنقولات فليزره عليه السلام بما يفتح الله جل جلاله عليه من التسليم عليه والتعظيم له والثناء عليه والاعتراف له عليه السلام بإمامته والبراءة من أهل عداوته، والتوسل إلى الله جل جلاله بشريف مقاماته في قضاء ما يعرض له من حاجاته»[٥].

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٤٦٠.
(٢) الإقبال ١/٤٥٩.
(٣) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٦٥.
(٤) أورد المجلسي الزيارة المذكورة نقلاً عن مصباح الزائر في البحار ٩٨/ ٣٥٢. وقد ذكر في هامشه أنها في مصباح الزائر ١٧٢ ـ ١٧٥.
(٥) المحدث القمي، مفاتيح الجنان. والإقبال ١/ ٤٦٤.

السادس: قراءة ثلاث سوَر

وروي أنه يقرأ آخر ليلة من شهر رمضان **سورة الأنعام، والكهف، وياسين، ويقول: مائة مرة: أستغفر الله وأتوب إليه**[١].

السابع: الصلوات

١ ـ **عشر ركعات**: صلاة يؤتى بها في الليلة الأخيرة ليتقبل الله تعالى عمل شهر رمضان كله أكد على الصلاة السيد ابن طاوس والشيخ الكفعمي والمحدث القمي رحمهم الله تعالى وهي مروية عن النبي ﷺ قال: من صلى ليلة عيد الفطر عشر ركعات بالحمد مرة والاخلاص عشر مرات، ويقول مكان تسبيح الركوع والسجود: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. ويسلم بين كل ركعتين ويستغفر الله الف مرة بعد الفراغ، ويقول في سجدة الشكر: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والاكرام، يا رحمان الدنيا والاخرة ورحيمهما، يا ارحم الراحمين، يا اله الأولين والاخرين، اغفر لي ذنوبي وتقبل صومي وصلاتي. لم يرفع رأسه من السجود حتى يغفر له ويتقبل منه صومه ويتجاوز عن ذنوبه[٢].

٢ ـ **ست ركعات**: عن النبي ﷺ انه قال: من صلى ليلة العيد ست ركعات، يقرأ في كل ركعة خمس مرات (قل هو الله أحد) الا شفع في أهل بيته كلهم، وان كانوا قد وجبت لهم النار ـ الخبر[٣]

٣ ـ عن رسول الله ﷺ: ومن صلى ليلة ثلاثين من شهر رمضان اثنتى عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وعشرين مرة قل هو الله أحد ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة ختم الله له بالرحمة[٤].

---

(١) الإقبال ١/ ٤١٩.

(٢) الإقبال ١/ ٤٦٠.

(٣) المصدر ٤٥٩.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة ٨/ ٤١. والكفعمي، البلد الأمين ١٧٦.

٤ ـ ركعتان: قال الشيخ المفيد: ويستحب أن يصلى ليلة الفطر ركعتان، يقرأ في الاولى منهما «الحمد» و«قل هو الله أحد» ألف مرة، وفي الثانية «الحمد» و«قل هو الله أحد» مرة واحدة، فقد روي عن مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه قال: من صلى هاتين الركعتين في ليلة الفطر لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه[١].

وقال الشيخ الطوسي:

ويصلي ليلة الفطر بعد الفراغ من صلاته كلها ركعتين، يقرأ في الاولى الحمد مرة واحدة وقل هو الله أحد ألف مرة، وفى الثانية الحمد مرة ومرة واحدة قل هو الله أحد[٢].

وقال السيد:

ومن ذلك ما رويناه بأسنادنا «. .» **أن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه كان يصلي ليلة الفطر ركعتين، يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد، ألف مرة، وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة واحدة، ثم يقنت ويركع ويسجد ويسلم. فإذا سلم خر ساجداً ويقول في سجوده: أتوب الى الله ـ مائة مرة ـ ثم يقول: يا ذا المن والجود، يا ذا المن والطَّول، يا مصطفي محمد، صل على محمد وآله وافعل بي كذا وكذا. فإذا رفع رأسه أقبل علينا بوجهه ثم يقول: والذي نفسي بيده لا يفعلها أحد يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه، ولو(كان ما) أتاه من الذنوب بعدد رمل عالج غفر الله تعالى له**[٣].

وقال الشيخ الطوسي:

* ويستحب أيضاً أن يصلي بعد الفراغ من جميع صلواته في هذه اللية،

---

(١) الشيخ المفيد، المقنعة ١٧١.
(٢) الشيخ الطوسي، الإقتصاد ٢٧٣.
(٣) الإقبال ١/٤٥٩.

ركعتين يقرأ في الأولى منهما الحمد مرة، وألف مرة قل هو الله أحد، وفي الركعة الثانية الحمد مرة، ومرة قل هو الله أحد.

أضاف:

*** ويستحب أن يدعو بعدها بهذا الدعاء:**

يا الله يا ألله يا ألله، يا رحمن يا ألله، يا رحيم يا ألله، يا ملك يا ألله، يا قدوس يا ألله، يا سلام يا ألله، يا مؤمن يا ألله، يا مهيمن يا ألله، يا عزيز يا ألله، يا جبار يا ألله، يا متكبر يا ألله، يا خالق يا الله، يا بارئ يا الله، يا مصور يا الله، يا عالم يا الله، يا عظيم يا الله، يا عليم يا الله، يا كريم يا الله، يا حليم يا الله، يا حكيم يا الله، يا سميع يا الله، يا بصير يا الله، يا قريب يا الله، يا مجيب يا الله، يا جواد يا الله، يا ماجد يا الله، ياملئ يا الله، يا وفي يا الله، يا مولى يا الله، يا قاضي يا الله، يا سريع يا الله، يا شديد يا الله، يا رؤوف يا الله، يا رقيب يا الله، يا مجيد يا الله، يا حفيظ يا الله، يا محيط يا الله، يا سيد السادة يا الله، يا أول يا الله، يا آخر يا الله، يا ظاهر يا الله، يا باطن يا الله، يا فاخر يا الله، يا قاهر يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا ودود يا الله، يا نور يا الله، يا رافع يا الله، يا مانع يا الله، يا دافع يا الله، يا فاتح يا الله، يا نفاع يا الله، يا جليل يا الله، يا جميل يا الله، يا شهيد يا الله، يا شاهد يا الله، يا مغيث يا الله، يا حبيب يا الله، يا فاطر يا الله، يا مطهر يا الله، يا ملك يا الله، يا مقتدر يا الله، يا قابض يا الله، يا باسط يا الله، يا محيي يا الله، يا مميت يا الله، يا باعث يا الله، يا وارث يا الله، يا معطي يا الله، يا مفضل يا الله، يا منعم يا الله، يا حق يا الله، يا مبين يا الله، يا طيب يا الله، يا محسن يا الله، يا مجمل يا الله، يا مبدئ يا الله، يا معيد يا الله، يا بارئ يا الله، يا بديع يا الله، يا هادي يا الله، يا كافي يا الله، يا شافي يا الله، يا علي يا الله، يا عظيم يا الله، يا حنان يا الله، يا منان يا الله، يا ذا الطول يا الله، يا متعالي يا الله، يا عدل يا الله، يا ذا المعارج يا الله، يا صادق يا الله، يا ديان يا الله، يا باقي يا الله، يا واقي يا الله، يا ذا الجلال يا الله، يا

ذا الاكرام يا الله، يا محمود يا الله، يا معبود يا الله، يا صانع يا الله، يا معين يا الله، يا مكوّن يا الله، يا فعّال يا الله، يا لطيف يا الله، يا جليل يا الله، يا غفور يا الله، يا شكور يا الله، يا نور يا الله، يا قدير يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، يا رباه يا الله، أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وتمن عليَّ برضاك، وتعفو عني بحلمك، وتوَسِّع علي من رزقك الحلال الطيب من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب، فإني عبدك ليس لي أحد سواك ولا أحد أسأله غيرك يا أرحم الراحمين، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله العلي.

ثم تسجد وتقول: **يا الله يا الله، يا رب يا الله، يا رب يا الله، يا رب يا الله، يا رب يا رب يا رب، يا منزل البركات، بك تنزل كل حاجة، أسألك بكل اسم في مخزون الغيب عندك والأسماء المشهورات عندك المكتوبة على سرادق عرشك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تقبل مني شهر رمضان وتكتبني من الوافدين إلى بيتك الحرام وتصفح لي عن الذنوب العظام وتستخرج يا رب كنوزك يا رحمن.**

* واغتسل في آخر الليل، واجلس في مصلاك إلى طلوع الفجر، واستفتح خروجك بالدعاء إلى أن تدخل مع الامام في الصلاة، فتقول: **اللهم، إليك وجهت وجهي وإليك فوضت أمري وعليك توكلت، الله أكبر على ما هدانا، الله أكبر إلهنا ومولانا، الله أكبر على ما أولانا وحسن ما أبلانا، الله أكبر ولينا الذي اجتبانا، الله أكبر ربنا الذي برأنا، الله أكبر الذي خلقنا وسوانا الله أكبر ربنا الذي أنشأنا، الله أكبر الذي بقدرته هدانا، الله أكبر الذي بدينه حبانا، الله أكبر الذي من فتنته عافانا، الله أكبر الذي بالاسلام اصطفانا، الله أكبر الذي فضلنا بالاسلام على من سوانا، الله أكبر وأكبر سلطانا، الله أكبر وأعلى برهانا، الله أكبر وأجل سبحانا، الله أكبر وأقدم إحسانا، الله أكبر وأعز أركانا، الله أكبر وأعلى مكانا، الله أكبر وأسنى شأنا، الله أكبر ناصر من استنصر، الله أكبر ذو**

المغفرة لمن استغفر، الله أكبر الذي خلق وصور، الله أكبر الذي أمات فأقبر، الله أكبر الذي إذا شاء أنشر، الله أكبر أقدس من كل شئ وأظهر، الله أكبر رب الخلق والبر والبحر، الله أكبر كلما سبح الله شئ وكبر وكما يحب الله أن يكبَّر، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وصفيك وحبيبك ونجيك وأمينك ونجيبك وصفوتك من خلقك وخليلك وخاصتك وخالصتك وخيرتك من خلقك، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك الذي هديتنا به من الضلالة، وعلمتنا به من الجهالة وبصرتنا به من العمي وأقمتنا به على المحجة العظمى وسبيل التقوي وأخرجتنا به من الغمرات إلى جميع الخيرات وأنقذتنا به من شفا جرف الهلكات، اللهم صل على محمد وال محمد أفضل وأكمل وأشرف وأكبر وأطهر وأطيب وأتم وأعم وأعز وأزكى وأنمى وأحسن وأجمل ما صليت على أحد من العالمين، اللهم شرف مقامه في القيامة وعظم على رؤوس الخلائق حاله، اللهم اجعل محمداً وآل محمد يوم القيامة أقرب الخلق منك منزلة وأعلاهم مكاناً وأفسحهم لديك مجلساً وأعظمهم عندك شرفاً وأرفعهم منزلاً، اللهم صل على محمد وآل محمد وعلى أئمة الهدى والحجج على خلقك والأدلاء على سننك، والباب الذي منه يؤتى، والتراجمة لوحيك المستنين بسنتك الناطقين بحكمتك الشهداء على خلقك، اللهم اشعب بهم الصدع وارتق بهم الفتق، وأمت بهم الجور وأظهر بهم العدل، وزين بطول بقائهم الأرض، وأيدهم بنصرك وانصرهم بالرعب، وقوّ ناصرهم واخذل خاذلهم ودمدم على من نصب لهم ودمر على من غشمهم، وافضض بهم رؤوس الضلالة وشارعة البدع ومميتة السنن والمتعززين بالباطل، وأعزَّ بهم المؤمنين وأذل بهم الكافرين والمنافقين وجميع الملحدين والمخالفين في مشارق الأرض ومغاربها يا أرحم الراحمين. اللهم وصل على جميع المرسلين والنبيين الذين بلغوا عنك الهدى واعتقدوا لك المواثيق بالطاعة ودعوا العباد إليك بالنصيحة وصبروا على ما لقوا من الأذى والتكذيب في جنبك، اللهم صل على محمد وعليهم وعلى ذراريهم وأهل بيوتاتهم وأزواجهم وجميع

أشياعهم وأتباعهم من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات، والسلام عليهم جميعاً في هذه الساعة وفي هذا اليوم ورحمته وبركاته، اللهم اخصص أهل بيت نبيك محمد المباركين السامعين المطيعين لك الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيراً بأفضل صلواتك ونوامي بركاتك والسلام عليهم ورحمة الله وبركاته[١].

* الثامن: الأدعية الخاصة

ومنها: اللهم إنك أرحم الراحمين لا إله إلا أنت، تفضلت علينا فهديتنا، ومننت علينا فعرفتنا، وأحسنت إلينا فأعنتناعلى أداء ما افترضت علينا من صيام شهرك شهر رمضان. فلك الحمد بمحامدك كلها على جيمع نعمائك كلها، حتى ينتهي الحمد إلى ما تحب وترضى. وهذا آخر يوم من شهر رمضان فإذا انقضى فاختمه لنا بالسعادة والرحمة والمغفرة، والرزق الواسع الكثير الطيب، الذي لا حساب فيه ولا عذاب عليه، والبركةِ والفوز والفوز بالجنة، والعتق من النار، ولا تجعله آخر العهد منه، وأهله علينابأفضل الخير والبركة والسرور عليَّ وعلى أهلي ووالديَّ وذريتي يا كريم. اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقد تصرم، فأعوذ بوجهك الكريم أن تغيب الشمس من هذا اليوم، أو يطلع الفجر من هذه الليلة، ولك قبلي ذنب أو تبعة، تريدأن تعذبني عليها يوم ألقاك. أي ملين الحديد لداود، أي كاشف الكرب العظيم عن أيوب، صل على محمد وعلى أهل بيت محمد وهب لي فكاك رقبتي من النار وكل تبعة وذنب لك قبلي، واختم لي بالرضا والجنة. يا الله يا أرحم الراحمين، صل على محمد وعلى أهل بيته المباركين الأخيار وسلم تسليما[٢].

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٤٩ ـ ٦٥٠.
(٢) المصدر ٤٤٦ ـ ٤٤٧. وقد أورد المحدث القمي بعض هذه الأدعية.

*** التاسع: وداع شهر رمضان المبارك**

وقد وردت عدت ادعية لذلك أحسنها كما عبر المحدث القمي رحمه الله الدعاء الخامس والأربعون من الصحيفة السجادية.

*** وأختم بالتذكير بما تقدم في حديث اليوم التاسع والعشرين من شعبان، حول التخفيف عما ملكت اليمين، من سيرة الإمام السجاد فقد روي عنه** عليه السلام **، أنه كان في غير شهر رمضان يعامل الخدم بمنتهى الرفق والحنان، ومن ذلك أنه نادى مملوكه مرتين فلم يجبه ثم أجابه في الثالثة فقال له: يا بُني أما سمعت صوتي؟ قال: بلى، قال: فما بالك لم تجبني؟ قال: أمنتك، فقال: ألحمد الله الذي جعل مملوكي آمناً مني. وكسرت جارية له قصعة فيها طعام، فاصفر وجهها فقال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله**[1]. إلا أن تعامله معهم في شهر الله تعالى، كان يتخذ منحى تصاعدياً من نوع آخر، حيث إنه كان إذا دخل شهر رمضان هيأ دفتراً يكتب فيه أخطاء المستخدَمين عنده، من العبيد والإماء ـ الذين كان يعتقهم في كل عام بعد أن يكونوا قد أمضوا سنة في رعايته النبوية الخاصة ـ وعندما يخطيء أحدهم لا يطالبه عليه السلام، وإنما يدوّن خطأه في هذا الدفتر، و يخطيء مرة ثانية وثالثة، وهكذا، لا يطالبه أبداً، وإنما يدوّن عليه السلام ماحصل في هذا الدفتر، فإذا كانت آخر ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك طالب كلاً منهم وأحضرهم عليه السلام، جميعاً، وأمسك الدفتر بيده وقال: يا فلان أنت أخطأت في اليوم الفلاني، هل طالبتك؟ فيقول: كلا. وأنتِ يافلانة أخطأتِ في اليوم الفلاني، هل طالبتك؟ وهكذا إلى أن يسألهم جميعاً ويعترفوا بأنهم أخطأوا ولكنه لم يطالبهم، ثم يقوم عليه السلام وسطهم ويقول لهم: **إرفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربك قد أحصى عليك كل ما عملت، كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق**

---

(١) ابن شهراشوب، مناقب آل أبي طالب٣/٢٩٧.

عليك بالحق، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضرا، كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك، فاعف عنا تجده عفُوّا، وبك رحيماً، ولك غفوراً، ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق علينا بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها. فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة، وكفى بالله حسيباًوشهيداً، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾. «..» وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقنهم، وهم ينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي وينوح، ويقول: رب إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا، فنحن قد عفونا عمن ظلمنا، كما أمرت، فاعف عنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نرد سائلا عن أبوابنا، وقدأتيناك سؤّالا،ومساكين، وقد أنخنا بفِنائك وببابك، نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك،فامنن بذلك علينا، ولا تُخيّبنا فانك أولى بذلك منا ومن المأمورين، إلهي كرمت فأكرمني، إذ كنت من سؤّالك. وجدتَ بالمعروف فاخلطني بأهل نوالك يا كريم[1].

ومن الواضح أنه لم يكن هدفه عليه السلام من إعداد هذا الدفتر وتسجيل هذه الأخطاء والمطالبة الشكلية بها إلا التنبه إلى أن أخطاءنا تُحصى **﴿أحصاه الله ونسوه﴾** لندرك من خلال ذلك أيضاً أنه ليس المطلوب فقط، مجرد أن يخفّف الإنسان عمّا ملكت يمينه، وعمّن هو تحت يده دون أن يتّعظ ويتأثر سلوكه

---

(١) ورد هذا المضمون بصيغتين، تصرح إحداهما بأن المطالبة كانت تتم في المجلس، ويظهر من الثانية (صيغة المناقب) أنها كانت تتم قبل المجلس، ويمكن الجمع بينهما بنا ينسجم مع الضوابط الشرعية من أن المطالبة مع ذكر الخطأ، كانت خاصة،والمطالبة دون تحديد الخطأ عامة أي في المجلس أمام الآخرين. أنظر: ابن شهراشوب،مناقب آل أبي طالب٣/ ٢٩٧والمجلسي، البحار ٤٦/ ١٠٤نقلاً عن السيد في الإقبال ،أنظر: أعمال وداع شهر رمضان ١/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

إيجاباً بهذه الحقيقة، وإنما المطلوب أن يستثمر هذا التخفيف ويقول: يا إلهي، أنا العبد المحدود عفَوت، ففي اليوم الفلاني أخطأ فلان معي ولم أعاقب، وفي اليوم الفلاني أخطأ آخر بحقي ولم أعاقب، وأنت يا إلهي، المطلق، أكرم الأكرمين، وما أحوجني إلى عفوك، فاعفُ عني.

وفي الختام: ما أمس حاجتنا إلى الإهتمام بليلة العيد.

اللهم وفقنا لمراضيك، بالمصطفى الحبيب وآله الأطهار، صلواتك عليه وعليهم أجمعين.






٣٠

شهر رمضان

* من مستحبات يوم العيد

١ ـ معرفة فضيلة اليوم

٢ ـ الغسل

٣ ـ خصوصيتان لصلاة الفجر

٤ ـ الأدب مع المولى صاحب الزمان عليه السلام

٥ ـ دعاء الندبة

٦ ـ زكاة الفطرة

٧ ـ التوجه إلى المصلى

٨ ـ الدعاء بعد صلاة العيد

٩ ـ صوم ستة أيام

١٠ ـ عيد الفرد، والأمة

* وفي الختام




* من مستحبات يوم العيد

١ ـ معرفة فضيلة اليوم

كيف نستقبل فجر العيد أو صلاة الصبح فيه؟

وكيف نتعامل مع هذه الفترة النموذجية، مابين الفجر والخروج إلى صلاة العيد؟

وماهي حالات القلب، ومناجاته والوِرد؟

هل يشير ذلك أو يدل على أننا نستقبل لحظات مفصلية نتسلم فيها «ما نستحق»؟!

لاشك أن ذلك مرتبط بمدى معرفة يوم العيد.

قال السيد ابن طاوس عليه الرحمة والرضوان:

فصلٌ، فيما نذكره من الآداب في استقبال ذلك النهار: إعلم أن نهار يوم العيد فتح باب سعيد، وتجديد فضل جديد لم يجر مثله منذ سنة ماضية، ويمضي فلا يعود مثله الى نحو سنة آتية. وما يخفى على ذوي الألباب أن فتح الأبواب التي تكون في الأوقات المتباعدات بزيادات السعادات لها حق التعظيم والإحترام..».

إن يوم العيد إذا فرصة لاتتكرر إلا بعد سنة، ومثل هذه الفرص الثمينة جداً والمتباعدة يحكم العقل بوجوب اغتنامها، فلنغتنم. ثم يستشهد السيد برواية عن الإمام الحسن عليه السلام تأتي بتمامها، وفيها قوله عليه السلام: فالعجب كل

العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المقصرون[١].

٢ ـ الغسل

قال السيد:

إعلم أنه ينبغي ابتداء هذا اليوم بعد ما ذكرناه بالغسل، لما رويناه باسنادنا «. .» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الغسل يوم الفطر سنة. «. .» فإذا هممت بذلك فقل: اللهم إيمانا بك، وتصديقا بكتابك، واتباع سنة نبيك محمد صلى الله عليه وآله. «. .» فإذا فرغت من الغسل فقل: اللهم اجعله كفارة لذنوبي، وطهِّر ديني، اللهم اذهب عني الدنس[٢].

٣ ـ صلاة الفجر

تتميز صلاة الفجر يوم العيد بالتكبير بعدها كما مر في مستحبات ليلة العيد، وبتعقيب خاص بها على ما نص عليه السيد في الإقبال، وهو نفسه الدعاء الذي يأتي عن الشيخ الطوسي تحت عنوان «التوجه إلى المصلى» أنه يدعى به بعد صلاة العيد.

قال الشيخ الطوسي:

فإذا أصبح يوم الفطر يستحب له أن يغتسل، ووقته بعد طلوع الفجر إلى وقت صلاة العيد ويلبس أطهر ثيابه، ويمس شيئا من الطيب جسده «. .» ثم يخرج إلى المصلى بسكينة ووقار لصلاة العيد[٣].

---

(١) الإقبال ١/٤٦٧.

(٢) المصدر ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٣) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٥٣.

٤ ـ الأدب مع المولى صاحب الزمان(ع)

تتلخص حصيلة الصيام في تجذير توحيد الله تعالى في العقل والقلب والوجدان، ويتوقف صدق ذلك على طبيعة العلاقة برسول الله ﷺ، وهي علاقة تدور إثباتاً ونفياً مدار العلاقة بأوصيائه وفي عصرنا وصيه المهدي المنتظر أرواح العالمين له الفداء.

فكيف هي علاقتنا به في يوم العيد، وهو صاحب الأمر الذي يتنزل في ليلة القدر؟

قال السيد:

فصلٌ فيما نذكره من أدب العبد يوم العيد مع من يعتقد أنه إمامه وصاحب ذلك المقام المجيد، فأقول: إعلم أنه إذا كان يوم عيد الفطر، فان كان صاحب الحكم والأمر متصرفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الذي أعطاه مولاه، فليكن مهنئاً له صلوات الله عليه بشرف إقبال الله جل جلاله عليه وتمام تمكينه من إحسانه إليه، ثم كن مهنياً لنفسك ولمن يعز عليك وللدنيا وأهلها، ولكل مسعود بامامته بوجوده عليه السلام، وسعوده وهدايته وفوائد دولته. وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التصرف في مقضى رياسته، فليكن عليك أثر المساواة في الغضب مع الله جل جلاله مولاك ومولاه، والغضب لأجله، والتأسف على ما فات من فضله. واعلم ان الصفاء والوفاء لأصحاب الحقوق عند التفرق والبعاد، أحسن من الصفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد، فليكن الصفاء والوفاء شعار قلبك لمولاك، وربُّك القادر على تفريج كربك[١].

٥ ـ دعاء الندبة

ويستحب في يوم العيد قراءة دعاء الندبة الذي ورد أنه يقرأ في الأعياد

(١) الإقبال ١/ ٤٧٤.

الأربعة، الفطر والأضحى والغدير ويوم الجمعة، وهو من تعابير الأدب مع ولي الله تعالى، ووصي رسوله ﷺ.

وبعد أن أورد السيد الدعاء في الإقبال قال:

فإذا فرغت من الدعاء، فتأهب للسجود بين يدي مولاك، وقل ما رويناه بأسنادنا الى أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا فرغت من دعاء العيد المذكور ضع خدك الأيمن على الأرض وقل: سيدي سيدي، كم عتيق لك، فاجعلني ممن أعتقت، سيدي سيدي، وكم من ذنب قد غفرت، فاجعل ذنبي في من غفرت، سيدي سيدي، وكم من حاجة قد قضيت، فاجعل حاجتي فيما قضيت، سيدي سيدي، وكم من كربة قد كشفت، فاجعل كربتي فيما كشفت. سيدي سيدي، وكم مستغيثٍ قد أغثت، فاجعلني في من أغثت، سيدي سيدي كم من دعوة قد أجبت، فاجعل دعوتي في ما أجبت، سيدي سيدي، إرحم سجودي في الساجدين، وارحم عبرتي في المستعبرين، وارحم تضرعي فيمن تضرع من المتضرعين. سيدي سيدي، كم من فقير قد أغنيت، فاجعل فقري في ما أغنيت، سيدي سيدي، إرحم دعوتي في الداعين، سيدي وإلهي أسأت وظلمت وعملت سوءاً، واعترفت بذنبي، وبئس ما عملت، فاغفر لي يا مولاي، أي كريم أي عزيز أي جميل[1].

٦ ـ زكاة الفطرة

وتسمى أيضاً زكاة البدن، وهي حوالي ثلاث كيلوات من المواد الغذائية الأساسية، أو ثمنها بالشروط المقررة في الرسائل العملية.

ويمتد وقت إخراجها إلى الظهر، ولكن ينبغي عزلها قبل الخروج إلى الصلاة.

---

(١) الإقبال ٥١٣/١ ـ ٥١٤.

ولا بدّ من التنبه جيداً إلى عظيم أهمية هذه الزكاة وعظيم دلالات التعامل معها والموقف منها على كل حالات الصائم طيلة الشهر الكريم.

عن الإمام الصادق عليه السلام: **إن من تمام الصوم إعطاء الزكاة** - يعني الفطرة - **كما ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله تمام الصلاة، لأنه من صام ولم يؤد الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمداً، ولا صلاة له إذا ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، لأن الله عزّ وجلّ قد بدأ بها قبل الصوم، وقال: قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى**[1].

قال السيد معقباً:

واعلم أن بخل الانسان بزكاة الفطرة اليسيرة، ومنع الله جل جلاله من ماله أن يتصرف فيه بالحوالة لفقير بمقدار الزكاة الحقيرة، فضيحة على العبد المدعي للإسلام، وخروج عن حكم العقول والأحلام، لأن حكم الألباب يقتضي أن صاحب المال، وهو رب الأرباب، أحق بالتصرف في ماله من عباده، يعطي من يشاء من عباده ويمنع من يشاء ويحكم فيه بحسب مراده.

«وكيف يستحسن العبد أن يقوم بين يدي الرب في صلاة أو في شئ من العبادات، وهو قد منعه من هذا المقدار اليسير من الزكوات وقابل مراسمه الشريفة بالرد والإستخفاف وإهمال التقديمات. ما يفعل هذا إلا من قلبه مدنف سقيم، وعقله ذميم، وعساه يكون ممن اتخذ دينه هزواً ولعباً، وكانت دعواه للإسلام كذبا[2].

٧ - التوجه إلى المصلى

قال الشيخ الطوسي عليه الرحمة والرضوان:

فإذا توجهت إلى المصلى، فادع بهذا الدعاء:

---

(١) الإقبال ١/ ٤٦٥.

(٢) المصدر.

اللهم من تهيأ وتعبأ وأعد واستعد لوفادة إلى مخلوق رجاء رفده وطلب جوائزه وفواضله ونوافله فإليك يا سيدي وفادتي وتهيئتي وإعدادي واستعدادي رجاء رفدك وجوائزك ونوافلك، فلا تخيب اليوم رجائي يا مولاي، يا من لا يخيب عليه سائل ولا ينقصه نائل فإني لم آتك اليوم بعمل صالح قدمته ولا شفاعة مخلوق رجوتها ولكن أتيتك مقراً بالظلم والإساءة لا حجة لي ولا عذر فأسألك يا رب أن تعطيني مسألتي وتقلبني برغبتي ولا تردني مجبوهاً ولا خائباً يا عظيم يا عظيم يا عظيم، أرجوك للعظيم، أسألك يا عظيم أن تغفر لي العظيم لا إله إلا أنت اللهم صل على محمد وآل محمد وارزقني خير هذا اليوم الذي شرفته وعظمته وتغسلني فيه من جميع ذنوبي وخطاياي وزدني من فضلك إنك أنت الوهاب.

٨ ـ الدعاء بعد صلاة العيد

وأورد الشيخ صلاة العيد ثم قال:

فإذا سلم عقب بتسبيح الزهراء عليها السلام وما خف عليه من الدعاء ثم يدعو بهذا الدعاء.

اللهم إني توجهت إليك بمحمد أمامي وعلي من خلفي وأئمتي عن يميني وشمالي أستتر بهم من عذابك وسخطك وأتقرب إليك زُلفىً لا أجد أحدا أقرب إليك منهم، فهم أئمتي فآمن بهم خوفي من عذابك وسخطك وأدخلني برحمتك الجنة في عبادك الصالحين، أصبحت بالله مؤمنا موقنا مخلصا على دين محمد وسنته وعلى دين علي وسنته وعلى دين الأوصياء وسنتهم، آمنت بسرهم وعلانيتهم وأرغب إلى الله تعالى فيما رغبوا فيه، وأعوذ بالله من شرما استعاذوا منه، ولا حول ولا قوة ولا منعة إلا بالله العلي العظيم، توكلت على الله حسبي الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه، اللهم إني أريدك فأردني وأطلب ما عندك فيسره لي. اللهم إنك قلت في محكم كتابك المنزل وقولك الحق ووعدك الصدق: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدى للناس وبينات من

الهدى والفرقان، فعظمت شهر رمضان بما أنزلت فيه من القرءان الكريم وخصصته بأن جعلت فيه ليلة القدر، اللهم وقد انقضت أيامه ولياليه وقد صرت منه إلى ما أنت أعلم به مني، وأسألك يا إلهي بما سألك به ملائكتك المقربون وأنبياؤك المرسلون وعبادك الصالحون أن تصلي على محمد وال محمد وأن تقبل مني كل ما تقربت به إليك فيه، وتتفضل علي بتضعيف عملي وقبول تقربي وقرباتي واستجابة دعائي، وهب لي من لدنك رحمة وأعتق رقبتي من النار وآمني يوم الخوف من كل الفزع ومن كل هول أعددته ليوم القيامة، أعوذ بحرمة وجهك الكريم وبحرمة نبيك، وبحرمة الأوصياء أن يتصرم هذا اليوم ولك قبلي تبعة تريد أن تؤاخذني بها أو خطيئة تريد أن تقتصها مني لم تغفرها لي، أسألك بحرمة وجهك الكريم يا لا إله إلا أنت بلا إله إلا أنت أن ترضى عني وإن كنت قد رضيت عني فزد فيما بقي من عمري رضى، وإن كنت لم ترض عني فمن الآن فارض عني يا سيدي ومولاي الساعة الساعة الساعة، واجعلني في هذه الساعة وفي هذا اليوم وفي هذا المجلس من عتقائك من النار عتقاً لا رق بعده. اللهم إني أسألك بحرمة وجهك الكريم أن تجعل يومي هذا خير يوم عبدتك فيه منذ أسكنتني الأرض أعظمه أجرا وأعمه نعمة وعافية وأوسعه رزقاً وأبتله عتقا من النار وأوجبه مغفرة وأكمله رضوانا وأقربه إلى ما تحب وترضى. اللهم لا تجعله آخر شهر رمضان صمته لك وارزقني العود فيه ثم العود فيه حتى ترضى وترضي كل من له قبلي تبعة ولا تخرجني من الدنيا إلا وأنت عني راض، اللهم اجعلني من حجاج بيتك الحرام في هذا العام المبرور حجهم المشكور سعيهم المغفور ذنبهم المستجاب دعاؤهم المحفوظين في أنفسهم وأديانهم وذراريهم وأموالهم وجميع ما أنعمت به عليهم. اللهم اقلبني من مجلسي هذا وفي يومي هذا وفي ساعتي هذه مفلحاً منجحاً مستجاباً دعائي مرحوماً صوتي مغفوراً ذنبي، اللهم واجعل فيما شئت وأردت وقضيت وحتمت وأنفذت أن تطيل عمري وأن تقوي ضعفي وأن تجبر فاقتي وأن ترحم مسكنتي وأن تعز ذلي وتؤنس وحشتي وأن تكثر قلتي وأن تدر

رزقي في عافية ويسر وخفض عيش وتكفيني كل ما أهمني من أمر آخرتي ودنياي ولا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها ولا إلى الناس فيرفضوني وعافنى في بدني وأهلي وولدي وأهل مودتي وجيراني وإخواني وذريتي وأن تمن علي بالأمن أبداً ما أبقيتني، توجهت إليك بمحمد وآل محمد ﷺ وقدمتهم إليك أمامي وأمام حاجتي وطلبتي وتضرعي ومسألتي فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين فإنك مننت علي بمعرفتهم فاختم لي بها السعادة إنك على كل شئ قدير، فإنك وليي ومولاي وسيدي وربي وإلهي وثقتي ورجائي ومعدن مسألتي وموضع شكواي ومنتهى رغبتي فلا يخيبن عليك دعائي يا سيدي ومولاي، ولا يبطلن طمعي ورجائي لديك، فقد توجهت إليك بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم وقدمتهم إليك أمامي وأمام حاجتي وطلبتي وتضرعي ومسألتي، واجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين إليك فإنك مننت علي بمعرفتهم فاختم لي بها السعادة. إنك على كل شئ قدير. اللهم ولا تبطل عملي ورجائي يا إلهي ومسألتي، واختم لي بالسعادة والسلامة والإسلام والأمن والإيمان والمغفرة والرضوان والشهادة والحفظ يا منزولا به كل حاجة يا الله يا الله يا الله، أنت لكل حاجة فتول عاقبتها ولا تسلط علينا أحداً من خلقك بشيء لا طاقة لنا به من أمر الدنيا وفرغنا لأمر الآخرة يا ذا الجلال والاكرام، صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وال محمد وتحنن على محمد وآل محمد كأفضل ما صليت وباركت وترحمت وسلمت وتحننت على إبرهيم وآل إبرهيم إنك حميد مجيد[1].

٩ ـ صوم ستة أيام

انتشرت في السنوات الأخيرة ظاهرة محببة هي صيام ستة أيام بعد يوم العيد، وفي مايلي تأكيد على ذلك، وعلى الأيام التي يستحب صومها بشكل عام.

---

(١) الشيخ الطوسي، مصباح المتهجد ٦٥٤ ـ ٦٥٨.

قال الشيخ الطوسي:

وقد روى الزهري في شرح وجوه الصيام ما يكون صاحبه فيه بالخيار ستة أيام عقيب يوم الفطر وهو الذي تسميه العامة التشييع، فمن صامه كان له فيه فضل، وفي أصحابنا من كرهه، والأصل فيه التخيير، والصوم عبادة لا تُكره لأن النبي عليه السلام قال: الصوم جنة من النار. وهو على عمومه. ويستحب في هذا الشهر وفي سائر الشهور صوم ثلاثة أيام: أول خميس في العشر الأول، وأول أربعاء في العشر الثاني، وآخر خميس في العشر الأخير، وكذلك في كل شهر، فإنه مروي عنهم عليهم السلام أن ذلك يعدل صيام الدهر(١).

وتجدر الإشارة إلى أهمية الصوم بعد العيد في الإصرار على تحصين حصيلة الصوم، والمضي قدماً في خط ضيافة الرحمن. وعليه سبحانه قصد السبيل.

١٠ ـ عيد الفرد، والأمة

تقبّل الله أعمالكم وأسعد الله أيامكم، وكل عام وأنتم بخير. أعاده الله تعالى على الجميع باليُمْن والبركة وواسع الرحمة والمغفرة والنصر والمنعة إنه سميع مجيب.

ماذا يعني العيد، هل هو فرح بالتحلل من قيود الصوم، وابتهاجٌ باستئناف دورة الحياة العادية؟

وما قيمة ذلك إذا كان الباطن مظلماً مطروداً لم ينعم بالرضى والقرب من المليك المقتدر.

أو لم يقل المولى أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنما هو عيد لمن قبِل الله صيامه وقيامه وشكر قيامه، وكل يوم لايعصى الله فيه فهو عيد**»(٢).

---

(١) المصدر ٦٦٥ ـ ٦٦٦.

(٢) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة (عبده)١٠٠.

العيد هو الفرحة بالطاعة، والفوز بالرضوان.

إنه يوم توزيع الجوائز الإلهية على ضيوف الرحمن.

من كان صومه حقيقياً فجائزته التقوى، ومن حافظ فيه على أوقات الصلوات فجائزته استجابة الله تعالى دعاءه، ومن حسّن فيه خُلُقه استحق جوائز المرور على الصراط، ومن أكرم فيه يتيماً استحق جائزة إكرام الله له يوم يلقاه، ومن وصل فيه رحمه وصله الله تعالى برحمته، ومن أكثر فيه من الإستغفار وطول السجود استحق جائزة فكاك نفسه وحطّ الأوزار عن كاهله، ومن أكثر فيه الصلاة على النبي ﷺ استحق جائزة رجحان كفته وثقل ميزانه يوم تخفّ الموازين.

ومن الجوائز في يوم العيد الحج المبرور الذي يغفر معه الذنب وتكفّر السيئات والتوفيق للشهادة في سبيل الله تعالى، كما أن من ألحّ فيه على التوبة وسعى أن تكون صادقة، منّ الله تعالى عليه في يوم العيد بجائزة قبولها، وأكبر من ذلك أن يغفر الله ما سلف ويسدّد في ما يأتي، ومن أعظم جوائز يوم العيد إستحقاق إخراج حب الدنيا من القلب.

سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي.

وأعظم منها أن يمنّ الله تعالى بحبه، فيصبح القلب حرم الله عزّ وجلّ.

أهل هذه الجوائز وأمثالها هم أهل العيد، ومن عداهم المسيؤون الذين إذا كُشِف لهم الغطاء شُغلوا بإساءتهم عن تصفيقِ أيدٍ وثيابٍ وترجيل شِعر.

مرّ الإمام الحسن عليه السلام في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون، فوقف عليهم ثم قال: إن الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه ـ أي ميداناً للسباق ـ يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قومٌ ففازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كل العجب من ضاحك لاعبٍ في اليوم الذي يُثاب فيه المحسنون

ويخسر فيه المبطلون، وأيمُ الله لو كُشف الغطاء لعلموا أن المحسن مشغول بإحسانه والمسيء مشغول بإساءته فمضى[١].

يقول السيد ابن طاوس عليه الرحمة حول يوم العيد: ولا تقطع يومك هذا باللعب والإهمال وأنت لا تعلم أمردود أم مقبول الأعمال، فإن رجوت القبول فقابل ذلك بالشكر الجميل وإن خفتَ الرد فكن أسير الحزن الطويل[٢].

وليس الهدف أيها الأعزاء من التركيز على هذا الجانب إدخال الحزن على الناس في يوم عيدهم، وإنما الهدف الحفاظ على التوازن، فلا يصح أبداً أن يُفهم العيد تحللاً من العبادة، كما لا يصح بطبيعة الحال أن تغلب الكآبة فيه، بل ينبغي أن يواجه المؤمن الناس بالبشاشة والبهجة، إلا أنه يظل حريصاً في باطنه على صون ما أنجزه طيلة ضيافة الله تعالى، فلا يضيّعه في الإنجراف في تيار المعاصي ويظل حريصاً من الشياطين الذين طال تقييدهم، وهاهم اليوم قد فُكّت أغلالهم، يبذلون قصارى جهدهم في الإغواء والتزيين والتلبيس، إلى حد أن بعضنا قد يخسر في يوم العيد كل ما حصل عليه طيلة شهر الله تعالى.

من أجل هذا التوازن كان هذا التركيز.

خطب أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الفطر فقال: أيها الناس إن يومكم هذا يُثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون وهو أشبه بيوم قيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مُصلاكم، خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم، رجوعكم إلى منازلكم في الجنة.

«عباد الله إن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملَك في آخر يوم

---

(١) الكليني، الكافي ٤/ ١٨١.

(٢) المحدث القمي، مفاتيح الجنان، صلاة العيد، نقلاً عن السيد ولم أجده في نسخة الإقبال في المعجم.

من شهر رمضان أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم فانظروا كيف تكونون في ما تستأنفون»[(١)].

إن الحرص على التناسب بين ما سلف وما نستأنف هو إذاً منشأ التأكيد على أن لا يكون يوم العيد نشازاً لا يصل الماضي بالمستقبل فإذا اجتاز الصائم يوم العيد دون أن يصاب بنكسة في إيمانه ومراقبته لنفسه كان أقدر على مواصلة ذلك في ما بعد.

وعندما نتأمل في مستحبات يوم العيد نجد أنها تركّز على صون ما أُنجز طيلة شهر رمضان المبارك وتعزيزه ليكون المخزون الإيماني والشعوري الذي يمكّن من مواصلة رحلة الحياة الشاقة بيُسر.

يحدثنا السيد ابن طاوس عليه الرحمة عن استحباب صلاة العيد على التراب ويذكر ما جرى معه ذات مرة فيقول: واعلم أنني كنت يوم من أيام الأعياد وقد قمتُ من السجادة لأجلس على التراب لأصلي صلاة العيد، على المأمور به من الآداب فأردتُ أن أجعل ذلك على سبيل العبادة لله جل جلاله لأنه أهلٌ للعبادة، فورد على خاطري ما معناه: أُذكر كيف نقلناك من هذا التراب (أي أذكر أنك كنت في الأصل تراباً) الذي تجلس عليه إلى ما قد بلغناك إليه من التكريم والتعظيم وتسخيرنا لك ما سخرناه من الأفلاك والدنيا والآخرة والملك العظيم واشتغِل بالشكر لنا واعتقاد المِنَّة العظيمة عن تطلّع خاطرك إلى الوسيلة إلينا بهذه الخدمة اليسيرة السقيمة، فإنا إذا رأيناك تقدم حقنا على مايقع منك من الخدمة، كان أثبت لك في رسوخ القدم وسبوغ النعم.

يريد عليه الرحمة أن على الإنسان أن لا يستكثر عمله مهما كان العمل فإنه بالنسبة إلى الله عزَّ وجلّ لا يُذكر على الإطلاق فلله سبحانه وتعالى المنَّة الدائمة فقد نقله من «تراب» إلى «إنسان» ومهما صدر من هذا الإنسان فلن

---

(١) الشيخ الصدوق، الأمالي١٦٠.

يكون معادلاً لهذه النقلة، فلا يصح أن يتباهى الإنسان بعباداته وإنجازاته التي هي فرع كونه إنساناً، بل يجب أن يكون مستحضراً أبداً لعظيم فضل الله تعالى عليه، ليتحقق منه الشكر الحقيقي الذي يقوم على النقطة النقيض للتباهي المشار إليه.

إلى أن يقول السيد عليه الرحمة: وقل (في يوم العيد): بالرحمة والجود وجميع الوسائل التي نقلتني بها من ذلك المقام النازل إلى هذا الفضل الشامل الكامل صل على محمد وآل محمد وانقلني عما تكره وقوعه مني إلى مايرضيك عني.

إلهي، ما بدأت به من كرم وفضل وحب وحنان فتممه، وكما نقلتني من تراب إلى إنسان! فانقلني عن مصارع الذنوب إلى مايرضيك، فأنت الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

هكذا يمكن أن نعزّز في نفوسنا جميع المعاني الإيمانية التي عشناها في شهر الله تعالى، وحاولنا وهكذا يمكن أن يكون العيد همزة وصل بين ضيافة الرحمن والوصول إليه بقلب سليم.

ورد عن رسول الله ﷺ: **زيّنوا أعيادكم بالتكبير. وروي أنه كان ﷺ** يخرج في العيدين رافعاً صوته بالتهليل والتكبير وأنه كان يُكبِّر يوم الفطر حين يخرج من بيته حتى يأتي المصلّى[(١)].

يوم العيد إذاً يوم عبادة، يوم تكبير وتهليل، يوم تضرع لنيل الجوائزالقيمية والفوز بالرضوان،والتحلي بمكارم الأخلاق، ويلحق بذلك ويقع في سياقه الحصول على الجوائز المادية بمختلف مظاهرها.

ويفرح الإنسان أيها الأعزاء بالجائزة لأنه يحسّن بها أوضاعه ويرمم بها شؤونه.

---

(١) الريشهري، ميزان الحكمة ٣/٢١٩٨، نقلاً عن كنز العمال.

وما قيمة الجائزة إذا لم توظَّف في بلسمة الجراح ولمّ الشعث ورأب الصدع؟

وأي جراح أبلغ ضرراً وأبعد غوراً من جراح القلب وندوب تشويه الفطرة؟!

هكذا ينبغي أن تكون الجوائز الإلهية التي نحصل عليها في يوم العيد منطلقاً لتحسين أوضاعنا الشخصية لنؤسس على ذلك في تحسين أوضاعنا العامة.

إنها جوائز الجهاد الأكبر التي ننطلق بها في ساحات الجهاد الأصغر فنحمل هموم المسلمين والمستضعفين في الأرض بزخم جديد وروح تحنّ إلى الشهادة فطالما رددنا في ليالي شهر رمضان المبارك **«وقتلاً في سبيلك فوفق لنا»** هذه مواقع الجهاد تنتظرنا **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**.

هذا الشيطان الأكبر الأمريكي يمعن في محاولات إذلال الأمة الوسط، وهذه ربيبته الغدة السرطانية تتبجّح بالحديث عن مشروع إسرائيل الكبرى الذي تريد إقامته على أنقاض وجودنا وجماجمنا والأشلاء.

أي عيد لنا ونحن نرسف في قيود الإحتقار والتبعية مهدّدين بالإقتلاع من أرضنا؟

هلاّ انطلقنا من تقوى الله تعالى إلى الدفاع عن عباده لتكون كلمة الله هي العليا؟

هلا توجهنا إلى المجاهدين الأبرار لنقول لهم: يا نور القلوب وبهجته، يا جنود المهدي، يا عنوان حب الأمة لله ولرسوله وآله الأطهار، سيروا على بركة الله تدوا في الأرض أقدامكم، أعيروا الله جماجمكم، ثقوا بأننا معكم لا لن نكون كوفيين.

هلاّ تذكرنا في يوم العيد شهداءنا الأبرار وفي طليعتهم سيد شهداء المقاومة الإسلامية وشيخهم، لنقول لهم أجمعين إننا على العهد باقون.

لن تحجبنا بهارج الدنيا وزينتها عن المضي قُدُماً في دربكم حتى نلقى الله تعالى مخضّبين بدماء الشهادة ونحشر معكم تحت راية السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

سيدي يا أبا عبد الله عليك منا سلام الله أبداً ما بقيناوبقي الله الليل والنهار، عيدنا يوم نلقى الله تعالى تحت رايتك.

سيدنا يا صاحب العصر والزمان عليك صلوات الرحمن، ما معنى العيد في غيابك وجدُّك الإمام الصادق عليه السلام يخاطبك قبل ولادتك فيقول: سيدي غيبتك نفت رقادي!

طالت علينا ليالي الإنتظار فهل يابن النبي لليل الإنتظار غد

أرأيتم أيها الأعزاء إلى يتيم منقطع وحيد فريد ينظر إلى ثياب الأطفال وبهارجها وألعابهم في يوم العيد وزخارفها، وهو يعيش اللوعة والحسرة؟

هكذا ينبغي أن تكون حال خالي الوفاض الذي لم يفِ شهر رمضان حقَّه، وهو ينظر إلى أهل الجوائز الإلهية عادوا محمَّلين بجوائزهم وهو لا يلوي على شيء.

ينبغي أن يستبد به الحزن فيصرخ من الأعماق: **إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون، رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير، رب إني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين.**

وليكن على يقين أنه إن عاش هذه الحالة فإنه لن يرجع خائباً.

اللهم صُنْ ماء وجوهنا، ولا تخزنا أمام أهلينا وأوليائك وملائكتك، ولا تشمت بنا عدوك، اللهم إنك أكرم الأكرمين فاجعل بفضلك وكرمك عيدنا كما تحب وكما أنت أهلٌ له فإنك نِعمَ المولى ونِعمَ النصير.

اللهم اقضِ في هذا اليوم حوائج المحتاجين، إشفِ كل جريحٍ وكل

مريض، إقضِ دين كل مدين، ردّ كل غريب، فكّ كل أسير، أيِّد جندك، وأنزل نصرك، وأرنا هلاك الكافرين، وأطِل اللهم في أعمار علمائنا العاملين، سيما ولي أمر المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين.

* وفي الختام

كانت هذه جولة في رياض الأدب مع الله تعالى في ربى الأشهر الثلاثة، وهو سبحانه المأمول أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ويبيِّض بها قلب عبده ووجهه، وأن ينفع بها المؤمنين. إنه ولي الإحسان والنعم. وعوداً على بدء: عادته الإحسان إلى المسيئين.

وقد وقع الفراغ من إعادة النظر فيه، قبيل ظهر يوم السبت الواحد والعشرين من شعبان لسنة ١٤٢٤للهجرة الشريفة، الموافق للثامن عشر من تشرين الأول لسنة٢٠٠٣ للميلاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

حسين محمد كوراني

لبنان ـ بيروت

kourani@hotmail.com

فهرس المصادر(*)

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة/ أمير المؤمنين الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام.
- الصحيفة السجادية/ الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام.
- الاختصاص/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- الارشاد في معرفة حجج الله عليالعباد/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- الأشراف/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- اصول الكافي/ الكليني، محمد بن يعقوب.
- إقبال الأعمال/ السيد ابن طاوس (ابن طاوس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر).
- الاقتصاد الهادي الى طريق الرشاد/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).

(*) معظم المصادر الواردة في هذا الفهرس مستقاة من برنامج مركز المعجم الفقهي (قرص مدمج) ـ قم المقدسة. الاصدار الثالث، وبعضها من الإصدار الرابع.

- الأمالي/ الشيخ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي).
- الأمالي/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- الأمالي/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- الإمامة والسياسة/ ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري).
- أهل البيت في الكتاب والسنة/ ريشهري، محمد.
- بحار الانوار/ المجلسي، محمد باقر.
- البلد الأمين والدرع الحصين/ الشيخ الكفعمي (ابراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي).
- بلسم الروح/ الامام الخميني (الخميني، روح الله الموسوي)
- بيت الاحزان/ المحدث القمي (الشيخ عباس القمي).
- تاج العروس من جواهر القاموس/ الزبيدي، محمد مرتضى.
- التبيان في تفسير القرآن/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- التحفة السنية في شرح نخبة المحسنية (مخطوط)/ الفيض الكاشاني (محمد بن مرتضى) ؛ شرح السيدعبدالله بن نعمة الله الجزائري.
- تذكرة الفقهاء/ العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي).
- تفسير نور الثقلين/ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي.
- تهذيب الاحكام/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- توحيد الامامية/ الملكي، محمد باقر.
- الحدائق الناضرة/ المحقق البحراني (الشيخ يوسف البحراني).

ـ الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة/ (صدر المتألهين ـ ملا صدرا) الشيرازي، محمد بن ابراهيم.

ـ الخلاف/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).

ـ الدروع الواقية/ السيد ابن طاووس (ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر).

ـ الدعوات/ القطب الراوندي (فضل الله بن علي الحسني الراوندي).

ـ دلائل الامامة/ الطبري الامامي، محمد بن جرير بن رستم.

ـ ذخيرة المعاد في شرح الارشاد/ المحقق السبزواري (الملا محمد باقر السبزواري).

ـ الذكرى/ الشهيد الاول (محمد بن مكي العاملي الجزيني).

ـ الرسائل العشر/ ابن فهد الحلي (احمد بن فهد الحلي).

ـ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية/ الشهيد الثاني (زين الدين بن علي العاملي).

ـ رياض السالكين/ السيد على خان.

ـ سنن النبي/ الطباطبائي، محمد حسين.

ـ سيرة النبي/ ابن هشام الحميري (ألفها محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي؛ هذبها عبد الملك بن هشام الحميري).

ـ شرح اصول الكافي/ المازندراني، المولى محمد صالح.

ـ شرح الاخبار في فضائل الائمة الاطهار/ القاضي النعمان (النعمان بن محمد التميمي المغربي).

- شرح النهج/ ابن ابي الحديد (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين المدائني).
- عدة الداعي ونجاح الساعي/ ابن فهد الحلي (احمد بن فهد الحلي).
- العروة الوثقى/ اليزدي، السيد محمد كاظم الطباطبائي.
- فقه الرضا عليه السلام/ علي بن بابويه القمي.
- فلاح السائل/ السيد ابن طاووس (ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر).
- كشف الغمة في معرفة الائمة/ الإربلي (علي بن عيسى بن أبي فتح الإربلي).
- المحاسن/ البرقي، احمد بن محمد بن خالد.
- مختلف الشيعة/ العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي).
- المراقبات/ الملكي التبريزي، الميرزا جواد.
- مسارُّ الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل/ المحدث النوري (الميرزا حسين النوري الطبرسي).
- مستدرك سفينة البحار/ النمازي الشاهرودي، علي.
- مصباح المتهجد/ الشيخ الطوسي (الطوسي، محمد بن الحسن).
- المصباح/ الشيخ الكفعمي (ابراهيم بن علي بن الحسن العاملي الكفعمي).

- معاني الاخبار/ الشيخ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي).

- مفاتيح الجنان/ المحدث القمي (الشيخ عباس القمي).

- مفتاح الفلاح/ الشيخ البهائي (محمد بن الحسين بن عبد الصمد العاملي).

- المقنعة/ الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان).

- من لا يحضره الفقيه/ الشيخ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي).

- مناقب آل ابي طالب/ ابن شهر آشوب (محمد بن علي بن شهر آشوب).

- منتهى المطلب/ العلامة الحلي (الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي).

- ميزان الحكمة/ ريشهري، محمد.

- الميزان في تفسير القرآن/ الطباطبائي، محمد حسين.

- الهداية/ الشيخ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي).

- وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة/ الحر العاملي (محمد بن الحسن بن علي بن الحسين).

- وقعة صفين/ المنقري، نصر بن مزاحم.

الفهرس